مع العدد

- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٠ قروش

منبر الإسلام

العدد ١٢ • السنة ٢٩ • ذو الحجة ١٣٩١ • يناير ١٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

صدق الله العظيم

منبر الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية

في غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير

محمد توفيق عويضة

العدد ١٢ – السنة ٢٩ – ذو الحجة سنة ١٣٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع
التحرير خلف عمارة بحري - القاهرة
ت ٢٨١٥٦

الاشتراكات

١٠٠ قرش في جمهورية مصر العربية
٨٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج جمهورية مصر
العربية وما يساوي قيمة هذه العملة في البلاد الأخرى
تقبل كوبونات البريد الدولي ذات القرشين - الاشتراكات تدفع مقدما

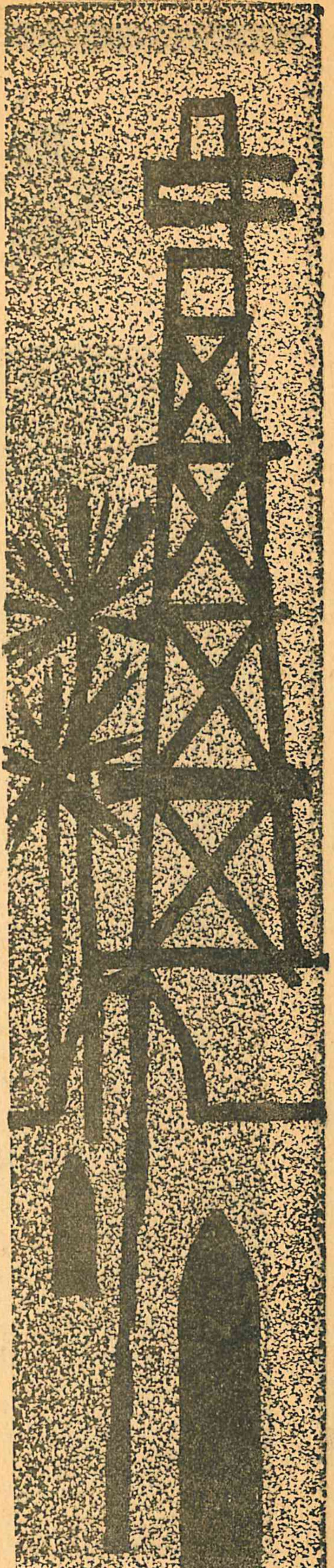

■ مئات من اللافتات علقت تحية لصاحب السمو الشيخ زايد وتهنئة له بعيد جلوسه السعيد ■

تعودت أبو ظبى ؟ أن تتخذ من عيد جلوس صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، مناسبة للتعبير عن وفائها لحاكمها وقائدها الرشيد من جهة ، ومن جهة أخرى للتعرف على أوجه التقدم والنهضة فى شتى نواحى حياتها .

أما الوفاء والاخلاص والحب فكل ذلك لانهم يشعرون بأن سمو الحاكم قد أعطى لبلاده اخلاصا وجهدا متواصلا .

وقد أرادت مجلة منبر الاسلام أن تشارك شعب أبو ظبى الكريم فى احتفالاته بأعياد الجلوس التى اتفقت مع احتفالات اعلان اتحاد الامارات العربية. وسافرت الى (أبو ظبى) وأنا أسمع عنها الكثير . وما أن وطئت قدماى أرض البلاد حتى انبهرت من هذه السرعة العجيبة التى تمت بها مشاريع عديدة . وصلت الى أبو ظبى فى المساء وكانت شعلة من النور حتى خلت أننى فى وضح النهار .. عشرات الالوف من اللمبات الكهربائية الملونة تضىء الشوارع وواجهات الوزارات والدوائر . والاعلام ترفرف فى كل مكان ، أقيمت البوابات وأقواس النصر وعلقت عليها الزينات. **مئات من اللافتات علقت تحية لزايد وتهنئة له بعيد جلوسه السعيد** . وكانت الفرحة تبدو على كل وجه ، والسعادة تملأ كل قلب وكل بيت . **لان احتفال الشعب بعيد جلوس زايد يعنى احتفاله ببدء مسيرته الى حضارة العصر .**

وفى جولة سريعة التقى بقرائنا الاعزاء مع امارة (أبوظبى) فى محاولة لالقاء الضوء عليها . فأبو ظبى هى احدى امارات الخليج العربى التسع تقع فى الركن الجنوبى من الجزيرة العربية . وتبلغ مساحتها ثمانين الف كيلو متر مربع وتتبع امارة ابو ظبى مجموعة من الجزر تقدر بمائتى جزيرة . ويغلب على

جولة منبر الإسلام

في ابو ظبي

إعداد : يسري مخلوف

صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم البلاد .

ستارة لخشية الاتهام بالعداء لاسرائيل المبنية على دين مصنوع ٠٠ أو ربما مخافة غضب الذين يغضبون حين نحتكم الى منطق الاسلام ٠٠ الاسلام يرفض التعصب ٠٠ وهو فوق كل اتهام بالقصور او بالجمود الذى يتوهمه صناع الكلام ٠٠ اننا لا نقبل أية دعوة يقال انها حق ولكن أريد به باطل ٠

قلت : الى أى حد تتأثر التعبئة للمعركة بعدم ربطها بالعقيدة ؟

قال : ان الحرب تحتاج الى وضوح ٠٠ الحرب تحتاج الى تأليف القلوب ٠٠ الحرب تحتاج الى استخدام كل مصادر القوة ٠٠ وأدلها وأهمها العقيدة التى تدفع ، والقوة التى تضرب ٠٠ وعلى رغم كل ما تحقق بالايمان منذ قيام الثورة ، وعلى رغم الوضوح الفكرى فى الميثاق ، فمايزال الجدل يدور حول نفسه ، ولا يرتقى الامر فى نفوس الافراد الى مستوى العقيدة ٠٠ **ان العقيدة هى المحرك الطبيعى لطاقاتنا غير المحدودة ٠٠ والتاريخ شاهد ودليل على أن هذه الامة لم تنتصر فى يوم من الايام الا تحت رايات العقيدة ٠٠ بالمعادلة الربانية : ان تنصروا الله ينصركم » ٠**

تعريف باتحاد الجمهوريات

قلت : وهل تحتوى خطة الاعلام بدولة اتحاد الجمهوريات العربية لمسة خاصة لهذا القصور فى أدوات الكلمة العربية ؟

قال : ان اتحاد الجمهوريات العربية جزء من الوحدة العربية والوحدة العربية جزء من الوحدة الاسلامية ، والوحدة الاسلامية ركن من أركان التوحيد تطبيقا للامر الالهى : « **أن هذه أمتكم أمة واحدة » ٠٠ على هذا الخط سوف تجد كل خطة اعلامية المدد والمنبع الذى لا ينضب ٠٠**

ثم سكت السيد حسين الشافعى قليلا قبل أن يقول : ان من أهم التحديات التى تواجه اتحاد الجمهوريات الآن ربما تكون الكلمة .. وأعنى بها الدعوة والاعلام ..

لقد كنا فى الماضى القريب والبعيد نحاول دائما الحديث عما نتمناه وما ينبغى أن يكون ، وكان دائما يتجاوز الواقع ، ورد الفعل لهذا التجاوز هو محاولة الاستمرار فى الخيال ، وفقدان الثقة بالكلمة ٠٠

وفى رأيى أن أعدى أعداء النجاح هو التعلق فى الاعلام بالشكل دون الموضوع أو المضمون أو الواقع ٠٠ ونحن اذا قبلنا هذه المغالطة فى الماضى ، لا نستطيع قبولها الآن فى مجال الدعوة للاتحاد والدعوة الى الوحدة ٠

اننا الآن فى معركة قرارنا فيها هو أنه لا بديل عن النصر ٠٠ لانها معركة وجود العرب أو وجود اسرائيل ٠٠ ليس هناك خيار ٠٠ كل ما يساعدنا على القوة لا مناص من التمسك به ٠٠ كل ما يفزع أعداءنا نحن أحرص الناس عليه ٠ كل ما يحمى الحرية والتقدم العربى شغلنا الذى لا ننصرف عنه ٠٠ وليست هناك قوة تفزع العدو أكثر من قوة العقيدة ٠٠ **لكن** العدو قد عجم أعواد الشعوب العربية الاسلامية باحراق المسجد الاقصى ، وحسب أن المسلمين قد هانوا على أنفسهم وعلى الناس ، وهو لايرى أنه يدفع هذه الامه الى مكانها الطبيعى ٠٠ أمة واحدة تجاهد بالحق والخير لابنائها وكل البشر من حولها ٠

ان احراق وهدم المسجد الاقصى ، وان تهويد بيت المقدس والخليل وغزة ، جرائم لا يمكن أن تمر دون عقاب ٠

ان عمليات الابادة ضد المسلمين والمسيحيين فى فلسطين وفى الاراضى العربية المحتلة وتخريب المساجد والكنائس والمدارس والمنازل وطرد أصحابها الى فجاج الصحراء جرائم لا يمكن أن ترد دون عقاب ٠٠

ان الجرائم الدموية التى ترتكبها العصابات الاسرائيلية ضد الاحرار الفلسطينيين فى السجون والمعتقلات لا يمكن أن تمر دون عقاب ٠٠

ان أرضنا وتاريخنا وعقيدتنا لها فى المعركة دخل كبير ٠٠ وقد يحتل العدو الارض ، وقد يضيع التاريخ ، ولكن العقيدة لا يمكن أن تغتصب أو تضيع ٠٠ واسألوا معارك الفتوح الاسلامية كم انتصرت فئة قليلة من أقوياء العقيدة على جيوش كسرى وجحافل هرقل ٠

لقد حاولت القوى المعادية للاسلام أن تمحو من تاريخه بطولات العقيدة التى فتحت بالحق والعدل أقطار الارض ٠٠ **ولكن هذه البطولات قد اكتسبت قداستها من حيث أن صانعيها خاضوا المعارك بأكفان الشهداء ٠٠ فنصرهم الله بعد أن نصروه ٠٠ وحقق فيهم قوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ٠**

ان الاعلام الاتحادى سيتجه الى هذا النبع من الدعوة ٠٠ لانها أقوى وأنجح دعوة

ان توضيح دور اتحاد الجمهوريات العربية فى مستقبل الحرية والوحدة العربية ، لابد أن تلتزم بالصدق ، ولا يتجاوز الواقع : **من الممكن الى ما يجب أن يكون ٠٠ اتحاد الجمهوريات طريق الوحدة العربية ٠٠ الوحدة العربية طريق الوحدة الاسلامية ٠٠ الوحدة الاسلامية طريق الوحدة البشرية ٠٠ هذه رسالتنا فى العالمين ٠**

منطق الاحداث

قلت : وهل يتم ذلك بتحضير رسالات وبحوث فى الدعوة والاعلام ؟

قال : الاحداث تسبق كل تحضير ٠٠ الواقع اليومى لحياة الجماهير العربية وما تعانيه من مشاكل ، يحتاج الى الحلول الايجابية ، ولن نجد هذه الحلول الا فى ديننا ٠٠ فى قرآننا الذى لم يفرط فى شىء ٠٠ لقد أوضح لنا كيف نبنى الفرد ونبنى المجتمع ونبنى البشرية ، وأبان لنا كيف كان المجتمع الاسلامى الحقيقى مجتمع النصر والبناء والتقدم ٠

كل ما نحتاج اليه أن نبدأ من الممكن ٠٠ الى ما يجب أن يكون ٠

مع الشافعى فى المسجد الأموى

قومية المعركة تعنى أمة العرب خط دفاع عن أمة الاسلام

إعداد : عبد العليم المهدى

فى الخامس عشر من شوال الماضى ، أديت معه فريضة الجمعة فى المسجد الاموى بدمشق ، وكان موضوع الخطبة اتحاد الجمهوريات العربية ، وقد صاغه الخطيب فى سبيكة مضيئة بنور العقيدة ، وأهاب بالعرب فى كل أرض ، أن يعتصموا بحبل الله ، وأن يعلموا أن اتحادهم من التوحيد ، وأن تفرقهم ليس من الدين ٠

وفى عشية الجمعة، وفى قاعة الاستقبال بفندق أمية، دار الحديث عن قومية المعركة، وقومية العمل الفدائى لتحرير الارض المغتصبة وانقاذ القدس من التهويد ٠٠ فاتجهت الى السيد حسين الشافعى نائب رئيس جمهورية مصر العربية ، بعد احدى جلسات لجنة متابعة اتحاد الجمهوريات العربية ٠

سألته : لماذا يثور الجدل دائما حول كلمة القومية ، ويتعلق الجدليون بسؤال أهى القومية العربية أم القومية الاسلامية ؟

فقال فى ابتسامة الايمان الراسخ : ان كلمة الفصل فى هذه السفسطات هى أنه لاخلاف ولا اختلاف على الاطلاق ٠٠ القومية العربية جزء من القومية الاسلامية وما يعنى الجزء يعنى الكل ، وخاصة أن الامة العربية خط دفاع متقدم عن الامة الاسلامية ٠ ونحن هنا فى هذه المنطقة - كما قال الاخ الرئيس انور السادات لعلماء المسلمين - نحارب التخلف والصهيونية والاستعمار على امتداد الرقعة الاسلامية ٠٠ والحديث عن الرقعة الاسلامية يجذبنا الى مناقشة ظاهرة ملموسة فى الاعلام بحقائق المعركة ٠٠٠ **هناك حساسية واضحة بالنسبة الى المفهوم السياسى للاسلام فى المعركة** ٠٠ اننا كثيرا ما نسمع الناصحين بعدم الخوض فى الاسلام حتى لانتهم بالتعصب .. وكان من حق العدو وحده أن يتعصب لدين اخترعته الصهيونية العالمية وأقامت على أساسه اسرائيل المخلوقة من التعصب للخرافات التى جاء بها مؤلفو التلمود من حكماء صهيون ، وحكاية أرض المعاد ، وأسطورة الشعب المختار .. ونحن عندما نواجه هذا التحدى يطلب منا الا نواجهه بكل مقومات وجودنا ، وأقواها وأخطرها عقيدتنا التى هى قوميتنا وهى ايماننا وهو فى أوله وأوسطه وآخره دين لا يعرف التعصب لجنس أو ملة أو لون ، فديننا هو دين كل الاديان ،وفى أرضنا تلتقى كل الالوان ،والاسلام ينص على أنه لا اكراه فى الدين ، وذلك لا يعفيه من أنه دين الرحمة للعالمين واننى لاتساءل دائما **لماذا تبتعد أدوات الكلمة عندنا عن توضيح المفهوم السياسى للاسلام ؟ ! ٠٠**

قلت : ربما تكون الامية الدينية سبب عدم الخوض فى هذه الناحية مخافة التورط فيما لا يعلمون ؟

قال : وهذا عيب العيوب ٠٠ أو هو على الاقل

تاريخ كفاح شعوبنا من ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ حتى اول يناير ١٩٥٨ حين اجتمع ممثلو شعوب القارتين الكبيرتين آسيا وافريقيا يربطهم الميراث المشترك وتلهمهم الامانى المشتركة . لقد كان هذا المؤتمر علامة بارزة وخطوة حاسمة من خطوات نضال الشعوب الافريقية الاسيوية ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية والفاشية . كان هذا المؤتمر هو المظهر التاريخى الاول للقوة المنظمة لتضامن الشعوب وتصميمها على تحقيق الاستقلال والوقوف الى جانب بعضها البعض توثيقا لعرى التضامن الذى لا ينفصم بيننا تأييدا للحفاظ على الاستقلال الذى حصلت عليه شعوبنا بعد كفاح مرير .

اننى اذ اقدم اليكم التهنئة على الخطوات الواسعة التى حققتها الشعوب الافريقية الاسيوية بعد الحصول على استقلالها اعرب عن مؤازرتنا للشعوب التى مازالت تعانى تواطؤ المؤامرات الامبريالية والاستعمارية على حريتها واؤكد تأييد حكومة وشعب جمهورية مصر العربية لشعوب الهند الصينية فى فيتنام ولاوس وكمبوديا التى تقاوم ببسالة الامبريالية الامريكية فى تحديها السافر لكل القيم الحضارية وانتهاكها لحق هذه الشعوب فى الحرية وتقرير المصير . كما نؤكد تأييدنا لشعوب جنوب افريقيا التى تناضل ضد القهر الفاشى والعنصرى . الذى تمارسه نظم الاقلية الحاكمة هناك المتواطئة مع الامبريالية والاحلاف العسكرية العدوانية . واؤكد مناصرتنا ووقوفنا بتصميم وحسم الى جانب شعوب المستعمرات البرتغالية ضد الاستعمار البرتغالى الذى مازال يعيش بمفاهيم العصور الوسطى وفى الوقت نفسه ينكل بالاحرار باستخدام أحدث أسلحة الدمار والقمع . انقل لكل هذه الشعوب المكافحة تحية وتأييدا لا يضن بجهود ولا تضحية مهما غلت .

واتصالا بهذا النضال فى انحاء قارتينا العظيمتين يتصاعد نضال شعب مصر والشعوب العربية ضد المؤامرة الصهيونية الاستعمارية التى بلغت ذروتها فى عدوان ١٩٦٧ الذى استهدف الاستيلاء على الارض العربية وتمزيق وحدة التراب الوطنى لدول المنطقة وضرب الثورة العربية وحركة المد الثورى والتحررى فى العالم .

ولكن صمود شعوبنا بقوة وثبات فى وجه تلك المؤامرة . والمؤازرة الحازمة من جانب شعوبكم وكافة القوى المحبة للسلام والعدل فى العالم ، استطاعت أن تهزم أهداف المخطط الصهيونى الاستعمارى البعيدة ، وأتاحت لنا أن نعلن اليوم عزمنا الاكيد على هزيمة اثارة وذلك بتحرير الارض واسترداد الحق أيا كانت التضحيات ومهما كان الثمن فهذا ليس فقط حقنا المشروع ولكن هو واجبنا المقدس تجاه وطننا وتجاه شعوبنا والشعوب الصديقة التى تؤمن معنا بمبادىء النضال ضد الامبريالية والاستعمار والعنصرية .

ولقد أسفرت اسرائيل تماما عن وجهها العدوانى العنصرى وعن أطماعها التوسعية مما يجعل دائرة التأييد لكفاحنا العادل تتسع يوما بعد يوم . وان انعقاد مؤتمر مثل مؤتمركم يمثل شعوب آسيا وافريقيا على أرض مصر المناضلة فى تلك الفترة الحاسمة من تاريخنا لتأكيد بأننا جميعا نؤمن بوحدة النضال والكفاح فى جميع انحاء القارتين ضد قوى البغى والشر والعدوان .

ان الانتصارات التى أحرزناها عظيمة ولكن الواجب الذى يواجهنا ما زال شاقا والامل يحدونا جميعا فى أن أهداف حركة التضامن سوف تتحقق وتنتصر مهما تطلب ذلك من جهد شاق وتضحيات واصرار على المضى فى الكفاح .

واننى اذ أؤكد ضرورة توثيق الروابط بين قوى التحرر فى العالم الافريقى الاسيوى والقوى والبلاد الاشتراكية أشيد بالدعم الذى تقدمه دول المعسكر الاشتراكى الصديق للكفاح الافريقى الاسيوى وأؤكد اهمية تضامن كل القوى المناهضة للامبريالية والاستعمار .

وأتمنى لمؤتمركم كل نجاح واننى لعلى ثقة من أننا ماضون جميعا فى طريقنا الى الانتصار على قوى الشر والعدوان وفى سبيل تحقيق الحرية والتقدم والسلام ■

نص رسالة

السيد الرئيس أنور السادات

الى مؤتمر التضامن الأفروآسيوى

١٠ – ١ – ١٩٧٢

[] مصر ستحرر الأرض أيا كانت التضحيات ومهما بلغ الثمن

انا ماضون جميعا فى طريقنا الى الانتصار

وجه الرئيس أنور السادات رسالة الى المؤتمر الخامس لتضامن الشعوب الافرو أسيوية ، حيا فيها نضال شعوب أفريقيا وآسيا ، وقال ان مصر – قلعة النضال وبلد الصمود – ستحرر الارض ايا كانت التضحيات ومهما بلغ الثمن .

وفيما يلى نص الرسالة :

يسعدنى أن أرحب بكم فى مصر قلعة النضال من اجل التحرير وبلد الصمود والمقاومة . مصر فتحت ذراعيها دائما لترحب بجميع المناضلين من ابناء الشعوب المحبة للسلام والمقاتلين من اجل الحرية وحق تقرير المصير . مصر التى رفعت راية الكفاح عاليا لتخفق على ساحات النضال ضد الاستقلال والعنصرية والامبريالية والاستعمار .

واهدى اليكم التحية بصفة خاصة اذ تجتمعون فى مؤتمركم الخامس الذى ينعقد فى الذكرى الرابعة عشر للمؤتمر الاول لتضامن الشعوب الافريقية الاسيوية الذى التأم شمله فى القاهرة لاول مرة فى

معالم الطريق

العلم الجديد لاتحاد الجمهوريات العربية

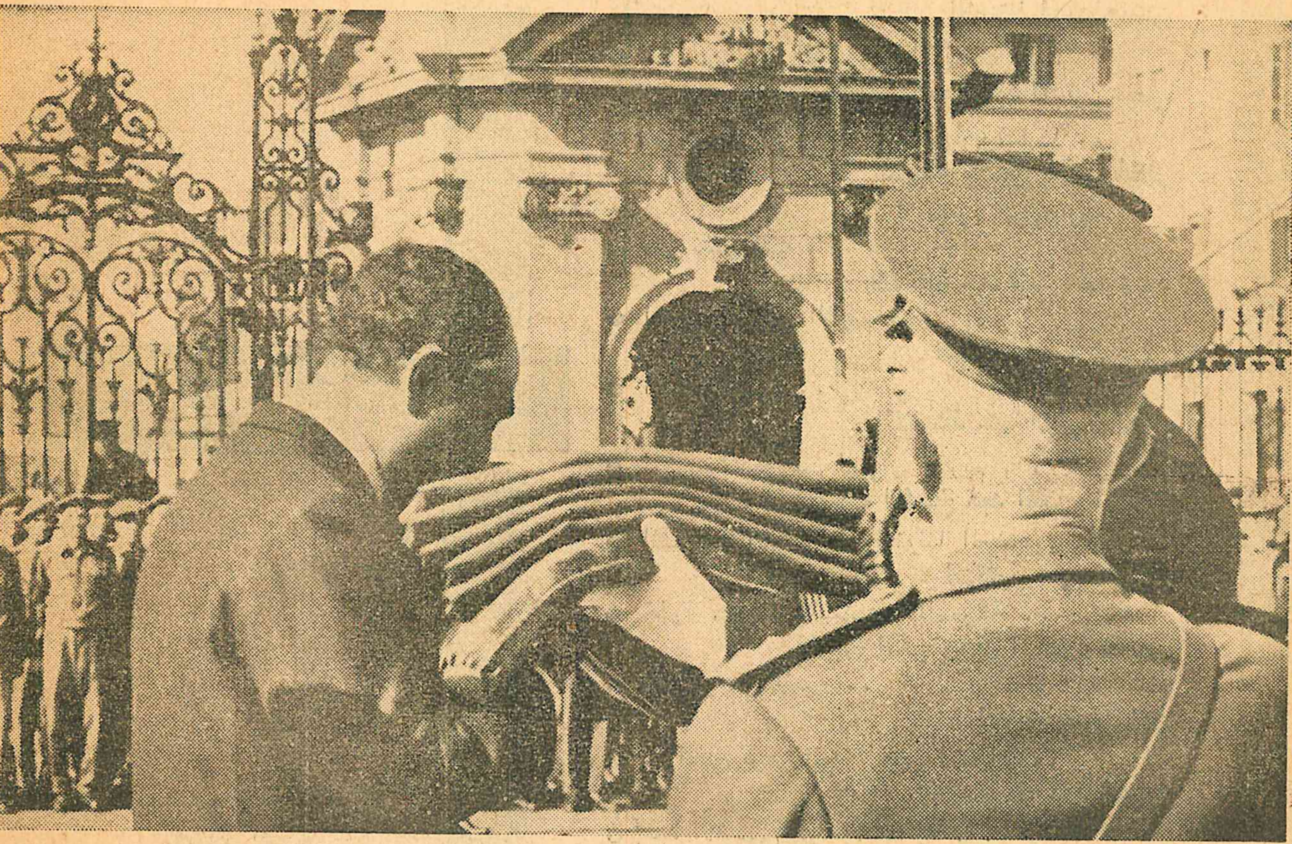

● الرئيس السادات يقبل علم الاتحاد قبل أن يرفعه على سارية القصر الجمهورى بعابدين فى احتفال وحدة مراسمه فى عواصم دول الاتحاد الثلاث

فى احتفال رسمى كبير ، رفع الرئيس محمد انور السادات ظهر ١ يناير سنة ١٩٧٢ ، العلم الجديد لاتحاد الجمهوريات العربية ــ فوق سارية عالية توسطت ساحة قصر عابدين • وفى نفس الوقت، كان الرئيس السورى حافظ الاسد يرفع علم الاتحاد على قصر الرئاسة بدمشق ، ويرفع الرئيس الليبى معمر القذافى العلم على مقر قيادة الثورة بطرابلس •

وقد قبل الرئيس السادات العلم ذا الالوان الثلاثة : الاحمر والابيض والاسود ، يتوسطه صقر قريش الذهبى ثم رفعه فوق السارية بينما ٢٠٠٠ جندى من القوات المسلحة يرددون ((عاشت جمهورية مصر العربية)) والمدفعية تطلق ٢١ طلقة والحمامات البيضاء تنتشر فى سماء المنطقة •

وتعالى هتاف عشرات الالوف من المواطنين الذين ملاوا ميدان عابدين واعتلوا أسطح المنازل المحيطة بالقصر • وعندما وصل العلم الى قمة السارية العالية ، عزفت الموسيقى السلام الوطنى لجمهورية مصر ، تحية لعلم الاتحاد •

من محتويات العدد

- معالم الطريق : العلم الجديد لاتحاد الجمهوريات العربية
- نص رسالة السيد الرئيس أنور السادات الى مؤتمر التضامن الافرو آسيوى
- حديث فى دمشق مع الشافعى فى المسجد الاموى
- جولة منبر الاسلام فى أبو ظبى
- تفسير سورة الحشر ..

الاستاذ أحمد حسين

- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ..

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

- من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها ..

فضيلة الشيخ محمد خاطر
مفتى الجمهورية

- متى نذكر الله .

الاستاذ عبد السلام داود

- اعجاز القرآن الكريم

الدكتور أحمد الحوفى

- البيت العتيق ..

الاستاذ عبد المنعم مغربى

- المكى والمدنى فى القرآن الكريم ..

فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى

- الشريعة الاسلامية وقانوننا الوضعى ..

الدكتور على الرجال

- خذوا حذركم واستعدوا للمعركة ..

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

- خواطر عن الحج ..

الاستاذ أحمد زين

- ما الذى يرمز اليه الحجر الاسود ..

الدكتور طه عبد الحميد

- عيد الاضحى عيد الانسانية . .

الاستاذ محمد فهمى عبداللطيف

- معركتنا .. وطريق النصر لها ..

فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع

- التحرك النفسى والمادى فى المعركة ..

الاستاذ محمد دياب

- لايضيع المعروف بين الله والناس [قصة العدد]

الاستاذ محمد عباس محمد

- صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد ولى العهد ورئيس الوزراء ووزير الدفاع والمالية

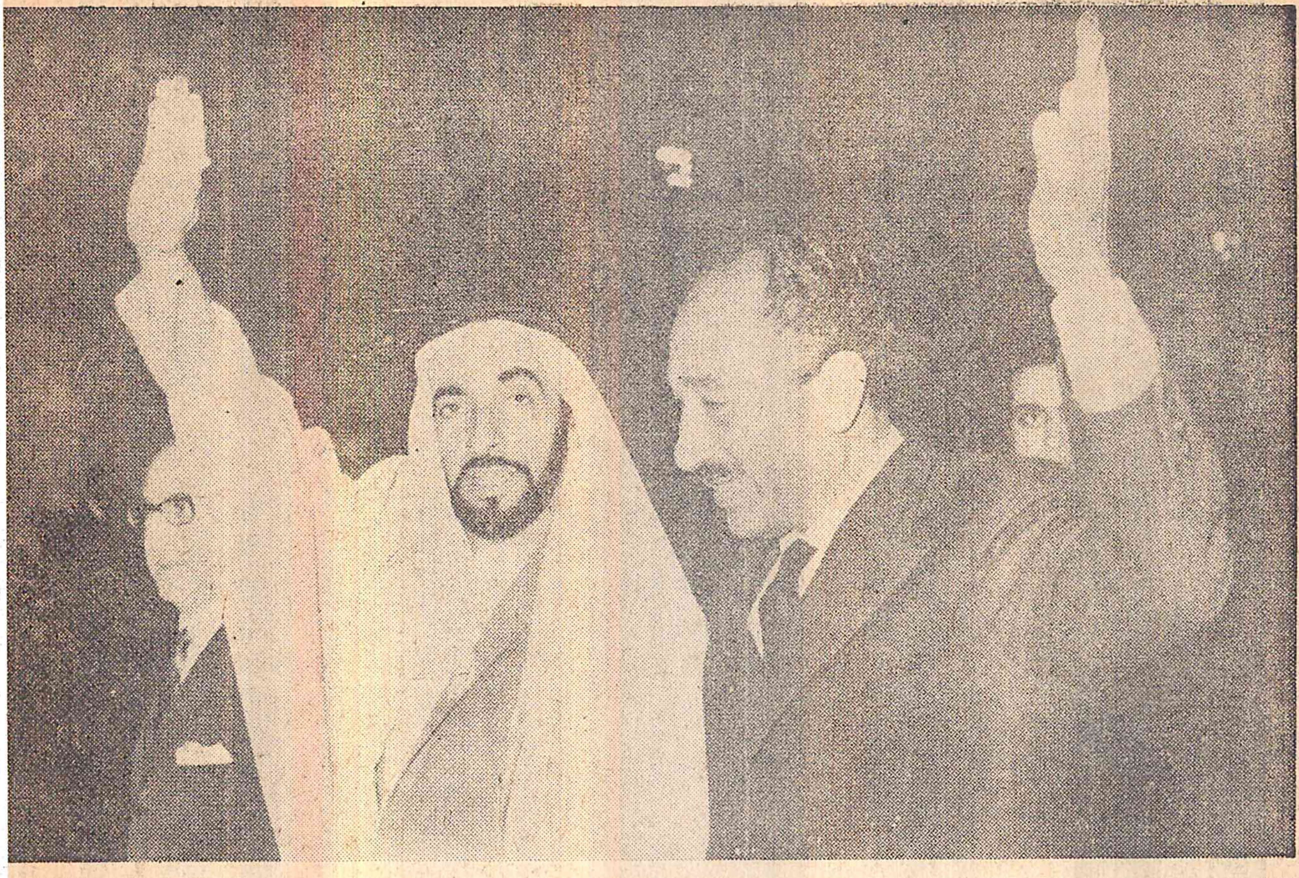

صاحب السمو الشيخ زايد مع الرئيس أنور السادات فى زيارته للقاهرة

اللهم وفقنا الى مافيه طاعتك ورضاك

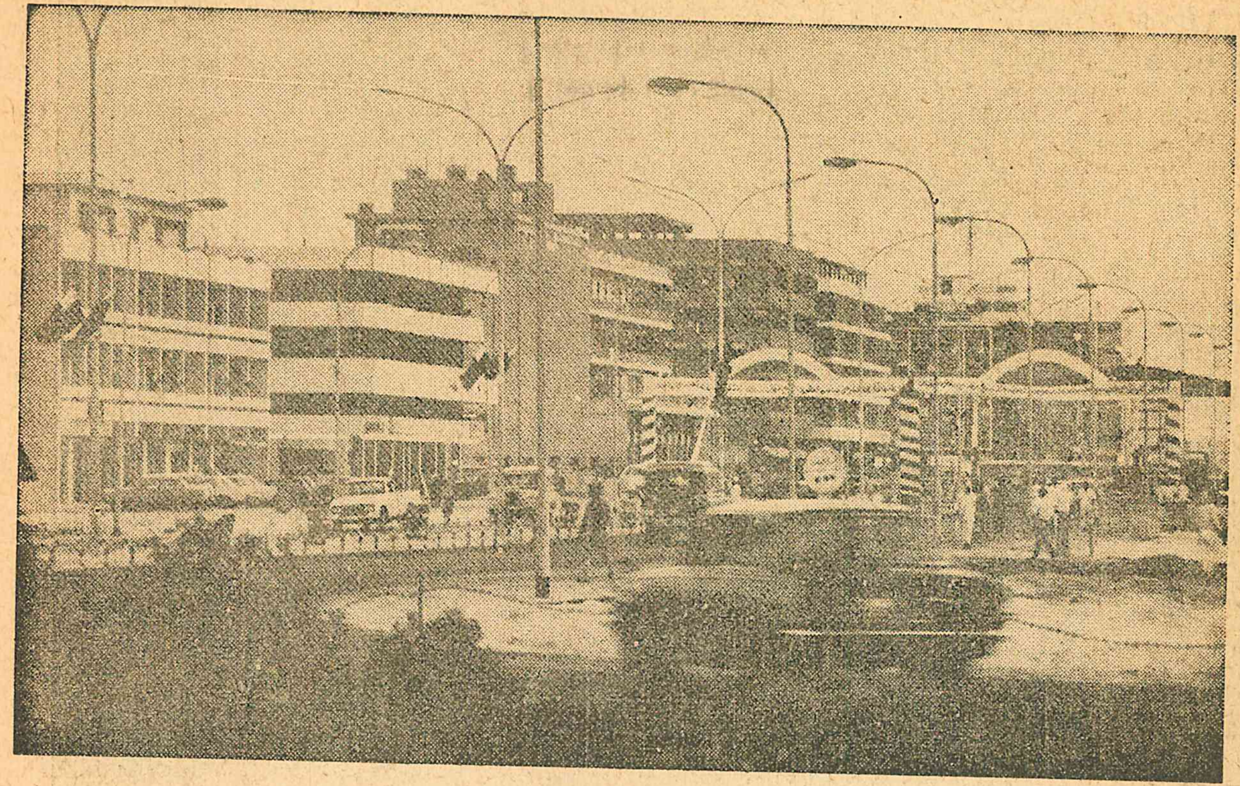

الابنية الحديثة فى مدينة ابو ظبى

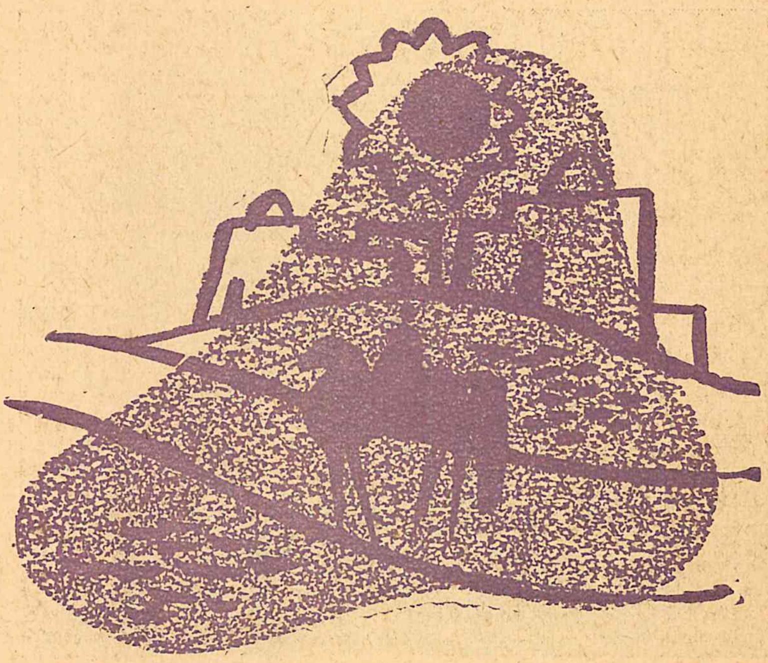

طبيعـــة الارض فى أبو ظبى ؟ الطابع الصحراوى . أما مناخها فحار رطب صيفا وأما فى الشتاء والخريف والربيع فالطقس معتدل فلذلك تصلح أبو ظبى لكى تكون مشتى جيدا لكل هارب من صقيع الشتاء ويقدر عدد سكان (أبوظبى) بحوالى مائة الف نســـمة . ويتواجد سكان امارة (ابو ظبى) فى المــدن والجزر والواحات . واهم المدن هى مدينـــة **أبو ظبى** وهى العاصمة وهى أكبــر مكان لتجمع سكان الامارة وتليها **مدينة العين** .

وعلى الطريق من أبوظبى الى مدينة العين قلعـــة قديمة عند بداية منطقة العين هى **قلعـــة المويجعى** . فى تلك القلعة عاش الشيخ زايد بن سلطان منذ أوائل سنة ١٩٤٦ مسؤولا عن شئون المنطقـــة الشرقية (مدينة العين

ابنية تشيد باستمرار

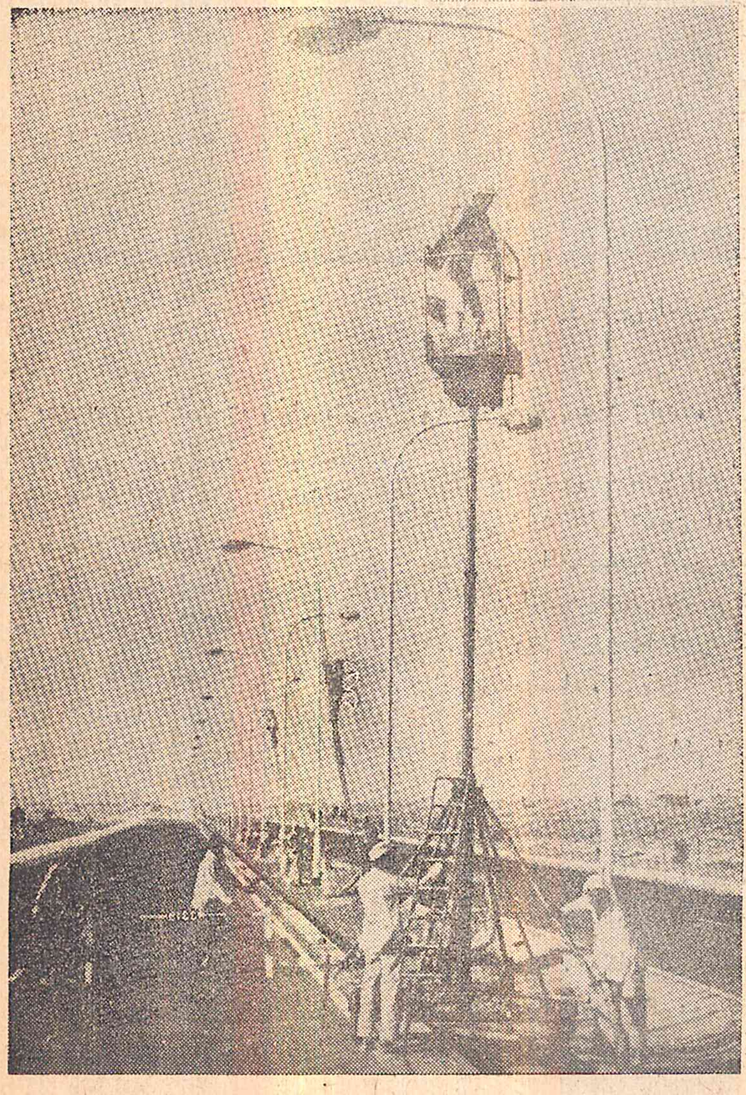

انارة الشوارع فى مدينة العين .

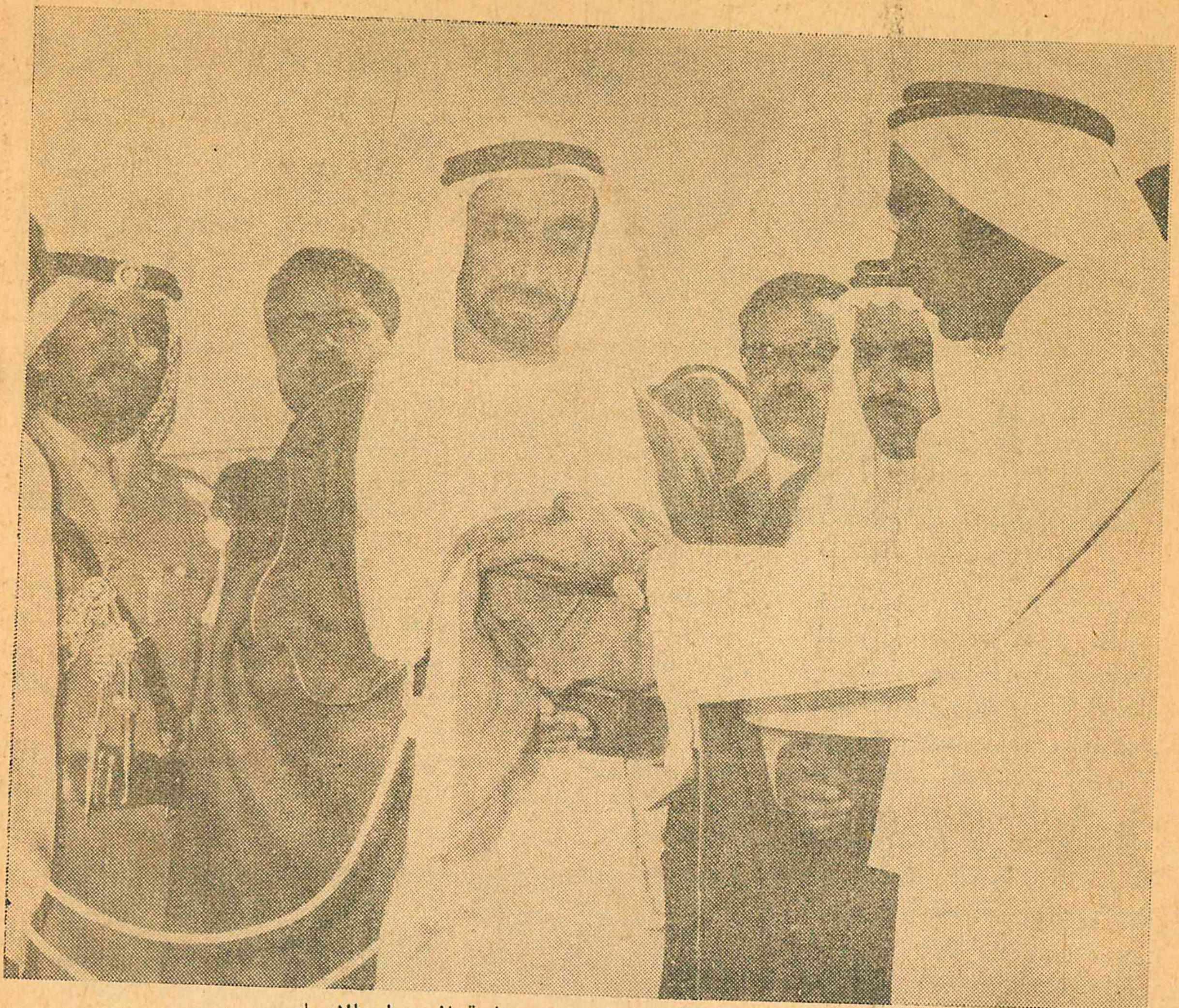

رئيس الاتحاد ونظرة الى علم الاتحاد

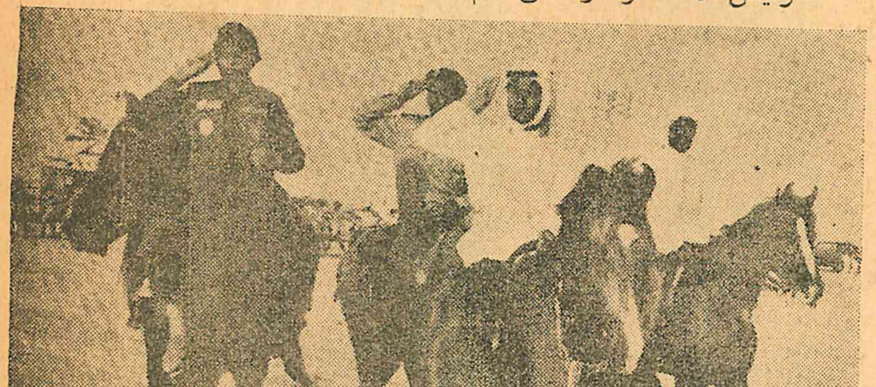

جاهدا مخلصا مع اخوانه لأخراجه الى حيز الوجود وأكد دائما بأن الثروة التى أنعم الله بها على أبو ظبى هى ملك الامة العربية جمعاء .

وانطلاقا من ايمان الشيخ زايد العميق بأن أبو ظبى جزء لايتجزأ من الامة العربية وعليها أن تقوم بواجباتها كاملة تجاه أشقائها العرب **وتدعيما لعلاقات الاخوة فقد قام الشيخ زايد بزيارة للاشقاء العرب فى جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية والاردن والكويت ولبنان والعراق**

الفرسان العرب الصغار

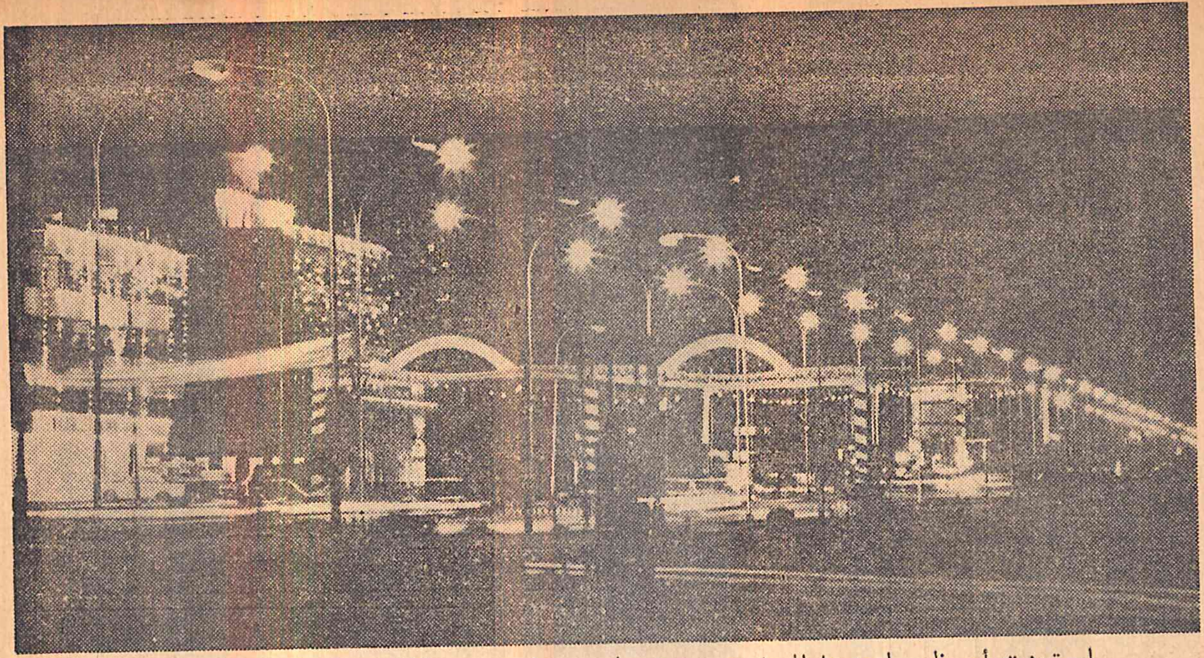

استعدت أبو ظبى لعيدها السنوى عيد جلوس زايد بن سلطان حاكمها وقائد مسيرتها

وتجسيدا لارادة الشعب فقد نشط سمو الشيخ زايد مع اخوانه فى سبيل تحقيق اتحاد الامارات العربية التسع . وفى صباح الخميس ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧١ ٨ شوال سنة ١٣٩٥ **ومن دبى تم بعون الله تعالى** واستجابة لرغبة الشعب العربى **قيام دولة اتحادية باسم الامارات العربية المتحدة ..** من أبو ظبى ودبى والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة .. واحتفلت البلاد بقيام دولتهم الجديدة وتوافدت وفود على قصر المنهل حيث قدموا تهانيهم باعلان الدولة العربية رقم (١٨) دولة مستقلة ذات سيادة وهى جزء من الوطن العربى الكبير تحمى حقوق وحريات شعبها . **وتم اختيار سمو الشيخ زايد رئيسا للاتحاد والشيخ راشد سعيد بن المكتوم نائبا لرئيس الاتحاد ..** ومرت الايام فى أبو ظبى وفى كل يوم اكتشف الجديد فى هذه الامارة وحتى أحقق لقرائنا الاعزاء صورة صادقة لما رأيته سأترك الحديث جانبا وأجعل الصور هى التى تنقل لكم الحقيقة التى شاهدتها فى أبو ظبى . .

وبعد هذه الجولة السريعة لعلى أكون قد وفقت فى نقل صورة صادقة عن امارة أبوظبى الذى شعرت وأنا فيها بأننى فى وطنى ولاقيت فيها كل ترحيب واكرام انسانى ، والحق يقال ان كل شبر فى الأرض العربية هو جزء من الوطن.لقد سعدت فى هذه الجولة بلقاء **صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد** ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الذى رحب بنا كثيرا **ودارت المناقشة عن رسالة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى الخارج والداخل وعن نشاطه فىمواجهة الصهيونية العالمية وحملنا رسالة شكر للسيد الامين العام للمجلس الاعلى للشئون الاسلامية مع تمنياته بأن تحقق رسالته كل ما يصبو اليه كل مسلم .**

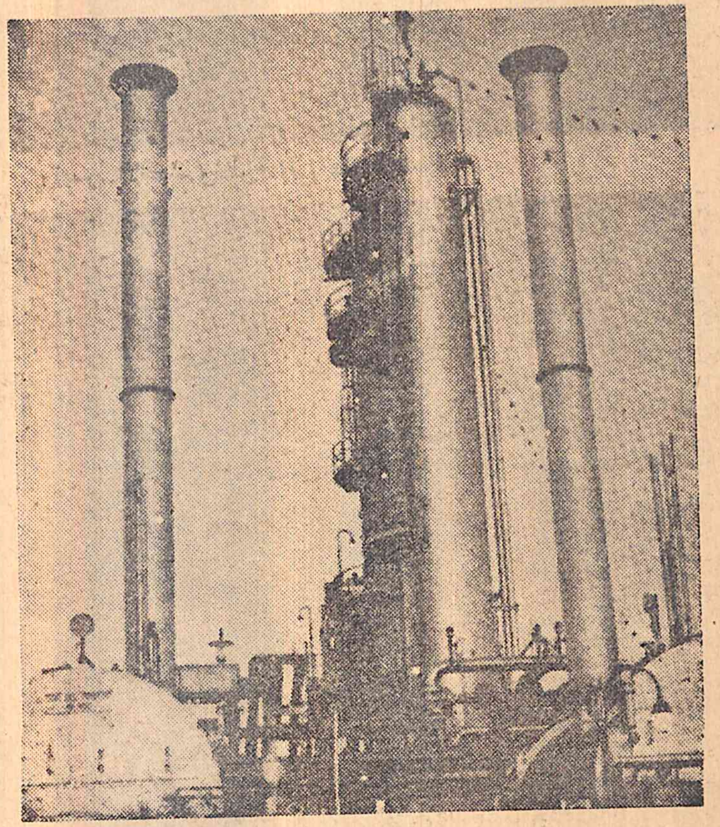

منظر لمحطة الغاز

التشريع . الفقه . الأبحاث
الدراسات الصوفية فى الإسلام

تفسير

سورة الحشر

- صفحة من السيرة النبوية
- الملحمة الكبرى بين اليهود وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
- شروط انتصار المسلمين على اليهود
- كراهية الاسلام لاحتكار المال والغنى
- أسماء الله الحسنى

الأستاذ أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم .

هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار .

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار .

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب .

ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين .

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير .

ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب .

للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ــ أولئك هم الصادقون .

والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم .

الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون •

لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون •

لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون •

لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون •

كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم •

كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين •

فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين •

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون •

ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون •

لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون •

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون •

هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم •

هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون •

هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم •

« صدق الله العظيم »

جزء قد سمع :

بشروعنا فى تفسير سورة « **الحشر** » نكون قد دخلنا فى تفسير الجزء الثامن والعشرين من القرآن والذى يبدأ بسورة المجادلة والذى اشتهر باسم جزء (**قد سمع**) واسم الجزء هو عبارة عن أول جملة يبدأ بها الجزء ، ولما كانت سورة المجادلة التى يبدأ بها هذا الجزء تبدأ بجملة « قد سمع الله » .. (الآية) فقد أطلق على هذا القسم من القرآن جزء (**قد سمع**) .

ولقد ذكرت فى العدد الماضى بمناسبة تفسير سورة تبارك ، أن طلاب المدارس الابتدائية فى جيلنا ، كان عليهم أن يحفظوا عن ظهر قلب هذه الثلاثة الاجزاء من القرآن (**جزء عم ، وجزء تبارك ، وجزء قد سمع**) .

وليس سوى الان فقط ما فهمت لماذا اجتزىء بهذه الاجزاء الثلاثة عن القرآن كله (ثلاثين جزءا) ذلك ان القاعدة (مالا يدرك كله لا يترك جله) فما دام ان التعليم الحديث ، قد أصبح يحتم على الطالب الابتدائى ، أن يتعلم اللغات والرياضة ومبادىء العلوم ولما كان ذلك لا يتيح له فرصة حفظ القرآن كله ، كما هو شأن الجيل الذى سبقنا ، فقد رؤى أن يحفظ الطالب الابتدائى هذه الثلاثة الاجزاء على الاقل ، وأن يتفهمها ، كى يكون بقدرته بعد ذلك فهم القرآن كله ، والتلقى عنه .

ففى الجزءين السابقين ، (**عم ، وتبارك**) كانت السور كما رأينا تدور حول أغراض التوحيد ، والانذار بيوم القيامة والبعث والنشور والحساب وما يتبعه من ثواب (الجنة) وعقاب (النار) .

وذلك بالاضافة الى الرد على بعض (مماحكات) المشركين وذكر من سبق من الامم الخوالى وما حل بهم جزاء كفرهم وعنادهم ، وذلك على سبيل الوعظ والتحذير وذلك كله بالاضافة الى الدعوة للتحلى بمكارم الاخلاق ، مما مر بنا خلال السنوات الماضية ونحن نفسر قصار السور المكية التى تضمنت هذه الاغراض ، أما بالنسبة لجزء (**قد سمع**) فان سوره مدنية ، (**الحشر ، الصف ، المنافقون ، التحريم ، الطلاق وغيرها**) .

والسورة المدنية تتضمن الاغراض السابقة كلها وتزيد عليها مقتضيات المرحلة الجديدة بعد أن أصبح المسلمون يؤلفون دولة اسلامية وما ينبغى أن تقوم عليه الدولة من تشريعات وقوانين وأجهزة للدفاع عن النفس (الجيش) وما أصبح المجتمع الجديد يحتوى عليه من منافقين ، بعد أن أصبحت سلطة الحكم فى يد المسلمين وهذه الاغراض القرآنية الجديدة سنراها متمثلة أصدق تمثيل فيما سنعرض له من سور هذا الجزء .

وقد اخترنا أن نبدأ بسورة الحشر لانها تنقلنا على الفور الى المجتمع الاسلامى الجديد ، مجتمع المدنية ، بما فيه من صراع مع اليهود والمنافقين وحرب وقتال وما يتصل به من تشريع .

سورة مدنية :

وسورة الحشر ، سورة مدنية باتفاق فهى تحدثنا عن غزوة بنى النضير اليهود والتى وقعت على أرجح الاقوال فى العام الرابع للهجرة ، وهى

تصور بالاجمال ما فصلته كتب السيرة النبوية من أحداث غزوة بنى النضير اليهود عندما اجلاهم رسول الله عن مشارف المدينة كما تتضمن قواعد تقسيم الفىء (الغنائم) مما أفاء الله على رسوله ، ولم يكن ذلك بجهد المسلمين ، وتختتم السورة بما يشبه أن يكون نشيدا ترتل فيه بعض اسماء الله الحسنى ونرى أن نقدم لتفسير السورة بنبذة عن علاقة اليهود بسيدنا محمد وكيف تطورت هذه العلاقة .

اليهود يبشرون بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

كانت جزيرة العرب احدى البقاع التى فر اليها اليهود عقب تخريب هيكلهم ، فاستوطنوا بعض أطراف الجزيرة من شمالها وجنوبها ، فكانت يثرب (المدينة المنورة) أحد الاماكن التى استوطنوا فيها وما حولها فأقاموا لانفسهم المبانى والحصون المناسبة للبيئة ، والتى تمكنهم من العيش فى أمان وطمأنينة .

وقد كان اليهود يستطيلون على العرب من حيث كونهم أصحاب كتاب ، وأصحاب صنائع ، ثم زادوا على ذلك قبيل بعثة النبى ، بأن الله سبحانه وتعالى يوشك أن يبعث نبيا ، يكون اليهود سندا له ويتفوقون تحت ظله على العرب (ولعل هذا يفسر سبق أهل المدينة من العرب فى الايمان بسيدنا محمد لكثرة ما سمعوا من اليهود عن قرب مبعثه)

وبالرغم من ذلك لم يكد سيدنا محمد يبعث بالفعل حتى نكس اليهود على رؤوسهم وجحدوا رسالة سيدنا محمد وذلك على سبيل الحسد والخوف على ما كانوا يتمتعون به من نفوذ وتفوق .

عهد رسول الله :

على أن سيدنا محمدا من جانبه نزولا عند توجيهات القرآن ، فقد أكرم اليهود فى مطلع الدعوة وعندما هاجر الى المدينة عقد معهم حلفا سوى فيه بينهم وبين المسلمين ، وعاش سيدنا محمد يحسن جوار اليهود ولكن طبيعة اليهود التى اختصوا بها ، وهى كونهم لا يستطيعون الحياة الا من خلال الفتن والدسائس ، جعلتهم يحقدون على سيدنا محمد ، لاستطاعته أن يؤلف بين قلوب الاوس والخزرج (الانصار) وقد عاش اليهود ما عاشوا فى المدينة يستثمرون هذه الخلافات والمنازعات ، وكان كل نصر يحققه سيدنا محمد يزيد فى حنقهم وان تظاهروا بغير ذلك كما هو دأبهم ، فاذا أصيب سيدنا محمد بمحنة ، كما حدث فى غزوة أحد ، لم يستطيعوا أن يكتموا شماتتهم ، وأخيرا جاءت المناسبة التى شرعوا فيها فى الغدر بسيدنا محمد ، بأن فكروا فى اغتياله ، وكان من المحقق أن ينجح تدبيرهم ، لولا أن حماه الله ، ولندع الآن كتب السيرة المعتمدة أو بالاحرى ابن اسحق ، يقص علينا باقى القصة :

« ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما (وسوف نشرح هذه الواقعة المشهورة فى مناسبة قادمة)

كما حدثنى يزيد بن رومان وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم يا ابا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل (أى سيدنا محمد) على مثل حاله هذه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد الى جنب جدار من بيوتهم ، فهلا من رجل يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جماش بن كعب (وهو أحد يهود بنى النضير) فقال : أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضوان الله عليهم

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا الى المدينة، فلما استلبث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه ، فقال : رأيته (أى سيدنا محمد) داخلا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله بالتهيؤ لحرب (اليهود) والسير اليهم

قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، قال ابن اسحق ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، قال ابن هشام وذلك فى شهر ربيع الاول ، فحاصرهم فيها ست ليال ونزل تحريم الخمر ، قال ابن اسحق فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيه ، فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب على من صنعه فما بالك تقطع النخيل وتحرقه ، وقد كان رهط من بنى عوف ابن الخزرج منهم عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل وسويد وداعس — قد بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ، ان قوتلتم قاتلنا معكم ، وان أخرجتم خرجنا معكم

فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة (أى السلاح) ففعل ، فاحتملوا من أموالهم مااستقلت به الابل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا الى خيبر ، ومنهم من سار الى الشام ، فكان اشرافهم من سار منهم الى خيبر ، سلام بن ابى الحقيق وكنانة بن الربيع ابن أبى حقيق وحيى بن اخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن ابى بكر انه حدث انهم استقلوا بالنساء والابناء والاموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم وان فيهم لام عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسى وكانت احدى نساء بنى غفار بزهاء (أى بزهو) وفخر ما رؤى مثله من أحد من الناس فى زمانهم ، وخلوا الاموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين دون الانصار الا أن سهل بن حنيف وابا دجانة سماك ابن خرشة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان : يامين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب اسلما على أموالهما فأحرزاها ، قال ابن اسحق وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : الم تر ما لقيت من ابن عمك ، وماهم به من شأنى (أى الغدر برسول الله واغتياله على ما قدمنا) فجعل يامين بن عمير جعلا (أى اجرا) على أن يقتل له عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون .

ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته ، وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وما عمل به فيهم .

انتهى ماجاء فى سيرة ابن هشام التى هى فى الحقيقة سيرة بن اسحاق ، وقد تواتر ذكر هذه الحوادث التى أدت الى اجلاء بنى النضير ، فوردت بنصها فى كل ما روى عن رسول الله ، مع زيادة كلمة او عبارة هنا او هناك ، وبقى جوهر الحادثة التاريخية ثابتا ، ولا عجب فى ذلك فقد سجلها القرآن الكريم وقد سبق اجلاء بنى النضير اجلاء بنى قينقاع ، ثم توالت على يهود بنى قريظة ، ويهود خيبر ، الى أن انتهى الامر بتطهير جزيرة العرب منهم نهائيا فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب اعمالا لامر رسول الله أن لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان ، والآن نبدأ فى شرح آيات السورة والله المستعان .

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم • هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار • ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار • ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب •

لاول الحشر : الحشر لغة « الجمع » ولاول الحشر هنا لا يمكن الا ان نفسرها على ضوء ماحدث، وان عملية جلاء بنى النضير كانت بداية الصراع الحاد بين سيدنا محمد وبين اليهود .

وتفتتح السورة بما أكاد أسمع فيه أصداء التهليل والتكبير بما فتح الله به على سيدنا محمد ، من عزة ونصر . وتعالوا نتلوا سويا مفتتح السورة :

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم •

وسبح بمعنى نزه أى ان كل من مافى السموات والارض يمجد الله ويعظمه ويحمده على هذا النصر المبين الذى راحت تفصله الآيات التالية :

هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم

وهكذا بدأ الحديث عن القصة التى نقلناها عن كتب السيرة وهى اجلاء بنى النضير .

الذين كفروا من أهل الكتاب

والاسلام لا يعادى اهل الكتاب ، بل هو على العكس من ذلك يتعاطف معهم ويوصى بهم خيرا ، ولقد راينا فيما عرضناه من وقائع سبقت اجلاء بنى النضير ، كيف تعاهد معهم رسول الله وسوى بينهم وبين المسلمين فأبوا الا أن يغدروا بسيدنا محمد ، وأن يؤلبوا القبائل على حربه ، ويهود المدينة لم يجلوا عنها باعتبارهم أهل كتاب ، بل لانهم كفروا أولا ، وتصدوا لحرب سيدنا محمد للتخلص منه ومن دعوته ثانيا .

فأما كونهم كفروا فذلك ثابت من تحالفهم مع كفار قريش عبدة الاوثان والاصنام واقرارهم لمشركى قريش أن آلهتهم ، (أى آلهة قريش) هبل واللات والعزى ... الخ أفضل من اله سيدنا محمد ، مع صريح القرآن الذى كان يتلى ويتردد ويدعو اليه ، ان الهه الواحد الاحد هو رب موسى وهارون وابراهيم من قبلهما ، فما جاء به سيدنا محمد هو مصداق لما بين يدى اليهود فجحودهم به وانحيازهم الى اعداء سيدنا محمد من عبدة الاوثان هو كفر صريح ، فاذا ما زادوا على ذلك ، ان تحولوا الى خطر داهم يهدد سيدنا محمدا ورسالته بالقضاء عليهما ، فقد بات لا مناص من حماية الدعوة من خطرهم ، وهذا هو ماتم بعون الله وبفضله .

ومن هنا حرص القرآن الكريم على أن يخصصهم فوصفهم بأنهم «**الذين كفروا من أهل الكتاب من**

ديارهم لاول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله)) .

تظهر لنا هذه الآية مدى ما كان عليه اليهود من قوة ومنعة بحيث أنه ما كان يدور بخيال العرب أنه من الممكن التغلب عليهم ، فضلا عن اجلائهم عن بيوتهم وأرضهم ، فاليهود شأنهم فى كل زمان ومكان يتخذون آخر مبتكرات السلاح ووسائل الدفاع ، وتحدثنا كتب السيرة عن صنوف الاسلحة التى خلفوها وراءهم والتى كانت من نصيب رسول الله ، فالاية صريحة ، فى أن أصحاب رسول الله ، لم يتصوروا أنه بالامكان التغلب عليهم مع انهم هم (أى أصحاب رسول الله) الذين انتصروا على أبطال قريش فى (بدر) .

وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم :

واذا كان العرب لم يتصوروا امكان التغلب عليهم فعلينا أن نتصور ظن اليهود بأنفسهم ، وأن أحدا لا يجرؤ على المساس بهم ، وعندما يحدثنا القرآن عن ((**حصونهم**)) فعلينا أن نستحضر صورة ما كان عليه اليهود من منعة ، فحيث يقيم الاعراب فى بيوت من الشعر وأمثاله (الخيام) ، وحيث يقيم أهل الحضر فى بيوت من اللبن (الطوب النى) فقد أقام هؤلاء حصونا ، ومن شاهد منطقة المدينة يعرف أنهامنطقة بركانية حيث تتوفر أحجار الجرانيت السوداء ، فلابد أن يكون اليهود قد شادوا حصونهم من هذه الاحجار الفولاذية ، وفى وقت كانت فيه الاسلحة لا تعدو أن تكون السيف والرمح ، فعلينا أن نتصور ما الذى كان يستطيع السيف ان يفعله فى جدران هذه الحصون الا أن تتكسر ، فلم يبق الا التصور بمحاصرتهم ، فاذا علمنا أن هذه الحصون كانت مزودة بالآبار والعيون ، وهى كل ما يحتاجه الناس للحياة فى تلك الايام فضلا عن أن الاقوات والارزاق متوفرة ومخزونة كما هو المتبع استطعنا ان نتصور أنه كان فى قدرة بنى النضير أن يصبروا على الحصار سنوات اذا لزم الامر ، ولم يكونوا فى حاجة لهذا الصبر الطويل .

فقد كان اخوانهم اليهود (بنو قريظة وخيبر) سيهبون لنجدتهم ، بل ان عرب المدينة من المنافقين وعدوهم بالوقوف الى جوارهم ، كما سوف نرى ، بل ان كل كفار الجزيرة كانوا سيهبون لنجدتهم ، ولكن مشيئة الله أبت الا نصر نبيه على كل هذه المخاطر .

فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب

وهذا هو موطن الاعجاز وآيه صدق سيدنامحمد، وان الله سبحانه وتعالى كان يؤيده وينصره فحيث كان العرب جميعا يرهبون اليهود ويسمونهم (اهل الحلقة) أى أهل السلاح ، بل وقد بلغ الغرور باليهود أنهم سخروا من انتصارات سيدنا محمدحتى ذلك الوقت بفكره أنه لم يواجه مقاتلين حقيقيين وأنهم هم أساتذه القتال واساطينه ، فكانت نقطه العجب التى رجت الجزيره العربيه رجا ، انه فى اول مواجهه عسكرية بين سيدنا محمد واليهود فاذا بهم يتخاذلون ، وتنهار قواهم فيستسلمون فى ذل ومهانة ويرضوا بالخروج من حصونهم ، وتسليم أسلحتهم والجلاء عن بيوتهم وأراضيهم ، وذلك كله فى مقابل حقن دمائهم ، وماكان سيدنا محمد بالذى يرغب فى أكثر من أن يأمن غدرهم ، فأجابهم لما طلبوا وهكذا تحققت المعجزة .

ولا يعجبنا من المفسرين القدامى محاولتهم معرفة السبب الذى أدى الى انهيار معنوية اليهود ، فيقولون هو مقتل كعب بن الاشرف أحد زعائمهمقبيل هذه المواجهة ، ويقولون بل هو قطع نخيلهم ، مع أن ذلك من شأنه أن يحنقهم أكثر وأكثر ويزيدهم عنادا وتشبثا والقرآن يصف اليهود بالعناد أو بلغة التوراة (شعب صلب الرقبة) فمصرع كعب بن الاشرف ، وتقطيع نخيلهم ، كان قمينا أن يزيد فى عنادهم .

ولذلك فنحن نقف عند حد نص القرآن ، بأن ماحدث كان معجزة الهية ، والمعجزات لا تفسر . ((**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الابصار** ●

وختام الآية من دعوة أولى الابصار ، أى العقلاء الى الاعتبار والعظة مما حدث ، هو تدعيم وجهة نظرنا الى عدم جدوى تعليل ما أصاب يهود بنى النضير من خذلان وانه هذا الشىء أو ذاك وانما هو قضاء الهى ، قضى على اليهود بما قضى ، حتى لقد كانوا الذين راحوا يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويرد على الخاطر أنهم فعلوا ذلك من فرط غيظهموحنقهم ، أن ينتفع المؤمنون بهذه البيوت بعد جلائهم عنها .

أما تخريب المؤمنين فذلك هو التتمة التى لابد منها لاتقاء أذى هذه البيوت المخربة ، وهو ما يفعله جنود المطافى ورجال الانقاذ عندما يخفون لنجدة بيت متداع وشيك الانهيار اذ يصبح لزاما عليهم ، أن يهدموا الاجزاء الواهية والمتداعية ، اتقاء لشر انهيارها المفاجىء ، وهكذا بدأ اليهود ، وأكمل المؤمنون من بعدهم ما وجب أن يزال على سبيل الاحتياط .

ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار ●

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ●

شاقوا الله : أى خالفوه وعاندوه

وهكذا لقى اليهود جزاء معاندتهم لرسول الله وقد كان من حسن حظ يهود بنى النضير أن الله سبحانه وتعالى قد اكتفى منهم بالجلاء ليكونوا بمثابة انذار لمن بقى من اليهود ، والا فلو لم يجلوا ، لتورطوا فيما تورط فيه من بقى بعدهم ، ولحاقت بهم ضروب أخرى من العذاب الدنيوى ، أما العذاب فى الحياة الثانية فهذا هو ما ينتظرهم على كل حال جزاء وفاقا لحربهم رسول الله ، ومخالفة أوامر الله ونواهيه .

ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين ●

اللينة : هى النخيل ، ما قطعتم من لينة ، أى ما قطعتم من نخيل ، ويحاول البعض أن يستثنى من النخيل المعبر عنه (بلينة) أصنافا معينة من البلح ، بينما يذهب آخرون الى أن هذه الاصناف المستثناه (العجوة) هى اللينة بالذات ، كما يختلفون فى الاشتقاق اللغوى وهل جاءت كلمة (لينة) من الفعل (لان يلين) أم من اللون .

ونحن نكتفى من ذلك كله على ضوء الوقائع الثابتة ، أن رسول الله شرع فى قطع نخيل بنى النضير ، أيا كان نوع البلح الذى ينتجه هذا النخيل وقد كان من ضروب الجهالة التى يعيش فيها العرب فى الجاهلية ، أن يستفظعوا قطع النخل ويعتبروه فسادا فى الارض وذلك فى الوقت الذى كانوا يعتبرون فيه القتل وازهاق الروح البشرية من أيسر الامور وأهونها حتى ليجعلونه موضع فخارهم ، وعلى ذلك فقد فوجىء بنو النضير بسيدنا محمد يقطع نخيلهم فحاولوا أن يندوا بذلك على ما قدمنا اذ قالوا : يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فما بالك تقدم عليه .

وهنا يعلم القرآن اليهود والمسلمين والدنيا قاطبة : أن سيدنا محمدا لم يقدم على ذلك الا باذن الله ، ولما كان استسلام اليهود قد جاء على اثر هذه العملية ، فأنعم به وأكرم من قطع بضع نخلات أدت الى وضع نهاية للحرب وحقن دماء البشر .

قارن ذلك بما تم فى عصرنا الحديث ، حيث كان هناك شعب قد بدأ يتفاوض بالفعل فى التسليم ومع ذلك ألقيت عليه القنابل الذرية التى أزهقت أرواح مئات الالوف من الاطفال والنساء وكل

وقد قيل فى تبرير هذا العمل اللا انسانى أنه أريد به تقصير أجل الحرب . فهل هناك بعد ذلك ذرة من شك فى أن سيدنا محمدا هو نبى الرحمة حتى فى قتاله ، فأذن له الله فى قطع بعض أشجار (ليخزى الفاسقين) أى لكى يقهرهم ويكمدهم ، وربما كانت هذه الحركة البسيطة هى التى ملأت قلوب اليهود بالرعب فاستسلموا ، أقول ربما ، فهذا هو أقصى مايمكن أن يسمح لنفسه به ، والا فالامر كما أسلفنا معجزة الهية ، اجراها الله على يد سيدنا محمد ، والا فقد كان من الممكن كما قدمنا ، أن تزيد اليهود حنقا وحقدا واصرارا على المقاومة والله تعالى أعلم .

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ● ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب ●

أفاء بمعنى رد وهى هنا بمعنى وهب وأعطى أى ماأنعم الله به على رسوله .

أوجف : من الايجاف وهو التحرك السريع ، يقال وجف الفرس اذا أسرع .

ركاب : الابل .

وكان الرسول صلوات الله عليه عقب غزوة بدر وانتصار المسلمين على المشركين ، قد قسم الغنائم التى أحرزها المسلمون الى خمسة أقسام أعطى الذين اشتركوا فى القتال أربعة أخماس ، واستبقى الخمس تحت تصرفه مالا عاما يوجهه الى مصارف حددتها سورة الانفال مما سنشرحه بالتفصيل فى حينه .

فلما فتح الله على رسوله فى غزوة بنى النضير واستولى على بيوتهم ، وحصونهم ، وأراضيهم تصور المسلمون أنه سيوزع عليهم الارض ، فنزل القرآن يلفت نظرهم الى الفارق بين ماحدث فى بدر حيث اصطرعوا مع المشركين وجها لوجه وقاتلوا وقتلوا ، واذا كان النصر من عند الله ، فقد تم النصر على أيدى المسلمين وما بذلوا من جهود وصدقوا فى القتال وصبروا وصابروا ، أما فى غزوة بنى النضير ، فقد تم الامر على ماقدمنا بطريق الاعجاز الالهى حيث قذف الله الرعب فى قلوب اليهود ، فاذا بهم يستسلموا ، حيث لم يكن المسلمون يتوقعون ذلك ، بل لم يكونوا يتصورون أن يستسلم اليهود بدون قتال على الاطلاق فقد تم الامر بارادة الهية مباشرة **(ولكن الله يسلط رسله على من يشاء)** واللطيف هنا والذى يجب أن يكون درسا للحكام مهما علا شأنهم ، أن تكون قراراتهم مسببة ومنطقية ، فلا

يستظلون بسلطانهم فهذا هو الله سبحانه وتعالى قد منح النصر هدية منه الى سيدنا محمد ووهبه كل أملاك بنى النضير ومع ذلك فقد شاعت حكمته ان يبين للناس ماتطمئن له قلوبهم فذكرهم بأنهم ماركبوا خيلا ولا ابلا فى هذه الغزوة وبالتالى فلم يبذلوا أى جهد أو مخاطرة .

على أن رسول الله لم يستأثر بما حصل عليه لنفسه . بل انه قسمه قسمين ، أحدهما وزعه على أشخاص بعينهم ، أما القسم الثانى فاحتفظ به كمرفق عام ينفق منه على العوزة والمحتاجين ممن عددتهم الاية الكريمة .

المهاجرون : أما الافراد الذين اختصهم رسول الله بتوزيع بعض الاموال عليهم ، فهم المهاجرون وكان اعطاؤهم قسما من المال دون الانصار يحقق غرضين :

الاول : أنه بمثابة تعويض عما فقدوه من أموالهم فى مكة بسبب الهجرة .

الثانى : أن يرفع مشقة اعالتهم عن الانصار ذلك أن رسول الله عندما هاجر بمن معه الى المدينة ، آخى بين المهاجرين والانصار وألحق كل مهاجر بزميل من الانصار يكون مسئولا عن الانفاق عليه ، وقد بلغ الامر ببعض الانصار أن قسم كل ممتلكاته بينه وبين أخيه المهاجر ، فلما أن وضع الله أموال بنى النضير بين يدى سيدنا محمد خاصة انتهز هذه الفرصة ليحقق الغرضين السابق ذكرهما .

وفقراء الانصار :

على أن بعض المحتاجين من الانصار منهم ابو دجانة السماك بن خرشة ، وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة قد أعطوا نصيبا كذلك .

وقد أسلم رجلان من بنى النضير فاحتفظا بأموالهما .

القطاع العام :

أما القسم الثانى من الاموال فقد احتفظ به رسول الله فيما يشبه فى أيامنا الحديثة أن يكون قطاعا عاما ، أى فى ملكية المجتمع للانفاق على متطلبات المجتمع ، وقد حددت الاية المصارف الشرعية لهذا الانفاق وهى :

لله ورسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .

والانفاق فى سبيل الله مقصود به كل مايعود على المجتمع الاسلامى بالنفع .وذو القربى هم آل سيدنا محمد الذين احتملوا مااحتملوا لمحض قرابتهم لرسول الله ولم يشأ سيدنا محمد أن يوزع عليهم كما فعل بالنسبة لباقى المهاجرين ملكا خاصا مكتفيا بالانفاق عليهم مايحول بينهم وبين قبول الصدقة المحظورة عليهم .

وقد تصور آل رسول الله أن ماكان تحت يد سيدنا محمد من أموال يجب أن يؤول اليهم بعد وفاته بالوراثة فأبى خليفته أبو بكر من بعده أن يفعل ذلك استنادا على حديث سمعه من رسول الله وسمعته معه الصحابة بما فيهم آل محمد أنفسهم وهو قول رسول الله ، **(نحن معشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة)** .

فكان أبو بكر رضى الله عنه يجرى على آل رسول الله من النفقه ما اعتاد رسول الله أن يجريه عليهم . اليتامى والمساكين وابن السبيل .

هؤلاء هم بعض الاصناف الدين كان الرسول ينفق عليهم ، واليتيم فى نظام يقوم على الاسرة ، هو القاصر الذى فقد أباه وهو العائل له بحكم الابوة والمسكين هو المحتاج لضرورات الحياة .

وابن السبيل هو ى عابر سبيل اذ يستطيع أن يلجأ الى بيت مال المسلمين ليحصل منه على ما يعينه فى غربته ، الى أن يعود الى بلده ، أو يستقر فى مجتمعه الجديد .

وهكذا كان الاسلام يشرع للبشرية منذ أربعة عشر قرنا التكافل الاجتماعى بأوسع معانيه .

كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم

دولة : حكر

قلنا ان القرآن الكريم قد حرص على أن يبين للناس السر فى اختلاف الحكم فى ما تم عقب غزوة بنى النضير ، من حيث اختصاص رسول الله بكل الغنائم وقد رأينا كيف وزع قسما من هذه الغنائم على المهاجرين وفقراء الانصار ، واستبقى القسم الاكبر ليكون مالا عاما ينفق منه على مصالح المجموع بسد حاجة المحتاجين منهم ، وفى هذه الآية [**كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم**] .

يكشف القرآن عن كراهيته لتكدس المال فى أيدى الاغنياء ، لان معنى ذلك أن يزداد الفقراء فقرا ، وهو مالا يرضاه الاسلام وهنا تتجلى عظمة الاسلام ، وانه دين الوسط فى كل شىء [**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**] فهو لا يكره للناس ان يكونوا أغنياء ، ولكنه فى نفس الوقت يعمل على احسان توزيع الثروة بين الناس ، فهو حرب على الربا الذى هو فى حقيقته زيادة الثروة بدون جهد وهو من الناحية الاخرى قد فرض قدرا معينا من مال الغنى ليعطى للفقراء ، وذلك كله حتى يضمن لكافة أفراد المجتمع حدا أدنى لا يهبطون عنه .

وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

تضع هذه الآية الكريمة أصلا من اصول التشريع الاسلامى ويسهب الفقهاء فى استخلاص المبادىء منها وحسبنا الان معناها الظاهر بيقين،فكل ماثبت على وجه القطع أنه أمر من رسول الله فقد وجب اتباعه بلا مناقشة أو تردد . وكل ما نهانا عنه فيجب الانتهاء منه وأوامر رسول الله ونواهيه كلها من عند الله ذلك أنه لا ينطق عن الهوى وانما هو وحى يوحى ، على أن كتب الفقه تفرق بين ما اثر عن رسول الله ، وفى درجة وجوبه وفرضيته فليرجع الى كتب الفقه من يريد التفصيل فى أحكام السنة

المحمدية ؟ ولكنا نقرر بمناسبة هذه الآية التى نحن بصددها أن كل ما نقل عن سيدنا محمد بصيغة الامر أو النهى فقد وجب اتباعه .

واتقوا الله ان الله شديد العقاب

أى أن الله سبحانه وتعالى يحذر مغبة عدم اطاعة رسول الله فى كل ما يقول أو يفعل ويطلب من المؤمنين أن يتقوا الله ، أى يتحاشوا اغضابه بعصيان الرسول ، ويذكرهم بعقاب الله الشديد .

للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ــ أولئك هم الصادقون .

تسجل هذه الآية ما فعله رسول الله مما قدمنا الاشارة اليه حيث وزع بعض أموال بنى النضير على المحتاجين من المهاجرين وبين ما اختصوا به من الفضل ، فقد سبقوا الناس طرا فى الايمان بسيدنا محمد ، ولاقوا فى سبيل ذلك من قومهم مالاقوا من صنوف العذاب والاضطهاد ، حتى وصل الامر الى حد خروجهم من مكة نجاة بدينهم وبأنفسهم ، وما كان أغناهم عن ذلك كله لو لم يؤمنوا برسالة سيدنا محمد، اذا لظلوا فى بيوتهم وأولادهم وأموالهم معززين مكرمين ، ولكنهم آثروا نصرة الله ورسوله، وتركوا الاوطان والاهل والمال ، ورأوا العزة كل العزة فى متابعة رسول الله ونصرته ، ولم يعجبنا ما جاء فى تفسير القرطبى وهو ليس الا ترديدا لما جاء فى تفاسير أخرى من أن معنى [**يبتغون فضلا من الله**] أى غنائم فالمهاجرون الاولون لم يكونوا يتصورون أن سيكون فى انتظارهم الا العنت والتشريد ويكون معنى [**يبتغون فضلا من الله ورضوانا**] أى الثواب ورضاء الله عنهم ، وقد حق أن يصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم الصادقون ، أى الذين صدقوا ما عاهدوا الله من نصرته ونصرة نبيه .

والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

تبوءوا : أى استوطنوا

التبوء : التمكن والاستقرار والمقصود هنا هو الانصار رضوان الله عليهم .

يؤثرون : من الايثار وهو تقديم الغير على النفس .

خصاصة : الحاجة الماسة

الشح : البخل

بعد أن أثنى القرآن على المهاجرين الاوائل ، وبين سبب توزيع بعض أموال بنى النضير عليهم ، أردف ذلك بالثناء على الانصار مسجلا ما كانوا عليه من روح عالية فى التضحية والايثار ، فكتب السيرة تحدثنا ، أن سيدنا محمد قبل أن يوزع بعض أموال بنى النضير على المهاجرين للاسباب التى قدمناها قال له سعد بن معاذ : أعطهم يارسول الله ماشئت على أن يبقوا على ماهم عليه ، أى فى كفالة الانصار الذين كانوا ملتزمين باعالتهم كما قدمنا .

ويسجل القرآن للانصار هذه الروح السامية ، وكيف أنهم لم يضيقوا ذرعا بالمهاجرين الذين وفدوا عليهم يقاسمونهم الرزق ، بل على العكس من ذلك أحبوهم وأكرموهم ، وعندما أعطاهم رسول الله ما أعطى ، لم تضق نفوسهم ، ولم يحسدوهم ، وانما قابلوا ذلك بالرضا والارتياح ومضى القرآن يسجل للانصار ميزتهم الكبرى وهى « الايثار » أى تقديم مصلحة الغير على مصلحتهم ، مهما كانت هذه المصلحة هامة وضرورية ، متى كانت مصلحة الغير أكثر أهمية وضرورة ، وتغص كتب التفسير بالقصص التى يقال أنها كانت سبب نزول الآية ، أو التى حدثت بعد ذلك تطبيقا لها ونحن ننقل هنا بعض هذه الوقائع ، ايمانا منا بأن هذه الروح هى أحوج ما نكون اليها ، اذا أردنا أن نستعيد ماكنا عليه من عز وسؤدد وقدرة على النصر .

واليك ماجاء فى كتب التفسير من الاحاديث الصحيحة :

جاء رجل الى رسول الله فقال : انى مجهود فأرسل الى بعض نسائه ، فقالت : والذى بعثك بالحق ماعندى الا ماء ، ثم أرسل الى الاخرى فقالت : مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك .

فقال من يضيف هذه الليلة رحمة الله فقام رجل من الانصار فقال : أنا يارسول الله ، فانطلق به الى رحله (استصحب الضيف الى بيته) فقال لامرأته هل عندك شىء ، قالت : لا الا قوت صبيانى ، قال فعلليهم (أى صبريهم) بشىء ، فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج ، وأريه أنا نأكل ، فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه ، قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح ، غدا على النبى (أى ذهب الى النبى) فقال (النبى صلى الله عليه وسلم للصحابى) قد عجب الله عز وجل من صنيعكما بضيفكما الليلة .

وكان هذا سبب نزول الآية على ماجاء فى الاحاديث ، مع اختلاف فى بعض العبارات .

فى معركة اليرموك :

وقد ظلت هذه هى الروح السائدة بين الصحابة حتى بعد وفاة رسول الله مما مكنهم من هزيمة أعظم جيوش العالم آنذاك ونعنى بهما جيش الفرس

والروم ، سجلت لنا كتب التاريخ الحادثة التالية :
قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به ، فقلت : أسقيك فأشار برأسه أن نعم فاذا أنا برجل يقول : آه ، آه فأشار الى ابن عمى أن أنطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت له : أسقيك ، فأشار أن نعم ، فسمع آخر يقول : آه ، آه ، فأشار هشام أن انطلق اليه ، فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمى فاذا هوقدمات .

وهذا هو أروع تطبيق للاية فقد مات الثلاثةوكلهم يؤثر رفيقه على نفسه .

وهذه هى روح النصر فى كل زمان ومكان مهما تنوعت الاسلحه وتعقدت ، ايلكترونية او غير ايلكترونية ، ذلك أن الاسلحة فى نهاية الامر يقابل بعضها بعضا ، ويبقى التفوق والغلبة للروح الانسانية ، التى تبلغ أوجها فى هذه الصفة التى وصف بها القرآن الانصار وهى تحليهم بصفة الايثار أروع الفضائل الانسانية .

وتختم الآية بالحض على فضيلة مستطاعة وهى البذل والعطاء حتى يخرج الانسان بذلك من دائرة الشح والبخل ليصبح من المفلحين أى الناجحين فى الدنيا ، والناجحين فى الآخرة ، فليس هناك مايرفع من شأن الرجل ويفتح له القلوب بالمحبة ، أعظم من الكرم ، وليس هناك ما يبغض الناس فى الرجل أكثر من أن يكون بخيلا ، وقد أوعدنا الله وبشرنا ، بأنه من يوق شح نفسه ، أى من استطاع أن يتغلب على الانانية فى نفسه ويبذل للاخرين بعض ما أنعم الله عليه فأولئك هم المفلحون .

والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ●

والذين جاءوا من بعدهم

فسرها البعض على أن المقصود بهم هم التابعون أى الجيل الذى خلف الصحابة ، ولكن ذلكتخصيص بغير مخصص ، ولذلك فنحن نرجح قول من قال ان المقصود هم المؤمنون الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وسمة هؤلاء المؤمنين فى كل زمان ومكان ، أن يطلبوا من الله المغفرة لانفسهم ولاخوانهم المؤمنين ، سواء المعاصرين منهم ، أو السابقين ، تأكيدا للحقيقة الثابتة من أن المسلمين فى كل زمان ومكان ، هم أمة واحدة « **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** » وبالمثل تنتهى هذه الآية باظهار كيف أن الله سبحانه وتعالى بالمؤمنين رءوف رحيم فلا يجب أن يكفوا عن التوسل له بطلب المغفرة لانفسهم ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ، وأن يطهر قلوبهم وينزع منها كل غل وحسد والغل هو الحقد ، وأن من أعظم صفات الايمان هو سلامة القلب وطهارته وخلوه من كل ضغن وحقد وحسد .

الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ● لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ● لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ●

تسجل هذه الايات ما سبق ان نقلناه عن كتب السيره من أن عبد الله بن ابى زعيم المنافقين فى المدينه وسوف نتحدث عن قصته بالتفصيل ، اذا شاء الله فى سوره (المنافقون) نقول أرسل عبد الله بن أبى ، الى يهود بنى النضير يستعديهم على سيدنا محمد ويحرضهم علىقتاله ويعدهم (**ومايعدهم الشيطان الا غرورا**) بانه سيقف الى جوارهم فى تحديهم لرسول الله ، فان شاءوا ان يقاتلوا رسول الله ، قاتلوه معهم ، واذا أخرجهم رسول الله خرجوا معهم ، وقد نكل عبد الله بن ابى فى كل هذه الوعود ، وترك يهود بنى النضير لمصيرهم وذلك خوفا من المسلمين ، وليس ذلك الا بعض مظاهر الاعجاز الالهى وسوف نحلل بالتفصيل عند شرح سورة (المنافقون) اذا شاء الله ، لماذا كان زعيم المنافقين يتخاذل كلما جد الجد ، وتسجل الآيات التى نحن بصددها عليه ، انه كاذب فىوعوده وعهوده ، وانه لن يخرج اذا خرج اليهود ولن يقاتل معهم اذا قوتلوا وحتى لو قاتلوا ليهزمن وليولن الادبار خوفا ورعبا من مواطنيهم وأتباعهم الذين كانت أغلبيتهم العظمى قد اعتنقت الاسلام فى حق وصدق ، وسوف نشرح فى المستقبل لماذا أبقى رسول الله على المنافقين مع علمه بأنهم يكيدون له ، ذلك أن سيدنا محمدا لم يكن مجرد حاكم أو سلطان يبطش بالناس على الظنة والشك ، وانما كان هاديا ومرشدا ، وبحسب أى انسان أن يقول بلسانه أشهد الا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، لكى يكون آمنا على نفسه وماله .

وقد رأينا كيف أن من اسلم من بنى النضير قد احتفظ بأرضه وأمواله ولو أن بنى النضير أسلموا كلهم لما أجلاهم رسول الله ولاحتفظوا بكل ما فى أيديهم ولكنهم ، لعنهم الله ، استحبوا الكفر على الايمان .

لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ● كمثل الذين من

قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ●

القرآن ووصف اليهود :

تمثل هذه الآية احد مظاهر الاعجاز القرآنى ، اذ ترسم صورة لليهود منذ اربعة عشر قرنا ، تنطبق كل الانطباق على أسلوب اليهود فى الحرب فى كل زمان ومكان وعلى مظهرهم الخادع انهم على قلب رجل واحد ، مع أنهم فى حقيقتهم مختلفون أشد الخلاف ، ولقد كتبت موسوعة فى تاريخ مصر منذ أقدم العصور ، فكان طبيعيا ، أن يرد فى ثنايا هذا التاريخ ، تاريخ اليهود ، فأشهد أننى لم أر شعبا قد نال من نفسه ، كما فعل اليهود بأنفسهم ، فلا يكاد يوجد لهم مجتمع مستقر حتى ينقسموا على أنفسهم ويحاول بعضهم أن يفنى البعض الآخر ، واكاد أتخيل ان نهاية اسرائيل فى عصرنا الحاضر ستكون على ايدى اليهود أنفسهم (**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**) أى تظن أنهم يد واحدة ، وهم فى حقيقتهم متعادون متباغضون ، وليس سوى اليد الاجنبية التى تحفظ لهم (مؤقتا) هذا المظهر الخداع من أنهم متحدون ، مع أن حقيقتهم بخلاف ذلك .

أما من حيث أسلوبهم فى القتال (**لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر**) فمنذ بدأ اليهود يتسللون الى فلسطين وهم ينشئون الحصون باسم المستعمرات واليهودى يحارب دائما من خلف جدار ، أو ما يسمى فى اللغة العسكرية الحديثة (ساتر) ولا يكاد المقاتل اليهودى يجد نفسه فى العراء بدون هذا (الساتر)حتىيستسلم ، وما عليك الا أن تسمع قصص المحاربين العربالذين أتيح لهم مواجهة اليهود .

فان بعض المفسرين يقول أن المقصود هم (بنو قريظة) ولكن واقعة بنى قريظة لاحقة على حادثة بنى النضير وليست سابقة ، ويقول بعض آخر أن المقصود هم بنو قنيقاع وهم حى صغير من اليهود أجلاهم سيدنا محمد من سوق المدينة ، ولكن عبارة ((**ذاقوا وبال أمرهم**)) تشع ما يشعر بالمصير السىء والعذاب الداهم وهو ما يصور ماحدث لكفار قريش فى غزوة بدر .

ولهم عذاب اليم :

وأيا كان المقصود بالكفرة من عهد نوح وما تلاه حتى أيامنا هذه فلهم عذاب اليم .

كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ● فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ●

سياق الكلام واضح فى أنه يشبه ما حدث بين المنافقين واليهود بما يمارسه الشيطان فى كللحظة مع بنى البشر ، حيث يوسوس للانسان بكل أصناف الشرور وعلى رأسها الكفر بطبيعة الحال ، ثم يتنصل تماما كما فعل المنافقون باليهود اذ وعدوهم بالوقوف الى جوارهم وشد أزرهم فى محاربةسيدنا محمد ، ثم نكلوا فى وعدهم كما قدمنا ، فهم أشبه بالشيطان ومع وضوح هذا المعنى فقد أبى المفسرون القدامى الا أن يحشوا تفسيرهم ببعض القصص الاسرائيلية وخلاصة أقاصيصهم ، أن راهبا عابدا يدعى (برصيصا) فتنه الشيطان بأن أوقعه فى غرام فتاة عذراء أؤتمن عليها ، وتتطور القصة الى حد أن تصور الراهب يسجد للشيطان ، وهنا فقط يتبرأ منه الشيطان وكل ذلك لاغناء فيه فالكلام عام يتحقق فى كل زمان ومكان فلا محل لتخصيصه بحادثة معينة حدثت فى بنى اسرائيل ، والله أعلم اذا كانت قد حدثت بالفعل أو لا .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ● ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون — لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ● لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ●

كتاب هداية وارشاد :

القرآن كتاب هداية وارشاد ودعوة للايمان بالله وتوحيده والايمان بالجنة والنار والثواب والعقاب وهذا هو المحور والهدف من كل ما يذكره القرآنمن أحاديث الامم السابقة ، وقصص الانبياء ، وأخيرا حديث وقائع رسول الله فى جهاده وصراعه مع المشركين ، ولذلك فبعد أن سردت الآيات قصة غزوة بنى النضير وما تم فيها ، انتقلت الايات الى تذكير بنى البشر الى الهدف الرئيسى من كل نشاط يبذله سيدنا محمد ويبذله المؤمنون معه ، فيطالبهم بتقوى الله ، ولتنظر كل نفس (أى كل انسان) ماذا قدمت لغدها من صالح الاعمال .

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)

أى لا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله ، أى عند ارتكاب الذنوب والمعاصى ، فأنساهم أنفسهم أى بحسب الانسان أن يغفل عن ذكر الله وعن تمثله حتى يذهل عن نفسه ويقع فى الخطيئة ، وأولئك هم الفاسقون .

وتمضى الآيات لتبين الفرق بين الصالحين والمتقين ، وكيف أنهم أصحاب الجنة ، وبين الكفرة والعصاة والمارقين وكونهم أصحاب النار ، وشتان بن أصحاب الجنة وأصحاب النار ، فالاولون هم الفائزون ، وأما الاخيرون فهم الخاسرون .

ويضرب القرآن بعد ذلك مثلا فى عظمة القرآن ، وعميق تأثيره بحيث يتأثر به الجماد فلو انزل على جبل من الصخر لتأثر به ، وامتلأ خوفا من خشية الله ، ويكون مظهر هذا الخوف أن يتصدع الجبل أى

يتشقق ؟ فكيف بالانسان وقد زوده الله بالقلب والمشاعر والعقل والفكر ، الحق أن من يكفر بالله ويجحده ، يكون أدنى وأحقر ، لا من البهائم العجماوات بل ودون الجماد نفسه الفاقد لكل احساس .

هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون • هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم •

معاشرة القرآن :

الذين اعتادوا معاشرة القرآن بمعنى أنهم يتخذون من تلاوته آناء الليل وأطراف النهار والذين يطالعونه بالروح كلها سرعان ما يحسون وهم يرتلون بعض الآيات ، كما لو كانت الارض والسماوات ، والانس والجن والملائكة كلها ترتل معهم فى موسيقى روحية هذه الآيات ، ومن هذا الطراز الايات من آخر سورة الحشر ، واذا جاز لى أن اتحدث عن تجربتى الشخصية فانى كلما ترنمت بهذه الايات أحسست كما لو كنت أرتفع عن الارض ، وبوزنى يخف ، وكما لو كنت أسمع الدنيا كلها تغنى بهذه الايات التى تردد بعض اسماء الله الحسنى .

هو الله الذى لا اله الا هو

هذا هو التوحيد فى أصفى صوره والذى يمتاز به الاسلام من بين سائر ما عرفت البشرية من أديان وما جعله بحق ختاما حسنا لسائر الاديان فليس وراء التوحيد الالهى فى الاسلام ، زيادة لمستزيد ، وقد تحدثنا بما فيه الكفاية (قدر استطاعتنا) عن التوحيد ، فى تفسيرنا لسورة الاخلاص (قل هو الله أحد)

عالم الغيب والشهادة

اى عالم السر والعلن ، عالم بالمنظور وغير المنظور ما كان وما هو كائن وما سوف يكون ، وعالم الشهادة بصفة عامة هى هذه الدنيا التى نشهدها وعالم الغيب هو كل ما يتعين علينا نحن المؤمنين أن نؤمن به ابتداء من يوم القيامة وماوراءه .

هو الرحمن الرحيم

تكلمنا عن هذين الاسمين فى تفسيرنا لفاتحة الكتاب وكيف أن الله سبحانه وتعالى جعل وصفه بالرحمة والمبالغة فى الرحمة فى مستهل كل سورة من سور القرآن لتكون سابقة على اى معنى آخر .

الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

القدوس ، اى المنزه

السلام ، وهو المثل الاعلى الذى يتوق له البشر .

ولقد جاء الاسلام يحمل للبشرية السلام ، بحيث أصبحت تحية المسلمين فى الدنيا والآخرة هى المناداة بالسلام (وتحيتهم فيها سلام) .

وعندما نرى البشر فى القرن العشرين لايتحدثون الا عن السلام ، ويؤلفون مجالس السلام ويشكلون المنظمات الدولية للمحافظة على السلام ، استطعنا أن ندرك عظمة الاسلام عندما يجعل المسلم اذا ما قابل أى انسان ابتدره بقوله « السلام عليكم » وحذر المسلم من أن يعتدى على أى انسان بادره بالسلام .

كل هذه بعض المعانى التى يشعها تسمية الله عز وجل بالسلام .

المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

يقول بعض المفسرين أن المقصود بكلمة **المؤمن** هو معناها الظاهر فالمؤمن هو من يؤمن بالله ووحدانيته وقدرته « شهد الله أنه لا اله الا هو »

وغنى عن البيان أن الله عز وجل عالم بوحدانيته ، وأزليته وقدرته فهو من هذه الناحية مؤمن بذاته ، مؤمن بكل ما يجب على المؤمن أن يعرفه من أمر ربه ايمانا يليق بذاته ويتفق وكماله وذاته .

بينما يقول آخرون أنه مؤمن من الامن والامان ، فهو يؤمن أولياءه من الخوف

« وآمنهم من خوف »

أما نحن فنقول أنه اسم ارتضاه الله لنفسه ، فهو من أسماء الله الحسنى ، نتعبد لله ونتقرب بذكرها وترديدها ، وأن لها مع ما قبلها ، وما بعدها لحلاوة وموسيقى تنتشى بها الروح .

المهيمن العزيز الجبار المتكبر

كلها أسماء وصفات لله عز وجل تعنى السيطرة والقدره والعلو والعزة والعظمة بما يليق بجلاله ويهمنا أن نلفت النظر الى أن صفتى الجبروت والكبرياء مكروهتان بالنسبة للبشر باعتبارهما من صفات الالوهية فلا يجوز للبشر أن يتصفا بها ، وهما فى حق الله يعنيان العظمة والعلو والاقتدار .

جاء فى الحديث الصحيح : **« الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ثم قذفته فى النار »**

فليتواضع ابن آدم ليتواضع ويدع الجبروت والكبرياء بمعنى العظمة والعلو لله سبحانه وتعالى ، فمهما بالغ الانسان فى علو شأنه فهو لن يخرق الارض ولن يبلغ الجبال طولا ، ومهما امتد به الاجل فمصيره حفرة من التراب ، ونهايته طعاما للدود .

هو الله الخالق البارىء المصور

وهذه بدورها بعض أسماء الله الحسنى وهى تدور حول الخلق والايجاد والابداع ، وتنتهى السورة بما يجب أن لا يبرح ذهن المؤمن ولا قلبه لحظة واحدة وهو أن كل من فى السموات والارض يسبح بحمده وهو العزيز الحكيم

تم بعون الله تفسير سورة الحشر وتليها باذن الله سورة المنافقون •

إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون

فضيلة الشيخ
عبد الجليل عيسى

وعدنا فى المقال السابق أننا سنتابع شرح آيات الاحسان للوالدين ولذى القربى ٠٠ من أول آية ٢٦ من سورة الاسراء ٠ ونتابع حديثنا فنقول :

« وآت ذا القربى حقه »

« **ذا القربى** » هو ما كان بينك وبينه رحم ٠ **ولاولى الارحام** عند العلماء **اطلاق عام** يشمل كل من كان بينك وبينه نسب مطلقا من جهة الذكور أو من جهة الاناث ٠٠ وهذا هو المرادهنا ٠

وللرحم ايضا **اطلاق خاص** وهو من بينك وبينه قرابة من جهة النساء بخاصة ، وهذا اصطلاح علماء الميراث ، فيقولون : (باب ارث ذوى الارحام) ٠

والناس بطبيعتهم يشعرون بمن بينهم وبينه قرابة ، يتعاطفون بها ، ويتناصرون عادة وهذا المعنى هو الذى جاء فى القرآن العناية بالمحافظة عليه ، قال تعالى :

« **واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام** » ١ ــ النساء ٠ وقال :

« **وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** » ٦ الاحزاب ٠٠ وقال فى التحذير من قطعها : « **فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم** » ٠ محمد

« **حقه** » وحقه يشمل الحق المالى وغيره ٠ **وغير المالى** : ككثرة زيارتهم والتودد اليهم وحسن معاشرتهم ، والتجاوز عن اساءاتهم ٠ **والمالى** : كالنفقة ان كانوا محتاجين والهدية ان كانوا اغنياء لانها تنمى المودة ، وتقوى أواصر القربى ٠

(ونظير ذلك قوله تعالى : « **واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا** » ٨ ــ النساء) ومعناها : واذا حضر قسمة التركة ،خصوصا ،ذات البال التى تتطلع الى مثلها الانظار ٠٠ احد من قرابة الميت الذين لا يرثون ، او اليتامى ، او المساكين الاجانب فاعطوهم مما ترك الميت قبل القسمة ان كان الورثة كلهم كبارا اما الصغار فلا يؤخذ من نصيبهم شىء ، وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا فيه اعتذار لهم بحرمة التصرف

فى مال القاصر . وقال بعض العلماء : ان القول المعروف مطلوب حتى لو كان الورثة كبارا ، وذلك بأن يلاطفوا الاخذ حتى لا يتأذى عزيز النفس .

وحكمة اعطاء ذى القربى من غير الوارثين – ولو كانوا اغنياء – ان المال الذى يأتى الشخص من غير مشقة قد يثير فى نفوس بعض الاقرباء حسدا ، فلهذا يطلب التودد اليهم بما فيه صرف النفس عن الحسد بكالهدية ، وهذا فضلا عما فيه من صلة الرحم فان فيه شكر المنعم الذى بيده صرف النفوس عن الحسد الى المحبة .

« **والمساكين** » عبر القرآن عن المحتاج للقوت والكساء بتعبيرين مشهورين (المسكين) و (**الفقير**) **فقال العلماء** : ان هذين اللفظين اذا ذكرا معا كما فى قوله تعالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين** » ٦٠ التوبة كان لكل منهما معنى يخصه ، **وقالوا** : أن المسكين أشد حاجة من الفقير ، وقال بعضهم ، المسكين هو من التصقت يده بالتراب كناية عن أنه ليس بيده شىء أخذا من قوله تعالى : « **أو مسكينا ذامتربة** » ١٦ – البلد . والفقير هو الذى لا يملك قوت عامه له ولاولاده . ولم يذكرهما القرآن معا الا مرة واحدة وهى المتقدمة فى سورة التوبة .

أما اذا انفرد كل واحد منهما فالمراد معنى يشملهما وهو المحتاج » وذلك كثير فى القرآن **فقد ذكر المسكين وحده عدة مرات كما فى آية الاسراء التى معنا .** وكما فى آية سورة البلد .. الخ .

وقد ورد لفظ الفقير وحده عدة مرات أيضا . كما فى آية البقرة رقم ٢٧١ وكما فى آية الحج رقم ٢٨ .

« **ابن السبيل** » هو البعيد عن بلده التى فيها ماله ، ويعسر عليه الوصول اليه لينقذ نفسه من الحاجة .

ومما يؤيد عناية الاسلام بذوى الحاجات من الفقراء والمساكين وغيرهم **أن القرآن جعل لهم حقا حتى فى الغنائم** – قال تعالى : « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين .. » ٤١ – الانفال .

كما ان القرآن جعل اطعام الفقراء والمساكين كفارة للايمان ، والظهار ، والصيام .. من ذلك قول الله تعالى فى كفارة الايمان : « .. **فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم او كسوتهم ..** » ٨٩ – المائدة .

وقوله تعالى فى كفارة الظهار : « .. **فاطعام ستين مسكينا** » .

وقوله تعالى فى كفارة الصيام : « .. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

ولعل القارىء قد أدرك مما تقدم ان فى المال حقا على المسلم غير الزكاة .. **ومنه ما تقدم فى قوله** تعالى : « **واذا حضر القسمة أولو القربى ..** » الاية .

ومنه ما رواه الدارقطنى وابن ماجة فى سننه ، والترمذى فى جامعه عن فاطمة بنت قيس :

انه صلى الله عليه وسلم قال : « **ان فى المال حقا سوى الزكاه** » . ثم تلا قوله تعالى : « ليس البر .. » التى ستاتى وجعل من بعضهم ما يأخذه الفقراء عند مرورهم يوم الحصاد وقطع الثمار المشار اليهما فى قوله تعالى « **وآتوا حقه يوم حصاده** » وانما كان هذا غير الزكاه لان الزكاة لا تؤدى الا بعد دياس – دراسة – الزرع ، وبعد الكيل او الوزن حتى يعلم مقدار الزكاة .. **وهذا معهود فى ريف مصر** ، فان الفقراء يمرون على الذين يحصدون الزرع فيعطونهم منه كما هو فى سنبله . **ويدل ذلك على أن جمهور الزراع فى مصر وفقهم الله لادراك هذه الفضيلة التى عذب الله على اهمالها بعض الامم السابقة ..** فقد قص علينا القرآن أن رجلا صالحا كان له جنة كبيرة – بستان – يشتمل على فاكهة من نخل وعنب الخ وكان يعلن عنها يوم قطع الثمار ليسارع المحتاجون اليه .. فلما مات استكثر اولاده هذه النفقات فأقسموا الايمان الا يقطعوا البستان الا خفية فى ظلمة الليل .. فأرسل الله على البستان النار فأحرقته حتى صارت الارض سوداء ، فلما وصلوها ورأوا ذلك ندموا على ما كان منهم . قال سبحانه فى كل ذلك : « **انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم . فتنادوا مصبحين . أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين . فانطلقوا وهم يتخافتون . ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . فلما رأوها قالوا انا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم الم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين . عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون** » **آيات ١٧–٣٢ . القلم**

قال العلماء فى ذلك :

(انا بلوناهم ..) أى بلونا أهل مكة وما حولها ببلية القحط عندما اشتد ايذاؤهم للرسول صلى الله عليه وسلم فطلب من ربه أن يصيبهم بشدة لعلهم ينتهون ، فحبس سبحانه عنهم المطر مدة طويلة حتى أظلم الجو فى وجوههم فصاروا يرونه كالدخان ، وحتى جفت الارض ، وأكلوا الجيف . واستغاثوا به صلى الله عليه وسلم . وقال سبحانه فى ذلك مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب اليم . ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون » آيات ١٠ –١٢ الدخان .

وهذا الابتلاء الذى حل بأهل مكة وماحولها هو كالابتلاء الذى حصل لاصحاب الجنة .

« **كما بلونا أصحاب الجنة** .. » هم قوم كانوا يسكنون قرية قريبة من صنعاء فى اليمن .. وكان أبوهم رجلا صالحا يؤدى حق المساكين .. كما كان أهل مكة يعرفون هذه الحادثة وقد خلف الرجل لابنائه بستانا ذا نخل وزرع ، فلما حان قطف ثماره أقسموا ألا يقطعوها الا فى صباح اليوم التالى . والكلام فى أسلوبه هذا يشعر بأن قوما آخرين ينازعون أصحاب البستان ، ويريدون أن يشاركوهم فى قطف ثمراته وتناول شىء من خيراته . ويستدل من قول أصحاب الجنة « **ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** .» على أن هؤلاء المنازعين هم المساكين .

ويفهم من تقاسم أصحاب البستان ، وتعيينهم وقت الليل لمباشرة عملهم أن للمساكين شأنا خاصا فى ذلك البستان ـ كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى « **وآتوا حقه يوم حصاده** » ـ والا لم يحتج الامر الى أن يتعاهد أصحابه على قطع أثماره المملوكة لهم خفية ، اذ كيف يسوغ لاحد أن يعارض آخر فى ملكه ، ويحول بينه وبين الانتفاع بثمره .. لو لم يكن لذلك المعارض حق أو شبه حق فى هذا الثمر ؟ فعملهم هذا يدل على أن المساكين لهم فى هذا حق كما تقدم . أما الحق الذى كان للمساكين فهو أن صاحب الجنة ومالكها قبل أصحابها هؤلاء كان قد جعل فى ثمارها نصيبا مفروضا لأولئك المساكين الذين يعيشون معه فى القرية ، فكان بذلك يكسب ثناءهم ، ويكف يدهم عن العدوان بالسرقة على بستانه وبساتين أهل القرية ، ويكون من جهة ثانية قد قام بالشكر الواجب لله تعالى على ما أنعم من الرزق الطيب والعيش الهنيء . ولا جرم أن يكون هذا الصنيع منه مدعاة المزيد ، ووسيلة الى دوام النعم واستمرارها . أما خلفاء هذا المحسن البار على تلك الجنة فانهم لم يطيقوا ان يجعلوا للمساكين حظا فى جنتهم ، وعقدوا النية على حرمانهم . هذا معنى قوله « **اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** » .

ومعنى قوله تعالى « **ولا يستثنون** » أنهم كانوا يحلفون على مباشرة القطع وحرمان المساكين ، واثقين من مواتاة الاقدار لهم ، غافلين عن قدرة الله تعالى ، فكانوا لا يستثنون فى اليمين ، ولا يقولون : الا أن يشاء الله ، وهذا منهم دليل الغفلة والغرور .

« **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** » أى طرقها فى الليل من أمر الله طارق أى بلاء عظيم حصل بمحض قدرة الله من دون دخل للبشر فيه تتبع أشجارها فأتلفها وأحرقها وأفسد ثمارها .

« **فأصبحت كالصريم** » الصريم : الليل المظلم والمراد : محروقة أرضها سوداء « فتنادوا مصبحين » وهم لا يشعرون بما حصل لها .

هذا ما حصل من أمر الله وهم نائمون .

فلما أفاق أصحاب البستان من نومهم جعل بعضهم ينادى بعضا قائلين : هلموا الان فاذهبوا الى بستانكم ان كنتم تريدون قطع ثماره من دون أن يشهد ذلك أحد من أولئك المساكين وقد وصف فى قوله تعالى « فانطلقوا وهم يتخافتون » حالة خروجهم الى البستان كما وصف فى سابقتها حالة نهوضهم من النوم أى اتخذوا طريقهم الى البستان وهم يتكلمون بكلام خافت مهموس لئلا يسمعهم المساكين فيتبعوهم ، يقول بعضهم لبعض : لن ندع أحدا من أولئك المساكين يدخل جنتنا ، ويشاركنا فى رزقنا ونعمتنا .

وقوله « **وغدوا على حرد قادرين** » **الحرد : المنع** . أى وظلوا بعد أن قالوا ماقالوا جادين فى سيرهم حاسبين فى نفوسهم أنهم قادرون على منع أولئك المساكين نصيبهم من ثمرات الجنة « **فلما رأوها** .... » على هذه الحالة عرفوا أنهم كانوا على ضلال ، وبعد أن سجلوا على أنفسهم الضلال عن الطريق الموصل الى البستان ، وحكموا عليها بالغفلة ذهبوا فى الحكم عليها الى أبعد من هذا ، فعلموا أن المساكين الذين أرادوا حرمانهم من الرزق ليسوا فى الحقيقة محرومين ماداموا فى رحمة الله وتحت رعايته ، وانما هم المحرومون لانهم استحقوا مقت الله وغضبه بخروجهم عن سننه وقسوة قلوبهم على عباده ولذلك أتلف جنتهم وأفسد عليهم معيشتهم « **بل نحن محرومون** » أى لم نضل طريق جنتنا ، وانما حرمنا الله اياها بشؤم طالعنا ، وتغير نيتنا .

« **قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون** » أوسطهم خيرهم رأيا . تسبحون الله : أى تذكرونه وتقولون ان شاء الله .

« **قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين** » فانظر كيف اعترفوا من فورهم بظلمهم للمساكين وتركهم رد المشيئة الى الله ، وجأروا بتسبيحه تعالى وتنزيهه ولكن بعد فوات الاوان .

ومما جاء صريحا فى أن فى المال على المسلم حقا للمحتاجين غير الزكاة قوله تعالى :

« **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ،** وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » ١٧٧ البقرة .

فانظر كيف نص على ايتاء الزكاة بعد ما تقدم من الامر بايتاء ذوى القربى واليتامى الخ

وبقية الموضوع فى العدد التالى ان شاء الله .

إعجاز القرآن الكريم

الدكتور أحمد الحوفي

٥ ــ الغيبيات

وذهب بعض الدارسين الى أن القرآن الكريم معجز لانه أخبر بأمور من الغيب كثيرة ، وقعت كما أخبر ، والغيب من علم الله تعالى وحده « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » (٥٩ الانعام) فليس للبشر بالغيب طاقة وليست لهم اليه وسيلة .

ومن أمثلة هذه الغيبيات :

ا ــ وعد الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بالظفر ، وبأن يظهر دينه على الاديان كافة بقوله : «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون » (٣٣ التوبة) وقد فعل ذلك ، ولهذا كان أبو بكر اذا أرسل الجيوش للجهاد ذكرهم ما وعدهم الله من النصر ، ليزدادوا ثقة بالنصر ، وكان عمر يفعل ذلك .

ب ــ أوعد الله تعالى مشركى مكة بأنهم سيغلبون يوم بدر ، وقد صدق وعيده « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد» (١٢ آل عمران) .

جـ ــ كان أهل بدر يؤثرون لقاء عير قريش القادمة من الشام على لقائهم نفير قريش الذين خرجوا من مكة الى بدر ، لان العير لم يكن فيها غير أربعين فارسا ، على حين أن النفير كان كثير الفرسان والسلاح ، ولكن الله تعالى أراد أن يلقى المسلمون الطائفة القوية ليثبتهم ولينصرهم وليعلى دينه ، وقد وعدهم بهذا كله فى قوله : « **واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أنيحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** » .

د ــ **لما أراد رسول الله أن يسير الى مكة عام الحديبية** استنفر الاعراب الذين حول المدينة ليخرجوا معه حذرا من أن تحاربه قريش أو تصده عن البيت ، وأحرم وساق معه الهدى ، ليعلم الناس انه لا يريد حربا ، فتثاقل كثير من الاعراب وهم غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل ، وقالوا انه ذاهب الى قوم قد غزوه بالمدينة وقتلوا أصحابه ، ليقاتلهم ، وظنوا أنه لن ينقلب الى المدينة ، ولكنهم اعتذروا بأنهم فى شغل بأهليهم وأموالهم .

ثم أرادوا بعد ذلك أن يشاركوا النبى فى غزوة خيبر وقد أخبر القرآن الكريم بحالهم ، وأخبر بأنهم سيدعون فيما بعد الى قتال شديد ، الراجح انه قتال المرتدين أيام أبى بكر ، وذلك انهم لم يدعوا الى حرب أيام رسول الله ، وكيف يدعوهم والاية الكريمة تنص على أنهم لن يخرجوا معه أبدا ، ولن يقاتلوا معه عدوا .

وقال تعالى : **سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا . ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا ، وزين ذلك فى قلوبكم ، وظننتم ظن السوء ، وكنتم قوما بورا .... سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله ، قل لن تتبعونا، كذالكم قال الله من قبل ، فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لايفقهون الا قليلا . قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد ، تقاتلونهم أو يسلمون ، فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا ، وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما »** (سورة الفتح ١١ — ١٦) **وقد استنفرهم ابو بكر وعمر الى قتال المرتدين ، والى محاربة الفرس والروم .**

هـ — تحارب الفرس والروم ، فغلب الفرس الروم ، فبلغ الخبر مكة ، فشق على النبى صلى الله عليه وسلم وشق على المسلمين ، لان الفرس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل كتاب ، وفرح المشركون وشمتوا ، وقالوا للمسلمين أنتم والنصارى أهل كتاب ، ونحن وفارس لا كتاب لنا ، وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ، وسنظهر عليكم ، فنزل قوله تعالى : « **الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

وقد قال لهم أبو بكر : لايقر الله عيونكم ، فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين ، فقال له أبى بن خلف : كذبت ، أجعل بيننا وبينك أجلا أراهنك عليه ، فراهنه أبو بكر ، ثم مات أبى بن خلف ، وانتصر الروم على الفرس بعد سبع سنوات ، فأخذ أبو بكر الرهان من ذرية ابن خلف ، وجاء به الى رسول الله ، فقال : تصدق به .

و — رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين ، وقد حلقوا وقصروا ، فقص رؤياه على أصحابه ، ففرحوا واستبشروا ، وحسبوا أنهم سيدخلون مكة فى عامهم ، وقالوا ان رؤيا رسول الله حق ، فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولارأينا المسجد الحرام ، فنزل قوله تعالى : «**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** » (الفتح ٢٧ — ٢٨) .

وقد صدق الله وعده ، فكان فتح خيبر بعد الحديبية ، ثم تيسر فتح مكة .

٦ — الاخبار الماضية

وثمة تعليل آخر هو أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ، ولم يخالط أهل التاريخ ، ولم يجلس الى حبر من الاحبار ، ولم يطلع على كتاب من كتب الاقدمين ، وكان ذلك معروفا عنه .

ولكنه صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن الكريم يقص كثيرا من تاريخ الامم واحداثها منذ آدم الى عصر النبوة .

ففى القرآن الكريم قصة آدم وحواء ، وقصة نوح وسفينته ، وقصة ابراهيم وناره ، وعيسى وولادته ، وفرعون وطغيانه، وموسى وعصاه وكثير من أشباه هذا .

وما ذكره القرآن الكريم من هذه الاحداث هو الحق ، وهو الصدق الذى وافقه التاريخ الصحيح .

وانه ليتبين لمن يوازن بين ما جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى التوراة ان القرآن هو كلام الله، وان التوراة التى بين أيدى الناس اليوم مفتراة على الله ، لانها تطفح بالاباطيل والخرافات وتنسب الى الانبياء ما تحرم نسبته اليهم ، وتتحدث عن الكون وعن عمر الارض حديثا تنقضه المشاهدة ، ويبطله العلم والتاريخ .

وصدق القرآن الكريم فى أخباره عن الماضى دليل على أن النبى يوحى اليه ، ولهذا قال تعالى : «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذا لارتاب المبطلون » (العنكبوت ٤٨) .

وقال سبحانه : « وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ، ولنبينه لقوم يعلمون » (الانعام ١٠٥) .

قال جلّ وعلا : « وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (القصص ٤٦) ».

وقال سبحانه : ((تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين (هود ٤٩) .

ولله الحكمة البالغة فى أن اصطفى سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام اميا من شعب تغلب فيه الوثنية ، ويقل فيه الموحدون ، فقد كان اليهود فى جزيرة العرب الفسيحة قلة ، وكان النصارى أقل منهم ، وهؤلاء واولئك لم يشع فيهم الاستبحار فى الدين والتفقه فيه ، وهم جميعا لم يؤسسوا مذهبا أو مدرسة تنبع منها الاراء ، وتذيع هنا وهناك . فلا سبيل للادعاء أن النبى نقل عن العرب أو عن اليهود ، او عن النصارى شيئا أى شىء .

وعلى من يدعى انه نقل من أخبار التوراة أن يتدبر فى دعواه ، وأن يوازن بين أخبار القرآن الصادقة وأباطيل التوراة ، ليجد الفروق العظيمة بين الصدق والكذب ، وبين الحق والباطل ، وبين المعقول والخرافة .

ولكن تعليل الاعجاز بالغيبيات ، وتعليله بالاخبار الماضية ، لا ينهضان دليلا على الاعجاز ، اذ أنهما يثبتان أن العرب لم يكن فى قدرتهم أن يتنبأوا بالغيب لانه من علم الله وحده ، ولم يقدروا أن يقصوا أخبار السابقين لانهم يجهلون السير والتاريخ ، وهذان التعليلان يثبتان أن القرآن من عند الله ، ولكنهما لا يكشفان عن تفوق اسلوب القرآن ومزاياه .

ولو أن التنبؤ بالغيب او الاخبار بالماضى هما مناط الاعجاز لصح أن يقال ان الكتب السماوية الاخرى معجزة ، لانها حينما كانت صحيحة ذكرت أخبارا وقصصا ولكنها لم تعلن اعجازها ، ولم ينسبه احد اليها .

على أن القرآن الكريم تحدى العرب أن يأتوا بقليل من مثله ولو مفترى فما استطاعوا وكان فى وسعهم — لو أنهم لم يحسوا عجزهم أن يزوروا كلاما فى أى غرض من الاغراض التى أجادوها وأكثروا فيها المقال ، سواء أكانت قصصا أم اخبارا أم حكما أم وصفا أم أى شىء آخر .

ولو صدقنا ان الاعجاز منوط بالنبوءات والاخبار الماضية لكان علينا أن نثبته للسور أو للايات التى تعرض القصص والنبوءات ثم ننفيه عن غيرها وهو أكثر القرآن الكريم ، وهذا محال لان العرب عجزوا عن محاكاته فى كل غرض من أغراضه، فتحقق بهذا أنه معجز كله فى جميع ما عرض له من شئون وموضوعات .

البحث متصل

من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها

لقد كان حديثنا السابق فى موضوع الولاية على فاقد الاهلية وناقصها ، كما أشرنا به الى ما ذهب اليه الفقهاء من تقسيم الولاية فى الزواج ، بالنظر للمولى عليه الى ولاية اجبار وولاية ندب واختيار أو ولاية استحباب .

وسنعرض فى مقالنا هذا لبيان من تثبت عليه ولاية الاجبار واختلاف الفقهاء فى ذلك ، كما سنوضح آراء الفقهاء بشأن ولاية المرأة لعقد الزواج واختلافهم فى ذلك ، ودليل كل مع بيان الاولياء وترتيبهم ، واليك البيان ..

لقد قرر فقهاء الحنفية أن ولاية الاجبار فى الزواج يشترط لثبوتها صغر المولى عليه أو جنونه .. وعلى هذا فان الصغير والصغيرة والمجنون والمجنونة تثبت عليهم ولاية الاجبار ، وليس لهم مع الولى فى زواجهم أى رأى ولا عبرة بالبكارة والثيوبة فى هذا ، اذ البكر والثيب سواء فى ثبوت ولاية الاجبار عليهما متى كانتا صغيرتين أو مجنونتين

أما البالغ العاقل والبالغة العاقلة ، بكرا كانت أو ثيبا ، فلا تثبت على أحد منهم ولاية الاجبار فى العقد

ويرى الامام الشافعى أن شرط ولاية الاجبار « الاستبداد » ، هو الصغر بالنظر الى الغلام ، والبكارة بالنظر الى الانثى ، سواء أكانت صغيرة أو كبيرة ، والجنون بالنظر الى المجنون والمجنونة الكبيرين .

أما الثيب فلا تثبت عليها ولاية الاستبداد عنده ، اذ يرى أن أمر تزويج الثيب الكبيرة العاقلة شركة بينها وبين وليها فى الرأى والاختيار فقط لا فى تولى العقد . فهو يرى مع هذه الشركة فى الرأى والاختيار أنه يجب أن يكون الولى هو الذى يباشر العقد على المولى عليها ، ولا يصلح ان تباشر هى العقد بنفسها اذ ان عقد الزواج عنده لا يصح بعبارة النساء مطلقا سواء كانت تعقده لنفسها أم لغيرها بالنيابة ، وسنعرض لذلك بالتفصيل بعد .

ومما أوضحناه ، نرى أن فقهاء الحنفية يقررون أن الشخص البالغ العاقل كامل الاهلية تثبت له الولاية على نفسه وماله ، سواء أكان رجلا أو امرأة ، فتصح عقوده وتصرفاته ما دامت مستكملة لشرائطها الشرعية ، وتنفذ بدون توقف على اجازة من أحد ، فلو تولى الرجل عقد زواجه بنفسه نفذ العقد ولزم ،

فضيلة الشيخ محمد خاطر

ولو كان قد تزوج من هى دونه فى الكفاءة والمنزلة الاجتماعية ، أو بمهر أكثر من مهرها ، ما دامت أهليته كاملة على نحو ما أوضحنا .

وكذلك المرأة كاملة الاهلية ، اذا تولت عقد زواجها بنفسها ، وكان لها ولى عاصب ، نفذ العقد ولزم ، بشرط ان يكون الزوج كفئا لها وألا ينقص مهرها عن مهر مثلها .

فان تزوجت بغير كفء ولم يرض الولى العاصب ، فقد اختلف فقهاء الحنفية فى حكم العقد فى هذه الحالة .. الا ان الرأى الذى عليه الفتوى فى ذلك هو ان الزواج فى هذه الحالة غير صحيح ، وان العقد باطل ، وهذا هو رأى أبى حنيفة وأبى يوسف فى غير الكفء ، دفعا لضرر العار عن الاولياء .. قال شمس الائمة ، وهذا أقرب الى الاحتياط ، فليس كل ولى يحسن المرافعة الى القاضى ، ولا كل قاض يعدل .. وكم من واقع لا يرتفع ، ولو أحسن الولى المرافعة وعدل القاضى فقد يترك الولى الخصومة أنفة ، واستثقالا للخصومات والتردد على أبواب المحاكم ، فكان الضرر فى هذه الحالة مقررا لا يرفعه الا منع العقد ، فكان القول بعدم صحة العقد فى هذه الحالة أولى بالاحتياط وأجدر بالنظر .

اما ان تزوجت المرأة بكفء لكن بأقل من مهر المثل وبغبن فاحش ، فالعقد لا يلزم الاولياء الا اذا رضوا به أو سكتوا حتى ولدت المرأة أو كان بها حمل ظاهر .

فان لم يرض الولى بهذا المهر ، فعقد الزواج فى هذه الحالة صحيح نافذ ، لكنه غير لازم ، أى ان لوليها حق الاعتراض ، ما دامت لم تلد أو لم يظهر بها حمل ، ولم يكمل الزوج مهر المثل ، وللولى فى هذه الحالة أن يرفع الامر للقضاء لفسخ العقد .

والواضح مما قلناه بشأن الزواج بغير الكفء أو بأقل من مهر المثل ، ان ما ذكر من أحكام فى هاتين الحالتين ، كان سببه اعتراض الولى العاصب وعدم رضاه .. فهل الحكم هكذا اذا لم يوجد للمرأة ولى عاصب ، أم أنه على خلاف ذلك ؟؟

لقد قرر فقهاء الحنفية أنه اذا لم يوجد الولى العاصب وتزوجت المرأة حتى بغير الكفء أو بأقل من مهر المثل ، كان عقد زواجها صحيحا لازما ، سواء كانت بكرا أو ثيبا ، متى كانت بالغة عاقلة ، وما كان ذلك الا لان الكفاءة ومهر المثل من حقوق الولى العاصب ، وهو الذى يعير بالصهر اذا كان غير كفء كما يتضرر بنقصان المهر عن مهر المثل .. من أجل ذلك كان رأى فقهاء الحنفية المفتى به ، هو عدم صحة عقد الزواج اذا انعدمت الكفاءة ولم يرض الولى العاصب .. وعدم لزوم العقد اذا كان المهر أقل من مهر المثل ، ولم يرض الولى العاصب كذلك على نحو ما أوضحنا آنفا .. ولقد كان ذلك كله رعاية لحق الولى العاصب فى الكفاءة والمهر .

ومما ذكر يبين أن فقهاء الحنفية يرون انعقاد نكاح الحرة البالغة العاقلة بعقدها الدال على رضاها بدون ولى ، سواء أكانت بكرا أو ثيبا ، وذلك عند أبى حنيفة وأبى يوسف [رحمهما الله] فى ظاهر الرواية .. وعند محمد ينعقد موقوفا على اجازة الولى .

وقال مالك والشافعى [رحمهما الله] لا ينعقد النكاح بعبارة النساء أصلا ، لان النكاح يراد لمقاصده والتفويض اليهن مخل بما يراد منه من مقاصد .

ولقد استدل فقهاء الحنفية لما ذهبوا اليه بالقرآن والسنة والمعقول .

اما القرآن : فقد جاءت آيات كثيرة بالكتاب العزيز ورد فيها اسناد عقد الزواج الى المرأة ، والاصل فى ذلك ان اسناد الشىء واضافته الى شخص يكون ذلك الشخص مختصا به وملكا له ، الا ان يقوم الدليل على خلاف ذلك ، ومن هذه الآيات قول الله سبحانه وتعالى : « **واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن** » .. وقوله جل شأنه : « **فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف** » .. وقد احتج فقهاء الحنفية بما جاء بهذه الآيات من اضافة النكاح الى المرأة واسناده اليها .. أن المرأة تزوج نفسها لان الله تعالى أضاف ذلك اليها كما قال ـ سبحانه ـ « **فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** » .. وأن المراد بفعلهن الوارد فى الآية « **فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف** » .. هو عقد الزواج .

أما السنة : فقد احتج فقهاء الحنفية لما ذهبوا اليه بقول الرسول [صلى الله عليه وسلم] « **الايم أحق بنفسها من وليها** » .. والايم اسم للمرأة التى لا زوج لها بكرا كانت أو ثيبا ، وقد أثبت الحديث لها حقا وللولى كذلك ، وليس للولى من الحقوق فى هذه الحالة سوى مباشرة العقد اذا رضيت وقد جعلها الحديث احق منه بذلك ، وفى هذا ما يدل على انها تزوج نفسها .

وأما المعقول : فقد قالوا انها تصرفت فى خالص حقها ، وهى من أهل التصرف لكونها عاقلة مميزة ، ولهذا كان لها التصرف فى المال ، ولها اختيار الازواج وانما يطالب الولى بالتزويج كى لا تنسب الى الخروج عن الآداب المرعية .

وقد استدل أصحاب الرأى الثانى لما ذهبوا اليه بما جاء بالقرآن والسنة ، مما يؤيد وجهة نظرهم وناقش كل فريق أدلة الآخر .

والى لقاء فى حديثنا المقبل ، نبين فيه دليل من قال ان النكاح لا ينعقد بعبارة النساء ، ومناقشة أدلة الآخرين مع بيان ترتيب الاولياء ، ومن تثبت له ولاية الاجبار .

متى نذكر الله ؟!

طلبت من عامل التليفون أن يدق الجرس فى بيتي عند الفجر . ليوقظنى من النوم حتى الحق بطائرة كنت ساستقلها الى سفر بعيد .

ورغم أن ذلك العامل اشتهر فى المؤسسة بالغفلة والنسيان . فقد بر بوعده .. ودق الجرس فى موعده وأيقظنى .

فقلت له بحرارة : —

— الف شكر يامحمد .. متشكر قوى .. لن انسى لك هذا الجميل ..

وقفزت من فراشى خفيفا مستبشرا وكذلك استيقظ من فى البيت معى . ولكننى لم ألبث أن اكتشفت اننى نسيت أثناء زيارة مسبقة ليلة السفر بعض الاوراق الهامة فى بيت أحد أقاربى .

وعرض على ابنى الصغير أن يستقل دراجته ويمضى مسرعا لاحضارها ... وخرج الصغير يواجه البرد ووحشة الطريق فى تلك الساعة المبكرة . واستأنفت أنا ارتداء ملابسى ..

ومثلما يحدث فى هذه المناسبات عادة التقطت نظارتى لاضعها على عينى فأفلتتها أصابعى المضطربة وسقطت على الارض .. مائة قطعة !!.

ولما كنت لا أستطيع القراءة بدونها ولما كانت زوجتى تستعمل هى الاخرى نظارة للقراءة فى مثل قوة نظارتى. فقد غسلت اضطرابى بابتسامة حانية وعرضت على أن آخذ نظارتها بدلا من نظارتى .

وشعورا بمدى التضحية التى أقدمت عليها زوجتى عن طيب خاطر . قلت لها فى تأثر : —

— ألف ألف شكر .. كتر خيرك .. أرجو أن يقدرنى الله على رد هذا الجميل ..

وحزمت حقائبى وأكملت ارتداء ملابسى وجلست انتظر فى قلق عودة ابنى بالاوراق الضائعة .

وعندما فتح الباب أخيرا وهو يلهث وبيده الاوراق التى ما كنت أسافر بغيرها احتضنته ولسانى يلهج بالشكر له والثناء عليه .

وودعت أهل بيتى وخرجت الى الطريق ابحث عن سيارة تاكسى وطال انتظارى . وأزف وقت الطائرة فتطوع بواب البيت باحضار سيارة أجرة. فلم اكتف بشكره بل وضعت فى يده ورقة مالية صغيرة تعبيرا عن امتنانى الشديد ورجوت سائق التاكسى أن يسرع حتى الحق بالطائرة فانطلق يسابق الريح حتى عوض الوقت الضائع . وتقديرا لجهوده أعطيته منحة مالية أؤكد بها شكرى له .

ولم يكن موظف شركة الطيران الذى تسلم حقائبى فى المطار وسهل لى اجراءات السفر بأقل لطفا وادبا . فقد انهى اجراءاتى بسرعة وصحبنى بنفسه الى باب الدخول لالحق بباقى الركاب وعلى الباب شددت على يده بحراره ولسانى يلهج بالشكر ..

ووجدت قاعة الانتظار مزدحمة بالركاب . وبحثت عن مكان للجلوس فلم أجد ، ولاحظ رجل أجنبى حيرتى فأفسح لى مكانا بجواره ، ودعانى للجلوس فشكرته ممتنا وانست له واتصل بيننا الحديث كأننا أصدقاء منذ عمر طويل .

وعندما دعينا لركوب الطائرة وهممت واقفا . سقطت منى احدى اللفافات التى كنت أحملها فانحنت المضيفة الارضية والتقطتها وحملتها عنى حتى سلم الطائرة فأسرفت فى شكرها وانا أصافحها حتى اضطرم وجهها خجلا .

وأخيرا اتخذت مجلسى فى الطائرة وربطت الحزام . وبدأت الطائرة تزمجر تأهبا للاقلاع ..

وعندئذ — وكما يحدث عادة — داهمنى الشعور بالخوف . فرحت أدير لسانى ببعض آيات القرآن المنجيات ..

واهتزت الطائرة بعنف لسبب ما فسقط قلبى فى قدمى . وصرخت أدعو الله ..

وفجأة أنعقد لسانى عن الدعاء ..

كيف أدعو الله ؟ ..

الان فقط تذكرته !!؟ ..

اننى حتى لم أصل الفجر !

ومر بخاطرى شريط سريع من الصور . شكرى

الأستاذ عبد السلام داود

لعامل التليفون ، لزوجتى ، ولابنى وللبواب ولسائق التاكسى ، ولموظف المطار ، والرجل الاجنبى والمضيفة .... الخ .....

لقد شكرت كل من صافحته عيناى منذ فتحتهما حتى الان .. الا الله ! ..

الله وحده هو الوحيد الذى نسيت أن اقول له شكرا ! ..

ومـا أتفه ما قـدم لى الناس ذلك الصباح من خدمات . وما كان أعظم شكرى لهم وثنائى عليهم .

أما الله الذى لا اله الا هو . الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم. والذى له مافى السموات ومـا فى الارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .. الله الذى ناصيتى بيده الذى لا أنقل قدما عن قدم الا باذنه . الله مالك الملك الذى يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء والذى بيده الخير والذى هو على كل شىء قدير .

الله الذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل . ويخرج الحى من الميت ويخـرج الميت من الحى ويرزق من يشاء بغير حساب ..

الله الذى يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهـو يشفين والذى أطمع أن يغفـر لى خطيئتى يـوم الدين .. فقد نسيته !!! ..

لم أنسه ذلك الصباح فقط، بل نسيته دائما اكتشفت فجاءة أننى لا أذكره الا ساعة اليأس والضيق ! ..

وكيف أذكره ؟ .

أدير لسانى ببعض القرآن مما لا أعيه بل أردده كالببغاء .. ؟؟

لقد شكرت عامل التليفون لانه ايقظنى من النوم ونسيت أن أشكر الله الـذى بعثنى حيا بعد موتى الليل الطويل !!

وشكرت زوجتى لانها أعارتنى نظارتها لتساعدنى على الرؤية .. ونسيت أن أشكر الله الذى منحنى عينى وأضاء الدنيا بنور الصباح !!

شكرت ابنى ونسيت أن أشكر الله الذى منحنى الولد ولم يذرنى فردا ! ..

شكرت البواب لانه ساعدنى فى استدعاء التاكسى . ونسيت أن أشكر اللـه الذى رزقنى وأسكننى عمارة كبيرة لها بواب يقدم لى الخدمات .

شكرت سائق التاكسى ونسيت أن أشكر من سخر لنا التاكسى والطائرة ومهد لنا الارض ورفع السماء !

شـكرت موظف المطار لانه تجاوز عن وصولى متأخرا ونسيت أن أشكر الله الذى يتجاوز فى كل لحظة عن سهوى وجحودى ثم يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ! ..

شكرت مضيفـة الطائرة التى حملت عنى لفافة خفيفة . ونسيت أن أشكر الله الذى منحنى ساقين يحملانى أنا نفسى الى أطراف الارض ؟

وأحسست وأنا أستعرض جحودى أننى أذوب فى وهـج الحقيقـة التى أشرقت بنـورها فى روحى فجأة ! ..

وأفقت لاجد الدموع تغسل وجهى وصوت أبى فى عمق الذكريات يملأ أذنى ..

يابنى .. أن تعد نعمة الله لا تحصيها . وهو لا يطلب منك جزاء ولا يحملك مالا تطيق أنه لا يسألك غير الشكر .. خمس مرات فقط فى اليوم . فلا يصرفنك شىء عن الصلاة فأنت لا تنسى كلمة الشكر يلهج بها لسانك لمن يستحق ومن لا يستحق ! ..

وأفقت على صـوت مضيفـة الطائرة تقـدم لى الافطار فأسرعت أمسـح دموعى وأدير عينى حولى .. لقـد اسـتقرت الطائرة فى الجو وزال الخطر ..

حتى ــ وأنا فى قمة جحودى ــ كان الله أرحم من أن يتركنى نهبا للخوف. فأنزل سكينته على قلبى وأنسانى نفسى حتى زال سبب روعى ! ..

وابتسمت المضيفة فى دهشة وهى تسمعنى أهتف بعمق ..

ــ الحمد لله .. الحمد لله ..

كانت تتوقع منى أن أشكرها !! ..

الشريعة الإسلامية وقانوننا الوضعي

● الدكتور علي الزيات

الاســلام دين ودولة ..

فكما نظم العبادات نظم اسلوب الحــكم ونظم معاملات الناس :

فالشريعة الاسلامية على خلاف الشرائع الدينية الاخرى التى جاءت قاصرة على العبادات ... وهى خطاب عام لجميع الناس .. احكامها اقليمية واجبة التطبيق فى دار الاســلام على جميع المقيمين فيها من مسلمين وذميين واختصاص القاضى المسلم اختصاص عام شامل ، فهو مختص بنظــر دعاوى المسلمين وغير المسلمين فى مسائل المعــاملات والعقوبات .

ويقول علماء الشريعة فى ذلك ان غير المسلمين مخاطبون باحكام الاسلام فيما يتعلق ، بالمعـاملات – وتشمل المعاملات فى الاصل العلاقات العائلية – فغير المسلمين تلصــق فى حقهم احكامها وتلزمهم بمقامهم ، فى دار الاسلام والقاضى المسلم يختص بشأنها ويقضى فيها وفقا للشريعة الغراء ، وذلك وفقا للتلازم الموجود بين الاختصاص القضــائى والاختصاص التشريعى ، فجميع النازلين فى بلاد الاسلام ملزمون باحكامه ، بغض النظر عن اختلاف دياناتهم ، فالشريعة الاســلامية تحــكم علاقات المسلمين فيما بينهم وتحكم علائق الكتابيين بعضهم ببعض ، وتحكم علائق الكتابيين بالمسلمين الا اذا كانت علاقــة ملحقــة بالديانة حكماكالنكاح وتمليك الخمر والخنزير ، فهنا يختلف الفقهاء ، ومع ذلك فمن المتفق عليه ان القاضى المسلم يختص بهــذه المسائل اذا ترافع اليه الاخصام اى تراضــوا على اختصاصه لان الاسلام اباح لهم ان يحتكمــوا الى الشريعة فى حدود ما يقرون عليه اذا رأوا ذلك ..

وانما يدور الحديث حــول أى قانون يطبق اذا اختص القاضى فى هذه الحالة ؟ ! .. الشريعــة الاسلامية ام قانون المتقاضى ؟! من رأى الامام ابى حنيفة ان القاضى يطبق احكام ديانة الطرفين على اعتبار ان الحكم بدينهم هــو ذاته حكم من احكام الاسلام بشرط ألا يكون فى الاخذ باحكام هذه الديانة اهمال للاحكام الشرعية التى لا تقبل التغيير كزواج المحارم أو احكام الزنا ..

ونجد حكم الشريعة الاسلامية واختصاص القاضى المسلم – عند الحنفية – حتى على المستأمنين من الاجانب – وانما منع من هذا فى العصور الاخيرة فى ديار الاسلام .. معــاهدات الامتيازات التى وقعها الخلفاء العثمانيون على ما سنرى ...

قال صاحب البدائع : « الاصل فى الشريعة الاسلامية العموم فى حق الناس كافة الا انه تعذر تنفيذها فى دار الحرب لعدم الولاية وامكن فى دار الاسلام فلزم التنفيذ بها .

ومن اقام فى دار الاسلام فهو معاهد ، والعهد دائم بالنسبة لاهل الذمة وبمقتضاه ، يتمتع الذميون – كما يتمتع المستأمنون على ماسبق – بعصمة فى المال والنفس ويكون لهم فيها ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ..

ولقد كان هذا هو الوضع فى البلاد التى فتحها المسلمون ومنها مصر – تطبيق الشريعة الاسلامية واختصاص للقاضى المسلم شامل لجميع المقيمين فى دار الاسلام ..

ولكن حدث ان المسلمين بعد ان اخضعوا البلاد المسيحية تســاهلوا مع المسيحيين فتركوا لهم حق الفصل فى منازعاتهم الخاصة بهم دون الالتجاء الى القاضى المسلم ومن هنــا تألفت طوائف مختلفــة حسب المذاهب المختلفــة وأصبــح لرؤســائها سلطة الحكم فى المنازعات اذا ما اتفق المتنازعون على تحكيمهم ، والحكمة فى هذا التساهل سياسية بحتة اذ اراد الفاتحون الاطمئنان على ملكية البـلاد التى فتحها الاسلام فـظهروا كل احترام لعقيدة أهلها واحلوا رؤســاءهم الدينيين مركزا ممتــازا حتى لا يهيجوا الخواطر ضدهم .

وكان هذا التسامح اساسا للامتيازات فى عهد العثمانيين ، فعندما دخل محمد الفاتح القسطنطينية رأى هو أيضا لذات الاعتبارات الســياسية ان يستبقى لرجال الكنيسة نفوذهم القضائى وكانت الكنيسة فى العصور الوسطى – تاريخ هذا الفتح تملك السلطة السياسية والقضائية ، وحتى يستمر التطاحن بين كنيسة بيزنطه – القسطنطينية وكنيسة روما ، أبقى القضاء الطائفى فأبقى لبطرك الروم سلطانه القضائىوكان يشمل، المعاملات والعقوبات، وفعل ذلك مع بطرك الارمن ثم مع ربان اليهود ..

ولما كثرت الامتيازات وتعددت الطوائف وطغت سلطاتها على سلطات الدولة مما أدى الى الفوضى وعمت معه الشكوى حتى من اتباع هذه الطوائف رغبت الدولة العثمانية فى استعادة سيادتها على جميــع رعاياها وعملت على اســترجاع الولاية لتشريعها وقضائها وفقا لمــا تقضى به الشريعة

الاسلامية ، فاصدرت عدة تشريعات خاصة لتحقيق هذه الرغبة ليس هنا مجال متابعتها ، وانما يعنينا ما يخص مصر . فنذكر ان مصر حاولت وضع حد لهذه الامتيازات الاجنبية فدارت مفاوضات بينها وبين الدول صاحبة الامتيازات وتم الاتفاق على انشاء محاكم موحدة يخضع لاختصاصها جميع الاجانب المقيمين فى مصر على اختلاف جنسياتهم ودياناتهم وكان هذا هو شرط الدول الاجنبية رأتها مصر خطوة أولى فى سبيل الحد من تغول الامتيازات الاجنبية ..

ولما اراد نوبار باشا رئيس الوزاره فى ذلك التاريخ أن يفاوض الدول لانشاء هذه المحاكم المختلطة كانت الوسيلة التى توسل بها لنجاح مفاوضاته ورضى الاجانب المقيمين فى مصر بانشاء هذه المحاكم .. كانت وسيلته الى ذلك التعهد بأخذ قوانين هذه المحاكم عن القوانين الفرنسية وجاءت فعلا مجموعات قوانين المحاكم المختلطة الصادرة سنة ١٨٧٥ على نسق المجموعات الفرنسية ..

ثم رأت الدولة بعد ذلك — توحيدا للمعاملة بين المقيمين فى البلاد وهى حجة محل حديث — ان تنقل نصوص هذه المجموعات المختلطة وتطبقها فى المحاكم الوطنية أو الاهلية كما كانت تسمى ، فجاءت مجموعات القوانين التى عمل بها ابتداء من سنة ١٨٨٣ صورة طبق الاصل من هذه المجموعات المختلطة مع بقاء حد بين ما اسموه الاحوال العينية والاحوال الشخصية وهذا الاسم الاخير لاتعرفه الشريعة الاسلامية وقد يكون لهذا حديث آخر ..

لقد كانت الشريعة الاسلامية هى الشريعة العامة المعمول بها قبل اصدار المجموعات المختلطة والمجموعات الاهلية فى الديار المصرية ، ولقد جاءت هذه المجموعات لتحل محل الشريعة الاسلامية فيما أتت به من تنظيم ، ولقد جاء هذا التنظيم فترك للشريعة الاسلامية ما أسموه الاحوال الشخصية فظلت هذه تحكمها الشريعة الاسلامية وفيما عدا ذلك فان قواعد الشريعة الاسلامية التى كانت مطبقة وقت اصدار هذه المجموعات تبقى مطبقة مادامت نصوص التشريع المدنى الجديدة لم تلغها ولو الغاء ضمنيا وهذا القول يسرى ، حتى على ما يسمى بالاحوال العينية ..

فاختصاص الشريعة الاسلامية التشريعى يمتد الى الاحوال العينية أو الروابط المالية مادامت نصوصها لاتتعارض مع نصوص القوانين المدنية وبعبارة أخرى فانه فى دائرة المعاملات يعمل بأحكام الشريعة الاسلامية تماما كما يؤخذ بنصوص المجموعات مادامت هذه الاحكام لاتتعارض مع نصوص المجموعات ..

ولقد كان أصحاب هذا الرأى يؤيدونه — فضلا عن هذا الوضع التاريخى — بنص المادة ٢٨ من لائحة ترتيب المحاكم الاهلية التى تقول : « ان كافة الاحكام تصدر بمقتضى نص فى القانون وبالتطبيق عليه وعلى المحاكم أن تتبع القوانين المصرية التى ستنشر وكذلك الاوامر واللوائح الجارى العمل بموجبها الان متى كانت أحكامها غير مخالفة لنص القوانين المذكورة والاوامر واللوائح التى تصدر وتنشر فيما بعد بحسب القواعد المقررة .

وكان هناك اجتهاد فى تفسير هذا النص لحمله على أن المشرع أراد بالقوانين التى تطبق فى المحاكم الاهلية المجموعات التى أصدرها وأحكام الشريعة الاسلامية الباقية خارج نطاق هذه المجموعات ، فهذه تكمل تلك ولا يرجع القاضى الى قواعد العدالة والقانون الطبيعى وفقا للمادة ٢٩ من اللائحة الا اذا لم يوجد حل فى الشريعة الاسلامية فهذه الشريعة تطبق لانها قائمة تكمل التشريع المدنى ، فحيث لايظهر المشرع رغبته فى عدم الاخذ بقواعد الشريعة الاسلامية تبقى هذه النصوص مطبقة حتى وان تعلقت بروابط مالية .

كان هذا اجتهادا ظل أصحابه يناصرونه ويؤيدونه ويعملون على الاخذ به حتى استجابت له المحاكم لا سيما وقد توحدت بعد الغاء المحاكم المختلطة ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ .. ولكن هذا الاجتهاد كان له صداه الواسع بعد ذلك فى كل دوائر التشريع والقضاء حتى كانت لجنة تطوير القانون المدنى التى ظلت ثلاث سنوات تعمله فى هذا المجال وانتهت الى صياغة قانون مدنى جديد — هو الان فى سبيل الاصدار — فاعتنقت هذا المذهب — بعد أن بدا على المستوى الدولى — وفى محافل القانون المقارن مدى صلاحية الشريعة الاسلامية لتكون مصدرا لكل القوانين .

وفى هذا القانون جاءت المادة الاولى منه لتقول :

١ — تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التى تتناولها هذه النصوص فى لفظها أو فحواها .

٢ — فاذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه يحكم القاضى بمقتضى العرف فاذا لم يوجد — فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة .

وهذا النص وان حقق رغبة أصحاب الاجتهاد السابق الا أن صياغته معيبة وهى تقدم العرف على مبادىء الشريعة الاسلامية ، وان كان من رأيها أن هذا العرف هو وليد ما تفاعل فى ضمير المجتمع الاسلامى من تقاليد توارثها مستمدة من مبادىء الشريعة الاسلامية ، ولكن يظل من الخير أن يقول النص صياغة ليكون على النحو التالى : ((فان لم يوجد النص التشريعى يحكم القاضى بمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية)) ..

وفى هذه المبادىء الكفاية كل الكفاية والغناء كل الغناء ...

ونأمل فى العدد القادم أن نتحدث عن موقف الشريعة الاسلامية مما يسمى ، بالاحوال الشخصية ...

خذوا حذركم واستعدوا للمعركة

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

ان من يتأمل مكانة الانسان فى الارض ، يجده أعز من فيها مكانة ، وأرفع من عليها شأنا ، من حيث انه موضع تكريم الله ، وأهل لاستحقاق خلافته فى الارض ، (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفه) وقضية الاستخلاف تجعله متحملا مسئوليته فى الحفاظ على حريته وكرامته ، وفى أن يحقق لنفسه العدل والخير ، وأن يحيا عزيزا كريما فى دنيا الناس . والله تعالى جعل له العزة وضم اليه رسوله والمؤمنين ، لقد ضمهم جميعا الى جواره وقال : هذا لواء الاعزاء ، وجعل العزة صنو الايمان فى القلب المؤمن ، العزة التى لا تهون ولا تهن ولا تنحنى ولا تلين ، ولا تزايل القلب المؤمن فى أحرج اللحظات ، ما بقيت فيه حياة هذا التكريم يسجله القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

ولقد أدرك المسلمون قيمتهم عند الله ، ومنزلتهم الرفيعة من بين مخلوقاته ، فبذلوا أكرم ما يكون البذل ، وأعطوا أكرم ما يكون العطاء ، مؤمنين بأن الحق قيمة بذاته ، وان الولاء الكامل له والتضحية فى سبيله هما اللتان يعطيان للانسان قيمته وللحياة معناها - وفى تاريخنا الاسلامى نماذج مشرفة لقيمة التضحية من أجل الحق ، فى مواجهة تحديات أهل الباطل - هذا هو خباب بن الارت شرح الله صدره للاسلام فى فجر الدعوة ، وجهر به واستمسك بتعاليمه ، ومنذ أن أعلن اسلامه آخذ مكانه العالى بين المعذبين والمضطهدين ، أخذ مكانه العالى بين الذين وقفوا رغم فقرهم وضعفهم يواجهون كبرياء قريش وطغيانها ، أخذ مكانه العالى بين الكادحين المالئين حياتهم بالعمل والعناء ، الذين احتضنهم القرآن ودافع عنهم ، وحياهم أكرم تحية وذلك عندما طلب بعض السادة من قريش أن يجعل لهم رسول الله يوما وللمستضعفين من أمثال خباب وصهيب وبلال يوما آخر ، فاذا القرآن يضمهم تحت لوائه ، وتشرق آياته قائلة للرسول الكريم :

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين : وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم . كتب ربكم على نفسه الرحمة) ..

وبعد هذا الوحى المضىء لم يكن رسول الله يراهم حتى يبالغ فى اكرامهم فيفرش لهم رداءه ويضمهم الى صدره ويقول لهم : أهلا بمن أوصانى بهم ربى .. خباب هذا منذ أن آمن ، والعذاب مسلط عليه ، وهو يزداد بايمانه صلابة وصمودا وكأنه أقسم أن يرى ربه

ورسوله مايحبان من صبر وعزم وتضحية ، وكان من أشد المعذبين له امرأة تسمى أم أنمار ، لقد كان رقيقا عندها قبل أن تعتقه ، جاءت واشتركت فى حملة تعذيبه ، وكانت تأخذ الحديد المحمى الملتهب ، وتضعه فوق رأسه وهو يتلوى من الالم ، لكنه يكظم أنفاسه حتى لا تخرج منه زفرة ترضى غرور الاعداء • ومر به الرسول صلى الله عليه وسلم يوما والحديد المحمى فوق رأسه يلهبه ويشويه ، فامتلا قلبه رحمة به وحنانا عليه ورفع كفيه الى السماء وقال : اللهم انصر خبابا •

ويذكر التاريخ الصادق انه لم يمض على هذا التعذيب ايام حتى يأتى قصاص عادل بتلك المرأة التى قادت ، حملة التعذيب ، لقد أصيبت بداء لم يكن له علاج ، سوى أن يكوى رأسها بالنار ، وهكذا شهد رأسها العنيد ألم الحديد المحمى يصبحه ويمسيه ، وماتت وهى تعذب برضاها ، وسلم الصحابى الجليل وعاش حاملا لواء الاسلام يعلم الناس القرآن ، وكان معلما لفاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر حينما فاجأها أخوها عمر فى بيتها ولم يكن قد أسلم بعد ، وقد عزم على أن يصفى حسابه مع الاسلام والمسلمين ، لكنه لم يكد يمسك الصحيفة التى يعلم من خباب أخته فاطمة وزوجها حتى يقرأ فيها : (**بسم الله الرحمن الرحيم • طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى : الا تذكرة لمن يخشى : تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ، الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى**) يقرأ هذه الايات فيصيح صحيته المباركة : دلونى على محمد ••

وسمع خباب كلمات عمر فصاح : يا عمر والله أنى لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته بالامس يقول : اللهم أيد الاسلام بأحب الرجلين اليك ، أبى الحكم بن هشام ، وعمر بن الخطاب ، وسأله عمر عن فوره : وأين أجد الرسول الان يا خباب ؟ وأجابه : عند الصفا فى دار الارقم ، ومضى عمر ببركة القرآن الى حظه الوافر وسعادته الغامرة • وعز الله به الاسلام •

بهذه الجماعة الصامدة دخل الاسلام معارك طاحنة ضد أعداء الحق والخير والسلام ، ويقف الذين آمنوا تحت راية الحق المطلق يقاتلون فى سبيل الله لاقرار شريعته وتحقيق عدله ، ودفع عدوان المعتدين ، ويقف الذين كفروا تحت راية الباطل المطلق ، يقاتلون فى سبيل الطاغوت لتغليب الباطل على الحق ، والطغيان على العدل وتثبيت العدوان ، يقف المسلمون مستندين الى قوة الله ورعايته ، ويقف الاعداء ووليهم الشيطان ، فأين قوة الشيطان من قوة الله ؟ وأين كيد الشيطان من تدبير الله ؟ (**الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا**)

لقد كان الجيش المؤمن مكونا من أفراد غرست فى قلوبهم عقيدة القتال ، وأشربت حب الجهاد دفاعا عن الارض والشرف والكرامة ، كان هذا الجيش اذا خرج لمعركة يسعى نحو الجنة بنصر عزيز أو استشهاد كريم - فيجد عند ربه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •• والاعداء فى كل زمان ومكان لهم مكرهم وغدرهم ، أنهم يعجزون عن مواجهة الجيش المؤمن الصامد ، فيعمدون الى سلاح آخر لا يرفع فيه سيف ، ولا تطلق فيه طلقة انه سلاح يعمد الى القلوب ليضعف قوتها والى النفوس ليهز ثباتها ، انه سلاح الشائعة ، واختلاق الاخبار الكاذبة والقرآن الكريم علم أتباعه بأن يواجهوا هذا السلاح بالحذر [**يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم**] انها الوصية الاولى للمحاربين ، ان يأخذوا حذرهم من مكايد العدو ، وأن يتنبهوا الى مؤامراته ، وأن يكونوا يقظين لما يثيره من أراجيف ، وسلاح الشائعات ليس جديدا فى هذه الايام ، وحرب الاعصاب ليست من مبتكرات هذا العصر ، انما هى من أساليب الحروب من قديم ، ان العدو يسقط أية جزئية صغيرة من المعلومات ليؤلف منها قصة ، قد تأخذ وسيطة لاشاعة الفوضى أو التثبيط والتخذيل ، ولا يستمع الى الشائعات الاضعاف الايمان ، الذين لا يثبتون امام الشدائد ، ولا يصمدون فى مواجهة الاحداث ، انهم الخفاف الذين يتلقفون كل ما يسمعون ، فيملؤون به الدنيا أقاويل ، من غير أن يكلفوا أنفسهم التثبت من صحتها ، ولا يسألون أنفسهم ماذا وراءها ، ويدلنا القرآن الكريم على المنهج الواجب فى مثل هذه الاحوال ، قال تعالى : (**واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه** الذين يستنبطونه منهم) فعلى من يستمع الى شائعة ألا يرددها بل عليه أن يرفض الاستماع اليها وأن يقاوم المروج لها ، فهو عدو لدينه وعدو لامته ، ان فى قلبه مرضا يؤذيه أن تعلو كلمة الله وتنتصر ارادة الحق (**أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**)

فيأيها المؤمنون بحقهم فى الحياة احرصوا على الموت توهب لكم الحياة ، وسيروا سيرة أبطالكم المجاهدين ، الذين نصروا تاريخنا ببطولاتهم ولقوا ربهم ينعمون بما عنده من نعيم ، والنصر فى النهاية للمؤمنين الذين يضحون من أجل الحق والعقيدة •• وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم ••

المكى والمدنى في القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى

من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم مكث فى مكة — بعد أن شرفه الله تعالى بالرسالة — ثلاث عشرة سنة تقريبا ، ثم هاجر الى المدينة فمكث بها عشر سنين تقريبا ثم انتقل الى الرفيق الاعلى ، فتكون مدة الرسالة ثلاثا وعشرين سنة تقريبا . وقد بينا فيما سبق أن القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة . بل نزل منجما فى مدى الثلاث والعشرين سنة التى هى مدة الرسالة فحينئذ يكون بعض القرآن قد نزل بمكة ، وبعضه قد نزل بالمدينة ، بل ان بعضه قد نزل فى أماكن أخرى كالذى نزل فى بعض أسفاره صلى الله عليه وسلم .

وللعلماء فى تحديد معنى المكى والمدنى ثلاثة مذاهب :

المذهب الاول : أن المكى ما نزل بمكة سواء نزل بمكة نفسها أم نزل فى مكان قريب منها كمنى وعرفات والحديبية لان ما قارب الشيء يعطى حكمه ، وسواء كان نزوله قبل الهجرة أم بعدها ، والمدنى ما نزل بالمدينة . سواء نزل فى المدينة نفسها أم فى مكان قريب منها كبدر وأحد وغيرهما . وعلى هذا المذهب يكون المعتبر فى التقسيم مكان النزول ، وعليه أيضا يكون ما نزل فى غير مكة والمدينة وضواحيهما كالذى نزل فى سفر من الاسفار قسما مستقلا لا يطلق عليه مكى ولا مدنى .

المذهب الثانى : أن المكى ما نزل فى شأن أهل مكة سواء نزل فى مكة نفسها أم فى مكان قريب منها أم نزل فى المدينة نفسها أم فى سفر وسواء نزل قبل الهجرة أم بعدها ، والمدنى ما لم ينزل فى شأن المكيين ومن على شاكلتهم من عبدة الاصنام . وعلى هذا المذهب يكون المعتبر فى التقسيم المخاطبين .

المذهب الثالث : وهو أشهر المذاهب وأضبطها .
ان المكى ما نزل قبل الهجرة سواء فى مكة نفسها أم فى ناحية قريبة منها أو بعيدة عنها . والمدنى ما نزل بعد الهجرة سواء نزل بالمدينة أم بغيرها وان كانت مكة أو ما جاورها أم نزل فى سفر من الاسفار . وعلى هذا المذهب يكون المعتبر فى التقسيم زمن النزول . وهاك أمثلة توضح لك هذه المذاهب :

١ — سورة الانبياء : مكية على جميع المذاهب . أما على المذهبين الاول والثالث فلانها نزلت بمكة قبل الهجرة ، واما على المذهب الثانى فلانها تضمنت بيان موقف أهل مكة من الدعوة المحمدية ، واصرارهم على الكفر والعناد ، مع وضوح الادلة الدالة على صدق هذه الدعوة ، وعلى حقية كل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى .

٢ — قوله تعالى فى سورة الزخرف « **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون** » فهذه الاية على المذهب الاول ليست مكية لانها لم تنزل فى مكة ولا فى ضاحية من ضواحيها ، وليست مدنية لانها لم تنزل فى المدينة ولا فى ضاحية من ضواحيها بل نزلت ليلة الاسراء ببيت المقدس . وقد سبق فى تقرير هذا المذهب أن ما نزل فى سفر لا يطلق عليه مكى ولا مدنى بل هو قسم مستقل بنفسه . وأما على المذهب الثانى فهى مكية لانها بينت أن الله تعالى لم يبح فى شريعة من الشرائع السابقة عبادة غيره من الاوثان ، ففيها تقريع لاهل مكة على عبادتهم هذه الاوثان التى لم يأذن الله بها على لسان أى رسول واما على المذهب الثالث فهى مكية أيضا لانها نزلت قبل الهجرة

٣ — قوله تعالى فى سورة التوبة « **لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة** » الاية . فهى على المذهب الاول ليست مكية ولامدنية لانها نزلت فى تبوك ، وعلى المذهب الثانى مدنية لانها لم تنزل فى شأن المكيين وكذلك هى مدنية على المذهب الثالث لنزولها بعد الهجرة .

٤ — سورة النصر : « **اذا جاء نصر الله والفتح** » السورة ، فهذه السورة مكية على المذهب الاول لانها نزلت بمكة عام الفتح ، او نزلت بمنى عام حجة الوداع على اختلاف الروايات وهى مدنية على المذهبين الثانى والثالث لانها على المذهب الثانى لم تنزل فى شأن أهل مكة وعلى المذهب الثالث نزلت بعد الهجرة .

٥ — سورة التوبة : مدنية على جميع المذاهب . أما على المذهب الاول والثالث فلانها نزلت بالمدينة بعد الهجرة ، واما على المذهب الثانى فلانها لم تنزل فى شأن أهل مكة بل نزلت فى شأن المنافقين فى المدينة وكشف أستارهم وابراز ما أضمروه فى قلوبهم من كفر وحسد . وقس ما لم أذكره على ما ذكرته والله ولى التوفيق .

طريقة معرفة المكى والمدنى

لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بيان ذلك شيء ، ولم يثبت أنه أخبر بأن هذه السورة مكية ، وتلك مدنية ، وانما لم يفعل ذلك لانه لم يؤمر به ولم يجعل الله تعالى معرفة ذلك من فرائض الدين التى يلزم المكلف علمها ويضره الجهل بها ولان الصحابة كانوا فى غنى عن هذا البيان . لانهم شاهدوا الوحى والتنزيل ، وحضروا مكانه وزمانه . ووقفوا على أسباب النزول ومقتضياته ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه « **والله الذى لا اله الا هو ما نزلت سورة من كتاب الله تعالى الا وأنا أعلم أين نزلت ولا نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيما نزلت ولو أعلم أن أحدا**

أعلم منى بكتاب الله تعالى تبلغه الابل لركبت اليه »
وقال أيوب : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال : « **نزلت فى سفح ذلك الجبل** » وأشار الى سلع ، اذا يكون السبيل الوحيد الموصل لمعرفة المكى والمدنى هو النقل الصحيح عن الصحابة والتابعين .

علامات المكى والمدنى

وضع العلماء علامات وامارات يعرف بها المكى والمدنى وبها يتميز كل منهما عن الاخر

علامات المكى :

١ ـ وجود لفظ « كلا » فى السورة . فكل سورة فيها هذا اللفظ فهى مكية وقد ذكر هذا اللفظ فى القرآن ثلاثا وثلاثين مرة . فى خمس عشرة سورة . كلها فى النصف الاخير من القرآن الكريم قال بعضهم : **ومانزلت كلا بيثرب فاعلمن**

ولم تأت فى القرآن فى نصفه الاعلى .

٢ ـ وجود آية سجدة فى السورة . فكل سورة فيها آية سجدة فهى مكية .

٣ ـ افتتاح السورة بحروف التهجى مثل : الم ، الر ، طسم ، حم ، ق ، ن ، فكل سورة افتتحت بحروف التهجى فهى مكية الا سورتين اثنتين ، البقرة وآل عمران . فهما مدنيتان بالاجماع مع كونهما مفتتحتين بحروف التهجى .

٤ ـ ذكر قصة آدم وابليس فى السورة . فكل سورة ذكرت فيها قصة آدم وابليس فهى مكية الا سورة البقرة فهى مدنية مع ذكر هذه القصة فيها .

٥ ـ ذكر لفظ يا بنى آدم فى السورة . فكل سورة فيها هذا اللفظ فهى مكية

٦ ـ اشتمال السورة على ذكر أنباء الرسل ، وأحوال الامم السابقة . لما فيها من أبلغ المواعظ وأنفع العبر ومن تقرير سنته تعالى فى كونه . وهى اهلاك الامم المكذبة لرسلها . الخارجة على أوامر ربها . ونصر من صدق رسل الله . ووقف عند حدوده وعمل بشرائعه فكل سورة تضمنت ما ذكر فهى مكية الا سورة البقرة فهى مع اشتمالها على ذكر قصص بعض الرسل ـ مدنية .

وهذه العلامات الست مطردة فاذا تحقق أحدها فى سورة . كانت هذه السور مكية .

٧ ـ اشتمال السورة على آية مصدرة بلفظ « **يا أيها الناس** » فذكر الاية التى صدرت بهذا اللفظ فى سورة ما علامة على أن هذه السورة مكية قال بعض الافاضل : والسبب فى ذلك ان الكفر كان غالبا فى أهل مكة . فخوطبوا بيا أيها الناس . وان كان غيرهم داخلا فيهم . وهذه العلامة غير مطردة . اذ قد توجد الاية المصدرة بهذا اللفظ فى سورة مدنية كقوله تعالى فى سورة البقرة . وهى مدنية اتفاقا « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم** » الاية ، وقوله تعالى فى صدر سورة النساء وهى مدنية ايضا « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من من نفس واحدة** » الاية فهذه العلامة أغلبية فقط بمعنى أن الاغلب والاكثر ان لفظ يا أيها الناس يكون فى السور المكية وقد يكون فى السور المدنية ايضا ولكنه قليل وقد عد بعض الفضلاء الايات التى صدرت بيا أيها الناس وهى فى سور مدنية فأوصلها الى ثمان آيات .

١ ـ « **يا أيها الناس اعبدوا ربكم** » ٢ ـ « **يأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا** » وكلتاهما فى البقرة ٣ ـ « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم** »

٤ ـ « **ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين** »

٥ ـ **يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** »

٦ ـ **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم** » .

والاربعه فى سورة النساء .

٧ ـ **يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم** » . أول الحج

٨ ـ « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** » **بالحجرات**

العلامة الثامنة :قصر الايات .فقصر آيات السورة أمارة على كونها مكية . وعلل بعضهم ذلك بأن أهل مكة كانوا أهل فصاحة ولسن . فيناسبهم الايجاز دون الاطناب .

وهذه العلامة أغلبية ايضا اذ قد يوجد قصر الايات المدنية ، . كسورة النصر . فان آياتها قصيرة مع كونها مدنية .

العلامة التاسعة : عناية آى السورة بالدعوى الى المقصد الاسمى من الدين وهو الايمان بالله ، وتوحيده . والاعتقاد بأنه تعالى موصوف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ، والايمان برسالة النبى صلى الله عليه وسلم وبرسالة من سبقه من الرسل . والايمان بملائكة الله تعالى وكتبه وباليوم الاخر وما فيه من بعث ونشور . وحساب وجزاء . ونعيم وعذاب . مع اثبات ذلك كله بادلة الكون ، وبراهين العقل ثم النعى على المشركين وابطال شبههم ، وتفنيد مزاعمهم ، وتسفيه أحلامهم . بعكوفهم على عبادة أصنام لاتملك لانفسها فضلا عن غيرها نفعا ولا ضرا . فكل سورة هذا شأن آياتها فهى مكية .

العلامة العاشرة : تحدث آى السورة عن مثالب المشركين البغيضة ، وعاداتهم المنكرة . من القتل بغير حق ، ووأد البنات ، واستباحة الاعراض ، وأكل أموال اليتامى ظلما . واكل الربا ، وشرب الخمر ، الى غير ذلك من الموبقات مع تحذيرهم منها ووعيدهم على ارتكابها . فكل سورة هذا شأن آياتها فهى مكية .

العلامة الحادية عشرة : تضمن آيات السور حث العرب على التحلى بأصول الفضائل وأمهات المكارم من الصدق فى الحديث ، والصبر على المكاره ، والامانة ، والعدل وحسن المعاملة ، ورعاية الجوار ، والوفاء بالعهد ، وبر الوالدين ، والتواضع ، ولين الجانب ، والعفة ، والعلم ، والاخلاص ، ومحبة الغير ، وطهارة القلوب . ونظافة الالسنة ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر الى غير ذلك من الفضائل فكل سورة تضمنت آياتها ما ذكر أو شيئا منه فهى مكية ، وهذه العلامة واللتان قبلها بحسب الغالب ايضا . اذ قد توجد آيات فى سورة مدنية مشتملة على ما شرحناه فى العلامات الثلاث . والله أعلم .

من قصص السنة النبوية

أفلح إن صدق

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

أركان الاسلام الخمسة هي دعائم هذا الدين ، من أداها وتطوع عليها فقد أطاع الله فيما افترض وادخر في صحائفه ما يرفعه درجات في الجنة ومن لايتطوع فهو أيضا من المفلحين ولكن درجته ليست كدرجة من زاد بالتطوع . والحديث الاتى يوضح لنا ذلك في الحوار الذى دار بين الرسول والاعرابى النجدى : عن طلحة بن عبيد الله (أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس ، فقال : يا رسول الله أخبرنى ما فرض الله على من الصلاة قال : « الصلوات الخمس ، الا أن تطوع شيئا » قال : أخبرنى ما فرض الله على من الصيام قال : «شهر رمضان الا أن تطوع شيئا» قال : أخبرنى ما فرض الله على من الزكاة ؟ قال : أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام كلها فقال : والذى أكرمك ، لا أطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله على شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح ان صدق ، أو دخل الجنة ان صدق » !

في هذا الحديث الشريف قصة كريمة اتضحت بها معالم الدين الحنيف ذلك ان الحوار الذى دار بين هذا الرجل وبين النبى صلى الله عليه وسلم اتضح من خلاله ان هذه الاعمال منجية من عذاب النار ومن المعلوم ان هنـاك مأمورات ومنهيات لم تذكـر في الحديث ولكن لو تفحصنا مضمون كل عبادة من هذه العبادات التى تشكل أركان الاسلام لوجدنا انها بدورها توثق صلة المؤمن بكثير من الفضائل وتنأى به عن كثير من الرذائل والمنهيات فمثلا الصلاة لها دورها في النهى عن الفحشاء والمنكر وفى تطهير العبد من أدرانه .

قال الله تعالى : «أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا .

وكذلك لو نظرنا الى الزكاة وجدنا ان فيها تطهيرا لنفس المزكى ولنفس الفقير وللمال الذى تخرج منه الزكاة فيتعود المزكى نبل التضحية بالمال ويذهب ما في صدر النقير وينمو المـال ويزداد بركة يقـول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الفلسفة القـرآنية) فـي فصـل الفـرائض والعبادات : (والزكاة مصلحة للجماعة لانها تقيم دعائم التعاون بين المجدودين والمحرومين ، وتعالج مشكلة الفقر والحاجة علاجا يقوم على التعـاطف والولاء بين من يعول ومن يعال) .

وهى الى هذا رياضة للنفس يأخذ منها الواهب كما يأخذ الموهوب . لانها تعـودها نبل التضحية بالمال العزيز على النفوس: وتعلمها مغالبة الحرص، وحب البذل والايثـار : وتلقى في روعها أنهـا مسئولة عن غيرها فيما تكسبه بسعيها وتدبيرها ، فتشعر بتكافل الجماعة شعورا يخرجها من ضيق الاثرة والانفراد كما يتحدث عن الصيام فيقول الصيام في مظهره الاجتماعى يعطينا مظهر أسرة عظيمة من مئات الملاين تنتشر في جـوانب الارض وتقتـرن شعائرها الدينية كل يوم بأحسن مما يحس الانسان في معيشته اليومية وهو أمر الطعام والشراب ومتع الاجسـاد . ملايين من الناس في جوانب الارض يطعمون على نظام واحد ويمسكون عن الطعام على نظام واحد : ويستقبلون ربهم على نظام واحد . وقلما انتظمت أسرة بين جدران بيت على مثـل هذا النظام .

ولاشك أن الصيام يهدف الى تقوى الله سبحانه كما قال تعالى : «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . كما تم له بقية شرائع الاسلام بما فيها الحج وقد كان من هذا الاعرابى انه تلقف هذه المبادىء السامية معترفا أن يقوم بها خير قيام دون أن يتطوع شيئا عليها فبين له النبى صلى الله عليه وسلم أنه ان صان هذه التعاليم وقام بتلك المبادىء فانه من المفلحين ان كان صادقا على ما اعتزمه مصداقا لقول اللـه تعالى : «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صـلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذينهم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هـم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

والذى يتصفح أركان الاسلام الخمسة يجد أنها تضمنت الفضائل جملة ودعت اليـها وأنها تنـأى بالجماعة الاسلامية عن كل رذيلة وشر لهـذا بين الرسول أن الفلاح مرتبط بأداء هذه الفرائض وان نتيجتها الجنة حتى وان لم يتطوع العبد وليس ذلك تساهلا في أمر النوافل وانما هو ترغيب للاقبال على ساحة الايمان والانضواء تحت لواء المثوبة والمرحمة ولا شـك أن من ينتظم في صفوف المفلحين مؤديا لشعائر الاسلام لا شك أنها ستجتذبه الى سـائر الفضائل والنوافل حتى ينغمس في روحانيـة هذا الدين فيستشعر حلاوة الايمان .

جريمة السرقة
وموقف الإسلام منها

قال الله تعالى : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم . ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير) ..

ان الاسلام فى دعوته العامة التى حملتها أوامره ونواهيه كما نطق به القرآن ، لم يكن مجرد دعوة تهتف بالناس جميعا ، ليوسع دائرة اختصاصه ، وليمد فى قطر دائرته ، وانما كان الى جانب هذه الدعوة يحمل كل أسباب الحياة المادية والروحية لكل من تبلغ أسماعهم دعوة الاسلام .. فهى فى أى مكان وفى أى زمان .

والجدل فى مجال عرض المبادىء الانسانية التى جاء بها الاسلام ، ومقايستها الى الشرائع السماوية أو الوضعية — قد تشتد فيه معارك الكلام ، ويحتدم الصراع — فتغرق الحقيقة فى دخان هذا الصراع وتضيع معالمها فى غبار هذا العراك .

ونحن لانستعرض هنا مقولات الخصوم وماتحمل من بهتان ووزر — فلها مكانها من هذا البحث ...

وانما الذى نقدمه شاهدا للاسلام بسلامة مبادئه واستقامتها مع طبيعة الحياة وتقلب المجتمعات البشرية فيها وتنقلهم معها جيلا بعد جيل — الذى نقدمه شاهدا لهذا — هو التطبيق العملى للاسلام ومبادئه ؟ وما كان لهذه المبادىء من آثار فى الحياة الانسانية — المادية والروحية على السواء .

الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

نزل القرآن الى الحياة الدنيا ، فتخير أجدب بقعة فيها ، ونزل بين جماعات ضائعة ضالة فى غياهب الصحراء ، وفى بطون أوديتها وجبالها ... قد ركبتهم طباع تنضح بالشر ، وترمى به كل من يتصل بها من قريب أو بعيد .. فلا يلقى الانسان انسانا بمودة ، ولا يمد اليه يدا موادعة مسالمة ، وانما هو البغى والعدوان وهو الصراع بالمخالب والانياب ، لتنجلى المعركة عن قاتل أو مقتول .. فمن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب .. ولقد تخير القرآن هذا الموطن بالذات ليبدأ منه رحلته الطويلة مع الحياة .

هذا أول شاهد يشهد للقرآن بأنه جاء من جهة عليا ، حكيمة ، مدبرة .. وأنه وضع اقدامه على اول الطريق الصحيح لاصلاح الحياة وعمرانها — حين بدأ بالجدب والقفر منها ، فأخرج منه جنات تفيض بالخير والثمر ..

ان الغيث لايعرف فضله ، ولا تشاهد آثاره الا فى مواطن القفر والجدب ، حين تستقبله هذه المواطن ، فتحيا به ، وتتحرك فى احشائها أجنة النبات ، ثم تشقشق عنها ، فاذا هى زروع ناضرة ، وازاهير متفتحة ، وثمرات دانية القطوف ، مختلفة الطعوم .. وليس كهذه الشهادة شهادة تنطق بفضل الغيث وتحدث عن آثاره ، قال تعالى **(فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها)** . وقال سبحانه **(وترى الارض هامدة ، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)** ..

وهكذا كان صنع القرآن فى قلوب المؤمنين العاملين به ، ولا يستطيع مكابر مهما لج به العناد أن ينكر هذا الاثر ، وذلك التأثير ، فى نفوس الصادقين من المسلمين ..

فاذا انتقلنا من هذه النظرة العامة الى نظرة خاصة لهذا النص الذى سقناه فى أول الحديث ، فاننا بقليل من التأمل ندرك ما له من قيمة فى الصياغة التشريعية ، فقد نص على الجريمة والمجرم بلفظ واحد — هو السارق .. ونص كذلك على العقوبة وحجمها ووجوب تنفيذها وفلسفتها **(فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)** .. ونص كذلك على مصدر التشريع ، وسلطة المشرع القائمة على أساس العدل ، والحكمة ، والتصرف **(من الله والله عزيز حكيم)** ..

ومن بعد ذلك فقد رسم للآثم طريقا جديدة ، يسلكها فى حياة جديدة ، لايعوق سيره عقاب موقع عليه .. ولكنه نهوض به من عثرة تردى فيها الى مجال فسيح — الرحمة فيه والمغفرة — تتسعان لكل من أصلح فساد عمله واستقام سلوكه **(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم)** .

وأخيرا فقد احتوى النص الكريم براهين قاطعة، دامغة، مؤكدة لصحة ماتقرر فى الايتين السابقتين **(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، والله على كل شىء قدير)** .. وهذه النصوص الحية من آخر مانزل - فهى محكمة - لامجال لاحد أن يقول فيها غير ذلك .

والقرآن من قبل هذا كتاب تربية وتعليم ، كتاب بناء للاخلاق ، وتقويم للسلوك ، وليست غايته ضبط المجرم متلبسا بجرمه .. وانما مقصده الاسمى تقويم المجرمين ، وصدهم عن السبيل المعوجة والمنحرفة ، بما يلقى فى قلوبهم من هداية وما يشيع فى ضمائرهم من يقظة وصحو .

ذلك هو مقصد القرآن الاول فيما يشرع من شرائع ، وفيما يرصد من عقاب .. ثم يجىء بعد هذا دور التكيف للجرائم التى تقع ، ووزنها بميزان مستقيم عادل ، ليحسب لها الجزاء المستقيم العادل . ومن المعلوم أن للنص القرآنى مذكرة تفسيرية توضح ماتضمنه من معان .. تلك هى السنة الصحيحة .

وحول هذين المصدرين وما يحويان من كنوز يستنبط المجتهدون أحكامهم فيما يجد من قضايا . والتقصير أو التعمد فى جهل هذه المبادىء وأمثالها - قد جر الكثيرين الباحثين من علماء الغرب ، فى الطعن على تراثنا الاسلامى . يقول «جرونيباوم» : (فالنبى يصور قواعد السلوك الصائب بمنتهى الوضوح ، ولكن بغير الطريقة التى ترضى المشرع . ثم ان أدب الحكمة كان يزود الناس بمدخرات أخاذة من الحكم الخلقية المأثورة) .

والبغى يصرع أهلـه ..
والظلم مرتعـه وخيم ..

ولكن النبى لم يكن ليجد أى مرجع ينهل منه عندما تقضى عليه الظروف بتعريف الظلم ، أو تعيين الطريقة التى ينبغى أن يتبعها القانون فى المنازعات المدنية .. أ هـ

والمغالطات هنا واضحة مفضوحة .. فلما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الظلم فى قوله تعالى : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم)** .. فسره بالشرك ، استدلالا بقوله تعالى ، **(ان الشرك لظلم عظيم)** .. ويمكن تحديد كلمة الظلم حسب موقعها - فالسرقة ظلم كما صرحت الاية **(فمن تاب من بعد ظلمه)** ..

وقد علم صلوات الله عليه وسلامه أصحابه كيف يقضون بين الناس . فلما بعث معاذا الى اليمن قال له : (بم تقضى ؟ . قال : بكتاب الله . قال : فان لم تجد ؟ . قال : فبسنة رسوله . قال : فان لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى . فضرب النبى على صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ....) . رواه أبو داود .

ولو أن الباحثين تحققوا من هذه المبادىء ، لما تورطوا كما تورط مؤلف حضارة الاسلام . أما الطريقة التى ينبغى أن يتبعها القانون فى المنازعات المدنية ، فان الفقه الاسلامى زاخر بآراء الفقهاء وأفكار المجتهدين .

المناسبة :

والذين ارتفعت مداركهم ، وأرهفت حواسهم - يدركون المناسبة الدقيقة بين آى القرآن وسوره .. وهذه نظرة عامة فى رعاية المناسبة بين الايات والسور .. أما المناسبة بين نص السرقة وماقبلها وفوائد ذلك فنذكرها فيما يأتى :

تناول القرآن من قبل هذه الاية حكم المحاربين وجزاءهم ، ثم ذكر قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون)** .

ثم تحدث عن الكفرة وموقفهم بين يدى خالقهم ، قال تعالى : **(ان الذين كفروا لو أن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه ، ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ، ماتقبل منهم ولهم عذاب أليم . يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ، ولهم عذاب مقيم)** .. ثم تناول حكم السرقة فقال تعالى : **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله)** . فهذا شروع فى الصغرى بعد الكبرى ، واقتضاء الحال لايراد ماتوسط بينهما من المقال .

هذه العبارة التى ذكرها الالوسى عند الحديث عن المناسبة تحتاج للمزيد من التوضيح .. فلما تحدث عن الحرابة وهى السرقة الكبرى وقدمت لاهميتها - شرع فى الحديث عن الصغرى وهى أخذ المال خفية ، والمعروفة بالسرقة باطلاق . وماتوسط بينهما هو مراد لانه لما أمر بعقاب المحاربين ، أمر بالتقوى وابتغاء الوسيلة والجهاد فى سبيل الله ، وهى الاعمال التى يكمل بها الايمان ، وتتهذب بها النفوس حتى تنفر من الحرام شرع فى السرقة جمعا بين الوازع النفسى وهو الايمان والصلاح ، والوازع الخارجى وهو الخوف من العقاب والنكال .

فالاتيان بما توسط بين الحرابة والسرقة ، ليضم الوازع النفسى الى الوازع الخارجى ، حتى تصبح النفس على بصيرة من أمرها .. ولقد ذكر فى الحرابة حكم أخذ المال من غير استحقاق مجاهرة، ثم عاد الى تتميم حكم أخذ المال من غير استحقاق خفية .

ومن أجزية المحاربة - القطع - ثم أعقبه بذكر السرقة - لانها حرابة فى المعنى ، فبينهما جهة جامعة . والى هذا يقول أبو حيان : (لما ذكر جزاء المحاربين ومنه القطع ، ثم أمر بالتقوى لئلا يقع الانسان فى شىء من الحرابة . ثم ذكر حال الكفار ، وأعقبه بحكم السرقة لانها حرابة من حيث المعنى) . أهـ

(البقية ص ٥٥)

المحبة

فى الوجود طريق الخلود

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال:

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس. فقال : «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس» . (رواه ابن ماجه) .

لا يسعد الانسان الا من داخل نفسه ، وسر السعادة التى تتحقق له من الباطن لا يتحقق الا بالاستقرار الروحى والامن الباطنى ،وهما لايتحققان الا بحب الله للمرء وحب الناس له وهما دعامتان قويتان فى سعادته فى الدنيا ووصوله الى هدفه فى الاخرة وذلك كله انما يكون محققا لعزته وكرامته ومن ذا الذى لايطمعفى السعادة فى الدنيا ويشرئب عنقه الى أن يكون راضيا مرضيا عنه فى الاخرة . ان حب الله وحب الناس هما السر الكامن وراء السعادة التى يحرص عليها الناس ويحاولون ادراكها والوصول اليها أن حب الله سبحانه للمرء هو المصدر السليم والمنهل العذب للحصول على رضى الله وثوابه وأفضل ما يتمناه المرء ليتحقق له رضا الله وثوابه ، وما يطمع أحد فى ادراك اكثر من هذا ليكون سعيدا فى الاخرة ، وأما بالنسبة للدنيا فمن ذا الذى لا يحرص على أن لا يكون مهابا محترما من الناس والله اذا أحب عبدا أمر مناديا ينادى : « أن أحبوا فلانا فيحبه الناس » والتعفف دائما عما فى يد الناس سبيل طيب الادراك ذلك فالانسان اذا تفتحت عينيه على ما فى ايدى الناس وطمع فيه حاول بكل الوسائل ان يعتمد على ما يصل اليه عن طريقهم واذا وصل اليه سهلا ميسورا تقلده بسلاح المفلول للكسل والتواكل معتمدا على ما يأخذ منهم وهذا اهدار للدين فان الاسلام يوجه الناس الى العمل الجاد والكفاح المستمر وانه ليبغض فى البطالة والكسل انه دين الايجابية الصادقة والحركة الدائبة ولذا فقد كره الرسول أن يعتمد الرجل على سؤال غيره ليعيش على نفقته أو على ما أخذه من يده فهيأ له أمر العمل ووجهه اليه حتى يجد سبيله الى العمل والبناء وبذا لا يكون عالة على الغير أو كلا عليه وقديما قال الشاعر :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول فى الدنيا على أحد

واعفاف النفس عن سؤال الغير وعدم الاحتياج اليه طريق احترام الناس للشخص وتقديرهم له وارتفاعه فى نظرهم وبذا يشعر بسعادة نفسه التى تظفر بالعزة والكرامة ، والذى لا يحتاج الى الناس يهشون عند لقائه ويبتسمون له . هذا وحب الله للمرء لذة ومتعة وسعادة لان من أحبه الله أحاطه برعايته ولفه بعنايته وكان معه بالتوفيق وأحس بالخير رائدا له .

هذا وليس الزهد فى الدنيا العزوف عنها مطلقا وعدم العناية بشأن النفس وتهذيبها والملبس وجماله والطعام وجودته والمسكن وحسن تنسيقه وروعة تأسيسه ولكنه عدم تملك الدنيا له وسيطرتها عليه وهيمنتها على قلبه ، فلقد حكى أن أحد الصالحين نوى سفرا الى أحد الاماكن بالبصرة ورآه أحد الصيادين وكان يتعلق بأحد الصالحين هناك فحمله السلام اليه فلما ذهب يسأل عن هذا الصالح الزاهد الورع ادخلوه فى قصر فرش بالطنافس وازدهى بالثريات واكتظ بالرياش حتى بهره كثرة ما فيه ثم سأل عن الرجل الصالح فأجيب بالانتظار وظل كذلك

فترة طويلة ثم رآه قادما يركب أجود الجياد واعظمها وقد أحيط بالخدم والحشم فعجب الرجل اذ لم يسمع عنه الا زاهدا ورعا ، فما أن دخل حتى قال له أن فلانا يسلم عليك ، وكان أشد عجبه ان قال له : قل : لصاحبك ازهد فى الدنيا يحبك الله فسأله انا ما رأيت الصياد الا زاهدا ثم انه فقير وهو يعطى بعض ما يصيده للفقراء ويبيع الباقى ليتكسب به قوته وقوت أولاده فما أراه الا زاهدا وأخذ يعجب لهذا الترف والبذخ الا أنه اراحـه عنـدما قال له قل لا يستعبدك المال وان قلفان استعبدك فأنت المسرف الذى لميزهد فأما ان جعلت المال لا يستعبدكوجعلته بين يديك تسيره كيف تشاء دون أن يسيرك فأنت الزاهد الذىيحبه الله»ازهد فى الدنيا يحبك الله تجد معانى وضاءة : تدفعك الى أنتكد وأنتجد وأنترضى نفسك بالمال وان تسعد بلذة الانفاق منه فى سبيل الله فتراه لا يزهدك ولا يدعوك الى العـكوف فى المسجد أو الانعزالية عن الناس أو عدم المثابرة بل أنه يحدد لك الفرق بين الزهد وعدمه فان طلبك الدنيا وحرصك عليها من أجل أن تكف نفسك عن المسألة وترتفع عن الذلة وتوسع على الاهل والعيال وتجعل منه وصلة للجار وتحقق لنفسك العـزة والكرامة كان لك عند الله الجزاء الا وفى يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ان أبا هريرة رضى الله تعالى عنه ليروى عنرسول اللهصلى الله عليه وسلم انه يقول: « من طلب الدنيا حلالا استعفافا من المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيـامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر . ومن طلبها حرامـا مفاخرا لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » . وهو معنى الا يستعبدك المال وانما ان يكون المال وتكون الدنيا بين يديك تحركها لنفع النـاس ولا تحركك وتسيطر عليك وانما تجعل ما زاد عننفسك وفاض عن حاجتك لغيرك لتفيد به توسع على بنى جنسك ولا يكون ذلك الا اذا أصر الانسـان على تفضيله عند الله حين يقدم للناس من ماله ما يفيض عليهم ويوسع رزقهم وينتشلهم من وهدة الحـاجة وضيق اليد ، وان رضـا النفس يقصد وجـه الله لتخفيف عن النفس وعن القلب وشغف الانسـان بالمال وحرصه عليه ويجب أن تعرف الحرص على المال اذلال وارهاق ولذا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه أصحابه وهو ينام على الحصير وقد أثر فى جسمه فقالوا له يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء يعنى فراشا . فقال صلى الله عليه وسلم: « مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا الا كراكب اسـتظل تحت شجرة ثـم راح وتركهـا » . وبادراك وصف الانسان فى الحياة يسهل البذل والتعاون مع الغير حتى يكون المال شركة ولا يكون حكرا ومـا عاش

الرسول صلى الله عليه وسلم على حرمان ففى صحيح الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ان تكون لى جبال مكة ذهبا فقلت : لايا رب .أجوع يوما واشبع يوما . ان جعترجوتك ودعوتك وان شبعت حمدتك وشكرتك » . وجمـاع القول فى الزهد الوسطية فى كل شىء فمن أحب دنياه أضر بآخرته وأضر بدنياه .

وكأنى أرى الزهد ممثلا فى ترك الحرام وترك الفضول من الحلال وترك ما يشغل العبد ويصرفه عن أداء حق الخالق على المخلوق فلنتخذ الدنيـا وسيلة وليست غاية ،نتخذها وسيلة الى عيش كريم توفره لنفسك ولاهلك ولمجتمعك الذى تعيش فيـه فتسعد هذا المجتمع وتسعد بهم كلما رأيتهم سعداء ثم تتخذ منها قربة لله جلت قدرته تدرك بها ثواب الاخرة « **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا** »

واذا كان السؤال فى الحديث جاء من رجل يريد عز الدنيا وكرامتها وثواب الاخرة وعظمتها واذا كان الجواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزهد فى الدنيا ليظفر بحب الله فيحس بالسعادة نابعة من ذاتيته وان سعادته فى نفسـه وروحـه وكان الجواب عما يحبب الناس فى المرء مما يعلى قدره ويذكر شأنه ويرفع كرامته بين ذويه وقومه وذلك لا يكون الا حيث يعز نفسه بأن لا يسأل غيره ولا يحرج نفسه مع أحد وذلك انما يكون بأعزاز نفسـه ورفعة شأنه والعزوف عما فى يد الناس « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيـاة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى » .

ولقد قرأت انه قيل : « **استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره** » بمعنى انك كلما تطلعت الى مافى أيدى الناس أو محاولا ان تكون مثلهم جهدت نفسك واجهادك نفسك مزلق من مزالق الشر والسوء والحاجة والذلة » . ان ابا سعيد الخدرى رضى الله عنه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فوجده صلى الله عليه وسلم يقول : « من يتصبر يصبره الله » فوقع ذلك فى نفسه فاستجاب قلبه وحرص على أن يلبى نداء قلبه فاندفع الى الصبر عن طريق التمرن والتدرب وحلف الا يسأل الرسول أمره هذا .

واليكم عملا حميدا وتدريبا عظيما جعل صاحبه يسود لانه عزف عما فى ايدى الناس واحتاج الناس اليه فاعزه الله فى نفسه ورفع شأنه فى قومه ، فقد مر أعرابى على جماعة من البصرة فسألهم من سيد هذه المدينة ؟ فأجابوه بأنه الحسن البصرى . فسألهم بم كانت سيادته ؟ فأجابوه بما يرفع شأن الافراد اذ قالوا انه استغنى عما فى ايدى الناس اليه . فقال الرجل : انه السيد حقا .

قيم الحياة في ميزان القرآن الكريم

الأستاذ محمد شديد

• • •

مقاومة الانحراف والوقوف فى وجه الظلم والفساد ، أو بالتعبير القرآنى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أوضح صفات الامة المسلمة وأبرز خصائصها ، ولقد كان لتربية القرآن الكريم وتوجيهات النبى صلى الله عليه وسلم أعمق الاثر فى ايمان الامة بهذه الفريضة فكرا وسلوكا ودفعها للقيام بحقها فى شتى العصور والبلدان .

• • •

لقد كان العلماء وقادة الرأى وكثير من المسلمين يضحون بحرياتهم ومناصبهم ويخاطرون بأرواحهم فى سبيل القيام بحق هذه الفريضة حتى فى أحلك العصور وأشدها بعدا عن منهج الاسلام فى الحكم .

كان العلماء يمثلون الرأى العام أصدق تمثيل ، يعبرون عن مشاعر الجماهير ورغباتهم ومطالبهم ، ويقاومون الظلم الذى يقع عليهم ، من أجل ذلك كانت الجماهير تعترف لهم بالقيادة وتدين لهم بالحب والولاء ، لانها ترى فيهم القدوة الصالحة والاسوة الحسنة فى البذل والتضحية .

بعد موت صلاح الدين الايوبى اختلف خلفاؤه من بعده،وقويت الامارات الباقية من فلول الصليبيين نتيجة لذلك الخلاف ، وبلغ الصراع مداه بين الصالح اسماعيل سلطان الشام ، وبين أخيه نجم الدين أيوب سلطان مصر ، وحالف الصالح اسماعيل الصليبيين وأعطاهم بيت المقدس وطبرية وعسقلان ووعدهم بجزء من مصر اذا هم أعانوه على سلطانها نجم الدين أيوب .

وسمح الصالح اسماعيل للصليبيين بدخول دمشق وترك لهم حرية الحركة فيها وشراء السلاح من أهلها ، وكان عز الدين بن عبد السلام حينذاك خطيب المسجد الاموى ومفتى دمشق ، فهاجم السلطان فى خطبه من فوق المسجد الاموى هجوما عنيفا وقطع الدعاء له فى خطب الجمعة ، وأفتى بتحريم بيع السلاح للصليبيين او التعاون معهم،وكانت خطبه ودروسه وفتاويه كلها مهاجمة للسلطان وأعوانه وحثا على الجهاد وقتال الصليبيين ، واتهم بالخيانة كل متعاون مع العدو الدخيل .

وغضب السلطان وعزل عزالدين من امامة المسجد الاموى ومنعه من الفتوى ومن الاتصال بالناس واعتقله فى بيته،فقرر عز الدين الهجرة من دمشق الى مصر ليواصل فيها جهاده ، وخرج منها عام ٦٣٨ هجرية ، فثار المسلمون فى دمشق لخروج الشيخ ، فبعث اليه السلطان أحد وزرائه فلحق به فى نابلس وطلب منه العودة الى دمشق وقال له : بينك وبين أن تعود الى مناصبك والى ما كنت فيه وزيادة أن تنكسر للسلطان وتعتذر اليه وتقبل يده .

فقال له عز الدين : والله يا مسكين ما أرضى أن يقبل السلطان يدى فضلا عن أن أقبل يده ... يا

قوم، أنتم فى واد وأنا فى واد ٠٠ الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به ٠

فقال له الوزير : قد أمرنى السلطان بذلك ، فاما أن تقبله والا اعتقلتك ٠

فقال : افعلوا ما بدا لكم ٠

واعتقل عز الدين فى نابلس وبقى فى معتقله حتى جاءت جنود مصر وخلصته من الاعتقال وعادت به الى القاهرة ليواصل فيها جهاده ضد الصليبيين ثم التتار من بعد ٠

وذهبت الدولة الايوبية وجاءت دولة المماليك ، وكان الظاهر بيبرس أحد سلاطينها فى مصر والشام وكان تحت ضغط حرب التتار يبالغ فى فرض الضرائب ، فكتب اليه الامام محيى الدين النووى كتابا من دمشق يقول فيه :

« ٠٠ ان أهل الشام فى هذه السنة فى ضيق وضعف حال بسبب قلة الامطار وغلاء الاسعار وقلة الغلات والنبات وهلاك المواشى ، وأنتم تعلمون انه تجب الشفقة على الرعية ، ونصيحة ولى الامر واجبة ، وهى فى مصلحته ومصلحتهم ، فان الدين النصيحة » ٠

فغضب الظاهر بيبرس وكتب اليه متوعدا ، فأجابه الشيخ مؤكدا له قوله ونصيحته ، ومبينا له أن نصيحة ولى الامر فريضة وميثاق أخذه الله تعالى على العلماء ، ثم قال فى رده على تهديد السلطان :

« ٠٠ أما أنا فى نفسى فلا يضرنى التهديد ولا يمنعنى من نصيحة السلطان ، فهو واجب على وعلى غيرى ، وأفوض أمرى الى الله ، ان الله بصير بالعباد ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق حيثما كنا ، وألا نخاف فى الله لومة لائم ، ونحن نحب السلطان وما ينفعه فى آخرته ودنياه » ٠

ثم حضر السلطان الى دمشق وجمع العلماء وطلب منهم فتوى بفرض الضرائب وجمع الاموال من الشعب لحرب التتار ، والمعروف أنه اذا دهم المسلمين عدو مغير ، أصبح الجهاد فرضا بالنفس والمال ، وأصبح من حق الحاكم أن يأخذ من أموال الشعب ما يمكنه من قتال العدو ، والامام النووى يعلم ذلك تمام العلم ، ولكنه عز عليه أن يتحمل الشعب وحده هذه الضرائب ، ويبقى الامراء المماليك ـ وهم أغنياء ـ فى أموالهم لا تمس ولا يؤخذ منها شىء ، فرد على السلطان هذا الرد العنيف فقال :

« أنا أعرف أنك كنت فى الرق للامير بندقدار ، وليس لك مال ، ثم من الله عليك وجعلك ملكا ، وسمعت أن عندك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائة جارية لكل جارية حق من الحلى ، فان أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف ، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى ، أفتيك بأخذ الاموال من الرعية » ٠

فغضب الظاهر غضبا شديدا وقال له : اخرج من بلدى ٠٠ فقال الشيخ : السمع والطاعة ، وخرج محيى الدين الى نوى بالشام ، فقال الناس للظاهر بيبرس : ان هذا الشيخ من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به ، فأعده الى دمشق ٠٠ واضطر السلطان تحت ضغط الرأى العام الى أن يبعث اليه يطلب منه العودة الى دمشق ، ولكن الشيخ رفض العودة وقال : لا أدخلها والظاهر بها ٠٠ ولم يدخلها الا بعد أن مات الظاهر بعد شهر ٠

ولما كان العلماء هم الذين يمثلون المقاومة الشعبية ويقومون بحق فريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى شتى عصور التاريخ الاسلامى ، وكانت لهم مواقف خالدة على مر العصور ، كان لابد من القاء بعض الاضواء على بعض تلك المواقف ٠

هناك ظاهرة واضحة فى حياة العلماء العاملين فى العصور الاولى للاسلام ، هى أنهم كانوا يرفضون مناصب الدولة ولا يقبلون صلات أو أموال الخلفاء والحكام، وكانت لهم حرف يعملون فيها ويأكلون منها بجوار نشاطهم العلمى ، فلم يتخذوا من العلم والفتوى والتأليف وسيلة لكسب المال ولم يجعلوا من الدين حرفة يعيشون منها ٠

لماذا ؟ !

لان الاسلام لا يعرف طبقة رجال الدين بمفهومها فى المجتمعات الاخرى ، فليس هناك ـ فى الاسلام ـ واسطة بين العبد وربه ، ولا حق لاحد فى احتكار النصوص أو تفسيرها ، وليس هناك اعتراف بين أيدى رجال الدين يكفر الخطايا ويغفر الذنوب ، وفرائض الاسلام ليست طقوسا وألغازا يحتكرها محترفون ، ولكنها عبارات مفهومة الحكمة والنصوص ، والعلم بها وفهمها فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وبيوت الله ليس لاحد فيها سلطان ، « **وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا** » . ودين الله واضح ميسر يستطيع أى انسان فى المجتمع الاسلامى بجهده وعلمه أن يصل الى أرفع مكانة علمية سواء كان عاملا أو فلاحا أو مهندسا أو طبيبا أو تاجرا ، دفعا للاحتراف والاكل بالدين ٠

هذه واحدة ٠٠٠ والثانية أن العلماء وقادة الرأى فى الامة وجدوا فى قبول مناصب الدولة وأموال الخلفاء والحكام ما يحول بينهم وبين القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومقاومة الانحراف والظلم والفساد ٠

والثالثة أن بعض هؤلاء الائمة والعلماء كانوا يرون أن الخلفاء والحكام قد انحرفوا قليلا أو كثيرا عن المنهج الاسلامى فى الحكم ، وأن التعاون معهم تعاون على الانحراف والعمل لهم لا يجوز لانه معصية ، وأن أموالهم لا تحل لهم لانها أموال مغصوبة ، فكانوا يردون أموال الخلفاء ويقول أحدهم لرسول الخليفة : **قل لمولاك أن يضعها من حيث أخذها ، ففيها حق اليتيم والارملة والفقير والمسكين .**

لذلك نرى كثيرا من هؤلاء الائمة والعلماء قد فطموا أنفسهم عن مناصب الدولة ، واحتفظوا لانفسهم بحرية الكلمة ، واحترفوا أعمالا يعيشون منها .

هناك أئمة نقرأ لهم ونمر بأسمائهم فلا نتوقف عندها مثل الخصاف والكرابيسى والقفال والجصاص ونظن هذه الاسماء القابا فى حين أنهم نسبوا الى الحرف التى كانوا يحترفونها . فالامام الخصاف : أحمد بن عمر كان عالما جليلا يضع كتبه العظيمة وهو يعمل فى خصف النعال . والكرابيسى كانت مهنته بيع الثياب الخام . والامام القفال كانت مهنته صنع الاقفال ، وكان يرى فى مجالس العلم والفتوى وآثار حرفته ظاهرة على يديه ، وأما الامام الجصاص فكان شيخ زمانه وهو يعمل فى الجص.

أولئك رجال ارتفعوا بقيمة العمل مهما كانت مظاهره فى أعين الناس ، لم يرتفعوا بقيمة العمل نظريا بالدعوة والوعظ ، انما ارتفعوا بها عمليا بالممارسة فى واقع الحياة ، وقدموا للدنيا عمليا رأى الاسلام فى العمل،وقدموا البرهان الواقعى على أنه ليس هناك عمل رفيع وعمل خسيس. أو عمل للخاصة وعمل للعامة ،انما هناك انسان رفيع بايمانه وخلقه وعمله وتحريه الحلال ، مهما كان نوع العمل الذى يؤديه ، وهناك انسان خسيس بنفاقه وسوء خلقه وتعطله وأكله أموال الناس بالباطل،مهما تربع على أرفع المناصب وحمل أكبر الالقاب .

لقد كان الخلفاء والحكام يتقربون الى أولئك الائمة والعلماء ويتمنون رضاهم ويبعثون اليهم بالصلات التى كانت تبلغ آلاف الدنانير فلا يقبلونها ، ويعرض على أحدهم المنصب العظيم فى الدولة فيرفض حتى لا يتحكم فى رأيه مخلوق ، وحتى يستطيع أن يقوم بفريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكانت الفتوى أو الكلمة من أحدهم تهز العروش وتزلزل الخلفاء وهو مع ذلك يعمل فى خصف النعال أو صناعة الاقفال .

والامام أبو حنيفة : النعمان بن ثابت ، مثل واضح لاولئك الائمة والعلماء ، وهو مع كونه اماما من أعظم أئمة التشريع الاسلامى وصاحب مذهب يتبعه معظم المسلمين ، أو هو الامام الاعظم كما يلقبه العلماء ، وقد عم علمه وفقهه وفتاويه وآراؤه العالم الاسلامى ، وكان صاحب مدرسة أنجبت عددا ضخما من الائمة والعلماء ، وكان العلم والتعليم هدفه الاول طوال حياته،وعلى الرغم من ذلك فلم يكن العلم له حرفة يعيش منها ، فقد كان تاجرا صاحب تجارة واسعة يديرها ويعمل فيها وينفق منها على تلاميذه المحتاجين الذين فرغوا أنفسهم لطلب العلم ، ولم يثبت قط أن أبا حنيفة كان له راتب من بيت المال ، أو قبل أجرا من أحد على نشاطه العلمى ، أو قبل مالا من الدولة أو صلة من خليفة أو حاكم طوال نشاطه الواسع العظيم فى مجال التعليم والفتوى .

فى عهد بنى أمية لما قويت الدعوة العباسية وأحس الامويون بالخطر على دولتهم ، وبالارض تميد من تحت أقدامهم ، حاولوا أن يسندوا الدولة بكبار العلماء ليجعلوا لها سندا شعبيا ، فبعث عامل بنى أمية : ابن هبيرة بأمر الخليفة الى أئمة فقهاء العراق : ابن أبى ليلى وابن شبرمة وداود بن هند، فولى كل واحد منهم عملا من أعمال الدولة.ثم بعث الى أبى حنيفة وعرض عليه منصب صاحب الختم ، وهو من أعظم مناصب الدولة ، فلا يتم أمر فى الدولة الا باذنه ، ولا يصرف مال الا بأمره ، فرفض أبو حنيفة ، فحلف ابن هبيرة فأصر على الرفض فاقسم ابن هبيرة ليضربنه ان لم يقبل ، فأصر أبو حنيفة على موقفه ... فأخذ الفقهاء يلحون عليه أن يقبل ويقولون له : انا ننشدك الله ألا تهلك نفسك .. وانا اخوانك وكلنا كاره لهذا الامر ولم نجد بدا من القبول .

فقال لهم أبو حنيفة : لو أرادنى أن أعد له أبواب المسجد لم أقبل ، فكيف وهو يريد منى أن أكون مسئولا عن سفك دماء الناس وانفاق أموالهم بالباطل .. والله لا أدخل فى ذلك أبدا .

فقبض عليه الوالى وأدخله السجن وأمر بتعذيبه ، واستمر تعذيبه فى السجن حتى أشرف على الهلاك وهو صابر محتسب مصر على الرفض .

ولما خاف الوالى ثورة الرأى العام اذا مات أبو حنيفة فى سجنه أطلق صراحه فذهب أبو حنيفة الى مكة وآوى الى بيت الله الحرام آمنا حتى سقطت دولة بنى أمية .

وفى عهد الدولة العباسية تكررت المأساة فقد دعا الخليفة أبو جعفر المنصور أبا حنيفة وعرض عليه منصب رئيس قضاة الدولة فرفض ، فسأله الخليفة عن سبب رفضه فقال :

لا يصلح لهذا المنصب الا رجل يملك الحكم على أمير المؤمنين وأقاربه وقواده وليس لى ذلك الحق .

فقال له المنصور : فلم لا تقبل ما أبعث اليك من صلات ؟

قال أبو حنيفة : ان أمير المؤمنين لم يبعث الى من ماله الخاص ، انما وصلنى من بيت مال المسلمين، ولا حق لى فى بيت مالهم،فلست ممن يقاتل فى سبيل الله فآخذ مايأخذ المقاتل ، ولست من ولدانهم فآخذ مايأخذه الولدان ، ولست من فقرائهم فآخذ ما يأخذ الفقير .

وتركه المنصور فترة ثم عاد فبعث اليه وألح عليه فى قبول هذا المنصب القضائى فرفض ، فأقسم عليه المنصور ، فأقسم أبو حنيفة بدوره ألا يقبل ، وبلغ الموقف بينهما غاية الحرج فقال من كان حاضرا من رجال المنصور لابى حنيفة : أتريد لامير المؤمنين أن يحنث فى قسمه ؟!

فقال لهم : لقد حلفت بدورى ، وأمير المؤمنين أقدر منى على كفارة اليمين .

ثم لجأ المنصور بعد ذلك الى سلاح التهديد ولكن أبا حنيفة كان مصرا على موقفه ثابتا كالجبل فرد على تهديد المنصور فقال :

لو هددتنى أن تفرقنى فى الفرات أو أن ألى الحكم لاخترت أن أغرق !!

فأمر المنصور بالقبض عليه وسجنه وأمر بتعذيبه فكان يضرب كل يوم عشرة أسواط ، وتحمل أبو حنيفة التعذيب وهو مصر على موقفه ، فعدل المنصور عن عرضه الاول وبعث اليه أن تكون وظيفته قاصرة على مراجعة أحكام القضاة فلم يقبل .

وطالت مدة السجن والتعذيب وزارته أمه فى السجن فلما رأت عليه آثار التعذيب بكت وقالت له : ياولدى ما خير علم يضيعك هو الضياع ؟

فقال لها : ياأماه ، انهم يريدوننى على الدنيا واننى أريد الاخرة ، واننى أختار عذابهم على عذاب الله تعالى .

وقال أبو حنيفة لجاره فى السجن ، والله ما أوجعتنى السياط قدر ما آلمتنى دموعها !!

وموقف أبى حنيفة — رغم تعليله لامه — فى حاجة الى تفسير فلما رفض منصب قاضى قضاة الدولة وتحمل فى سبيل هذا الرفض كل هذا العنت وكل ذلك التعذيب حتى مات شهيدا فى سجنه وعلى جسده آثار السياط ؟ .

أفلم يكن من الانفع للدولة وللمسلمين أن يقبل أبو حنيفة هذا المنصب وهو يستطيع بسلطانه أن يخفف كثيرا من المظالم ويمنع كثيرا من الفساد والانحراف ؟

لا شك أن أبا حنيفة — وهو الامام العظيم — قد فكر فى ذلك ، ولكنه كان يرى المناخ العام للدولة قد فسد وأصبح مجالا للمظالم فى الانفس والاموال ، وأن منهج الحكم قد بعد كثيرا عن تصوره الاسلامى وأنه حين يدخل فى دوامة هذا المناخ سوف يجرفه التيار ، وهو يعلم ويفتى ويعلن أن رسالة الاسلام رسالة تحرير للانسان لكل انسان فيها ضمانات وحقوق ، فلا يسفك دمه الابالحق ، ولايعتدى على ماله أو حريته ، ولا يتحكم فى ضميره أو رأيه ، ولا تمس كرامته أو عرضه . فكيف يمكن أن يقبل أن يشترك فى حكم لا يوفر تلك الحقوق والضمانات .

هذه واحدة

والثانية أنه كان يرى فى مناصب الدولة وعطاياها رشوة يشترى بها رأيه وضميره وسكوته على الظلم ، وهو يريد لنفسه وللعلماء أن يكونوا قادة لجماهير الشعب ، فلابد أن يكونوا أحرارا لا يتحكم فى آرائهم وضمائرهم أحد حتى ولو كان أمير المؤمنين .

والثالثة أن تصوره للقضاء الاسلامى أن يحقق العدالة المطلقة ، ويتساوى امامه جميع الناس لا يعطى الحق الا لمن يستحقه ، فيسود القانون سيادة كاملة ويصبح لا فرق — أمام القضاء — بين أمير المؤمنين وبين أحد من رعاياه .

كذلك كان القضاء فى عهود الخلفاء الراشدين .

ساوم عمر بن الخطاب رجلا على فرس ، ثم ركبه ليختبره فأصيب الفرس بعطب أثناء جريانه ، فرده عمر الى صاحبه فأبى الرجل ، فتحاكما الى شريح القاضى وسمع شريح حجة كل منهما ثم قال ، ياأمير المؤمنين خذ ما ابتعت أو رد ماأخذت .

فقال عمر : نعم القضاء قضيت .

ووجد على بن أبى طالب درعه عند رجل نصرانى فجاء به الى شريح القاضى فسأل شريح النصرانى : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟

قال النصرانى : ماالدرع الادرعى ، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب .

فالتفت شريح الى على ليسأله : ياأمير المؤمنين ، هل من بينة ؟

فضحك على وقال : أصاب شريح ما لى من بينة

فقضى شريح للنصرانى بالدرع فأخذها ومشى . الا أنه لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء ، أمير المؤمنين يديننى الى قاضيه فيقضى عليه ! أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن **محمدا** رسول الله . الدرع درعك ياأمير المؤمنين . **اتبعت** الجيش وأنت منطلق من صفين ، فخرجت من بعيرك الاورق .

فقال على : أما اذا اسلمت فهى لك

ذلك هو تصور أبى حنيفة للقضاء ومن هنا قال قولته العظيمة للمنصور حين رفض منصب قاضى القضاة الذى عرضه عليه : لا يصلح لهذا المنصب الا رجل يملك الحكم على أمير المؤمنين وأقاربه وقواده وليس لى ذلك الحق .

والرابعة أن أبا حنيفة كان يرى فى الدولة العباسية

انحرافات ومظالم فى الدماء والاموال، والاسلام يفرض عليه مقاومتها بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر، فكيف يمكن أن يقاوم الظلم حين يصبح - بقبوله منصب القضاء - ركيزة من ركائزه وأداة من أدواته ؟

أنه لايمكن بحال أن يقوم بهذه الفريضة وهو مقيد بمناصب الدولة انما يستطيع أن يقوم بها وهو حر فى صفوف الشعب بعيدا عن مناصب الدولة وصلاتها وأموالها .

وأثمرت مواقف أبى حنيفة وتعاليمه، فعاد للقضاء من بعده بعض تصوره الاسلامى، وساد القانون وأصبح الناس أمام القضاء سواء، ففى عهد الخليفة الهادى كان أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم، وهو أحد تلامذة الامام أبى حنيفة يتولى منصب قاضى القضاة فاختصم اليه رجل مع الخليفة فى بستان له غصبه عمال الخليفة .

وحضر الخليفة الهادى الى ساحة القضاء، ورأى أبو يوسف أن الحق للرجل ولكن للخليفة شهوده، وعز على ضمير القاضى أن يضيع الحق لان ظاهر القضية وحرفية القانون مع الخليفة الذى يملك الشهود فلجأ الى براعة المخرج وقال للخليفة :

ياأمير المؤمنين : ان الخصم يطلب أن تحلف له على أن شهودك صادقون .

فلم يقبل الخليفة أن يحلف وخسر الدعوى ورد القاضى البستان الى صاحبه .

وكان عدل المسلمين من أسباب الانتصارات التى أحرزها الرعيل المؤمن الاول، فقد انتشرت سمعته بين الشعوب التى كانت تعانى من ظلم الروم .

ذكر أرنولد فى كتابه الدعوة الى الاسلام :

لما بلغ الجيش الاسلامى وادى الاردن وعسكر أبو عبيدة بن الجراح فى فحل، كتب الاهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون :

يامعشر المسلمين، أنتم أحب الينا من الروم - وان كانوا على ديننا - أنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا .

وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الروم وتعسفهم .

كما كانت لتلك السمعة أثرها البالغ فى نفوس قواد الروم، فكانوا يقبلون على المعارك بنفوس محطمة وروح معنوية هابطة .

سأل أخو القيصر وقائده رجلا من قضاعة عن شأن المسلمين بعد ما أقام بينهم أياما فقال له :

« هم رهبان بالليل، فرسان بالنهار، لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجموه اقامة للحد :

« فقال القائد : لئن كنت صادقا لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها » .

◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇

بقية مقال ((جريمة السرقة))

ومن تأمل فى لطائف نظم هذه الايات وفى بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجزة بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه - فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته .

وقال الشيخ ولى الدين الملوى : (قد وهم من قال لايطلب للاية الكريمة مناسبة، لانها على حسب الوقائع المفرقة . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتاصيلا . والذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة . ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففى ذلك علم جم) . أهـ

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الاجزاء ..

وهكذا نجد النص القرآنى بشكل عام، وهذا النص بخاصة مناسبا، مرتبا فى دقة واحكام ... اذ الحرابة التى ذكرت من قبل آيات السرقة تعد سرقة كبرى . والنص الذى معنا فى السرقة الصغرى وهى أخذ المال خفية وما توسط بينهما من الايات لتحريك الوازع النفسى الحامل على الخوف من الله، لينضم الى الوازع الخارجى وهو الرهبة من العقاب، فما أجلى ذلك فى بيان المناسبة واحكام الترتيب .

والى مقال آخر فى هذا الموضوع ان شاء الله .

من أخلاق القرآن

التوكل

فضيلة الدكتور أحمد الشرباصى

يقال : وكل فلان الامر الى غيره ، أى اعتمد عليه ، ووثق به أن ينجزه ، والوكيل هو الذى يوكل اليه الامر ، وقد تطلق كلمة « الوكيل » بمعنى الحفيظ : لانه الذى يرعى الامر ويعنى به ، وقد تطلق بمعنى الرقيب المطلع ، لان من شأن الوكيل أن يراقب ما يوكل اليه ، وقد تطلق بمعنى الناصر ، لان الوكيل يركن اليه من يكل أمره اليه .

والتوكل فى اللغة يقال على وجهين : الاول توكلت لفلان بمعنى توليت له ، ويقال وكلته فتوكل لى ، وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته . والتوكيل أن تجعل غيرك نائبا عنك وتعتمد عليه .

والتوكل فى الدين هو أن يفوض الانسان أمره الى ربه ، ويكتفى به فيه ، ولذلك كان معنى التوكل بلفظ التفويض فى قول القرآن فى سورة غافر : « **فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد** » . أى أرد أمرى كله الى الله . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : « اللهم انى أسلمت نفسى اليك ، وفوضت أمرى اليك » .

والتوكل فضيلة اسلامية مفروضة ، اذ بها يتحقق معنى الايمان ، حتى قيل : من لا توكل له لا ايمان له ، وكأنهم استمدوا ذلك من قول الله تبارك وتعالى : « **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** » ، وقد تكرر قوله سبحانه : « **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » ست مرات فى سور : آل عمران (مرتين) والمائدة والتوبة والمجادلة والتغابن .

ويقول العلماء ان التوكل نصف الدين ، والنصف الاخر هو الانابة ، لان الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الاستعانة ، والانابة هى العبادة ، كما أن التوكل الحقيقى الصادق يكون طريقا للفوز والنصر ، وهذا هو « تفسير المنار » يتحدث عن قول الله تعالى فى سورة الانفال : « **ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** » فيقول هذه العبارة :

« ومن يتوكل على الله : أى يكل اليه أمره مؤمنا ايمان اذعان واطمئنان بأنه هو حسبه وكافيه ، وناصره ومعينه ، وأنه قادر لايعجزه شىء ، عزيز لا يغلبه ولا يمتنع عليه شىء أراده ، فان الله عزيز حكيم : أى فهو تعالى ـ بمقتضى عزته وحكمته ، عند ايمانهم به ، وتوكلهم عليه ـ يكفيهم ما أهمهم ، وينصرهم على أعدائهم ، وان كثر عددهم ، وعظم استعدادهم ، لانه عزيز غالب على أمره ، حكيم يضع كل أمر فى موضعه ، على ما جرى عليه النظام والتقدير فى سننه ، ومنه نصر الحق على الباطل .

بل كثيرا ما تدخل عنايته بالمتوكلين عليه فى باب الايات وخوارق العادات ، كما حصل فى غزوة بدر ، وآيات الله لا نهاية لها ، وان أجمع المحققون على أن التوكل لا يقتضى ترك الاسباب من العبد ، ولا الخروج عن السنن العامة فى أفعال الرب » .

كما أن التوكل الحقيقى الصادق يفتح أمام صاحبه طريقا الى الجنة بغير حساب ، فقد جاء فى الحديث المتفق عليه أن سبعين ألفا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة بغير حساب : « هم الذين لا يسترقون (من الرقية) ، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ، وعلى ربهم يتوكلون » . ولا عجب فالتوكل رجوع بصير كامل الى رحاب الله عز وجل ، وهذا يورث الرضا الالهى ، وهو الفوز الاكبر ، ومن هنا يقول أبو عثمان الحيرى : « التفويض رد ما جهلت علمه الى عالمه ، والتفويض مقدمة الرضا ، والرضا باب الله

الاعظم » ، ومن توكل على الله ورضى به ربا وهاديا ، رضى الله عنه ، والتنزيل المجيد يقول : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه** » .

والتوكل الحقيقى الصادق يجعل كل ما يسوقه الله الى عبده طيبا وطاهرا وكريما ، ولذلك يقول ابن سالم البصرى : « التوكل على الله فريضة ، لقوله تعالى (**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**) ، والحركة فى طلب الرزق مباح لمن عجز عن التوكل ، فان الله تعالى يقول (**كلوا من طيبات ما كسبتم**) ، فما يفتح بالطلب والكسب منه طيب وخبيث ، وما يفتح بالتوكل لا يكون الا طيبا ، لان ذلك من معدن طيب » .

والله جل جلاله هو خير من يعتمد عليه ، ويوكل اليه ، ويستمد منه ، ويستعان به ، وكذلك ورد قول القرآن : « **وكفى بالله وكيلا** » ثلاث مرات فى سورة النساء ، كما ورد فى سورة آل عمران : « **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » ، وجاء فى سورة الاسراء : « **وكفى بربك وكيلا** » .

والتوكل الحقيقى الصادق هو أسطع برهان على تحقق عقيدة التوحيد فى قلب المتوكل وعقله ، ولذلك كان التوكل كما يصور رشيد رضا - أعلى مقامات التوحيد ، فالمؤمن الموحد الكامل لا يتوكل على مخلوق مربوب لخالقه مثله ، بل مشهده فى المخلوقات أنها أسباب سخر الله تعالى بعضها لبعض فى نظام التقدير العام ، الذى أقام الله به أمور العالم المختار منها وغير المختار ، فكلها سواء فى الخضوع لسننه فى الاسباب والمسببات ، وهى فيما وراء تسخيره اياها متساوية فى عجزها عن النفع والضر ، فشأن المؤمن المتوكل فى دائرة الاسباب ، أن يطلب كل شىء عن طريق سببه ، خضوعا لسنن الله تعالى فى نظام خلقه ، وهو بذلك يطلبها من حيث أمره الله أن يطلبها أمرا تكوينيا قدريا ، وتشريعا تكليفيا ، فاذا جهل الاسباب ، أو عجز عنها ، وكل أمره فيها الى ربه تبارك وتعالى،داعيا اياه أن يعلمه ماجهل ، بما سنه من وسائل العلم ، ومنها الالهام فى بعض الاحيان ، وأن يسخر له ما عجز عنه من جماد أو حيوان أو انسان .

ومن هنا نستطيع أن ندرك أن التوكل فى جوهره عمل من أعمال القلب ، وليس قولا باللسان أو عملا بالجوارح فحسب ، فبداية التوكل هى الايمان ، وعماده هو اليقين ، ولذلك جعل القرآن الكريم فضيلة التوكل صفة أساسية للمؤمنين ، فقال فى سورة الانفال : «**انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ، وعلى ربهم يتوكلون** » . وقال فى سورة النحل عن الشيطان : « **انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** » . وقال فى سورة العنكبوت : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** » . وقال فى سورة الشورى : « **فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** » .

ومن جلال المكانة لفضيلة التوكل أن نرى الحق جل جلاله يأمر بها خاتم رسله صلى الله عليه وسلم ، ويكرر هذا الامر ويؤكده فى مواضع كثيرة من كتابه المجيد ، فيقول له فى سورة النساء : « **فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** » . ويقول فى سورة هود : ؟ **ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فأعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون** » . ويقول فى سورة التوبة : « **فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** » . ويقول فى سورة الرعد : « **كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم ، لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك ، وهم يكفرون بالرحمن، قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب**». ويقول فى سورة الفرقان : ؟ **وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا** .. الخ .

ولقد أراد الله جل جلاله - وهو أعلم بمراده - أن يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بأخذ الحيطة والاهبة والاعداد والاستعداد ، فى المواطن التى تحتاج الى هذا ، وأن يستعين بآراء من حوله من أهل العلم والخبرة والبصر بالامور ، فاذا انتهى الى رأى أو خطة ، أقدم على التطبيق والتنفيذ ، فى همة وعزيمة ، ومضاء ، متوكلا على الله ، مستمدا من نصره وهداه ، واثقا بأنه مولاه ولا مولى له سواه ، فذلك حيث يقول له : « **وشاورهم فى الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » ، ومعنى هذا - كما يبين تفسير المنار - انك اذا عزمت بعد المشاورة فى الامر ، على امضاء ما ترجحه الشورى ، وأعددت له عدته ، فتوكل على الله فى امضائه ، وكن واثقا بمعونته ، وتأييده لك فيه ، ولا تتكل على حولك وقوتك ، بل اعلم أن وراء ما أتيته وما أوتيته قوة أعلى وأكمل هى قوة الله جل جلاله ، ويجب أن تكون بها الثقة ، وعليها المعول ، واليها الملجأ ، اذا تقطعت الاسباب ، وأغلقت الابواب .

وأن العزم على الفعل ، وان أتى بعد التفكير والمشاورة واحكام الرأى واعداد العدة ، لا يكفى للنجاح الا بمعونة الله وتوفيقه لان الموانع الخارجية للنجاح والعوائق دونه ، لا يحيط بها الا الله تعالى ، فلابد للمؤمن من الاتكال عليه ، والاعتماد على حوله وقوته . والله جل جلاله يحب المتوكلين على حوله وقوته ، مع العمل فى الاسباب بسنته ، ومن أحبه الله عصمه من الاغترار باستعداده ، والركون الى عدته وعتاده ، والبطر الذى يصرفه عن النظر فيما يعرض له بعد ذلك حتى لا يقدره قدره ، ولا يحكم فيه أمره ، فبدلا من أن يكون نظره فى الامور بعين العجب

والغرور ، واستماعه لانبائها باذن الغفلة والازدراء ، ومباشرته لها بيد التهاون ، يلقى السمع وهو شهيد ، وينظر بعين العبرة فبصره حينئذ حديد ، ويبطش بيد الحزم فبطشه قوى شديد ، ذلك بأنه يسمع ويبصر ويعمل للحق لا للباطل الذى يزينه الهوى ويدلى به الغرور ، فيكون مصداقا للحديث القدسى : « **فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها** » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى ما فى التوكل من ايجابية ونزعة عملية حين يقول : « **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا** » . فقد أعطانا فى هذا الحديث صورة حية لحركة الطيور التى تترك أعشاشها عند الصباح ، وتخرج باحثة عن الطعام والقوت ، وهى خالية البطون ، وما تزال هكذا فى سعيها وحركتها ، حتى تعود آخر النهار وهى ممتلئة البطون .

وهذا أحد الصحابة يسأل رسول الله عليه الصلاة والسلام قائلا : يارسول الله ، ناقتى أتركها وأتوكل ؟ فأجابه : « اعقلها وتوكل » وفى هذا توجيه للابصار والبصائر الى الاحتياط والحذر وبذل الطاقة والمجهود .

ولو راجعنا سير الانبياء والمرسلين – عن طريق القرآن الكريم – لوجدنا فضيلة التوكل كالقسط المشترك بين هؤلاء الاكرمين ، فابراهيم عليه السلام هو القائل كما حكت سورة الممتحنة : « **ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير** » . وروت السيرة أن ابراهيم قال عند القاء الكافرين له فى النار : « **حسبنا الله ونعم الوكيل** » ، ولذلك يقول عبد الله بن عباس : حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

وهذا هو يعقوب عليه السلام يأمر أولاده بأخذ الحيطة واتباع الحذر ، واخفاء أمرهم عن غيرهم قدر استطاعتهم ، ثم يتوكل على ربه ، كما جاء فى سورة يوسف : **وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة ، وما أغنى عنكم من الله من شىء ، ان الحكم الا لله ، عليه توكلت ، وعليه فليتوكل المتوكلون** » .

وهذا هو موسى عليه السلام . يحكى عنه القرآن فى سورة يونس فيقول : **وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين ، فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** » . أى ان كنتم آمنتم بالله حق الايمان ، فعليه وحده فتوكلوا ، وثقوا بوعده دون سواه ، ان كنتم مذعنين لربكم بالفعل ، فامتثلوا الامر ، ونطقوا بكلمة التوكل ، لان التوكل هو أكبر مقامات الايمان ، وأعلى درجات اليقين ، ولا يكمل الا بالصبر على الشدائد ، وهو يستلزم مقارنة اتخاذ الاسباب ، وحقيقته أن يبذل الانسان كل ما يستطيع ، ثم يرجو من ربه أن يسخر له ما لا يستطيع .

وهذا هو شعيب عليه السلام يقول القرآن الكريم على لسانه فى سورة الاعراف : « **قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شىء علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين** » .

وهذا هو نوح عليه السلام ، يقول عنه القرآن المجيد فى سورة يونس ، « **واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه : ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت** » . أى ان كانت قد كبرت عليكم دعوتى وتذكيرى لكم بربكم ، وأردتم الاعتداء على ، أو معارضتى ، فاننى قد فوضت أمرى الى الله جل جلاله ، فهو الذى بعثنى اليكم ، وكلفنى دعوتكم ، وأنا أعتمد عليه وحده ، بعد أن بذلت جهدى فى نصحكم ودعوتكم .

وهذا هو « هود » عليه السلام ، يقول كما جاء فى سورة هود : « **انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم** » .

وهذا هو صالح عليه السلام يقول كما جاء فى سورة هود : « **ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب** » .

وهذه هى طائفة من الرسل يتحدث عنها القرآن المجيد فى سورة ابراهيم فيقول : « **قالت لهم رسلهم : ان نحن الا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون** » .

ان هذا الاستعراض العاجل السريع يؤكد لنا أن فضيلة التوكل كانت احدى الفضائل المشتركة التى ازدان بها رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولا عجب فالله جل جلاله هو ناصر المتوكلين ومؤيدهم ، وهو سبحانه القائل فى سورة الطلاق : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه : ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا** » . ويقول فى سورة الانفال : « **ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** » . أى عزيز لا يذل من استجار به ، ولا يهون من لاذ بجنابه ، والتجأ الى حماه ، وهو حكيم لا يعجز عن تدبير من توكل على تدبيره .

ويقرر ابن القيم فى « مدارج السالكين » أن العباد درجات فى التوكل ومنازله ، فأولياء الله وخاصته يتوكلون عليه فى الايمان ، ونصرة دينه ، واعلاء كلمته ، وجهاد أعدائه ، وفى محابه وتنفيذ أوامره ، ودون هؤلاء من يتوكل عليه فى استقامته فى نفسه ، وحفظ حاله مع الله فارغا عن الناس ، ودون هؤلاء من

يتوكل عليه فى معلوم يناله منه ، من رزق أو عافية ، أو نصر على عدو ، أو زوجة أو ولد ،ونحوذلك ... الخ .

ولكى يتم التوكل وتكمل درجاته يحتاج الى لوازم هى :

١ – معرفة الرب وصفاته ، وأن الاشياء صادرة عن مشيئته وقدرته .

٢ – اثبات الاسباب والمسببات ، والاخذ بالاسباب .

٣ – اخلاص القلب فى توحيده لله بلا شريك .

٤ – اعتماد القلب على الله ، واستناده اليه .

٥ – حسن الظن بالله عز وجل .

٦ – استسلام القلب لله ، وانجذاب دواعيه اليه .

٧ – التفويض ، والقاء الامور كلها الى الله تبارك وتعالى .

وهذا كله يثمر الرضى بما يقضى به الله سبحانه، ولذلك سئل يحيى بن معاذ : متى يكون الانسان متوكلا ؟ . فأجاب : اذا رضى بالله وكيلا .

وينبغى أن نقرر ونكرر ونؤكد أن التوكل لايعارض السعى ولا يناقضه ، بل انه يدعو اليه ويستوعبه ، والله جل جلاله هو الذى يتحدث الى عباده فى سورة الملك : « **هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » ، ويقول فى سورة الجمعة : **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » . ويقول فى سورة النجم : « **وأن ليس للانسان الا ما سعى** » .

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم أرزقنى ، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » . ولقد سأل عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل أباه فقال له : ياأبى هؤلاء المتوكلون يقولون : نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل » . فأجابه أبوه : « **هذا قول ردىء خبيث ، يقول الله عز وجل : « اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله** » .

وسأله أيضا عن قوم يقولون : نتكل على الله ولا نكتسب . فأجابه بقوله : « ينبغى للناس كلهم أن يتوكلوا على الله ، ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب ، هذا قول انسان أحمق » .

وسأله ابنه صالح عن التوكل فأجابه : « التوكل حسن ، ولكن ينبغى للرجل أن لا يكون عيالا على الناس ، ينبغى أن يعمل حتى يغنى أهله وعياله ، ولا يترك العمل » .

ويقول ابن القيم فى حديثه عن التوكل : « فترك الاسباب المأمور بها قادح فى التوكل، وقد تولى الحق ايصال العبد بها ، وأما ترك الاسباب المباحة فان تركها لما هو أرجح منها مصلحة فممدوح ، والا فهو مذموم » . ويقول أيضا : « فاعلم أن نفاة الاسباب لا يستقيم لهم توكل البتة » . ويقول عن بصراء الصوفية : «واجمع القوم على أن التوكل لاينافى القيام بالاسباب فلا يصح التوكل الا مع القيام بها والا فهو بطالة وتوكل فاسد قال سهل بن عبدالله : من طعن فى الحركة (العمل) فقد طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان ، فالتوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته » .

والعبد يتوكل على الله أن يقيمه فى سبب يوصله الى مطلوبه ، فاذا قام به توكل على الله فى حال مباشرته . فاذا أتمه توكل على الله فى حصوله ثمراته ، فكأن التوكل سيصاحب المؤمن فى مراحل سعيه وعمله . ولقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام أصدق المتوكلين ، ومع ذلك كان يحمل معه الزاد فى السفر ، ولبس درعين حينما قاتل فى غزوة أحد ، وكان يدخر لاهله قوت سنة : « **لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة** » ! .

وما أجمل العبارة التى ذكرها صاحب المنار ، وفيها يقول : «ان هناك أمورا تخفى علينا أسبابها، ويعمى علينا طريق طلابها ، فيجب علينا بارشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها الى ذى القوة الغيبية ونطلبها من مسبب الاسباب، لعله – بعنايته ورحمته – يهدينا الى طريقها ، أو يبدلنا خيرا منها . ويجب مع هذا بذل الجهد والطاقة فى العمل بما نستطيع من الاسباب ، حتى لا يبقى فى الامكان شىء ، مع اعتقادنا بأن الاسباب كلها من فضل الله تعالى علينا ورحمة بنا ، اذ هو الذى جعلها طرقا للمقاصد، وهدانا اليها بما وهبنا من العقل والمشاعر .

لايسمح الدين للناس بأن يتركوا الحرث والزرع، ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الارض بغير عمل منهم ، أخذا بظاهر قوله : **(أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون)** ، وانما يهديهم الى القيام بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزراعة ، من الحرث والتسميد، والبذر والسقى ، وغير ذلك ، وأن يتكلوا على الله تعالى بعد ذلك فيما ليس بأيديهم، ولم يهدهم لسببه بكسبهم ، كانزال الامطار ، وافاضة الانهار ، ودفع الحوائج .

فان استطاعوا شيئا من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم ، لا بألسنتهم وقلوبهم ، مع شكر الله تعالى على هدايتهم اليه ، واقدارهم عليه .

كذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلا ، او حاملى سلاح دون سلاح العدو المعتدى عليهم ، اتكالا على الله تعالى ، واعتمادا على أن النصر بيده ، بل يأمرهم بأن يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة ، ويتكلوا بعد ذلك – فى الهجوم والاقدام – على عناية الله تعالى ، بتثبيت القلوب والاقدام ، وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام ، فمن قصر فى اتخاذ الاسباب اعتمادا على الله فهو جاهل بالله » .

الا أن فضيلة التوكل تبدأ بالايمان، يتلوه العمل، مع ذكر الله ورجائه ، مع بذل غاية الجهد الذى يطيقه الانسان ، مع ثقة فى الله مع هذا كله ، وبعد هذا كله ، وكفى بالله وليا ، وكفى بالله وكيلا .

من أمثال القرآن الكريم

فضيلة الدكتور محمد سعاد جلال

من عقائد الاسلام القطعية ، التى لا يتحقق ايمان امرىء مسلم الا بعد الايمان بها ايمانا جازما . **عقيدة البعث ، وخروج الناس من قبورهم يوم القيامة ليلقوا جزاءهم على ما سبق من عملهم فى الحياة الدنيا ، « يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**

وهذا البعث الذى ارصده الله للناس فى خاتمة الدنيا هو مقتضى الحكمة والعدل فى سنة الله ، الحكيم الخبير .

فان الدنيا دار ابتلاء والخلق فيها متنازعون على مطامع نفوسهم، وأهواء قلوبهم وارادة بعضهم للظلم والتسلط ، واستنجادهم بعصبياتهم واسباب القوة فيما يملكون ، ومن الناس فى هذا المعترك مغبونون مظلومون لا يستطيعون دفع الاذى والظلم عن انفسهم ومنهم محسنون مخلصون صادقون فى خدمة الله وفى خدمة الناس لايصادفون على مايعملون الا الجحود والنكران والبخس والمساءة فاقتضت حكمة الله وعدله ان يؤخر للعباد يوما يقتص فيه من الظالم للمظلوم ويوفر فيه احسن الجزاء واعدله لمن عمل صالحا .

وكان مقتضى الحكمة ايضا ان يرصد للناس جزاء يرتبط بسراء نفوسهم وخفايا ضمائرهم حسب ما يعلم الله من امور خلقه التى لا يعلمها احد غيره فيقع مثل هذا الجزاء الذى يرتبط باعمال النفس الخفية ، ضمانا كافيا لعدم خيانة الشرائع العامة ، لمن ابتغى ذلك فى فرصة البعد عن اعين الرقباء ، والمحاسبين .

وكان فى الناس من ينكر البعث ، يروى اهل العلم ان « العاص بن وائل » و « أبى بن خلف »، وكانا من المشركين ، جاء احدهما الى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده عظم رميم وهو يفتته ويذروه فى الهواء ، وهو يقول يا محمد اتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال نعم ، يميتك ثم يبعثك ثم يحشرك الى جهنم فنزلت هذه الآيات التى قرأناها عليكم ..

١ ــ مثل البعث :

قال تعالى « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » .

●●●

قال تعالى « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه » هذا المشرك الذى يضرب المثل بالعظم الرميم يمسكه بيده ويستعظم احياءه على قدرة الله قد غفل عما كان يجب ان يتنبه له ، فان الله تعالى هو الذى أوجده من العدم، وأنشأ له لحمه وعظمه ووجوده أول مرة، فهل يعجز سبحانه ان يعيد هذا الذى أبدعه من العدم مرة أخرى ؟ والاعادة ايسر من البدء دائما .

« قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » فليس لاحد أن يستبعد على الصانع الحكيم ــ سبحانه ــ ان يبعث الاجساد من قبورها ويرد العظام الى اصلها بعد ان صارت قواما باليا مفتتا ــ وليس فى

ذلك انصاف النظر فى شىء ؟ فان الذى سيتولى هذه العملية انما هو الخالق الاعظم الذى أحاط علما بنشأة الخلائق وتكوينها واسرار تركيبها وتولى هو بنفسه وحده — لم يكن معه غيره، صنعها وايجادها — **« ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** : أفيجوز حينئذ ان يستبعد عليه أحد أن يكون قادرا على تسويتها وردها مرة ثانية ، ثم ساق القرآن مثلا مبسطا على بيان قدرة الله وتسخير الاشياء لارادته وعلمه . « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » فهو الذى بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر وينع ثم أعاده الى أن صار حطبا يابسا، كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لايمنعه من ذلك شىء .

ثم ما قيمة هذا العظم بل ما قيمة هذا الانسان كله اذا قيس بالكون العظيم : السموات والارض والافلاك ، ان الله سبحانه وتعالى — هو الذى خلق الكون كله وابدعه جميعا ، بكل اجزائه ، فكيف يستبعد على نفاذ قدرته احياء شىءمنه» ولا سيما اذا كان ذلك على مقتضى ما يراد من العدل والحكمة والنصفة بين الخلائق .

« أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ، وهو الخلاق العليم » .

وظاهر من هذه الايات الكريمة ، أن بعث الناس يوم القيامة يكون بأجسادهم . وأرواحهم ، ولا يكون بالروح فقط ، فان الايمان الحق بوجود الله وايجاده للخلق وبشمول علمه ونفاذ قدرته ، كفيل أن تحمل النفس على الاعتقاد الواثق السليم ، بأن بعث الانسان الذى نطق به القرآن هو بعث للحمه وعظمه . وكأنما نظرت الآيات لتثبت هذا المعنى فى نفس المؤمن ليعتصم به من كل شبهة وشك فقالت « انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون » : أى شىء كان — لا يستعصى على الانطباع بأمر مراد من مراداته ، ولو بدا فى تصور المخلوقين العاجزين امرا كبيرا .

٢ — الصبر على الشدائد :

قال تعالى :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب » — يخاطب الله بهذا المثل الكريم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — والمسلمين الاولين خطاب من ينبههم الى ان الظفر بدخول الجنة التى وعد بها المؤمنون لن يكون الا بعد مقاساة الشدائد ومعاناة الاهوال واحتمال مصاعب الكفاح التى يفرضها انتصار الحق على الباطل والتوحيد على الشرك وأن هذه **سنة الله فى الذين خلوا من قبلهم من أصحاب الرسالات ، وأتباع الانبياء : لايظفرون بنجاح دعوتهم وانتصار عقيدتهم الا بعد أن يتعرضوا فى سبيل تحقيقها لأشد أنواع الضيق ، والفقر ، وأسوأ ضروب العلل ، والاوصاب ، وبعد أن يصادفوا من المحن والبلاء وألوان الخوف والازعاج من تربص الاعداء بهم وخذلان الاولياء لهم ومفاجآت المجهول ما يزلزل نفوسهم ويهز كيانهم ويدفعهم الى حال من نفاد الطاقة وشدة الوقع يجعل الرسل على وفرة ما أتوا من الجلادة ، والعزم ويجعل اتباعهم المهتدين بهديهم يستبطئون نصر الله الذى وعد به المؤمنين — على غير ريبة بوعد الله .** ولكنه جزع النفس البشرية وانفعالها — اذا اشتد بها الهول ورجتها المصائب فتنفجر هاتفة متى نصر الله وعندئذ ، وعندما يتحقق للعيان أن هؤلاء الناس بذلوا من انفسهم كل شىء فى سبيل العقيدة التى آمنوا بها وابلغوا أنفسهم منتهى أعذارها فلم يضنوا بتضحية ولم يقعدوا عن اتخاذ سبب من أسباب الكفاح والعمل تستجيب السماء لدعائهم : « **الا ان نصر الله قريب** » أجل ، ونصر الله قريب دائما للعاملين الصادقين والمجاهدين الصابرين :

أما الذين يتخذون رسالات الحق ، والايمان بالمبادىء زينة وزخرفا من غير أن يوطنوا أنفسهم من أول خطوة على بذل أرواحهم فى سبيلها فأولئك لا يصيبون فيما يسعون اليه الا حظ الهازلين الفاشلين .

يرشدنا المثل الكريم الى أن الحياة جد صارم لاهزل فيه وان أمجاد الحياة ورغائبها الشريفة المشروعة لا تنال بغير الجد ، والعمل ، ومطاولة الصبر ، والكفاح ، وأن المحن والارزاء هى محك الرجولة ، والايمان — وأن الله لم يرض لعباده الذين آمنوا به أن يدخلهم الجنة لمجرد الاقرار بكلمة الايمان تجرى على شفاههم — الا ان يختبرهم بأنواع الشدة والبلاء ليتميز الصادقون فى ايمانهم ممن يتخذون الايمان تجملا ورياء .

فى الايام الاولى من فجر الدعوة الاسلامية لقى المسلمون من أعدائهم أذى كثيرا . فذهبوا الى النبى — صلى الله عليه وسلم — يشكون له الاذى فغضب مما يفعلون وقال لهم « أن من كان قبلكم من الامم كانوا يصابون بانواع البلاء فلا يصرفهم ذلك عن دينهم شيئا ولقد كان

الرجل منهم يوضع المنشار فوق رأسه فيشقه فلقتين فلا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ، مادون عظمه من لحم وعصب فلا يصرفه ذلك عن دينه ، وايم الله ليتمن هذا الامر — اى الاسلام — حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخشى الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون » .

وبهذا لقن النبى صلى الله عليه وسلم — المؤمنين — فى أول عهدهم بالدعوة ، والجهاد درسا كان عليهم أن يحفظوه ، ويعوه حتى يسيروا بعد ذلك الى اعلاء كلمة الدين الجديد فى طريق مأمون ولقد كان أقل تراخ أو تهاون يطرأ على تربية المسلمين فى هذا الطور جديرا أن يجرى عليهم أسوأ العواقب .

أن الصبر على احتمال المسئوليات ، واحتمال الاحداث من أكبر خصائص الرجولة ، وأكبر مقومات الايمان الصحيح ، والصبر ضريبة الحياة على الاحياء لمن أراد منهم أن يحيا قويا عزيزا . وليس الصبر — كما يفهم بعض الناس — رقودا واستسلاما لوقع النوازل وطروء الاحداث من غير بذل نشاط فى مقاومتها أو التقليل من أثرها — كلا فأن ذلك جدير أن يسمى بلادة — لا صبرا وبلاهة لا احتمالا ، اما الصبر بمعناه الحقيقى الذى يتكلم به لسان الاسلام فهو احتمال الاحداث مع الوعى الكامل لمعناها والعمل اليقظ المتأهب لمقاومتها ولذلك يقول تعالى « وأصبر على ما أصابك أن ذلك من عزم الامور » أى من الامور التى تكون مظهر العزم والارادة ، ولا يعقل أن تكون البلادة ويكون الجمود ويكون الاستسلام المغلول ارادة وعزما فالاسلام حيثما دعا الى الصبر وعلم المسلمين الصبر فى نحو سبعين مرة من كتابه انما دعاهم الى القوة وعلمهم أهدى سبلها .

الصبر فى صورته التحليلية ، احتمال ، وعمل ، وامل : احتمال لوقع الاحداث فلا يبلغ بحدث مهما كان شأنه ان يذهب بايمان المرء المسلم أو يبدد عقله أو ينتزع شعوره بالكرامة والوقار أو يقتل فيه القدرة على النشاط والتصرف وهو عمل يقظ لمقاومة المحنة الطارئة والتقليل من أثرها ومحاولة التعويض عنها والاستفادة منها وأمل أيضا : نعمة الصبر أمل منير مشرق يتراءى لك وراء ظلمات المحنة يناديك بانتهاء ليلها مهما طال أمدها ، وابطأ فجرها ، ويدعوك الى العمل النشيط المثابر البسام للتخلص من محنتك والانتصار عليها : هذا هو الصبر الذى يدعونا اليه الاسلام ويجعله سبيل المؤمنين الى دخول الجنة : ودعونا نتوسع فى مدلول الجنة بعض الشىء : لنقول ان الجنة التى تفتح ابوابها للسائرين على طريق الصبر انها جنة الاخرة حقا — وايضا هى جنة الدنيا : جنة العادات المنشودة ، والآمال المحققة ، والانتصارات المؤكدة .

المستشرقون

عالجنا من قبل بعض مطاعن المشرقين على القرآن الكريم ، ورددنا على ادعائهم بأنه دخل فيه ما ليس منه ، أو أنه ليس نموذجا عاليا للفصاحة والبلاغة العربية ، أو أنه مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود .

واليوم نرى نموذجا جديدا من الطعن على القرآن الكريم ، وهو بالتالى طعن على اخص خصائص العربية واللغات السامية ، وهو الاعراب ، أو حالات الرفع والنصب والجر والجزم وما اليها فى الجملة العربية .

فقد حاول فريق من المستشرقين أن يشكك فى وجود الاعراب فى القرآن الكريم ، ومن هؤلاء « كارل فوللرز » فى كتابه : « اللغة الشعبية واللغة الادبية فى الجزيرة العربية القديمة » الذى نشره فى مدينة ستراسبورج سنة ١٩٠٦ م . ويرى « فوللرز » فى هذا الكتاب أن النص الاصلى للقرآن ، قد ألف باحدى اللهجات المحلية التى كانت سائدة فى الحجاز والتى لا يوجد فيها تلك النهايات المسماة بالاعراب ، وأنه انتقل الى هذا النص فيما بعد ، الشكل الادبى للغة العربية ، الذى هو عليه الان . وهو يرى أن العربية الفصحى التى رواها لنا النحويون العرب ، والتى توجد فى القرآن ، كما احتفظ بها الشعر فى موازينه هذه العربية يراها (فوللرز) مصنوعة وهوينكر على الاطلاق أن تكون هذه اللغة كانت حية فى مكة على عهد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يشك أن يكون البدو الذين خرج من بينهم الشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة .

ومن المتشككين فى الاعراب كذلك المستشرق « باول كاله » الذى كتب فصلا فى كتابه : « الذخائر القاهرية بعنوان نص القرآن العربى يقول فيه : « جمع نص القرآن بعد وفاة النبى (صلى الله

والقرآن الكريم

الدكتور
رمضان عبد التواب

عليه وسلم) بمدة وجيزة فى عام ٦٣٢م ؟ وأخذ شكله النهائى فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٦٤٤ــ ٦٥٥ م) ،وهنا قامت مشكلة كيف يقرأ هذا القرآن ويرتل ؟ فقد ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) بمكة ، وانحدر ــ كمعظم مواطنيه ــ من القبيلة العربية قريش ، وكانت اللغة العربية التى يتكلمها هى لغة المواطن المثقف فى مكة ، والنص القرآنى الخالى من الضبط بالحركات يعكس بوضوح اللغة العربية التى كانت تتكلم فى مكة ، غير أن العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية نموذجا للنطق الصحيح ، فبهذه اللغة نظم الشعر العربى الجاهلى ، وكان كل عربى مزهوا بذلك واذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة أقل مستوى ، من أية لغة أخرى ، فقد بدأت فى العواصم الاسلامية ، فى ذلك العصر المبكر ــ فى الكوفة والبصرة والمدينة ومكة ــ دراسة نشيطة للشعر البدوى ، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط فى اللغة العربية ، يذهبون الى جيرانهم من البدو ، ويجمعون ما أمكنهم من أشعارهم ، وما يتصل بها من الحكايات ،وهى فى الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة التى جمعت تحت عنوان : (أيام العرب) وقد اتخذت المادة التى جمعت بهذه الطريقة أساسا للعربية النموذجية التى ابتدعها النحويون والقراء ، ثم حذيت لغة القرآن على نمطها ، ومع ذلك لم تغير كتابة . المصحف ، بل ابتدعت طريقة تضاف فيها علامات مختلفة الى النص لضمان صحة القراءة » .

ثم يقول باول كاله : « ولم تذكر كتب القراءات بوجه عام شيئا عن النشاط المبكر للقراء ، فقد ضاعت أو أهملت عمدا تلك الكتب التى ذكرت شيئا عن هذا النشاط ، فيما عدا خبرا عثرت عليه مؤخرا ، يمكن أن يرى من خلاله ذلك التطور » .

ويظن « باول كاله » أنه عثر على طلبته فى اقتباس عن الفراء ، وجده فى مجموعة مخطوطة بمكتبة «تشستربتى» فى ايرلندا ،وهو : «قال الفراء : وقد رأينا أهل القراءة الذين يعرفون الكتاب والسنة من أهل الفصاحة اجتمعوا على أنه نزل بأفصح اللغات ، فاعترض فى ذلك أقوام ممن ينظر فى الاشعار وايام العرب ،فقالوا : انما فضل القرآن من فضله لما أوجب من تعظيم القرآن ، فاذا صرنا الى الفصاحة وجدناها فى أهل البوادى ، واختلفوا فى ذلك فقال أهل الكوفة : الفصاحة فى أسد لقرب جوارهم منهم ، وقال أهل البصرة : الفصاحة فى عليا تميم وسفلى قيس من عكل وعقيل ، وقال أهل المدينة : الفصاحة فى غطفان ، لانهم جيرانهم وقال أهل مكة: الفصاحة فى كنانة بن سعد بن بكر وثقيف. فأحببنا أن نردهم بالاثار والقياس والاعتبار الى تفضيل لغة قريش على سائر اللغات قال : وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ : « عتى عين » يريد : حتى حين ، فقال : من اقرأك هذا ؟ قال : عبدالله بن مسعود قال : فكتب عمر الى عبد الله بن مسعود : ان القرآن نزل بلغة قريش ولم ينزل بلغة هذيل ، فاقرئه الناس بلغة قريش ،ولا تقرئنهم بلغة هذيل. وقال أبو بكر الصديق رحمه الله : ان اعراب القرآن لاحب الى من حفظ بعض حروفه. وقال ابن مسعود : جودوا القرآن وزينوه بأحسن الاصوات وأعربوه فانه عربى ، والله يحب أن يعرب » .

وقد علق « باول كاله » على كلمة « اعراب » فى نص أبى بكر الصديق ، بقوله : « الاعراب يعنى الحركات فى أواخر الكلمات العربية ، طبقا لقواعد العربية الفصحى » .

واستنتج «كاله» من ذلك ان «الالحاح » على طلب قراءة القرآن بالاعراب لا يبدو معقولا ، الا اذا كان

يقرأ فى الواقع بدون اعراب . وأريد له أن يقرأ بالاعراب ، الذى عد فى وقت متأخر من مظاهر الصحة اللغوية » .

وهو مخطىء فى ذلك وواهم ، لان الاعراب بمعناه الاصطلاحى ، لم يكن معروفا فى أيام أبى بكر وابن مسعود ، ومعنى كلمة « اعراب القرآن » فى هذه الاحاديث — ان لم تكن مزيفة — هو الوضوح والبيان فى قراءة القرآن الكريم .

ودعوى « فوللرز » و « كالة » بأن النص الخالى من الضبط بالحركات ، يدل على عدم وجود الاعراب فى القرآن أصلا ، مردودة عليهما ، ذلك لان رسم المصحف الخالى من الاعجام والحركات ، يرمز الى الاعراب بالحروف وهو نوع من الاعراب يدخل فى الاسماء الخمسة والمثنى وجمع المذكر السالم ، ففى القرآن كثير مثل : أبوهم واباهم وابيهم ، والمؤمنون والمؤمنين وغير ذلك ، كما أن خط المصحف يحتوى على علامة اعراب المنصوب المنون ، مثل : رسولا وعليما وحكيما ... الخ ولا شك فى أن القرآن قد تمت كتابته بهذه الصورة فى عصر سابق بوقت غير قصير ، لذلك العصر الذى قامت فيه المدارس النحوية فى الكوفة والبصرة وغيرهما ، باكتشاف القواعد النحوية التى تخضع لها اللغة العربية .

ويشاء الله أن يسلط على هذين المستشرقين « فوللرز ! و « كالة » زملاءهم فى الاستشراق ليفندوا دعواهم ويدحضوا حججهم .

فهذا « نولدكه » الذى طالما طعن على القرآن واهله ، يقول فى مقالة له بعنوان : « ملاحظات على لغة العرب القدامى » فى مجلة الاشوريات : « انه من غير المعقول أن يكون محمد (صلى الله عليه وسلم) قد استخدم فى القرآن لغة تخالف كل المخالفة ، تلك اللغة التى كانت شائعة فى مكة آنذاك ، وأن يكون قد اعتنى بالاعراب هذه العناية وقومه لا يستخدمون هذا الاعراب فى كلامهم » .

كما يرى فى كتابه : « فى نحو العربية الفصحى » أنه « من الخطأ الشنيع الاعتقاد بأن اللغة الحية فى عهد محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يكن فيها اعراب ، فان العلماء فى عصر هارون الرشيد ، قد وجدوا الاعراب بكل دقائقه عند العرب » كما يرى « نولدكه » كذلك فى الفصل الذى كتبه عن « لغة القرآن » فى كتابه : « مقالات جديدة فى علم السامية » أنه « لو كان النبى (صلى الله عليه وسلم) أو أحد معاصريه من المؤمنين قد نطق بالقرآن دون اعراب لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك ، دون أن يبقى لنا آثار منها » .

وقد دافع عن الاعراب فى العربية الفصحى والقرآن الكريم كذلك المستشرق « يوهان فك » فى كتابه : « العربية » والمستشرق « برجشتراسر » فى كتابه : « التطور النحوى » .

وهكذا يرد كثير من المستشرقين هذا الافك والبهتان ويسلط الله بعضهم على بعض ، ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون !

وهزم الأحزاب وحده

الأستاذ عبد الحكيم النجار

لقد كان ولا يزال فضل رسول الاسلام محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وسلم : فى ارساء قواعد التربية .. ورسم الطريق على اسس قيمة من التخطيط العلمى النابع من ايمان شعب الدولة الاسلامية العظيمة التى مدت ملكها فى الشرق والغرب حتى وصفها الله تبارك وتعالى انها (خير أمة أخرجت للناس) بذلك استطاعت أن تنقذ الانسانية من الصراعات المادية .. واستبداد الطبقات وتحطيم الاصنام البشرية والمادية معا ، وتفتح للعالم صفحة جديدة مشرقة .. من العلم والايمان ..

فما اشد حاجة البشرية جمعاء ، وخاصة فى هذا العصر المضطرب الذى فشل فيه الموجهون فى ميادين التربية الى دراسة هذه القواعد واساليبها الاسلامية فى اعداد الجيل المؤمن الذى لم يعرف له التاريخ مثيلا فى عظمته وصراحته وطموحه وسيرته وكفاحه ونضاله ونجاحه ..

أخوة الاسلام

واننى اذ اتحدث عن هذا الجيل اسرح بخيالى هناك فى موطن النور الذى اشرق منه الاسلام .. فنجد الحشود والوفود من الحجيج يعطوننا صورة رائعة للجيل المؤمن المناضل الذى رباه رسولنا الاعظم سيد هذا الوجود محمد الامين ليكون حجة على الناس الى يوم ان نلتقى جميعا فى يوم الدين .. لترمز الى تلك العظمة الخالدة خلود الزمن الباقى من الزمن فى سمو مبادئه النبيلة العظيمة الحانية .. فنشاهد المسلمين من كل لون على صعيد واحد .. قد زالت بينهم الفوارق واغمت الحدود ووحد بينهم الاسلام .. فالتعاطف بينهم والمحبة تحفهم وكلمة التوحيد تجمعهم .. حتى أرى وترى الدموع تنهمر عند اللقاء .. لقاء العاشقين .. المحبين .. المناضلين .. فاين هذه الاخوة من التمييز العنصرى الذى نرى فواجعه وويلاته فى الغرب حتى فى القرن العشرين ؟ » وفى اعظم دولة تدين بالمدنية الغاشمة الطائشة !! ..

وهذا السلام .. وما أشد حاجة الانسانية اليه .. يعم تلك البقعة المقدسة .. فلا رفث ولا فسوق ولا جدال .. حتى لنرى الطير يأمن الانسان فيحلق فوق رأسه .. وربما شاركه طعامه وشرابه !! ..

والامانة تسرى فى ارجاء الارض الطيبة فتصل الى ذروتها .. والبذل والعطاء يعيد سيرته الاولى يوم كان الفتى يحمل صدقات أمواله من مكان الى آخر باحثا عن فقير يأخذها ..

ولو أن المسلمين قد أخذوا من فريضة الحج ما نفعهم فى دنياهم فى جميع النواحى الروحية والسيـسة والاجتماعية والاقتصادية لكان لهم شأن كبير فى هذا العالم المضطرب ·· الذى يعيش على بركان ثائر من المحن والخطوب النفسى ··

الرسول فى حجة البلاغ

وقد أردت ونحن نستعرض معا أيها القارىء العزيز الذى تقف فى هذه اللحظات الشريفة أمام خالقك فى عرفات ·· واخيك يقف امام اعداء الله فى جبهه القتال ·· فى هذه اللحظات الخوالد نرفع جميعا الاكف بالدعاء الى الله أن يهب أمتك النصر القريب وينقذ البيت المقدس ليعود الى امة الاسلام والعروبة ··

تم نعود ونستعرض معا الجوانب الروحية فى رحاب الاماكن المقدسة فأضع أمام الحجيج هنا وهناك الصورة العظيمة المضيئة لسيدنا رسول الله فى ذكر حجه وعمرته صلى الله عليه وسلم ·· كان الرسول اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وبرا ومهابة وزد من شرفه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا ومهابة ، ولم يركع عليه الصلاة والسلام تحية المسجد ·· انما بدأ بالطواف لانه تحية البيت ، ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود ولما فرغ من طوافه آتى المقام فقرأ (**واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى**) **فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت فقرأ فيهما (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد)** ثم رجع الى الركن الذى فيه الحجر فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا · فلما دنا من الصفا قرأ (**ان الصفا والمروة من شعائر الله**) فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ·· ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى انتهى من سعيه ··

وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذى نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر الصلاة فيه ·· وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى أربعة أيام ·· وكان جماعة الهدى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به رسول الله الكريم مائة ··

ولما كان يوم الترويه وهو الثامن من ذى الحجة وكان يوم الخميس ضحى ركب الرسول وتوجه بالمسلمين الى منى ·· وقد احرم بالحج من كان أحل منهم ·· فصلى الحبيب المحبوب محمد الامين بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ثم استراح حتى نزل بمنى ·· وحتى اذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فركبها ثم أتى بطن الوادى ··

كتاب الله

وهنا خطب الرسول العظيم جموع المسلمين قائلا ·· **ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا ان كل شىء من أمر الجاهليه تحت قدمى موضوع ووضع أى اسقط دماء الجاهلية ورباها واوصى بالنساء خيرا ·· وقال فى آخر خطبته ·· وقد تركت فيكم ما لن تضلوا ان اعتصمتم به كتاب الله ·· وانتم تسألون عنى فما انتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت ونصحت ··**

ولما انتهى الرسول المعلم

اذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ·· ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى أتى الموقف · واستقبل القبلة ·· وكان أكثر دعائه صلوات الله عليه وسلم يوم عرفه ··

اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول ·· اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ·· ولك رب تراثى ·· اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم انى أسألك من خير ما تجىء به الرياح وأعوذ بك من شر ما تجىء به الريح ··

الحج عرفه ··

وقد آتاه صلى الله عليه وسلم جمع كثير من أهل نجد وهو بعرفه فسألوه كيف الحج ؟! فأمرمناديا ينادى الحج عرفه ·· من جاء ليلة جمع اى قبل طلوع الفجر ·· فقد أدرك الحج أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه (رواه الترمذى) وجمع هى المزدلفة ليلتها ليلة العيد ·· وفى رواية جابر عن أبى داود قال صلى الله عليه وسلم ·· بعرفه وقفت وعرفة كلها موقف وههنا انزل على (**اليوم أكملت لكم دينكم**) ·

ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص أفاض صلى الله عليه وسلم من عرفة من طريق المارين بين عرفة والمشعر الحرام ·· ثم ركب ناقته القصواء حتى أتى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء كل واحدة منهما باقامة ·· وترك الرسول قيام الليل تلك الليلة ونام حتى أصبح مع كونه عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه أراح نفسه الشريفة ثم نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة يوم النحر ·· وذهب الى مكة لطواف الافاضة ورجع الى منى ثم لقط حصيات مثل حصى الخذف ووضعهن فى يده ثم ركب النبى القصواء حتى آتى المشعر الحرام ·· واستقبل القبلة فحمد الله وكبره ثم أخذ يلبى حتى محسر وهو موضع بين مزدلفة ومنى ·· رمى جمرة العقبة فرمى بسبع حصيات وجعل البيت يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر ··

ولما انتهى الرسول من مناسك الحج ·· ركب الى البيت العتيق وطاف به ·· وكان هذا طواف الوداع ·· ثم ارتحل النبى الكريم العظيم الى المدينة محفوفا بالاجلال والاكبار بعد أن حج واعتمر ·· وفى عودته عندما رأى المدينة المنورة كبر ثلاثا ·· وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ··

آيبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ··

الصوفية فى إلهامهم

محبة الله ورسوله

الاستاذ حسن كامل الملطاوى

اللهم انا لم نصل الى حب من يحبونك فكيف نصل الىحبك الذى هو غاية الغايات الا بحب سيد السادات فلميصل الىحبك الحقيقى الا هوصلى الله عليه وسلم ، فانه جمع كل مقام وكل قرب وكل علو بحبك فلم يكن فى قلبه سواك يا الله .

جاءت هذه السطور فى رسالة من رسالات سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه الى تلميذه الصالح المبارك الصديق الراحل السيد سالم جمعة ، غفر الله له ورعاه فى جواره الكريم وهى تبين لنا أن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو معراجنا الى حب الله وصدق سيدى البكرى رضى الله عنه فى قوله مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأنت باب الله أى امرىء
أتاه من غيرك لا يدخل

ولكلام سيدى الشيخ عبد السلام شواهد من الكتاب والسنة ، فقد قال تعالى (**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**) وروى الشيخان عن أنس رضى الل عنه «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين) بل لقد ورد فى الحديث الصحيح أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال لمولانا رسول اللهصلى اللهعليهوسلم لانتأحب الىمنكلشىء الا مننفسى فقالله صلىالله عليهوسلم: لاياعمرحتى أكون احب اليك مننفسك ، قال : فانت واللهيارسول الله أحب الىمن نفسى قالصلى الله عليه وسلم: الان ياعمر (أى تم ايمانك) .

ولا يفوت القارىء الكريم أن الاساس الاول من أسس الاسلام قام على الشهادتين بأن لا اله الا الله محمد رسول الله ، فلو شهد انسان بالشهادة الاولى دون الثانية لم يقبل الله اسلامه ، لانه تعالى ربط بين الشهادتين ربطا وثيقا . فقول القائل فى الشهادة الثانية بعد الاولى وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (أى أتحقق وأجزم بصدق الرسالةالمحمدية) يدخل به فى عداد المسلمين الموحدين .

ويقول علماء المناسبة : انك لو تأملت فى عدد حروف « لا اله الا الله — وجدتها اثنى عشر حرفا ، كما تجد حروف « محمد رسول الله » اثنى عشر حرفا ، فانظر كيف جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم مناسبة تشريف فى مساواة حروف الشهادتين .

ويقول السادة العارفون : ان الله تعالى اطلع على قلوب أصفيائه فوجد أن القلب المحمدى أشوق القلوب الى الله تعالى ، فعجل الله له الرؤية فى هذه الدنيا قبل ان يراه الاخرون فى الجنة مصداقا لقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة) وكان ذلك التعجيل ليلة المعراج حين تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينسبه ربه اليه بتمام العبودية فحقق الله أمنيته ونطق القرآن الكريم بشرف تلك العبودية الكاملة فى آيات كثيرة من آياته البينات (**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا ...**) (**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا**) (**ان كنتم آمنتم بالله وماأنزلنا على عبدنا يوم الفرقان .**) الخ

وقوله تعالى (**فأوحى الى عبده ما أوحى**) بصيغة التنكير انما هو يفيد التفخيم وتعظيم ما أوحى اليه من خزائن العلم المكنونة المطهرة التى لم يطلع عليها غيره صلى الله عليه وسلم ، وذلك مايفسر لنا قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا أعلمكم بالله» وقوله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا ولخرجتم ، الى الصعدات . ولما تقاررتم على الفرش » وهو ما يدلنا على أنه صلوات الله وسلامه خصه الله بعلوم تجهلها أمته ، وانما

تعلمت الامة من علومه ما استطاعت حمله وهو جزء مما علمه صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى .

ويقول تعالى ممتنا على الامة بالرسالة المحمدية **(لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)** . وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقف من ربناسبحانه وتعالى موقف العبودية حين كان يقول فى سجوده : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، انت كما أثنيت على نفسك .

ويقول السادة الصوفية فى تعليقهم على ذلك القول النبوى : احتشم من الثناء على ربه فى مقام القرب ، فأخرج نفسه من الثناء عليه بما أثنى الله تعالى به على نفسه قبل الخلق وحمد نفسه قبل حمدهم له ، وشهد لنفسه بالوحدانية قبل شهادتهمله ،فقال :أنت كما أثنيت على نفسك . فهذا حقيقة التجريد وهو أن يتلاشى العبد كما لم يكن ، ويكون الله تعالى كما لم يزل ، ويضيف السادة الصوفية قائلين : فلو جمع جميع اشارات الواجدين والعارفين والمتحققين فى التوحيد لم يبلغ عشر معشار ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك المعنى .

ثم انظر كيف يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبوديته الكاملة فيقول فى دعواته اللهم اكفلنى كفالة الوليد ، لا تكلنى الى نفسى طرفة عين وجهت وجهى اليك والجأت ظهرى اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك » فلم يضف صلى الله عليه وسلم فعلا الى نفسه بل خرج من حوله وقوته الى حول الله وقوته ، فعلمنا أن نذوق معنى ما نقرأ فى الفاتحة **(اياك نعبد واياك نستعين** فالعبودية تقتضى الاعتراف بالربوبية والركون الى فضله سبحانه وتعالى اظهارا لحاجة العبد الى ربه واستغناء الله عن عباده على الدوام .ويقول سيدى ذو النون المصرى رضى الله عنه فى التجائه الى الله تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم :

أنخنا فى فنائك يا الهى
اليك مفوضين بلا اعتدال
فسسنا كيف شئت ولا تكلنا
الى تدبيرنا ياذا المعالى

ويقول سيدى الروذ بارى رضى الله عنه :

انى أجلك عن روحى وابذلها
فداء عبدك روح أنت واهبها
وكيف تفديك روح أنت واهبها
وقد مننت على من يفتديك بها

ويقول سيدى الرازى رضى الله عنه :

اذا كان داء المرء حب مليكه
فمن غيره يرجو طبيبا مداويا
كلونى الى المولى وكفوا ملامتى
لآنس بالمولى على كل ما بيا

ويقول السادة الصوفية : الذل للمحبوب من شيم العشاق وأنشد بعضهم فى ذلك :

أذل لمن أهوى لاكسب عزة
وكم عزة نالها المرء بالذل
اذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن
ذليلا له فاقر السلام على الوصل

واذا أردت شاهدا من كتاب الله تعالى على صحة ما ذهب اليه السادة الصوفية فاقرأ قولهتعالى **(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)** والنصر على الاعداء فى ساحة القتال عزة واى عزة فتأمل كيف جاءتهم العزة من باب الذل لله تعالى .

واقرأ كذلك قوله تعالى **(فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير . فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين)** فما كاد سيدنا موسى عليه السلام يظهر فقره وحاجته لله تعالى حتى جاءه اليسر بعد العسر والامن بعد الخوف والاستقرار بعد السفر الطويل المرهق ثم الزواج بكريمة من الكرام ثم أعقب ذلك كله رسالته السماوية وشرف تكليم الله واجابته فيما طلبه من اشتراك أخيه فى شرف الرسالة وسبحان الله الفعال لما يشاء والذى بيده وحده المنع والعطاء .

وقد سئل الامام الجنيد رضى الله عنه : أيها أتم ، الاستغناء بالله تعالى ، أم الافتقار الى الله عز وجل ؟ فقال : الافتقار الى الله عز وجل موجب للغناء بالله عزوجل ،فاذا صح الافتقار الى الله كمل الغناء بالله تعالى فلا يقال أيهماأتم لانهما حالان لا يتم أحدهما الا بتمام الاخر ومن صحح الافتقار صحح الاستغناء .

ويقول السادة الصوفية أن المؤمن يجب أن يكون فى غناه مفتقرا الى الله ، وفى فقره مستغنيا بالله عز وجل ، لانه تعالى قادرعلى أن يبدل الاحوال فيفقر الغنى ويغنى الفقير ، وهذا المشرب هو الذى يميز الخواص من العوام ، فان العوام يلجأون الى الله عند الاضطرار ويغفلون عنه بعد ذلك ، ولكن الخواص يلجأون اليه فى جميع أوقاتهم وفى الاضطرار او الاختيار ولا يغيب عنهم قوله تعالى **(يأيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد)** فقد دخل فى الافتقار اليه سبحانه جميع الناس على اختلاف طبقاتهم من أغنياء وفقراء وعلماء وجهلاء وأصحاء ومرضى ، ومؤمنين وكافرين ومضطرين ومختارين .

واذا علم العبد أن جميع النعم ظاهرة وباطنة انما هى من عطاء الله سبحانه ، وأنها محفوظة عليه من فضله تعالى ، دون الزام عليه أو استحقاق ، وجب على العبد أن يحب ربه حبا يتناسب مع النعم التى تجرى عليه من احسانه تعالى واكرامه ، فقد جلبت النفوس على حب من أحسن اليها ولا محسن مثل الله . ومحبة الله تقتضى محبة الدال عليه وهو مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما تقتضى محبة الله ان يحب المؤمن أخاه المؤمن الذى التقى به فى

العقيدة على بساط محبة الله ورسوله • وفى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ، ومن يكره أن يعود الى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار » •

وللسادة الصوفية فى تعريف محبة الله أقوال كثيرة فمنهم من يقول : المحبة هى الميل الدائم بالقلب الهائم ، ومن يقول : هى استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من ربك ، ومن يقول : المحبة هى الموافقة ، ومن يقول : حقيقة المحبة أن تهب كلك لربك فلا يبقى لك منك شىء ، أما الامام الحارث المحاسبى رضى الله عنه فقد قال : المحبة ميلك الى ربك بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه •

وقال الامام ابو بكر الكتانى رضى الله عنه : جرت مسألة فى المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا ، فقالوا له : هات ما عندك يا عراقى ، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال :

عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر اليه بقلبه ، أحرق قلبه أنوار هويته ، وصفا شربه من كأس وده ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه ، فان تكلم فبالله ، وان نطق فعن الله ، وان تحرك فبأمر الله : وان سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله ، قال فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين •

اما سيدى وشيخى الشيخ على عقل فقد عرف المحبة الهاما فى ارتجاله الفورى الذى نقلناه عنه فقال :

قالوا صف الحب لا تخطئه فى صفة
ان كان وصفك بالحق اتبعناه
فقلت صدق واخلاص وتكرمه
وأن تموت وان المقصد الله

وأن تسير على الشرع الشريف ولا
تخل بالحكم أو تلعب بمعناه

وأن تعيش مع الرحمن منكسرا
وأن يكون لك البارى هو الجاه

فان تكن هكذا كنت المحب فان
قالوا ابتدعتم أجبنا قد رضيناه

ومن سوى الله نرضاه ونقصده
منذا يشابه رب العرش نهواه

واذا أردت أن تعرف كيف آثر بحبه ربه فاقرأ له قوله من الهامه الفورى :

فتشت كل الخلق عن علم فلم
أر لى سوى رب السما من وال

فتركت كل العالمين وجئته
وجعلت ذكرى ذاته منوالى
يا نفس انى لا امالىء غيره
قومى الى حوض الكريم تعالى
الله قربنى اليه بفضله
لم يرض لى فى الحب أى تعالى
ان الذى فهم المحبة قلبه
فى القدر من بين البرية عال

ثم هو لا ينشد من حبه العارم الذى وقف نفسه عليه الا حسن لقاء الله تعالى فيقول رضى الله عنه :

انا لو اشرب البحار جميعا
لم أزل فى محبتى ظمآنا
لست أروى بلقياك يا رب
فهذا اللقاء أسمى رجانا

ان الصوفى القديم شرب الحب كأسا بعد كأس حين قال :

شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب ومارويت

ولكن شيخنا رضى الله عنه شرب البحار جميعها حتى لم يبق منها صبابة ومازال ظامئا لا يرويه الا لقاء حبيبه ، وصدقت أم المحبين والمحبات السيدة رابعة العدوية حين قالت : المحب لايسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه • ويسترعى السادة الصوفية انتباهنا فيقولون : ان أم الصبى تدفع صبيها عن حجرها فيرتمى مرة اخرى على حجرها لانه لا يجد أرحم به وأعطف عليه من حجر امه وان ردته عنه • وكذلك المحبون فانهم يسعون لحمى ربهم الاقدس بكل همة مهما تحملوا فى السعى اليه من مكابدات ومجاهدات لانه لا غنى لهم عنه فى أى حال •

ويقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

المحبة آخذة من قلب عبده كل شىء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته ، والعقل متحصنا بمعرفته ، والروح مأخوذة فى حضرته ، والسر مغمورا فى مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزداد ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته ، ليكسى حلل التقريب على بساط القربة فيمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم ويقول صوفى قديم :

ما عنك يشغلنى مال ولا ولد
نسيت باسمك ذكر المال والولد
فلو سفكت دمى فى التراب لانكتبت
به حروفك لم تنقص ولم تزد

ويقول آخر:

ارحم حشاشة نفس فيك قد تلفت
قبل الممات فهذا آخر الرمق

ولو مضى الكل منى لم يكن عجبا
وانما عجبى للبعض كيف بقى

هذا ومن علامة محبتك لله، محبة كل من أحبهم الله من الرسل والملائكة الكرام والاولياء والاتقياء، والمؤمنين والتائبين والمتطهرين والمجاهدين والعلماء والواعظين، وفى طليعة كل هؤلاء مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عرفنا الله وعرفنا عباده الابرار بواسطته صلى الله عليه وسلم. ومحبته صلى الله عليه وسلم تقتضى اتباعه، ونصر سنته بالقول والفعل، وترك مخالفته، كما تقتضى مودة أزواجه وآل بيته وذراريهم ثم موالاة الصلاة والتسليم عليه امتثالا لقوله تعالى (**ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) لا تنس أنه صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال (ان اولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة) أى أحق بشفاعته صلى الله عليه وسلم، وفيما رواه الطبرانى عن الامام الحسن بن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى).

ويقول الشيخ الصاوى رحمه الله فى تعقيبه على الاية السابقة ان الله وملائكته يصلون على النبى هذه الاية فيها اعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق اذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة لقوله تعالى (**هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور**) فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين، والمراد بالملائكة جميعهم، والصلاة من الملائكة الدعاء للنبى بما يليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة النبى كل شىء تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات (صلوا عليه) أى ادعوا له بما يليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله فى مطلق الصلاة واظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لانه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصل له نعمة من شخص ان يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه، ولما كان الخلق عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، والصلاة الواصلة للنبى صلى الله عليه وسلم من الله لا تقف عند حد فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهى دائمة بدوام الله.

ومن روائع ابن تيمية فى كتابه الصارم المسلول قوله:

« ان الله سبحانه وتعالى أوجب لنبينا صلى الله عليه وسلم على القلب واللسان والجوارح حقوقا زائدة على مجرد التصديق بنبوته، كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح امورا زائدة على مجرد التصديق له سبحانه، وحرم سبحانه لحرمة رسوله مما يباح أن يفعل امورا زائدة على مجرد التكذيب بنبوته. فمن ذلك أمر بالصلاة عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه .. ثم انه سبحانه يصلى عشرا على من يصلى عليه واحدة حضا للناس على الصلاة عليه ليسعدوا بذلك وليرحمهم الله بها. ومن ذلك انه أخبر انه اولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن حقه أن يحب وأن يؤثره العطشان بالماء والجائع بالطعام وانه يجب أن يوقى بالانفس والاموال كما قال سبحانه (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) فعلم أن رغبة الانسان بنفسه أن يصيبه ما يصيب النبى صلى الله عليه وسلم من المشقة معه حرام. وقال تعالى مخاطبا المؤمنين فيما أصابهم من مشقات الحصر والجهاد (**لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا**). ومن حقه أن يكون أحب الى المرء من نفسه وولده وجميع الخلق كما دل على ذلك قوله تعالى (**قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين**) مع الاحاديث الصحيحة المشهورة (وقد أثبتنا بعضها فى صدر المقال).

ومن ذلك ان الله أمر بتعزيره وتوقيره فقال (وتعزروه وتوقروه) والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير اسم جامع لكل مافيه سكينة وطمأنينة من الاجلال والاكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار. ومن ذلك انه خصه من المخاطبة بما يليق به فقال (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فنهى أن يقولوا يا محمد أو يا أحمد أو يا أبا القاسم لكن يقولون، يا رسول الله، يانبى الله. ومن ذلك أنه حرم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرم رفع الصوت فوق صوته وأن يجهرله بالكلام كما يجهر الرجل للرجل.

ومن ذلك أنه حرم على الامة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضا مثل نكاح أزواجه من بعده فقال تعالى (**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما**) وأوجب على الامة احترام أزواجه وجعلهن أمهات فى التحريم والاحترام فقال تعالى (**وأزواجه أمهاتهم**) ....

(**البقية ص ٧٥**)

قطوف

الاستاذ علي الجندي

درهمك وسيفك :

من كلام العباس بن محمد العباسى للرشيد : انم
هو درهمك وسيفك ، فازرع بهذا من شكرك ، واحصد
بهذا من كفرك !

فقال الرشيد : يا عم ، والله ما للملك غير هذا ؛
كما قيل :

لم أر شيئا صادقا نفعه
للمرء كالدرهم والسيف
يقضى له الدرهم حاجاته
والسيف يحميه من الحيف

العدل والشجاعة :

سأل الاسكندر حكماء بابل : أيما ابلغ عندكم :
الشجاعة أم العدل ؟ فقالوا : اذا استعملنا العدل ،
استغنينا عن الشجاعة .

وقال قدامه : حسبكم دلالة على فضيلة العدل،أن
الجور الذى هو ضد العدل لا يقوم الا به وذلك أن
اللصوص اذا أخذوا الاموال ، واقتسموها بينهم ،
احتاجوا الى استعمال العدل فى اقتسامهم والا أضر
ذلك بهم !

الدعوة الى المبارزة :

يجوز للمقاتل من المسلمين أن يدعو الى المبارزة ،
لما فيها من اظهار القوة فى دين الله ! بعد أن يعلم من
نفسه أنه لن يعجز عن مقاومة خصمه ، ويقدر على
دفع عدوه ؟

ولكن لا يجوز ذلك لزعيم الجيش ، فانه اذا طلب
المبارزة وقتل ، اثر ذلك فى المسلمين ، وربما يفضى بهم
عدمه الى الهزيمة ، ورسول الله ــ صلى الله عليه
وسلم ــ انما برز لمقاتلة أبى بن خلف يوم أحد ، لثقته
بنصر الله وانجاز وعده ، وليس ذلك لغيره .

**ويجوز لامير الجيش ــ اذا حض على الجهاد ــ
أن يعرض للشهادة من الراغبين فيها من يعلم أن قتله
فى المعركة مما يحرض المسلمين على القتال حمية له .**

عقر الخيل فى القتال :

ليس لاحد من المسلمين أن يعقر فرس نفسه
استماتة فى القتال ، لان الخيل من القوة التى أمر الله
تعالى باعدادها فى جهاد عدوه ، قال
سبحانه : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** »

ولا احتجاج بعقر جعفر بن أبى طالب فرسه
يوم « مؤته » فانه اقتحم بفرس له شقراء حتى التحم
القتال ، ثم نزل عنها وعقرها وقاتل حتى قتل ــ رضى
الله عنه ــ وهو أول رجل فى الاسلام عقر فرسه !
وانما عقر فرسه بعد أن أحيط به ، فعقره لها خشية أن

يتقوى بها المشركون على المسلمين، فصار عقرها كعقر خيولهم!

وذلك كتدمير آلات الحرب فى عصرنا عند الهزيمة حتى لا تقع سليمة فى يد الاعداء!

الخداع فى الحرب:

فى الحديث الشريف: «**الحرب خدعة**»

جاء فى النهاية لابن الاثير: أنها تروى **بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال، وتروى أيضا بضم الخاء مع فتح الدال**.

فمعنى «خدعة» - بفتح الخاء وسكون الدال - أن الحرب قد تكسب بخدعة واحدة من الخداع أى أن المقاتل اذا خدع مرة واحدة، انقضى أمره، وهى أفصح الروايات وأصحها.

ومعنى «خدعة»، بضم الخاء وسكون الدال: الاسم من الخداع.

ومعنى «خدعة» - بضم الخاء وفتح الدال - كتؤدة: أن الحرب تخدع الرجال وتميتهم، ولا تفى لهم، كما يقال: فلان رجل لعبة وضحكة - بضم اللام والضاد وفتح العين والحاء: أى كثير اللعب والضحك.

المرابطة فى الجهاد:

قال تعالى: «**يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**»

والمرابطة فى سبيل الله تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف فى المساجد من الصلاة، لان المرابط يقيم فى وجه العدو متأهبا مستعدا، حتى اذا أحس من العدو بحركة أو غفلة نهض فلا يفوته ولا يتعذر عليه، كما أن المعتكف يكون فى موضع الصلاة مستعدا فاذا دخل الوقت، وحضر الامام قام الى الصلاة.

قال الحليمى: ولاشك أن المرابطة أشق من الاعتكاف، على أن صرف الهمة الى انتظار الصلاة قد سمى رباطا لما جاء فى الحديث فيما يكفر الخطايا: «وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»

ومما جاء فى فضل الرباط قوله - صلى الله عليه وسلم - «رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه فان مات جرى عليه أجر المرابطة ويؤمن من الفتان، ويقطع له برزق الجنة».

ثعلب المسلمين

كان مالك بن عبد الله الخثعمى على الصائفة - وهى الجماعة تقام وتصف للحرب - فكان اذا أراد الرحيل يحمد الله ويثنى عليه، ثم يقول، انى دارب بالغداة درب كذا - أى سالكه - متعمدا أن تسمع جواسيس العدو ذلك، فاذا أصبح سلك بالناس طريقا آخر!

فكانت الروم تسميه: «الثعلب».

من الكلمات المكروهة!

من الكلمات المكروهة أن يقال: هذا حكم الله وهذا حكم الديوان، فان هذا من قائله اشراك بالله، اذ لا حكم الا لله، قال عز وجل: «**فالحكم لله العلى الكبير**» وقال سبحانه: «**ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين**» وقال تعالى: «**ولا يشرك فى حكمه أحدا**» وقال عز من قائل: «**لا معقب لحكمه**»

قضاء المرأة:

من شروط تولى القضاء - وهى ثمانية شروط - أن يكون القاضى ذكرا.

وقال أبو حنيفة: يجوز أن تقضى المرأة فيما تصح فيه شهادتها، دون ما لا تصح فيه.

وجوز الطبرى قضاءها فى جميع الاحكام. قال النويرى: والاجماع يرد ذلك وأقول: ان مبايعة أهل مصر وفيهم العلماء لشجرة الدر بالسلطنة وهى أعم من القضاء، يرد قول النويرى.

ظاهر القرآن وباطنه:

قال صاحب القاموس فى مادة «طلع»: فى الحديث «ما نزل من القرآن آية الا لها ظهر «وبطن ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع».

والمطلع - بضم الميم وفتح الطاء المشددة: أى مصعد يصعد اليه من معرفة علمه.

ويقول حجة الاسلام الغزالى فى الاحياء: «ان كل ما أشكل فهمه على النظار، واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات، ففى القرآن اليه رموز، ودلالات عليه.. وأن القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها.

ويعرض الغزالى لهذا الموضوع فى كتابه جواهر القرآن، فيذكر أن جميع العلوم دينية ودنوية - ما عددها وما لم يعددها - ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الافعال، وانه بحر لا ساحل له، فان البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد قبل أن تنفد.

معانى أخرى لبعض الايات:

فى مصائر ذوى التمييز «فاخلع نعليك» قيل وهو على الظاهر. وقال بعض الصوفية: هذا مثل، وهو أمر بالاقامة والتمكن، كقولك لمن رمت أن يتمكن: انزع ثوبك وخفك ونحو ذلك. «الجنة» من معانيها

التوحيد ، قال تعالى : « والله يدعو الى الجنة والمغفرة » ، قال المفسرون : أى الى الايمان .

« التابوت فيه سكينة من ربكم »

قيل : التابوت : عبارة عن القلب ، والسكينة : عبارة عما فيه من العلم . ويسمى القلب : سفط العلم ، وبيت الحكمة وتابوته ووعاؤه وصندوقه .

« وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال »

قيل : ليس المراد بالحجب ما يحجب النظر ، وانما المراد ما يمنع وصول لذة الجنة الى أهل النار ، وأذية أهل النار الى أهل الجنة .

« وجمع الشمس والقمر »

قالوا : هذا كناية عن الاحتضار . والمراد بالشمس : الروح . والمراد بالقمر : البصر .

أى تخرج الروح – المعبر عنها بالشمس ، ويخرج معها ضوء البصر المعبر عنه بالقمر ، لانه مستمد من الروح تابع لها كما يتبع الشمس القمر .

وقال الغزالى : فى قوله تعالى : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم : وريشا ولباس التقوى » « لباسا يوارى سوآتكم » يعنى : العلم .

وريشا : يعنى اليقين . ولباس التقوى : يعنى الحياء .

النيروز :

النوروز بالواو : هو الاسم الاعجمى ، وعربيته : نيروز بالياء . وهو أول يوم من السنة عند الفرس ، أى عند نزول الشمس أول برج الحمل ، وعند القبط أول توت .

ومعنى نوروز بالفارسية : اليوم الجديد ، وربما أريد به يوم فرح وتنزه .

وقال المعرى فى « عبث الوليد » – يقصد ديوان البحترى : النيروز فارسى معرب ، ولم يستعمل الا فى دولة بنى العباس ، فعند ذلك ذكره الشعراء المولدون ، ولم يأت فى شعر فصيح اذ كان نقل عن أعياد فارس .

لطيفة نيروزية :

يقول النويرى : اتفق يوم النوروز فى بعض السنوات ، لسبع خلون من شهر ربيع الاول ، فأكل الناس الرطب قبل النوروز ، ولم يبق فى النخل شىء منه .

ثم حمل النخل حملا ثانيا ، فأكل الناس البلح والبسر مرة ثانية .

ثم قال : ولم يتفق مثل هذا فى سنة من السنين ، ولا سمع فى تاريخ الى وقتنا هذا .

جائزته الصلاة :

كان ابن المدبر الكاتب اذا مدحه شاعر ، فلم يرض شعره ، أمر غلامه أن يمضى به الى المسجد الجامع ولا يفارقه حتى يصلى مائة ركعة ثم يطلقه !

فتحاماه الشعراء الا الافراد المحسنين للشعر .

وجاءه يوما ابن عبد السلام المعروف بالجمل ، فاستأذنه فى النشيد ، فقال : قد عرفت الشرط ؟ قال نعم ثم أنشده :

أردنا فى أبى حسن مديحا
كما بالمدح تنجع الولاة
وقلنا اكرم الثقلين طرا
ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن
جوائزه عليهن الصلاة
فقلت لهم : وما تغنى صلاتى
عيالى ! انما الشأن الزكاة
فتأمر لى بكسر « الصاد » منها
فتصبح لى الصلاة هى الصلات

فضحك ابن المدبر ، واستظرفه ، وقال له : من أين أخذت هذا ؟

قال من قول أبى تمام الطائى :

هن الحمام فان كسرت عيافة
من حائهن فانهن حمام

فاستحسن ذلك منه وأحسن صلته .

العيافة : التكهن بالطير أو غيرها للتفاؤل والتشاؤم .

البلوغ فى سن الحادية عشرة !

منذ عهد قريب نشرت الصحف أن فتاة غربية ولدت ولدا فى سن الحادية عشرة !

وقد جاء فى كتاب « العثمانية » للجاحظ : أن ابن احدى عشرة سنة يكون بالغا ويولد له الاولاد .

وقد روت الرواة : أن عمرو بن العاص لم يكن أسن من ابنه عبد الله الا باثنتى عشرة سنة .

وهذا يوجب أنه احتلم وبلغ فى أقل من احدى عشرة سنة .

ورووا : أن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، كان أصغر من أبيه على بن عبد الله بن العباس باحدى عشرة سنة .

والذكر والانثى فى ذلك سواء ، بل ربما كانت البنت أسرع الى البلوغ ، فقد قال الجاحظ : وقد يكون فى الاقل نساء يحضن لعشر وتسع ، وقد ذكر الفقهاء ذلك .

وقال الفقهاء أيضا : ان نساء تهامة يحضن لتسع سنين لشدة الحر ببلادهن

التبرك بآثار الصالحين :

عن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة جاءه خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها ، فربما جاءوه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها .

وعن أنس قال : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه ، وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا فى يد رجل » .

وفى الحديث بيان رقة خلقه صلى الله عليه وسلم وتواضعه لاصحابه ، وصبره على المشقة ارضاء لهم ،

وفيه التبرك بآثار الصالحين ، وبيان حب الصحابة – رضى الله عنهم – للرسول الاكرم – صلوات الله عليه – وحرصهم على التبرك بآثاره ، وصونها ، والاحتفاظ بها .

خالق الكون و الناس

الاستاذ محمد المتولى النظامى

الله خلق الكون بما حوى من ابداع ، وخلق الانسان خليفتـه فى الارض فى أحسن تقويم ، وسخر له ما فى الكون والارض ، وجعله مكونا من جسم غذاؤه مما تنبت الارض ، وروح غذاؤها الحق ما ينزل الله من وحى على رسله ، وتوج هذا التكـوين بالعقـل المفكر ، وجعل للانسان حساسة دينية بفطرته ، فهو يتطلع الى البحث عن الدين ، وهذا الدين قد يبدأ بالوثنية ، ثم ينتهى بالوصول الى التوحيد ، والكمال المطلق ، والقوة العليا التىتسير الكون ، وتدبرأمره ، وترسل الرسل مبشرين ومنذرين، داعين الى الفضائل ، محاربين للرذائل .

وكلف الله الانسان العاقل بواجبات باعتباره أهلا للمسئولية والجزاء ، والثواب والعقاب وجعله مستعدا بفطرته للخير والشر ، محتاجا الى الدين الذى يوجه الميول البشرية الى الخير والصالح العام ، ويساعد العقول فى التوجه الى الله ، ويضع مقومات السلوك ، وأسس الفضـائل الانسانية ، ويمنح المرء الامـن والطمأنينة والهدوء النفسى ، ويحول بينه وبين المفاسد ويبعـد عنه القلق النفسى ، والتوتر العصبى . قال تعالى : « وان من امة الا خلا فيها نذير » وقال : « ومن أحسن من الله حكمـا لقوم يوقنون » وقال : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صـدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنمـا يصعد فى السماء » .

والاديان السماوية تدعو الى الايمان بقوة عليا روحية هى قوة الله الذى أحاط بكل شىء علما ، والذى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » خلق الكائنات المـادية وسير أمرها ، ووضع قوانينها باتقان واحكام ، ومقدرة تفـوق كل تقدير ، وخبرة تفوق كل خبرة وتصـوير ، وعلم يفوق كل علـم وتعليـم .

فالله هو الخالق المبدع المصور ، خالق الكون ، وصـانع قوانينه ، وبيده مقاليده وتسييره ، وهو المحرك الاول لكل حركة فيه ، والقادر : الرازق المهيمن على مخلوقاته ومقدراته ، مانح الرزق والحياة لكل كائن حى ، يحيى الدودة ، ويرزقها فى الصخر المغلق ، ويخرج القطن الابيض من الطين الاسود ، والفاكهـة اللذيذة : والوردة الفواحة من التربة العفنة ، ويجعل الخروف يأكل ورق التوت فينتج وسخا ، ويأكله دود القز فينتج حريرا ، ويمتص ثمره النحل فينتج عسلا فيه شفاء للناس ، ويخرج الوسخ من معدة البقره ، واللبن الابيض المفيد من ضرعها .

وفى كل شىء له آية ... تدل على انه الواحد .

وصدق قول الله : « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون » وقوله : « افرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ . نحن قـدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم . وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشـأة الاولى فلولا تذكرون . افرأيتم ما تحرثون ؟ ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ . لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . انا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرأيتم المـاء الذى تشربون ؟ . أأنتم أنزلتمـوه من المزن أم نحن المنزلـون . لو نشاء جعلنـاه أجاجا فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التى تورون ؟ . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ؟ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم » .

والناس فى اشد الحاجة الى الايمان بالقوة العليا ، وبالمبادىء السماوية ، اذ ان فى الايمان بها علاج للنفس ، وتجديد للامل والرجاء ، وطمأنينة للقلب ، ونأى به عن الخطـايا والدنايا والمهلكات ، وتهذيب للغرائز ، وكبح لجماح شهواتها ، وحياء للضمير وجعله خير رقيب على التصرف ، وصـيانة للاعراض والاموال والحرمات ، وعزاء للمصابين وتسلوى لهم وصبر ، وأمل فى الله ورجاء . قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبـل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ،لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بمـا آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » .

والله ختم الاديان برسالة محمد عليه السلام ، الصـالحة لكل زمان ومكان ، المتجددة على مر الايام ، المتصفة بالمرونة ، والتى

تقرر للناس مبادىء السلام والاخاء والحرية والعدالة والمساواة ، وتربى النفوس وتعالجها بالتعليم والتهذيب ، والترغيب والترهيب، وتأمر بما يصلح الناس ويصلح المجتمع ، وتنهى عما يفسدهم ويقوض دعائم مجتمعهم .

وبقوة مبادىء هذه الرسالة تكون المجتمع الاسلامى القوى الذى حارب أبناؤه الرذائل ، وتمسكوا بالفضائل ، وطبقوا المبادىء ، ونشروها شرقا وغربا ، وجاهدوا فى سبيل نشر دعوته ، فلم يقف أمام شجاعتهم اى معاند ، ولم يجد اليأس أو الخور الى نفوسهم سبيلا ، لانهم كانوا يقاتلون لاعلاء كلمة الله رجاء احدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، فدانت لهم فارس والروم ، وما وراء فارس والروم ، وخلق الدين منهم أمة ، وجعل لهم دولة ، وأصبحت مكة وصحراؤها قبلة القاصدين ، وأصبح العرب الاميون علماء مبرزين ، وخلد فى صفحات التاريخ منهم أبطال فاتحون .

وتفتحت لهذا الدين القلوب والضمائر ، وحتى بعد أن ضعفت قوة المسلمين السياسية ، واستولى المغول على بغداد سنة ١٢٥٨م ، وبعد أن أخرج المسلمين من قرطبة بالاندلس سنة١٢٣٦م، نجد الاسلام ينتشر بذاته كما ينتشر الضوء فى أندونيسيا وجزر الملايو لانه من صنع الله الذى يعرف الداء والدواء ، ونجد الكفار الذين سفكوا دماء المسلمين من أتراك وسلاجقة فى القرن الحادى عشر ، ومن مغول فى القرن الثالث عشر يعتنقون مبادىء الاسلام ، ويتعلقون بها تعليق النفس بالنسيم الطليق ويعملون على نشرها ، ويصبحون من دعاتها ونجده ينتشر فى افريقيا بذاته ، وبدون حكومة أو جماعات تعمل على نشره ، وبذل المال فى سبيله ، ويقبل على اعتناقه زنوج أمريكا لانه دين الفطرة السليمة ، ولانه من صنع الله الذى يعلم الامراض الاجتماعية ، ويصنع الدواء الناجع لها وصدق قول الله : (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما » وقوله : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقوله : « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق » .

ولقد ذكر رسول الله مثلا بين فيه مكان دعوته من الهداية الالهية التى قدم بها الانبياء من قبل فقال عليه السلام : « ان مثلى ومثل الانبياء من قبل ، كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه واجمله ، الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة !! فانا اللبنة ، وانا خاتم الانبياء » .

وهناك أناس ملحدون ينكرون وجود الله ، خالق الكون والناس ويعتبرون الدين مجرد خرافة ومخدر للشعوب ، ولايقيمون وزنا للقيم والاخلاق ، ولا يؤمنون الا بالعلم التجريبى مجردا من القيم ، أما الاله فانهم ينكرونه ، ولا يعملون عقولهم فى آياته ومخلوقاته وانفسهم ليتوصلوا الى الحق ، والى أن الكون لابد أن يكون له خالق ، وانه اذا كان للكون بداية فلابد ان يكون هناك مبدىء وصانع ومبدع ومحرك . وكما يقول ديكارت (لقد خلقنى غيرى ، وهذا الغير لابد وأن يكون أكمل منى ، لان الناقص لا يخلق من هو أكمل منه ، ولا يمكن أن يكون مماثلا لى ، فلم يبق اذن الا المطلق وهو الواحد الخالق الاحد (وصدق قول الله « وفى انفسكم أفلا تبصرون » .

ولكن الجاحدين يفكرون فى الله كما لو كان بشرا يريدون أن يلمسوه ، وأن يبصروه ،وأن يجعلوه فى متناول تفكيركم بعقولهم القاصرة ، مع ان الله ليس كمثله شىء وهو فوق قدرة العقول وفوق تصورها ، والخفافيش تعمى فى ضوء النهار لا لضعف النهار ، وانما شدة نوره ، فكذلك العقول ضعيفة عن ادراك ذات الله المشرقة ، فالله نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، فاذا انكر وجود الله المنكرون فقد انكروا الرسل والعقيدة ، وانكروا اليوم الاخر بما فيه من ثواب وعقاب ، وانكروا القيم والمبادىء الانسانية السامية التى تؤدى الى اصلاح المجتمع بمبدأ الترغيب والترهيب ، وتؤدى الى التسابق للعمل الصالح لنيل رضاء الله وثوابه . وصدق قول الله : « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . وقوله : « فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم أزواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » وقوله : « ما أشهدتهم خلق السموات والارض ، ولا خلق أنفسهم ، وما كنت متخذ المضلين عضدا » . وقوله : « وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

وهناك عناصر متعددة طامعة وجائعة وحاقدة وخائنة تعادى الاسلام وتكيد للمسلمين ، سواء أكان ذلك بالسلاح والجيوش ، أم باثارة الفتن وافساد الاخلاق ، أم بالبعد عن الدين والتشكيك فيه ، زاعمين انه سبب التأخر وعلة التخلف ، مع انه بغير الايمان بالله ، وبانكار وجوده الذى لا يؤيده دليل تفقد الحياة معناها ، وتعمها الشرور ، وينتشر فيها اليأس والقلق ، والانتحار والجشع والظلم ، وتنتهك الاعراض ، وتنهب الاموال ، وتزهق الارواح البريئة ، وتضطهد الاقليات وتسلب الحقوق ، ويمنع الانسان من حرية التصرف فى ماله وشئونه وينعدم الاخاء والحرية والعدالة ، والرحمة ، وكل ما هو كريم ، لانعدام المبادىء الثابتة التى تصونها وتدعمها ، لان الحقوق متى كانت من صنع البشر فهى وضعية قابلة للانكار والتغيير والسلب فى أى وقت ، ولان الاخوة الحقة تنعدم أمام غريزة القوة متى انعدم الحب فى الله ، ولكن الحرية تنعدم ، متى انعدم الوازع الدينى فاصبح المرء عبدا للغرائز ، واهدرت آدميته فاصبح عبدا مسخرا للاله ، يعيش كالحيوان ليأكل ، ولان الوحشية تنتشر بادعاء أن صالح الدولة فى السيطرة على الاخرين دون أى اعتبار ، والكافر الملحد لا يحول دون شره شىء ما دام الخوف منه سبحانه غير موجود اذ الخوف من القانون غير كاف لتكوين السلوك الاخلاقى . قال تعالى : « الذين كذبوا بالكتاب ، وبما أرسلنا به رسلنا ، فسوف يعلمون ، اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ، ثم فى النار يسجرون » . وقال : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ، ثم مأواهم جهنم ، وبئس المهاد ، لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها ، نزلا من عند الله ، وما عند الله خير للابرار » . وقال النبى عليه السلام : « ان للشيطان لمة يا ابن آدم — وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاز بالشر ، وأما لمة الملك فايعاز بالخير ، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله ، فليحمد الله على ذلك ، ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان » . وقال : (ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك ؟ فيقول الله : فيقول : ومن خلق الله ؟ فاذا وجد أحدكم ذلك ، فليقل آمنت بالله ، فان ذلك يذهب عنه) .

والدين شرع الله ، واهب النعم والخيرات ، وهو مع المؤمنين برعايته وتوفيقه ، أفضاله لا تحصى ، يأتى بالفرج بعد الشدة والضيق ، والانتصار بعد النكسة والهزيمة ، والشفاء بعد المرض والالم ، والنجاة بعد الاشراف على الغرق ، ويمنح الاموال والاولاد وهم زينة الحياة الدنيا ، ويتفضل بالصحة وهى مصدر السعادة والبهجة ، ويستر على عباده ويتوب عليهم ، ويحول بين المرء وبين الشرور التى تدبر له ، أو تسولها له نفسه ، ويقتص للمظلوم من ظالمه حين يتجه اليه مستغيثا به : قال تعالى : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض أاله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشرابين يدى رحمته أاله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون) .

وقال : « فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون » . وقال : « أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ؟ » . وقال : « هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه ؟ » وقال واصفا أمر الجاحدين المنكرين : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، ان الله كان

زيزا حكيما » وذلك لكى يجعل الله عذابهم دائما ؟ فكلمـــا احترق الجلد وهو موضع الاحساس ، أعاد الله الاحساس مـن جديد باعادة الجلد حتى يعود اليهم الاحساس بالالم وقـال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟ » .

والدين هو الذى يزرع الخشية فى القلوب حيث يجعل المـرء مسئولا أمام الله يراقبه فى جميع التصرفات والاعمال لان اللـه يعلم السر واخفى ، (يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور) .

والدين خير علاج للغرائز يصونها بالتهذيب والترغيب والترهيب عن ارتكاب الجرائم أو تدبيرها ، وهو عزاء المنكوبين ، وسلوى المصابين يمنحهم الصبر والامل والرضا والقناعة .

والى جانب هذا فهو خير علاج لشـــفاء كثير من الامراض خصوصا النفسية ، وخير غذاء لقوة الروح المعنوية ، والـذين تركوا الدين جانبا يحيون بقلب خال من الايمان بغير قيم أو مثل أو مبادىء سامية ، ويعملون خوفا من بشر متسلط أو قـانون جاف ، ويعيشون فى قلق مستمر وخوف وهواجس ، ولذلك ينتشر فيهم الجنون والانتحار ، واليأس والقنوط والانهيار العصبى والجنون.

اذ الدين هو الذى يقهر القلق والمخاوف ، ويقى من الجـزع والتوتر والانهيار ، ويحمى من ضيق الصدر والهواجس قـال تعالى : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » ولقد استعاذ رسول اللـه من مسببات الالام النفسية فقال : « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل ، وضلع الديـن (أى ثقله) وغلبة الرجال » .

وما احوجنا الى الدين ؟ والى الايمان بمبادئه ؟ والعمل بهـا فى وقت تتكالب علينا فيه ذئاب جائعة ، وعصابات حاقدة ماكرة ، فى وقت نحن أحوج ما يكون فيه الى الحرب بسلاح الـدين ، فبسلاح الدين انتصر المسلمون الاوائل لانه مصــدر الشجاعة والتضحية والفـداء ، وبه ننتصر اذا أردنا ...

وعلينا ان نعمل على غرس وتدعيم كل ما يؤدى الى القـوة والعزة ، وان نحارب كل ما يؤدى الى الضعف والانحلال مـن مسرحيات مسفة ، وأفلام مريضة ، واغان خليعة ، ومظهريات تثير الغرائز ، وتؤدى الى المفاسد فنحن دولة يجب أن تبنى على العـلم والاخـلاق حتى تستطيع أن تواجه العدو بثقة وايمـان قال تعالى : « وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون » وقال : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقـانا ويكفر عنكم سيئاتكم ، ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم » .

وقال : « ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا . وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة » .

وروى عن زينب بنت جحش زوج النبى رضى الله عنها قالت : « استيقظ النبى من النوم محمرا وجهه يقول: « لا اله الا الله : ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق باصبعيه الابهام ، والتى تليها ، قالت : قلت يارسول الله انهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم «اذا كثر الخبث» .

« بقية مقال الصـــوفية فى الهامهم »

ومن كرامته أنه فرق بين آذاه وأذى المؤمنين فقال تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذابا مهينا . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ومن ذلك أن رفع له ذكره ، فلا يذكر الله سبحانه وتعالى الا ذكر معه ، ولا تصح للامة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله ، وأوجب ذكره فى كل خطبة وفى الشهادتين اللتين هما أساس الاسلام وفى الاذان الذى هو شعار الاسلام وفى الصلاة التى هى عماد الدين الى غير ذلك من المواضع ، هذا الى خصائص له أخرى يطـول تعدادها .

ومع أن ابن تيمية معروف بعدائه للسادة الصوفية الا أننا لا ننكر عليه علمه رحمه الله فما كان حقا من قوله أخذناه وما كان باطلا رددناه جعلنا الله بفضله وكرمه من أهل الحقيقة الذين لا يحيد بهم عن طريق الحق التعصب أو هوى النفس أو قلة السالكين فيه :

ويحلو لى أخيرا أن أختم مقالى ببعض ما نقلناه من الهام سيدى وشيخى الشيخ على عقل نور الله ضريحه ، وكان بعض الحاضرين قد سأله أن يأتى له بقصيدة على وزن البيت التالى وقافيته :

المصطفى مـــا زال يعـــلو قـــدره
حتى غـــدا فى الكون مســـكا عاطرا

فجاء الهام الشيخ ليلتها بالعجب العاجب وقال واطال ومن ذلك :

المصطفى مـــا زال يعـــلو قـــدره
فسما الزمـــان أوائـــلا وأواخـــرا
طهر فؤادك من شـــوائب غيـــه
حتى تقـــابله فـــؤادا طاهـــرا
يا سيدى ولقـــد غـــدوت مناجيـــا
عمـــرى وبت مـــع الجلال مسامرا
كم من فقـــير جـــاء حيـــك تائبـــا
اضحى يســـود من الرجـــال اكابرا
لم انس حبـــك مـــا حييت وان أمت
اجد الغـــرام على مـــد منـــابرا
انـــا كل شىء فى الحيـــاة تركتـــه
ووقفت نفسى للنبى مثـــــابرا
والموقف لا يشرى وليس يبـــاع فى
حـــال يدوم الى القيـــامة حـــاضرا
انا باسمكم والى اسمكم ولو ســـمكم
فى رسمكم قلبى على الشعرى سرى

وما أن بلغ هذا البيت الاخير حتى هب السامعون وقوفا مصفقين ومهللين ومكبرين وكانت ليلة من أسعد الليالى التى نذكرها ولا ننساها ، وقد لقى سيدى الشيخ ربه راضيا مرضيا بعدها بنحو شهرين جعلنا الله من المحبين الصادقين الذين قال فيهم (لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين)

الاسلام فى مواجهة

الأصالة والرشد الفكرى

ان التحديات التى تواجه الاسلام اليوم كفكر انسانى عالمى يعيش فى رحابه سبعمائة مليون من سكان هذا الكوكب تتجمع كلها من خلف قوى الاستعمار والصهيونية والالحاد ، هذه القوى التى ترى أن وجودها واستمراره وبقائه لا يستقر ولا يثبت الا اذا عمل على تزييف هذا الفكر حتى يخرج من مقرراته ومفاهيمه وينصهر فى ثقافات الامم والشعوب الغالبة والغازية .

ولما كان « الاسلام » هو مصدر الفكر الاسلامى » ، ولما كان الفكر الاسلامى هو مصدر « الثقافات العربية والفارسية والتركية وكل ثقافات المسلمين فى شرق الارض وغربها ، فان المحاولة الاساسية انما توجه اليه بقصد اخراجه عن مضامينه وذاتيته التى هى بطبيعتها تختلف اختلافا واضحا عن الثقافات المختلفة فى بعض المصادر الاساسية : كالتوحيد والايمان بالغيب ورباط الاخلاق المسيطر على مختلف ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية .

ولما كان المسلمون والعرب يؤمنون أن منطلق نهضتهم ومبعث يقظتهم انما يتحقق ويتقرر من هذا الارتباط الوثيق العريق بالفكر الاسلامى فى مختلف معطياته الاجتماعية والنفسية والعقلية فان أى محاولة لتحطيم هذه الصلة الممتدة تاريخيا وفكريا أو فصمها أو عزل الحاضر فيها عن الماضى ، انما هى أخطر التحديات التى تواجه الاسلام والمسلمين اليوم ، وأقوى الامتحانات التى يتقدمون لها فى تاريخهم كله . ولقد كشف العرب والمسلمون عن يقظتهم ازاء هذه المحاولة الخطيرة وهذا التحدى الكبير حين قرروا ردا على نكسة ١٩٦٧ أنهم يتمسكون بأصول

تحديات

الاستاذ أنور الجندي

فكرهم فى التماس التشريع الاسلامى مصدرا للقانون وفى الربط بين الدين والمجتمع ، وفى الجمع بين العلم والايمان .

فهذا هو « الضوء الواضح » على « الطريق الصحيح » لمواجهة أخطر تحديات الامة العربية والعرب جميعا فى السنوات الاخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى . وهذا هو المنطلق الطبيعى للموقف أمام الغزوة الصهيونية العاتية التى ليست بالحدث الصغير أو الامر الذى يعالج فى وقت قصير ، ذلك أننا الان بازاء أخطر التحديات التى تواجه الارض والوطن والعروبة كما تواجه بأخطر من ذلك جذورنا وعقائدنا بالفكر الاسلامى والثقافة العربية .

ذلك أن مطامع الغزاة الى السيطرة انما تلتمس لها أخطر طريق وهو طريق الغزو الفكرى ، والحرب النفسية ، وهى تقصد أول ما تقصد :

الى « العقيدة واللغة ، والتاريخ ، والحضارة »

والى « المفهوم الاصيل القائم على الايمان بالله ورسله وكتبه واليوم الاخر »

ولقد تخصصت فلسفات ومذاهب ونظريات كثيرة فى محاولة هدم هذه القيم وتدميرها ، وكلها ترمى الى تمزيق الوحدة الفكرية بالفصل بين العروبة والاسلام وتمزيق الاسرة الاسلامية بالدعوة الى هدم مقومات الشباب والمرأة وروابط الجماعة وهدم « العقيدة » باذاعة أسباب الالحاد والمادية ، والتشكيك فى البعث والجزاء ودحر مقومات الاخلاق باذاعة أسباب الاباحة وتدمير الرجولة والانوثة معا وخلطهما واذابة الفوارق بينهما ومحاولة خلق أجيال يشيع فيها الانحلال وتختلط فيها المعالم ولا تقوى على الحفاظ على الميراث والمسئولية والامانة التى يسلمها كل جيل الى ما بعده من أجيال .

ومن هنا فان التحديات التى يواجهها الاسلام والفكر الاسلامى واللغة والتراث والتاريخ لا تلبث أن تنتقل الى المجتمع نفسه ، وهنا « نقطة الخطر » التى لابد أن تجد وعيا ويقظة حتى تعاد الى اصولها الاصيلة ، التى عرفتها امة الاخلاق والايمان والتوحيد وكانت مثلا عاليا ونموذجا صامدا لها على مختلف العصور والازمان ، واعادتها تكون بالنظر فى مناهج التربية والتعليم والثقافة والصحافة .

ذلك اننا لن نمكن التغريب والاستعمار والصهيونية من تحقيق أهدافهم فى تقويض المجتمع والاسرة بنشر الاباحة او هزيمة العقل العربى الاسلامى باذاعة الالحاد .

ولن يتحقق للصهيونية والاستعمار مطامعهما فى اخراجنا من مقوماتنا الذاتية او عقيدتنا او شخصيتنا ، ذلك لاننا نؤمن بأن هذه الذاتية الاصيلة وهذه القيم التى آمنا بها وعشنا لها هى منطلقنا الحقيقى الى كل مواجهة ومقاومة وتحرير للارض واجلاء للغاصب وانها مصدر كل نصر نرتجيه .

لقد آن لنا أن نقول بأن امتنا قد اعتبرت نكسة ١٩٦٧ هى بمثابة المنطلق الصحيح للتحرر من التبعية ومنطلق الرشد الفكرى ذلك الامر الذى ظلت امتنا تترقبه طويلا منذ اوائل هذا القرن وهى تمر بمراحل النقل والاقتباس والتماس مناهج الغرب وأساليبه فى مجال الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد او التربية واننا بعد هذه الممارسة الطويلة قد تحققنا من أن استعادة ايماننا بذاتنا ، وتأكيد ملامح شخصيتنا وتقرير أصالة فكرنا هى وحدها قاعدتنا الاساسية لكل

التقاء مع المفاهيم والنظريات التى يقدمها الينا الفكر العالمى فنحن نتقبل كل ضوء جديد ولكنا لا نتحول به عن قيمنا الاصيلة ، بل نجعل من كل جديد مصلا دافقا يزيدنا قوة وحياة .

وان اصرارنا الدائم على تأكيد ذاتنا وأصالة مقدراتنا هو منطلقنا الحقيقى الى الامرين معا : الى البناء والنماء والى المقاومة والمواجهة . وبذلك نكون قد أوقفنا آخر موجة من موجات مرحلة الانتقال التى بدأت منذ أكثر من سبعين عاما ،كانت امورنا فيها أميل الى الممارسة والتجريب مع شتى النظريات والمذاهب الفكرية والادبية والتربوية ، هذه المذاهب التى أثبتت جميعا أنها غير قادرة بحال على أن تعطينا حاجتنا الحقيقية ، هذه الحاجة التى لن نجدها الا فى أعماقنا ومن داخل قيمنا ومقدراتنا .

ولقد كانت تلك « مرحلة » لابد أن تمر بها الامم فى ظروف الاحتلال والاستعمار والغزو والمحاصرة الاقتصادية والعسكرية التى دامت طويلا والتى لم تتحرر منها الامة العربية الا منذ قليل ، باستثناء الاحتلال الصهيونى لفلسطين وبعض اجزاء الامة العربية .

لقد استطاعت امتنا فى خلال هذه السنوات أن تسترد كيانها وان تحقق نضوجها واكتمالها حين اعلنت صادقة فى مواجهة أخطر النكسات أن هذه هى ساعة التحرر من كل تبعية فكرية ، وأن فجرا من الرشد والاصالة قد بزغ ، وأن الامة العربية وهى بسبيلها الى استعادة مكانها فى العالم ودورها فى التاريخ ، واستئناف عطائها للحضارة الانسانية تستطيع أن تقول انها : « بدأت مرحلة الاصالة الحقة ، الاصالة المتجددة » فى مجال التقدم العلمى وانها قد انطلقت من منطلق أصيل هو عقيدتها وقيمها ومضامينها وذاتيتها التى تقوم أساسا على التوحيد والايمان والاخلاق .

هذه المقومات المتجددة — ولا أقول الجديدة — التى تقوم أساسا لبناء «وحدة الفكر» كمقدمة لوحدة شاملة ، هى فى ذاتها المقومات الاساسية التى قام عليها هذا الفكر العربى الاسلامى منذ فجر وجوده .

ولقد عاشت امتنا فترة طويلة تواجه فكرا وافدا تجعله أسلوبها فى الحياة ثم لا تلبث أن تجده قد اخفق فى أن يحقق لها ما تتطلع اليه ، فقد كان كله مشوبا بروح الاستعمار أو الوثنية أو متعارضا مع طوابع هذه الامة ومزاجها النفسى الذى صاغه القرآن منذ أربع عشر قرنا على أساس التوحيد الخالص .

ومن هنا بدأت دعوة التبصره الى خطر المتابعة والولاء ، ولقد تكونت لدينا بمرور الايام مناعة وقدرة على الامتصاص والاقتباس دون ان نخضع أو نتحول ، فقد كانت مفاهيمنا الاساسية واضحة وقائمة ، ويقظة تغربل وتبلور وتنفى الزيف وتقبل الصحيح ولكنها لا تزدرده بل تسيغه وتحوله فى معدتها الى شىء مهضوم من جنس ذاتها .

ولقد عرف فكرنا منذ مطالع فجر الاسلام كل معالم الحرية والعدل الاجتماعى والمساواة والاخوة الانسانية وعرف الاخلاق والايمان والتوحيد ورسم منهجا للمجتمع وللانسان فى مختلف علاقاته بالله والكون والحياة وفى علاقة الانسان بالمجتمع على نحو مرن حكيم ملىء بالسماحة واليسر بالاضافة الى موقفه من حرية الفكر حيث لا اكراه فى الدين،وحيث لا يكلف الله نفسا الا وسعها وهو فى هذا قريبا من الفطرة ملتمسا طوابع الانسان ودوافعه مهذبا لها ومتساميا وواضعا لها الحواجز التى تحول بينها وبين الجمود والتهور وبين الترف والزهاده ، فى توسط وتناسق وتكامل فكان بهذه المرونة والافاق الواسعة قادرا على الحياة فى مختلف البيئات والعصور ، مرنا على الاخذ والعطاء ، يحمل طابع الايجابية والتقدم والحرية فى مختلف ابعاده وتحركاته ، حيث لامصادمة بين الدينى والدنيوى ،أو بين العقل والقلب او بين المادة والروح ، فهو أشبه بالمجرى المتدفق ، حيث يتصل أوله باخره ، فى طريقه الى حتميته الاصيلة وهى تحرير الانسان من ظلم الانسان ، وربط الانسان بالله ، وتسيده فى الكون تحت حكم الله .

ولقد استطاع الفكر العربى الاسلامى أن يبلور هذه المفاهيم ، فيبدو واضح الملامح ، والخصائص ، والتصور والذاتية ، ازاء الفلسفات والمناهج والدعوات المختلفة « صبغة الله ومن احسن من الله صبغة » .

وهذا هو سر ما يواجه به الاسلام وفكره من حملات التغريب والغزو الثقافى ومجادلات الاستعمار والصهيونية التى تستهدف تزييف مقوماته ، ومحاصرته واحتوائه بالفلسفات والمذاهب والدعوات التى تختلف مع جوهره وطابعه ومنطلقه الذى يحمل السر الحقيقى للصمود والنصر والترياق الاصيل للعزة والقوة ، والذى مهما التمس المسلمون من أساليب ومناهج فلن يجدوا سبيلا للنصر والصمود والحياة الا فى ظلمقوماتهم التى صاغت شخصيتهم ووجودهم فأصبحت مرتبطة بها ارتباطا عضويا ومتصلة بها اتصالا جذريا لاسبيل الى انفصامه .

وهذا السر هو الحقيقة الكبرى التى اهتدى اليها العرب والمسلمون منذ وقعت نكسة ١٩٦٧ التى هى اليوم بهذا الفهم وبهذا الاتجاه ، « المنطلق الحقيقى للطريق الصحيح » . طريق المواجهة الصامدة للغزوة الصهيونية على مداها الطويل ، هذا الطريق عنوانه « المعرفة للذاتية والتماس الاصالة » واستئناف الجهاد من نقطة الضوء القرانية الاسلامية الحقيقية الا وهى : الشريعة الاسلامية مصدر القانون والاجتماع والفكر جميعا .

وذلك هو النص الذى صاغه دستور اتحاد الجمهوريات العربية منطلقا الى وحدة الفكر ثم الى الوحدة الكبرى .

الدار الآخرة

الأستاذ عبد السلام الشاذلي القوصي

هذا هو الجزء الثالث من هذا المقال نضعه بين يديك سيدى القارىء بعد ما وقفنا معك عند « الامور التى نغفلها وتؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وبينا لك واحدة من هذه الامور وهى عدم التزام الادب فى المساجد ، وما يتطلبه منك كتاب الله وحديث رسول الله فى هذا الشأن ، كفريضة من الفرائض أمر الله بها وأمر بها رسول الله ، وقد اتبع هذا الامر والتزموا به صحابة رسول الله ومن جاء بعدهم ليعمل بآدابهم ، حتى تفشى بين الناس حب الظهور فطرحوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وقد ظهر عليهم عدم الاكتراث بحديث رسول الله فأصبح المسجد مسرحا لا تسمع فيه الا الهتاف والتصفيق لقارىء يتغنى بالقرآن وهو مسرور بمن سر حوله لصوته لا لفظ القرآن الكريم ومعانيه ، ثم بينا لك أن الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شفاعة لهم عنده ، وأنهم حتما فى نار جهنم ، كمدلول الاية الكريمة التى أوردناها فى العدد الماضى فى آخر المقال .

وانى سائل سؤالا : هل الذى يصنع هذا فى مساجد الله وهو يعلم الاثم الذى ارتكبه بنص القرآن الكريم وحديث رسول الله ، هل هو مسلم ؟ سوف ندعه يجيب بنفسه على نفسه . ثم أسمع بعد ذلك قول أجنبى عن الاسلام لترى من قوله كيف هو الاسلام عند أعدائه وكيف هو عند من يؤمنون به .

يقول « لوثروب الامريكى » فى كتاب له بعنوان : « حاضر العالم الاسلامى » فى تعليق له على كلام أبى بكر الصديق : « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينونى ، واذا زغت فقومونى » : قال لوثروب : « الاسلام فى عهده الاول انما كان شمس لحرية مشرقة وهاجه كاملة تجلت فيه القوانين الحرة الشريفة ، والمبادىء السامية الكريمة ، وليس ما طرأ على العالم الاسلامى فيما بعد من الوهن والضعف بحاجب عن المنصف ، جوهر الاسلام وحقيقة صفاته . فالشريعة الاسلامية انما هى ديمقراطية دستورية جوهرا وأصلا ، وعدو شديد للاستبداد ولكن السبب فى انحطاط المسلمين انما هو استبداد حكامهم الذين بعدوا عن الصراط المستقيم والسبيل السوى وتنكبوا عن طريق صاحب الرسالة وخلفائه الراشدين ، فأخذوا فى انتحال التأويل القرآنية انتحالا منطبقا على أغراضهم ، وتشددوا فى الدين تشددا باطلا يبرأ منه الاسلام ، وناصبوا المذاهب الشورية والاصول الحرة بالعداء فقضوا على جميع ذلك قضاء مبرما حال دون بزوغ فجر النهضة الاسلامية » .. ومن أمريكا أيضا وفى الولايات المتحدة بالذات أسس [معهد وليمستون] وكل علومه التى يدرسها للراغبين من قرن مضى [ترويض الاذهان على المشاكل الدولية] وتمده الصهيونية بالمال ، وقد أصدر هذا المعهد أخيرا كتابا عنوانه [يقظة الشرق] مؤلفا من فصول بأقلام الاخصائيين فى الامور الشرقية ، ومن هؤلاء الكتاب [فالنتين تشيرول] الانكليزى الذى تناول الكلام فيه عن مصر والهند ، وأكد القول بأن يقظة الشرق حقيقة ، ومما قاله أن الغرب قد عجز الان عن تضييق الخناق على الشرق ، فينبغى لرجال السياسة أن يهتموا بدرس هذه اليقظة وتفهمها ، وعمل اللازم ضد نهضتها : انتهى كلامه ، فهل عمل المسلمون فى جميع أنحاء العالم الوقاية اللازمة لهم ولدينهم بعد هذا التصريح ؟ الجواب .. لا .

ثم هناك أيضا من تناول الاسلام بقلمه هو الدكتور [أنسباتو] الايطالى فى كتابه : « الاسلام وسياسة الحلفاء » وكان ذلك فى عام ١٩١٩ م قال : [ان الكرم العلمى ، والصداقة الفكرية ، صفتان من صفات الاسلام شأنهما أن تجعلا الامة العاملة بهذا الدين أهلا لان تبلغ من الحضارة ذروتها العليا] انتهى كلامه ، فهل حافظ المسلمون على هاتين الصفتين وسعوا فى تنميتهما ؟ الجواب .. لا .

ثم هناك أيضا أخطر تصريح لاحد علماء الفرنسويين من ربع قرن مضى صدر من مسيو [لويس مسينيون] نشرته له مجلة الاستقلال الارجنتينية قال :

« لقد جررنا الشرقيين باسم مدنيتنا وصاروا يعرفون الان ما نقصده بكلمة [تمدن] التى سئموها ، ان الغربيين فعلوا معهم كما يفعل النواب مع ناخبيهم ، وصار نغم قيثارتنا [الحرية] غير موزون .

منذ خمس وعشرين سنة وأنا محتك بالشرقيين فلم أر منهم نفورا من الغربيين نظير اليوم ، اذ قد سئموا مخادعتنا ورياءنا ،

وصاروا يرغبون أن نقول لهم بكل بصراحة أننا بأشد حاجة الى موادكم الاولية لمعاملنا ، وهـذا اعتراف لم نصرح لهم به قط وصار الان من العبث الجهر به اذ قد تصرم الوقت عليه .

لم نبحث فى الشرق الا عن منفعتنا ، فنشترى منهم بضـائعهم بأرخص الاثمان ونبيعها لهم مرة ثانية بأغلاها ، ان هذه المعاملة التى نعاملهم بها غير جائزة ، وقد لاحظت أن الشرقيين هم أكثر تحفظا معنا عن قبل .

لقد دمرنا كل ما هو خاص بهم ، فدمرنا فلسفاتهم ، ولغاتهم ، وأديانهم ، ومذاهبهم ، والشرقيون ليسوا من السذج حتى يعتقدوا بكرم أخلاقنا ، وقد تحققوا بالشواهد اننا نرغب فى أن نبقيهم دواما ضعفاء ، انتهى كلامه : فهل أعددنا العدة لندرأ عن أنفسنا هذا الاستعباد . ونستعد له لنعيش أحرارا فى بلادنا الجواب : لا ..

كل ذلك حدث قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ والاحزاب فى مصر والبلاد العربية تحكم وتنتحى ولا سبيل لهم الا الحكم والسعى اليه : وبسببهم وصلت البلاد الى ما وصلت اليه .

مهلا أيها المسلم . ان فى كتاب الله الذى بين يديك فيه آيات واضحة تبرهن لك بوضوح أنك لابد أن تصل الى الدار الاخرة رضيت أم لم ترض ومنها قول الله تعالى [الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الاخرة الا متاع] ثميقول جلشأنه لاولئك الذين لم يعملوا حساب الاخرة وما فيها من مشاق ومتاعب وصعاب [لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أشق ومالهم من الله من واق] .. فهل وجدنا عذاب الدنيا .. نعم .. وجدناه فى كل أمر من أمورنا .

وهل قرأ السابقون ما كتبه الاجنبى عن الشرق وأهله وعن المسلمين ودينهم ، وهل أعدوا العدة لملاقاة هذا العدو قبل أن يتقوى بسلاحه ويبذر شروره فى أرض الاسلام وبلاده ، [كلا : ثم : نعم] قرأوه واستهزأوا به ، فلا هم أخذوا بكتاب الله وحديث رسول الله وما جاء فيهما من تحذير ليستعدوا ، ولا هم ترجموا أقوال هؤلاء الذين يعملون الليل والنهار لمحو الاسلام وقتلالمسلمين وتشريدهم ولوسمعقول العلماء فىالمساجديفضحون هذه الاقوال للناس ليستنيروا وليجمعوا الرأى قبل حلول المصيبة فى عقر البيت وأهله فيقفون ضد كل غاصب وقفة الرجل الواحد المستنير القوى بايمانه ودينه ما كنا فيما نحن فيه اليوم . [وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد] .. فهل هناك من خاف مقام الله وخاف وعيده ، وكلاهما فى الدار الاخرة ، اسمع انتقاد كاتب أجنبى اسمه [لوثرت] ماذا قال عن الاسلام والمسلمين قال [ان دين الاسلام قد غشيته غاشية سوداء من الخرافات وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلاة [أى الذين يحسنون الصلاة ويحافظون على آداب المساجد] وكثر الذين يحملون فى أعناقهم التمائم والسبحات ، والذين يرغبون الناس فى الزيارة لقبور الاولياء يزينون لهم الشفاعة والنفع من دفناء القبور ، وحاد الناس عن فضائل القرآن والعمل به ، وبالجمـلة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، ولو عاد النبى الى الارض ورأى ما عليه المسلمون لاطلق اللعنة على من أستحقها من المسلمين] انتهى كلامه .

ياعلماء الدين فى كل بلد اسلامى . هل ترضون هذا من رجل أجنبى يدلنا على عيوب أبتلينا بها [ليس لها فى شريعة الدين الاسلامى أى أساس] ثم نبقى عليها بل وفى كل يوم نزداد تمسكا لها ونراها ونسمعها ولا نمنعها لا باليد ولا باللسان ولا بالقلب وهو أضعف الايمان .

أليس كتاب الله الذى نزله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو دستورنا وهدايتنا وطريقنا وهو النور الذى نستضىء به وبكلامه ؟ ... نعم هو كذلك . فلماذا اذا هذا الهجر وهـذا الصدود ؟ . ثم لماذا هذا الاصرار على ما يبعدنا عن الله ونفعل ما يؤذى رسول الله . نريد جوابا واحدا . لا شىء قبله ولا تعليق عليه . هل بعد كتاب الله وسنة رسوله هداية يؤخذ بها أو طريقا يسلك للنجاة . الجواب معروف .. لا ..

والذى يقولغير ذلك كافر خارج على دين الاسلام وآدابه وتعال[illegible] وكاره لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. اذا فما با[illegible] لا نؤدى حقهما فى الاتباع ؟ ولماذا نترك الاخرة ونتمسك بالد[illegible] .. والله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم [وللاخرة خ[illegible] لك من الاولى] هل قرأت عن رسول الله وكيف كان يحمـ[illegible] السلاح ويجاهد فى سبيل الله ؟ هل أنت أقرب بمسبحتك ا[illegible] الله دون رسـول الله ؟ كلا ومع قرب رسول الله لربه ولو أقسم عليه لابره ، حمل السلاح وجاهد فى سبيل الله ، و[illegible] يحمل مسبحة ولينتظر أن يجيبه الله لمطلبه وهو جالس فى المحراب[illegible] وكان فى استطاعته صلى الله عليه وسلم أن يفعل وان يستجاب له ، ولكن كتب عليه وعلى أمته الجهاد فمن تخلف فليس من أمت[illegible] ولا تنفعه الشعوذة ولا الدعاء ولا حتى لو ادعى أنه ولى م[illegible] الاولياء فليس هو بأفضل من رسول الله .

نحن لا نمنعك أيها المسلم أن تزور وليا صالحا وشيخا عالمـ[illegible] عاملا ، ولكن هل قرأت ما يتبع من الشروط فى هذه الزيارة وما هى آدابها ، اقرأ كتاب المدخل لابن الحاج وهو من علماء القرن السابع الهجرى فى الجزء الثانى ص ١٣٩ ، وقف بنفسك على ما هو مكتوب لتعلم الخطأ الجسيم الذى ترتكبه وأنت مسلم وبين يديك كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتتعلم الصحيح من القول فيما حـدده الشارع حتى نتبعه وتـكون من المسلمين . وفى هذا يقول الله تعالى « لا خـير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » والسؤال الاخير فى هذا المقال : هل فرطنا فى حقوق الله وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم . الجواب : نعم . ثم نعم . وأمامنا رؤيا العين وسماع الاذن كل محرم يرتكب وكل رذيلة تكتسب ولا رادع يردع المسلم ولا واعظ يعظه ولا ضمير يحمـله المسئولية ليلقى الله سليما فى الدار الاخرة .. أسمعتم هـذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجـل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال: فماعملت فيها،قال: قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال فلان جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال : تعلمت العـلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولـكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمته ، فعرفها ، قال : فما عملت فيها ، قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت . ولكنك فعلت ليقال فلان جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار] قال الترمذى فى هذا الحديث [ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى وقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة] .

وفى حديث آخر روى ابن المبارك فى رقائقه عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى تخاض البحار بالخيل فى سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتى أقوام يقرءون القرآن فـاذا قرءوه قالوا من أقرأ منا ؟ ، من أعلم منا ؟ ، ثم التفت رسول الله الى أصحابه وقال : هل ترون فى أولئكم من خير ، قالوا : لا : قال رسول الله : أولئك منكم وأولئك من هذه الامة وأولئك هم وقود النار] فهل بقى معنا زاد نحمله للدار الاخرة ؟ لم يبق شىء . وهل تستطيع أن نعوض ما فاتنا . نعم . باب التوبة مفتوح . وخير باب نسلكه . التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ثم الى باب الجهاد مع صدق النيـة والتضحية بالمال والروح والدم . وهذا وقته بعد ما فشل العالم كله ليقول لاسرائيل : الحق أحق أن يتبع . فصمت آذانها .

سيدى القارىء قال الله تعالى [ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور] . صدق الله العظيم .

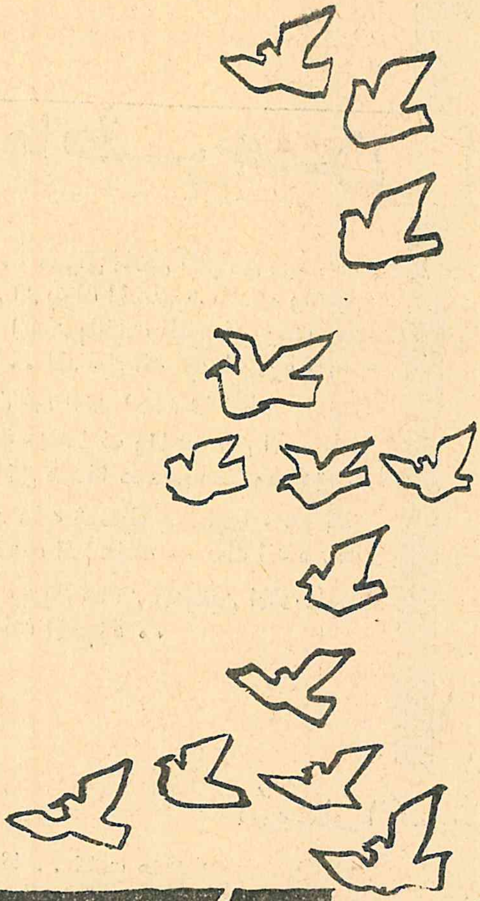

فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله
كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا
فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا
وماله فى الآخرة من خلاق ، ومنهم
من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة
وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
أولئك لهم نصيب مما كسبوا
والله سريع الحساب .

صدق الله العظيم

خواطر عن الحج

لماذا الحج ؟! .. سؤال ملأني أكثر من مرة !؟ .. ما هى الحكمة فى ان يترك المسلمون بلادهم وأهلهم ، ويذهبوا الى هذا المكان بالذات للحج فى وقت محدد ليجتمعوا هناك ؟ .. لقد قيل انه اجتماع مرة كل عام ليتشاور المسلمون فى أمور دينهم ودنياهم .. وقيل انه لقاء يزيد الألفة والتعارف والمحبة بين المسلمين .. وأنا أعتقد ان كل هـذا صحيح فعلا وصادق ..

ولكن أريد ان أزيد عليه شيئا بسيطا ، هو الذى دفعنى بقوة لأن أذهب الى هناك .. ذلك انه فى هذا المكان بالذات .. وحول هاتين المدينتين المقدستين : مكة والمدينة ، حدثت المعجزة ..

الأستاذ احمد زين

ما الذى حدث ؟! .. كانت هناك فى هـذا المكان بالذات قبائل عربية مختلفة متفرقة .. قبائل تشتد بينها الاحقاد ، ويقتل بعضها بعضا .. قبائل بسبب الخلافات بينها استضعفت فى الارض ، بجانب الامبراطوريات والحضارات التى جاورتها .. قبائل لم يمنع الغزو عن أرضها الا انها صحراء جرداء قاحلة .. سكانها بدو رحل .. ليس فيها ما يطمع فيه الغزاة .. ولا ما يستطيعون ان يحكموه .

ومن هؤلاء الناس .. الذين يكره بعضهم بعضا .. والذين يقتل بعضهم بعضا .. نشأت أضخم حضارة فى التاريخ .. ومن هؤلاء البدو الرحل الذين لم يصلوا الى حضارات الامبراطوريات المجاورة لهم من الفرس والروم ، نشأت قوة هزمت هذه الامبراطوريات وزعزعتها .. ومحتها .. من هذه المجموعة من البدو ، خرجت طلائع وصلت الى أوربا ..

كيف حدث ذلك ؟! .. حدث بقوة الدين الجديد .. الذى ولد هنا .. وما هو الدين الجديد ؟ .. هل هو صلاة ؟! .. هل هو تسبيح وتكبير ؟ .. نعم ، ولكن أكثر من ذلك هو حياة .. هو رسم لطريقة الحياة .. رسم من خيوط صلبة قوية تبنى الانسان من الداخل .. تبنى الانسان الذى يستطيع ان يسود الارض .. هو بناء داخلى صلب فى قلب النفس البشرية ذاتها .. يضع لها الخيوط ، ويفسرها لها ، ويوضحها أمامها ليمحو الضعف ، ويضع بدله القوة ، ويمحو الخوف ، ويملأ النفس بالشجاعة ، ويقضى على التردد ، ويضع بدلا منه الاقدام .. ويخلق من أمة مستضعفة ، أمة يدين لها العالم .. وفى رأيى ، وكما قلت ، أنا أنقل هنا تجربة شخصية وانفعالا ذاتيا .. ان أحد الاسباب الرئيسية التى فرض من أجلها الحج هو ان يذهب المسلمون الى هناك مرة كل عام ، ويتذكروا هذه المعجزة .. يتذكروا ماذا يفعل دينهم فى طريق الحياة ، التى رسمها .. وكيف استطاع أن ينشىء من سكان هذه التلال المجاورة للكعبة .. وهذه الصحراء المترامية الاطراف ، التى لا زرع فيها ولا ماء .. كيف استطاع ان يوحد هؤلاء ، ويجعل منهم أمة تسود العالم كله .. انه يعطيهم السر .. ويذكرهم بهذا الذى فى أيديهم مرة كل عام ، علهم يتذكرون ..

كان هـذا كله يـدور فى خـاطرى ، ومحركات الطائرة تدوى فى طريقها الى جدة ، لم يزد على هذه الامة أيام محمـد [صلى الله عليه وسـلم] الا شىء واحد هو الدين الجديد .. ومع ذلك يوجد فرق ضخم رهيب بينها قبل وبعد الدين الجديد ..

وماذا فعل الدين الجديد ؟! .. وضع منهج الحياة .. وضع طريقة الحياة .. لم يأت بمعجزات حسية كبيرة .. ولـكنه أتى بشىء آخر هو الاعتماد على العقل .. الاعتماد القوى على العقل .. حتى فى

الاحداث التى وقعت للمسلمين فى أول الدعوة ؟ وفى الاحداث التى وقعت للنبى [صلى الله عليه وسلم] .. كانت تحتم استخدام العقل أولا ..

مثلا .. عندما التجأ النبى وابو بكر الى غار [ثور] هربا من الكفار .. وجاءت ارادة الله لتحمى النبى منهم .. ماذا فعلت ؟ .. وضعت على الغار خيوط عنكبوت وبيض حمامة .. ولكن هل خيوط العنكبوت يمكنها أن تحمى انسانا من طفل يريد ان يؤذيه ، فضلا عن فتية يملأ نفوسهم الحقد ، وتملأ سواعدهم القوة ، ويحملون سيوفا متشوقة للقتل ؟! .. ماذا يمكن ان يحدث لو هددك أحد بالقتل ، فاختبأت وراء خيوط العنكبوت تطلب الحماية ؟! .. وجئت بعش حمامة برية فيه بيضتان وضعته أمامك ليحميك .. لا شك ان غريمك سيسخر منك .. سيقول انك لمجنون .. ذلك انك احتميت بأوهن شىء فى هذه الارض .. بخيط العنكبوت .. وسيزيح هذا الخيط باصبع واحدة ويدخل اليك ليقتلك .. هذه حقيقة ؟!

اذن لماذا اختار الله خيوط العنكبوت ليحمى بها نبيه ؟ .. لماذا لم يختر خيوطا من فولاذ .. أو يسد الغار بصخرة ضخمة قوية يمنع دخول أى شىء اليه ؟! .. أو أى شىء آخر من الأشياء التى فيها حماية حقيقية .. ان الذى حدث هو ان الله أراد أن يضع آية على قدرته .. آية يجب ان تحتار فيها بعقلك لتفهمها .. آية تقول : اذا أراد الله ان يحمى نبيه .. فانه يستطيع ان يحميه بأوهن شىء فى هذه الدنيا .. بخيط العنكبوت .. انه يستطيع ان يجعل هذا الشىء الذى لا يمكن أساسا ان يحمى أى انسان .. يستطيع ان يجعله وسيلة حماية فعالة .. اذا تمت بقطع من الفولاذ او بصخرة ضخمة ، فهذا شىء عادى .. ان هذه الاشياء ، تحمى فعلا وتقى الانسان العادى من الخطر .. ولكن الآية الحقيقية فى أن تأخذ خيط العنكبوت ، أوهن شىء فى الدنيا ، فتجعله ارادة الله حماية فعالة وحقيقية ومقنعة .. ونفس الموقف يمكن ان ينطبق على غزوات المسلمين .. غزوات كانوا فيها قلة ، وكان المنطق والحرب وأسسها تقول انهم يجب ان يغلبوا ولكنهم انتصروا .. وغزوات كانوا فيها كثرة وغرتهم كثرتهم فاذا بهم ينهزمون .. ما معنى هذا ؟ .. معناه ان البناء الداخلى الصلب الذى وضعه هذا الدين للانسان فيه سر كبير من أسرار هذه الحياة ..

والبناء الداخلى للانسان ليس سهلا .. بل هو من أصعب الامور فى هذه الدنيا ..

هذا الدين الذى خلق حضارة ملأت الدنيا كلها .. وكانت أساسا للحضارات الحديثة .. لا يمكن لهذا الدين ، ان يخلق التخلف .. ولا يمكن أيضا ان يخلق الضعف .. ذلك انه هو القوة ، يحرر الانسان من كل القيود التى يصنعها البشر لتخويفه واستعباده .. ويجعله حرا طلقا لا يعبد الا الها واحدا .. ويخلصه من ذل الدنيا ..

والعزة فى الدنيا ليست بالجاه .. قد يجعل الجاه صاحبه فى ذل مستديم ليحافظ عليه .. والعزة فى الدنيا ليست بالمنصب .. بل ان المنصب قد يستعبد صاحبه ويجعله عبدا لاكثر من اله .. والعزة فى الدنيا ليست فى المال .. فان المال قد يورث صاحبه جبنا فى الحق .. وانغماسا فى النفاق وذلا كبيرا ليحافظ عليه ، انما العزة الحقيقية فى الايمان .. حيث تعرف انه لا أحد يملك لك الضر والنفع الا الله .. ما من انسان يستطيع ان يعطى ويمنع .. ولا أن يرزق ويمسك .. ولا أن يعلى ويخفض .. واذا كان القلق هو أشد أمراض البشرية فتكا .. وهو أبو الامراض فى العلم الحديث .. واذا كانت علوم الدنيا كلها تحاول الان ان تصل الى تخليص الانسان من القلق .. فان هذا الدين يخلصك من القلق تماما .. فاذا أردت الرزق فأنت تسأل الله الرزاق .. واذا وجدت نفسك فى ظلمات تعلوها ظلمات ، فهناك نور الله يزيل الظلام .. واذا أردت شيئا فان الله هو المجيب .. واذا ظلمت نفسك فان الله هو الغفور الرحيم .. فاذا واجهتك أزمات فان الله هو المستعان .. واذا وقع عليك ظلم ، فان الله هو العادل .. اينما تتطلع بوجهك فى الدنيا كلها فثم وجه الله .. هو معك فى كل لحظة .. تمتد يده الرحيمة لتمحو الالام .. وتأتى كلماته العادلة لتزيل الظلم وتعيد الحق الى أصحابه .

وليس معنى هذا ان الله سينزل لك معجزة من السماء ، تقول يا رب ارزقنى فينهمر عليك الذهب .. ولكن معناه انك تسعى وفى قلبك الله .. وأنت تعلم انه معك .. وأنت تعرف ان الحق سينتصر .. وان تؤمن ان النور سيأتى .. قد تمر فترة .. وقد تتوه وأنت تحس بكل شىء حولك ينطفىء .. ولكن الايمان لا يهتز .. والنور فى قلبك لا يخبو ولا يضعف .. وستشهد انتصار الحق على الباطل .. والنور على الظلام ..

والخير موجود فى الدنيا .. وموجود فى نفوسنا .. حتى أكثر النفوس اثما .. نجد فى داخلها الخير ونجد انها تصيح يا رب .. وتتجه الى الله .. ما من نفوس اتجهت الى الخير الا واسترا'حت .. أحست بالطمأنينة حولها .. وكأن الناس كلهم فى خدمتها .. وما من نفس اتجهت الى الشر الا وكان داخلها القلق والعذاب .. كأنها محتاجة الى الناس تجرى وراءهم وهم منصرفون عنها ..

وما من انسان اتجه الى الله الا يسر له حياته .. وأحياه حياة طيبة .. نزع منها كل ما يفسد حياة الانسان من طمع وذل ورياء ونفاق .. وما من اناس جاهدوا وكان فى قلوبهم ايمان حقيقى ، الا ونصرهم

الله .. مع انهم كانوا يجاهدون قوى اكبر منهم بكثير .. وربما تملك من أسباب الدنيا ما لا يملكون .. وأمامنا كفاح الانسان فى كل مكان ..

ولقد خلقت الدنيا فتنة .. يرى الانسان أشياء فيها فتبهره .. ثم بعد ذلك يجدها مجرد بريق كالسراب .. ثم تعالوا نناقش .. هل نستطيع ان نعرف أين الخير .. حياتنا مليئة بالحوادث التى عندما حدثت توجهنا الى السماء بقلوب دامية وعيون باكية تشكو الى الله .. ثم مرت الشهور وربما السنوات ، واذا بنا نصيح الحمد لله .. على نفس الشىء الذى شكونا منه الى الله ، واعتبرناه شرا كبيرا وقت حدوثه .. ذلك ان الانسان بقدرته المحدودة لا يستطيع ان يفسر ما يحدث فى الارض .. ولا يستطيع ان يرى أين الخير ليقول هذا هو الخير .. قد يأتى ظالم ليزيد جهاد الناس فى العدل .. وقد يأتى كافر فينشر كلمة الله فى الارض بما يفعل ... ؟!

ولكن الذى لا شك فيه ان كلا منا لو استعرض تاريخ حياته لرأى حادثا كانت فيه نعمة الله ظاهرة .. لقد حدث هذا لكل فرد فينا .. حينما اتجه الى السماء وصاح من أعماقه يا رب .. ان انفتحت أبواب السماء وأحس بها ..

واذا كان الانسان يرى الله متمثلا فى قدراته مرة أو مرتين أو عدة مرات فى حياته .. فان الله موجود فى قلبه منذ اللحظة الاولى .. منذ الدقيقة التى تعطيه الحياة .. ذلك ان الطفل يولد لا يعرف الكذب ولا النفاق ولا الخداع ولا أشياء أخرى كثيرة .. انما يولد وفى عقله التراث الانسانى والتقدم الانسانى .. لقد جاء ليكمل رسالة الذين سبقوه .. فمنذ الف سنة لم يكن العقل البشرى يملك القدرات على التعامل مع الآلة .. وعلى اختراع الطائرة والصواريخ .. ولكنك تستطيع الان ان تدرب العقل البشرى على التعامل مع آلات الكترونية فى غاية التعقيد .. من الذى طور هذا العقل .. انها قدرة الله .. ليس العلم .. ولكنها قدرة فطرية على ان يرث العقل هذا التراث الانسانى الضخم .. ولكن هذا العقل الذى يرث تراث الدنيا كلها .. لا يرث معها الكذب والخداع والنفاق .. ان هذه الخصال يزرعها البشر فيه .. وحتى وهم يزرعونها يحاولون ان يجدوا لها مبررات تنطبق على عوامل الخير .. فالجندى الذاهب الى حرب ظالمة تتولى أجهزة الدعاية اقناعه بأنه انما ينصر الحق ويعلى كلمة الله .. لماذا ؟! .. لان شيئا بداخله سيؤرقه اذا أحس انه ذاهب لينصر الشر ويعلى كلمة الشيطان .. كل واحد يرتكب ظلما .. حتى اللص .. حتى القاتل .. يجد داخل نفسه مبررات لجريمته .. يحاول أن يقنع نفسه بأنه مظلوم وأنه يستخلص حقوقه ..

ما معنى هذا ؟ .. معناه ان الله يوجد فينا بالفطرة .. وأن هذه الحياة تضع فينا مقاييس الشر .. وأن شيئا داخلنا يؤرقنا ونحن نحاول أن نسكت هذا الشىء بمبررات نحاول ان نلبسها زيفا مقاييس الحق .. لا يوجد انسان داخل نفسه يعتقد انه شرير حتى ولو كان هو الشر نفسه .. انه لا يستطيع ان يتقبل هذه الفكرة ، ولا ان يعيش بها ، لانها تتنافى مع الفطرة التى خلق عليها .. ولكنه يحاول ان يلبس ثوب العدل والرحمة للظلم والقسوة والايذاء الذى يرتكبه .. سل اى انسان يشن حربا ظالمة انه سيحاول ان يقنعك انه يدافع عن حق الضعيف .. وانه يعيد العدل .. لماذا ؟ .. لانه لا يستطيع ان يعيش بفكرة الشر والا انقلبت الدنيا كلها ضده .. ومن هنا فهو يضع أبواقه ودعايته ويستخدم منطقة القلوب ، محاولا ايهام العالم كله ان هذا هو الخير والحق ..

ولكننى لا أدرى لماذا لا نتذكر الله حقيقة الا ونحن نودع هذه الحياة .. أو نشاهد انسانا من أقاربنا أو أصدقائنا و أهلينا يودعها .. فى هذه اللحظة بالذات تبرز الحقائق كلها أمامنا ..

ونحن نشاهد الدنيا ، بكل ما فيها ومن فيها تنتهى من أمام انسان .. ونحن نرى الجاه والمال والسلطان وكل شىء يقف عاجزا بلا قيمة أو يوضع فى قيمته الحقيقية أمام قدرة الله .. واذا كان الموت هو الحقيقة الوحيدة فى هذه الدنيا .. فأنت قد تعتقد أن انسانا يحبك وهو يكرهك .. وتؤمن انك تملك شيئا بينما فى الحقيقة انت خازن للمال .. وتحس انك قوى بالجاه والسلطان ، وفى لحظة واحدة يزول عنك كل هذا .. الحياة بكل ما تقدمه يختلط فيه الزيف بالحقيقة .. والخداع باليقين .. ولكن الموت حقيقة مجردة .. وهذه الحقيقة تذهلنا وتبهرنا ونحن نشاهدها .. مع انها تحدث فى العالم مئات الالوف من المرات كل يوم .. ونحن نشاهدها كل ساعة ، ونتوقعها كل دقيقة ، ومع ذلك نفاجأ بها فى كل مرة وكأنها تحدث أمامنا لاول مرة .. ونتعجب منها ونضرب كفا على كف .. ونحن نرى هذا الصراع الرهيب الذى عشنا فيه ، ونسينا فيه كل شىء .. هو لا شىء .. بل ان الارض كلها ، بقدر ما تحوى من علم وتقدم وكنوز وبهجة ، تقف عاجزة خاشعة ذليلة أمام الموت ..

ووجدت مئات الاشياء تتزاحم فى صدرى فجأة .. اشياء تصرخ .. وأشياء تهمس .. وكلها تتجه فى الطريق الى الله .

الحج

والجوانب التعبدية في العبادات

■ فضيلة الشيخ عطية صقر

ان عبادة الله تقتضى القيام بالتكاليف دون الحاجة الى فهم اسرارها والوقوف على الحكمة منها ضرورة ايمان العبد بان افعال الله سبحانه لا تخلو عن حكمة وان قصرت العقول عن فهمها ولم تصل الى ادارك سرها ، كما قال سبحانه فى تشريع القتال « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

والله سبحانه يعلم ان العباد ليسوا على درجة واحدة من التسليم والانقياد ولهذا بين لهم بعض نواحى الحكمة فى هذه التشريعات ، يأتى بها مجملة احيانا ومفصلة احيانا اخرى . وتأتى الاحاديث النبوية فتوضح جوانب هذه الحكمة وتكشف عن بعض اسرارها . ولم يحظر سبحانه على الفكر أن يسرح فى تفهم هذه الحكمة على ضوء ما جاءت بها النصوص فما وصلت اليه العقول لا يغير حكما قرره الاسلام ، ولكنه يدعمه لتنشط النفس لادائه ، وتزداد ايمانا بحكمته .

وقد تحدث العلماء فى تقويم العبادة حين تؤدى دون ملاحظة حكمتها ، وحين تؤدى والنفس متعلقة بما يترتب عليها من خير عاجل أو آجل ، فقالوا : ان فهم الحكمة وان كان ينشط النفس عند الاداء ، ويحمى المكلف من الشبه التى يوجهها الاعداء ، الا أن العبادة المؤداة فى هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التى لولاها ما توجهت النفس اليها ، ولا تحملت ما فيها من تكليف . وهى فى درجة الاذعان لله ليست كالعبادة التى يؤديها المؤمن لمجرد انها امر من الله الموصوف بالحكمة والمنزه عن العبث ، غير متطلع الى ما وراءها من نفع ، فليس للعبد حاجة عند ربه ، فلله ان يأمر وعلى العبد ان يطيع — على ما يشير اليه ما جاء فى وصف صهيب **نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه)** .

ومن هنا احتفظ الله بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر اليه ، ليمحص ايمان المؤمنين ويميز الخبيث من الطيب ومثل له العلماء بالحروف المتقطعة فى اوائل السور ، وببعض الاحكام الواردة فى ثنايا العبادات التى منها مثلا رمى الجمرات فى الحج .

يقول الامام الغزالى فى الاحياء : **واجبات الشرع ثلاثة أقسام : قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه — وذلك كرمى الجمرات مثلا . اذ لاحظ للجمرة فى وصول الحصاة لها ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى ، لان ما يعقل معناه فقد يساعد الطبع عليه ، ويدعو اليه ، فلا يظهر به خلوص الرق**

والعبودية ؟ وقال : واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى اعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد ، كما أن مالا يهتدى الى معناه ابلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق ، الى مقتضى الاسترقاق . واذا تفطنت لهذ افهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات .

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحس أن فى بعض النفوس خواطر تحوم حول بعض الشعائر التى تؤدى فى الحج ، فنبه الى جانب التعبد والتسليم المطلق فيها قائلا وهو يلبى فى حجة الوداع : « **لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا** » رواه البزار والدارقطنى . فالامر فى اداء العبادة لابد ان يسيطر عليه مبدأ التسليم الذى اعلنه عمر وهو يقبل الحجر الاسود اذ يقول . **والله انى لا اعلم انك حجر ولا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك !** فليست للنفوس حظوظ فى تقبيل مالا يضر ولا ينفع . ولكنه الامتثال المطلق والاتباع التام لرسول الله صلى الله عليه وسلم .فهو القدوة الحسنةوالذى نزلفيه قول الله سبحانه : « **قل أن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** » . وقوله : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** »

وقدقال صلىالله عليه وسلم فىوجوب اتباعه فى العبادة بنوع خاص : **صلوا كما رأيتمونى أصلى** وقال فى الحج : « **خذوا عنى مناسككم** » .

واذا كان فى بعض التشريعات الجزئية نواح لم ينص علىحكمتها فان العبادات الاساسية جاءت حكمتها منصوصة ،اما فى القرآن واما فى السنة مع اطلاق العنان للفكر ليشرحها او يبحث عن جوانب اخرى تدعمها . فالله سبحانه أمر بالنظر والتفكر والتدبر ، والنبى صلى الله عليه وسلم شجع على البحث حتى جعل للمخطىء فيما وصل اليه باجتهاده اجرا لا يحرمه من ثمرة العمل فهو مثاب بنيته ، وان كان للمصيب أجران أجر على بحثه وتعبه ، وأجر على توفيقه الذى يفيد منه كما يفيد منه غيره .

ومهما يكن من شىء فان الحكمة العامة للتشريع تتلخص فى نقطتين أساسيتين اولاهما : ربط المخلوق بالخالق ، لانه هو الذى خلقه ثم رزقه ثم يميته ويحاسبه ، فهو منه مخلوق واليه راجع ، فلا تنقطع صلته عن الله بدءا ونهاية ، وثانيتهما : اعداد العبد للحياة على الارض ليحقق خلافته فيها . ومن مظاهر النقطة الاولى الايمان بالله واليوم الاخر ، والتوجه اليه سبحانه بالعبادة وطلب المعونة على ما يفيد قوله تعالى : اياك نعبد واياك نستعين و من مظاهر النقطة الثانية الاخلاق الفردية والاجتماعية والتنظيمات الخاصة والعامة فىميادين الفكروالسياسة والاقتصاد والعمران وسائر الميادين التى تحدد فيها الحقوق والواجبات وعلى ضوء هذه الحكمة العامة بشقيها يمكننا ان نوضح حكمة تشريع الحج فيما يلى :

قال تعالى فى بيان حكمة الحج المفروض من ايام ابراهيم عليه السلام والمأمور به فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأحد الاركان التى بنى عليها الاسلام « **وأذن فى الناس بالحجيأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام** » . فالمنافع التى يشهدها الحجاج منافع عامة جامعة تشمل كل منفعة دينية ودنيوية مادية ومعنوية سياسية واقتصادية ثقافية واجتماعية وغيرها ، واليك تفصيل هذه المنافع على ضوء حكمة التشريع العامة للعبادات .

اولا : ــ صلة العبد بربه تظهر فى الحج عندما يحرم الحاج ملبيا مقرا بوحدانية الله شاكرا له أنعمه : « **لبيك اللهم لبيك ـ لبيك لا شريك لك لبيك ـ ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك** » وحين يطوف بالبيت سائلا متضرعا يستمنح الله عفوه وبره . وحين يقبل الحجر ويستلمه معاهدا ربه على الطاعة مجددا معه البيعة على ما رواه احمد وابن خزيمة فى صحيحه عنه « أنه يمين الله يصافح بها خلقه » وفى سعيه بين الصفا والمروة كالمتردد قلقا على مصيره هل تفضل الله عليه عند طوافه فقبله اولا .وفى وقوفه بعرفة متجردا من كل زينة خاشعا ضارعا فى ذلة وانكسار يباهىالله بأهل عرفات الملائكة اذ أتوه شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمته ويخشون عقابه . وفى رميه للجمرات تشبه بحربه للشيطان وفى الهدى والفداء رمز للتضحية بالدم وبأغلى ما يملك الانسان أيثارا لما عند الله وجهادا فى سبيله .

وفى الحج ارتباط بمهد النبوة وعمارة لبيت الله ، وتذكر لحوادث ماضية كانت سببا فى قدسية هذا المكان من وجود هاجر واسماعيل وحيدين فى هذا

الوادى ولطف الله بهما فنبعت زمزم وعمر المكان وبنى اول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين • وذلك كله الى جانب ذكر الله بالتكبير والتلبية عند المشاعر فى عرفات والمشعر الحرام ورمى الجمرات ، مما يدل على حكمة الحج فى ربط العبد بخالقه كما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : ؟ **انما فرضت الصلاة وأمر بالحج واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله** : رواه ابو داود والترمذى وقال : حسن صحيح

ثانيا : الاحرام بالحج فى ملابس متواضعة وبعد عن مظاهر الترف درس عملى فى التواضع وعدم الغرور بزخارف الحياة وفيه نكران للذات وتركيز على الاخلاص لله فى الطاعة ، وقد حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة ، وقال : « **اللهم حجا لا رياء فيه ولا سمعة** »رواه الترمذى ، وعن ابن عمر ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : **من الحاج ؟** فقال ، « الشعث التفل » رواه ابن ماجه بأسناد حسن • والشعث هو البعيد العهد بتسريح شعره وغسله ، والتفل هو من ترك الطيب والتنظيف حتى كادت تتغير رائحته ، وفى الحج تمرن على الاسفار والترحال وتحمل للمضايقات وضبط النفس عن السباب والفسوق والمغريات ، وفيه الى جانب ذلك ثقافة واطلاع وتفكير واعتبار وكل هذا كمال نفس يفيد منه الحجاج •

ثالثا : لا ينكر احد أن الحج فرصة لعقد مؤتمر اسلامى يتخطى حدود البيئة و ــ الجنس واللغة ويعلو على الفوارق والعصبيات ــ ينبغى ان تناقش فيه المشاكل وتوضع الحلول وتتلاقى فيه الافكار وتتلاقح الثقافات وتتبادل المنافع من كل لون ، توكيدا للوحدة الجامعة التى يقررها الله فى قوله : « **ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون** » .وذلك كله لننهض سويا بالواجبات الدينية والانسانية ولنقف صفا واحدا أمام المحاولات التى تريد السوء للاسلام والمسلمين • وأن للمسلمين فى هذا الموسم من عوامل الوحدة ما يعلو على كل العوامل • فربهم جميعا واحد ، ورسولهم واحد ، وشريعتهم واحدة وقبلتهم واحدة ، وزيهم واحد ، ونشيدهم واحد ، وكل ذلك يجعلهم كالجسد الواحد والبنيان المرصوص • وفى موسم الحج فائدة لاهل الوادى المقدس ولارض النبوة الاولى ، اجابة لدعوة ابراهيم « **ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » •

هذه بعض جوانب الحكمة فى شريعة الحج •• تدور حول المنافع التى ذكرت فى القرآن •• تلك المنافع التى يمكن أن تكون لها صور تختلف باختلاف الظروف والاحوال وعلى المسلمين ان يفيدوا منها ويطبقوها فى حياتهم العملية ليكون هناك تجاوب بين الدين والحياة • ولعل مما يلح علينا فى هذه الايام أن نتنبه اليه وهو وحدة الكلمة للوقوف امام الاستعمار واذنابه ، ولتخليص ارضنا المقدسة من رجس اليهود ، وتمهيد الطريق لانطلاق الثورة العربية لتعيد ماضيها المشرق المجيد الذى كانت به زعيمة للعالم ، يوم كانت الدول المسيطرة على مصير الناس اليوم تعيش فى الاحراش ، وتتخبط فى الظلمات • ولايكون الا بالتزام الطريق الذى خطه الاسلام ، واتباع النور الذى جاء به القرآن • وصدق الله العظيم : ؟ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** ! •• « **يا أيها الناس قد جاءكم** برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا • فأما الذين **آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما** » •

الحب الجارف للكعبة الشريفة وللحرم النبوى

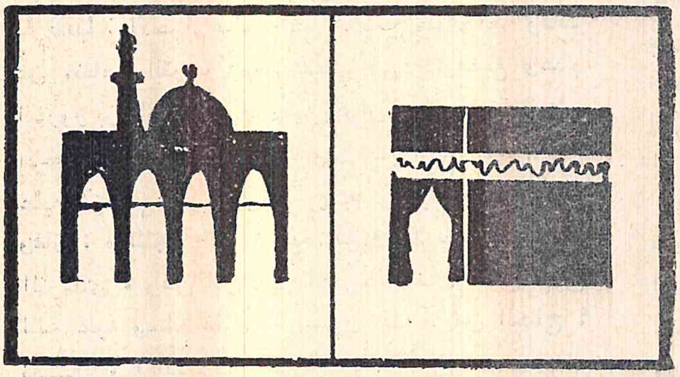

المستشار محمد عبد المجيد

انك لتشعر بحب جارف وشوق زائد لزيارة الكعبة الشريفة بيت الله الحرام التى جعلها الله مثابة للناس وأمنا ــ فاذا فتح الله صدرك لاداء الحج أو العمرة خفق قلبك حبا بهذه الزيارة الميمونة وشعرت بضآلة الدنيا امام نظرك وزهدت فيها والتفت عنها بايمان راسخ لانها دار فانية وتأكدت بان ماعند الله باق وانزيارتك لبيته الكريم هى مفتاح الرحمة والتوبة والمغفرة فتصبح مأخوذا بسحر هذه الزيارة ساعيا الى تحقيقها بكل طاقتك غير مبال بما تكلفك من مال وجهد وما تتجشمه من مشاق وما تلاقيه من صعاب ــ انه لسحر الهى يملأ القلوب غبطة والنفوس سعادة ورضا والروح طمأنينة وأمنا ــ تترك مشاغلك الذاتية وآمالك فى الحياة جانبا ولاتفكر الا فى سرعة اللقاء بهذا البيت الكريم بحنين جارف وغرام شديد ــ لاتفكر فى مالك وولدك مع انهما خير نعم الحياة قال تعالى « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** » ــ هذا السحر الالهى يملك عليك مشاعرك ووجدانك ولايترك ذهنك ومهما كررت هذه الزيارة مرات ومرات فلن يمتلىء صدرك بالكفاية والقناعة ولكنه العطش لحب الله والعمل على التزود منه والتقرب اليه ــ وقد شاء الله العلى القدير ان يسبغ على هذا البيت حبه فالقى حبه فى النفوس وزادهم شوقا اليه شوقا لاتمحوه الايام ولاتؤثر فيه الاحداث .

لقد اختار الله مكان هذا البيت فى مكة المكرمة منذ أن هبط آدم وحواء الى الارض ــ ملا جنباته بنوره الكريم وانزل رحمته ومغفرته على من زاره حاجا او معتمرا فهرع اليه من كل فج عميق وارتشف الناس من نبعه الذى لاينضب ايمانا واخلاصا ومحبة للخالق القادر الفريد بوحدانيته الذى خلق الارض والسموات وسواهن وجعل الشمس والقمر حسبانا واسبغ على الانسان نعمه ظاهرة وباطنة ــ فى هذا المكان الطاهر يفيق الانسان من سكرته ويرتد عنه نزعات الشيطان ويشعر كل فرد انه لايفترق عن اخيه فالكل امام الله سواسية لافرق بين عربى وعجمى الا بالتقوى ــ ترى الناس جميعا ملتفين حول هذا البيت العتيق بين غنى وفقير وكبير وصغير ورجل وانثى يرجون عفو الخالق القادر الذى لاتعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء وهو العليم الخبير ــ لقد لبس الرجال جميعا الملابس البيضاء الخالية من المخيط والتى لاتستر من اجسادهم الا ماامر الله به ــ تراهم جميعا يتحملون الحر والقيظ والبرد القارس والزمهرير بقلوب راضية مطمئنة قال تعالى « **تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعدالله الذى آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما** » .

الله اكبر الله اكبر ماهذا السحر الذى يجذب الوف الناس الى هذا المكان فيطهرهم من الذنوب

والخطايا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **« من جاء حاجا يريد وجه الله فقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر »** وقال **« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »** وقال **« ان هذا البيت دعامة من دعائم الاسلام فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله فان مات ادخله الجنة وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة »** .

ان هذه الجاذبية القوية ما هى الا نتيجة لاستجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه وخليله ابراهيم عليه السلام عندما نفذ أمر ربه وترك زوجته وابنه اسماعيل عليه السلام فى هذا المكان وقد ملكه الخوف عليهما من الهلاك اذ تركهم ولم يكن بهذه الجهة زرع أو ماء وكانت الجبال تحيط به من كل مكان فرفع ابراهيم عليه السلام يديه الى السماء مناجيا ربه قال تعالى **« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »** .

فما ان ارتفع هذا الدعاء الى مالك السموات والارض حتى استجاب له وأمر نبيه ابراهيم عليه السلام بأن يؤذن فى الناس بالحج وكان فى هذا الاذان الصوت المدوى الذى سمع فى جميع الارجاء فتهافت الناس الى بيت الله الحرام حيث المكان الذى ترك فيه ابراهيم عليه السلام ولده اسماعيل وزوجته وحملوا معهم الارزاق وانشقت الارض عن هذا النبع الشافى بئر زمزم فزادت فى الاقبال عليه وشد الرحال اليه قال تعالى **« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام — فكلوا منها واطعموا البائس الفقير — ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق»** .

ثم يأمره الله تعالى باعداد هذا البيت لاستقبال الافواج العديدة من الناس قال تعالى **« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود »** .

استعان ابراهيم عليه السلام بنجله اسماعيل صلوات الله عليه وشرعا سويا فى اقامة القواعد لهذا البيت ليؤدى دوره العظيم فى هذه الحياة الدنيا ولتنقل الاجيال هذا الدور الى ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة مبشرا ومنذرا ومعلنا أن الدين عند الله الاسلام وان الحج والطواف بالبيت الحرام والوقوف بعرفه من فرائض هذا الدين القويم قال تعالى **« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم — ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم — ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم** — فجاء الاسلام وعرف الناس مناسك الحج وأوضح الله لهم فى القرآن الكريم هذه المناسك ومايجب على الحاج ان يقوم به حتى يكون حجه مبرورا كما عرفهم أن الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج .

انك لتشعر بمجرد ان تنوى الاحرام بالحج أو العمرة وتتلو **« لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »** انك قد ارتبطت بخالقك برباط وثيق اذ صرت بهذه العبارات محرما لان هذه التلبية كتكبيرة الصلاة بالنسبة للدخول وانعقادها — ومتى صرت محرما فلا تقترب من اى شىء حرمه الله عليك بسبب هذا الاحرام — لا تغط رأسك ولا تحلق شعرك فى أى مكان من جسدك ولا تقص اظافرك ولا تستخدم الطيب والروائح العطرية ولا تتصل بزوجتك وعليك ان تكرر هذه التلبية كلما سرت أو وقفت أو جلست أو صعدت مكانا أو نزلت منه أو آويت الى فراشك او استيقظت من نومك فالتلبية مما يباهى الله ملائكته بها .

فاذا دخلت مكة وظهرت أمام بصرك الكعبة الشريفة بنورها الوضاء فلترفع يدك الى السماء داعيا بدعاء النبى صلوات الله عليه وقل **« اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما »** .

ثم ابدأ بنية الطواف واستقبل الحجر الاسود واجعل وجهك وصدرك نحوه تماما وارفع يديك لاستقباله كما ترفعها للصلاة مهللا مكبرا واستمر فى طوافك سبع اشواط فاذا انتهيت منها توجه الى مقام ابراهيم عليه السلام وصل فيه ركعتين ثم تناول قدحا من ماء زمزم فان النبى صلى الله عليه وسلم قال **« ماء زمزم لما شرب له »** ! **اى نافع لما نوى** الشارب شربه لاجله ان شاء الله — ثم عد بعد ذلك الى الحجر الاسود لاستلامه ناويا السعى بين الصفا والمروة مبتدئا بقوله تعالى **« ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »** — واتجه ببصرك الى الكعبة وانت تتلو هذه الاية ثم ابدأ السعى وهرول بين المكانين الواضحين باللون الاخضر ثم عد الى سيرك الطبيعى بعدهما داعيا بما تشاء مهللا مكبرا وخير ما تدعو به **« رب اغفر وارحم واعف عما تعلم انك انت الاعز الاكرم »** .

ومتى انتهيت من السعى قص شعرك وتحلل من احرامك — وانتظر الى اليوم الثامن من ذى الحجة

والبس لبس الاحرام ثم صلّ ركعتين بالمسجد الحرام أن استطعت وتوجه عقب صلاتك بقلبك الى الله ناويا الحج وقل اللهم انى أردت الحج فيسره لى وتقبله منى — ثم ابدأ التلبية واستعد للذهاب الى الوقوف بعرفة يوم التاسع - ويجب أن تعلم أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج فمن فاته الوقوف بعرفه فقد فاته الحج — وأكثر عند الوقوف بعرفه من الاستغفار والتكبير والتلبية والتهليل والتذلل الى الله والرجاء اليه واعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير »

ثم توجه الى مسجد « **نمره** » وصل الظهر والعصر فيه وعقب الغروب توجه الى مزدلفة وصل بها المغرب والعشاء مجموعتين جمع تأخير قال تعالى « **فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم** » واجمع من أرضها الحصيات لترمى بها جمرة العقبة « بمنى » صباح يوم النحر وهى سبع حصيات كل منها بحجم البندقة وواحد وعشرون للجمرات الثلاث فى ثانى أيام العيد ومثلها فى ثالث ايام العيد — واذا رميت الجمرات فى أول اليوم اذبح هديك ثم تحلل من الاحرام وقص شعرك وتوجه الى مكة للطواف سبعة اشواط وهى « طواف الافاضه » — وعد ثانية الى « منى » فى نفس اليوم وبت فيها ليلة الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة وارم خلالها الجمرات الثلاث الصغرى والوسطى والعقبة فى كل يوم من هذين اليومين — هذا موجز مبسط لاداء منسك الحج وبعد الايام الثلاث « بمنى » سوف تعود ثانية الى البيت الحرام لتقضى باقى الايام فى رحابه حتى تطوف طواف الوداع داعيا الله الكريم ان يعيده عليك مرات ومرات بقولك « الاية الكريمة » « **ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** » .

انه ليأخذك العجب وليشدك الاحساس العميق بأن هذا المكان ليس ككل مكان تزوره فان الوف الحجاج وهم يطوفون بالكعبة تراهم يقفون بباب الملتزم ويسكبون العبرات ويشتد نحيبهم وتعلو اصوات بكائهم وهم يرفعون أكفهم الى الله القدير بالدعاء « **رب هذا البيت العتيق اعتق رقابنا ورقاب آبائنا وامهاتنا واخواتنا واولادنا من النار ياذا الجود والكرم والمن والعطاء والاحسان — اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزى الدنيا وعذاب الاخرة — اللهم اننا نرجو رحمتك ونخشى عذابك ياقديم الاحسان** » .

ان بصرك حينما توجهه الى الكعبة من أى ركن من الاركان يستحوذ عليك فلا تستطيع أن تبعد عينيك عنه فهو يملك بجماله مشاعرك بل أن بصرك لا يشبع ابدا من النظر اليه والحنين الدائم لرؤياه — ومهما زرت البيت الحرام ومهما تكررت هذه الزيارة فلن تروى ظمأك - وبمثل هذا الحال زيارة الحرم النبوى فجلوسك فيه فى حضرة النبى وصلاتك بين منبره صلى الله عليه وسلم وقبره سعادة لا يدانيها سعادة قال طى الله عليه وسلم « **بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة** » وفى الحديث « **من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى** » .

فمن هو الذى يقدر على الحج أو العمرة ولا يزور قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال صلى الله عليه وسلم « **من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى حيا** » .

وروى ابو داود عن انس رضى الله عنه قال « **لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اظلم منها كل شىء — ولما دخل المدينة أضاء منها كل شىء** » .

فهذه فرضيتك ايها الحاج طيب نفسك بزيارة حبيبك المصطفى فلا تطيب نفس مؤمنة الا بزيارته ليشاهد الانوار الربانية والفيض الالهى ويستمتع بالروضة الشريفة ويصلى ما شاء الله ان يصلى فيها — وفى كل بقعة من الحرم المبارك .

متعنا الله بالحج والعمرة مرات ومرات واسعدنا بزيارة نبيه الكريم فهو الشفيع يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

البيت العتيق

الاستاذ عبد المنعم مغربي

شاءت حكمة الله أن يكون المكان الجامع للناس هو بيت الله فى مكة « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » ثم تجلت عناية الله عقب اشادة البيت فجعل الحج اليه شرعةفى دين ابراهيم **« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » « وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود »** .

ثم أمر الله رسوله أن يجهر بالدعوة « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » .

وبهذا صار الحج موسما دينيا سنويا ومهرجانا اجتماعيا يلتقى فيه الناس من مشارق الارض ومغاربها فتتضاعف أرزاق المقيمين بمكة المكرمة تحقيقا لدعوة ابراهيم . **« رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات »** ثم اشرقت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام فى جنبات الدنيا وأخذت تبث دعوة التوحيد وتطارد الجهالة بالدعوة الى العلم والايمان حتى انطوت دولة الشرك فى مذلة وخفقت راية الاسلام فى كل مكان، وحينذاك نزلت آيات القرآن بتجديد الدعوة الى الحج واحياء ماكان مشروعا فى ملة ابراهيم بعد ان حاد العرب عن نهجه المرسوم وظنوه تقليدا موروثا لاشريعة مفروضة **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »** .

وهذا تكريم للبيت العتيق فى بلد الله الامين بل

هو تكريم واسع للبيت وماحوله من افق فسيح فى

رحاب مكة ومايليها كعرفات فمع بعدها عن رقعة الحرم ظفرت بحظ موفور من التكريم حتى قال النبى فيها « الحج عرفة » يريد أنها أهم ركن يتم به الحج لمن أحرم بـه .

على ان تكريم الله للبيت ولبلده الحرام ليس موقوتا بموعد الحج فحسب بل هو على الدوام وبخاصة للوافدين على مكة فى أى وقت وان كان الحج فى أشهر معلومات فلا يدخل مكة اجنبى عنها الا بالاحرام.

ويكفى آية للتكريم أن الله أنشأ بجانبه عبده المختار للرسالة العظمى : محمدا صلى الله عليه وسلم — وان الله انزل بجانبه القرآن هدى ورحمة للعالمين الى يوم الدين .

وان الله جعل له حرمة تقضى على من قصده أن يدخله بنية الاحرام كما ندخل الصلاة بنية خالصة.

وجعل لطيره حرمة فلا يصاد ولشجره ونباته حرمة فلا يقطع وللاجىء اليه حرمة فلا يقتل فيـه .

ولكن هل هذا هو كل الامر فى بيت الله العتيق؟

الامر فوق ذلك فان الاتجاه نحوه توحيد للاهداف الجماعية لامة محمد عليه الصلاة والسلام وتذكير دائم بالاخوة فى الدين والانسانية حيث تتجاوب الالسن لاهجة بالدعاء من كل مكان وتتلاقى القلوب على صفاء المحبة فى الله اينما كانت مواطنهم .

وأن يستظل الجميع براية واحدة هى راية التوحيد وأن يكون الجميع فى ظلال الاسلام سواسية وفى نطاق العدالة امة واحدة كالبنيان المرصوص .

ذلك ماتوصى به القبيلة وذلك مانستمده من كتاب الله وسنة رسول الله ومن اضواء بيت الله والله يهدى الجميع الى صراطه المستقيم .

والاسلام — وهو دين الفطرة — أدرك من قبل ماأدركه علماء الاجتماع من بعده فسبق الى تشريع مؤتمره العام وحاطه بنظام يغنى على الكد فى التقنين وهيأ للمسلمين بل حتم عليهم أن يتلاقوا فى مؤتمرهم كل عام فى بيت الله الحرام .

وماكان لدين يوجه دعوته الى الناس كافة وينظر اليهم نظرة سواء ويرمى الى تكوين أمة على غرار متحد وقومية متماسكة ماكان له أن يغفل جمع أهله فى مواسم معهودة ليتعرفوا مابينهم ويدركوا مايحيط بهم ويأخذوا بما ينبغى لهم ويجدر بهم حتى لاتتعطل مواهبهم ولاتضعف شوكتهم ولايستبد الجهل بعقولهم فتضيق عليهم سبل الحياة بما يصيبهم من كسل أو يحدق بهم من هوان .

باجتماع المسلمين فى البلد الامين كل عام تتفق اذهانهم عما توصى به الفطرة الجماعية ويستفيدون من سجال الرأى مايدعمون به حياتهم ومن التعارف مايشد أواصرهم ويتعاظمون بـه على من عاداهم ويرهبون به من طمع فيهم وذلك جانب خطير من مسئولية أولى الامر فى المسلمين لو فطنوا اليـه وأحسنوا فهمه وادراكه ثم توجيهه واستنباط الخير العام منه .

وثمة حكمة اخرى — فالاسلام فى مساواته بين الناس يتمثل فى مظاهر المحرمين اذ يقتضيهم أن يخلعوا ملابسهم . ويطرحوا مظاهر النعمـاء فى الملبس والجاه فيتوارى عن الاعين كل امارات الغنى كما يتوارى عنها أيضا كل أمارات الفقر — فاذا استووا فى شعار الاحرام على نحو ماوصـفت الشريعة أحس الجميع بتلاشى الفوارق ورجعت بهم الخواطر الى المساواة فى العبودية لله والى الاخوة الانسانية وصغرت فى نفوسهم الظواهر الشخصية امام العزة الدينية ودبت فيهم الحساسية بالكرامة وانه لاسيد بينهم ولامسود ولاراجح ولا مرجوح وانما هم جميعا لله ضارعون خرجوا من ديارهم واغتربوا عن أهليهم وخلفوا وراءهم ماكان يشغلهم من أموال ومن كان يعز عليهم من بنين وتمثلوا فى تجردهم من المخيط بما سيلقون عليه ربهم بعد ارتحالهم عن الدنيا وتقدموا فى تواضعهم هذا الى ساحة اله كريم يلجأون اليه بالاستجابة « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك .. »

وهكذا يناجون ربهم بالدعوات الطيبات ويستشفعون بأعمالهم الصالحات ويتعاطف بعضهم على بعض لان الاسلام هو اللحمة الواصلة بينهم ومرضاة الله مطمعهم وأملهم وبذلك تذهب الانانية من بينهم ويملأ الاخلاص قلوبهم وتتركز لديهم العقيدة الاسلامية على اساس من الحق وركن شديد من اليقين واذا كانت هذه الخصائص من نعمات الله على بيته ومن فيضه على زواره فان المسلمين على ايمان حق بأنهم اذا شخصوا الى البيت فانما يلوذون بمقام تهبط فيـه الرحمات وتستجاب عنده الدعوات، اليه يلجأ العائذ بربه ويطهر فيه التائب من ذنبه ويتجدد فيه العهد ويتوثق فيه الايمان .

فهو مشهد تناجى فيه ربها الارواح والمسلم الحاضر هناك أخو المسلم الغائب هنا .. يذكره كما يذكر نفسه اذا زار البيت ودعا .. ويذكره اذا وقـف بعرفات وأفاض واذا طاف وسعى وربك ممن دعاه قريب وهو للاوابين مجيب .

ما الذى يرمز اليه الحجر الأسود ؟

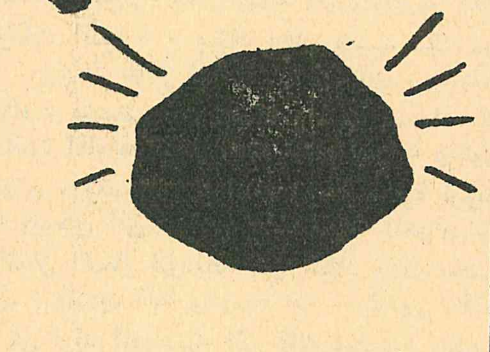

الدكتور طه عبد الحميد طه

من وحى الاحداث التاريخية التى يمر بها الوطن العربى الكبير ، ومن وحى النواة الاولى للاتحاد العربى العام ، وهو اتحاد الجمهوريات العربية ، ومن وحى زيارات أخوية يقوم بها الرئيس المصرى العربى لاشقائه العرب بعد الاتفاق على الوحدة ومن وحى قيام الرئيس باداء العمرة لله ، ومن وحى صورته وهو يقبل الحجر الاسود المقدس فى خشوع وخضوع لله تعالى .

من وحى هذه الاشياء مجتمعة ، ومنها استلهم حديثى هذا عن الحجر الاسود ، وعن تقبيله ، وعما يرمز اليه تقبيله .

لقد نعى على الاسلام بعض المفكرين الغربيين بأن فيه بعض المظاهر الوثنية ، وأهم هذه المظاهر الحج والطواف بالكعبة ، وتقبيل الحجر الاسود ، وباقى هذه المظاهر التى تؤدى فى الحج ، ولسنا فى مجال مناقشتهم الان ، ويكفى أن أشير الى انها مظاهر ترمى الى معان نبيلة وترمز الى دلالات نفسية عميقة ، أهمها التقرب الى الله تعالى ، ومنها تحميل النفس بعض المشاق ، والرمز الى احداث تاريخية لها اثرها العميق فى نفوس المسلمين ، فليس المقصود هذه المظاهر فى حد ذاتها ، وانما المقصود ماترمز اليه ، من وحدة فى بعض صورها ، ومن اخضاع النفس فى بعضها ومن التغلب على شهوات الجسد فى البعض الاخر ولا يصح ان تكون مقصودة أو وسيلة مادية ، ولا يصح أن تنقلب يوما ما الى الفرض الاول أو الهدف الاخير ، فينسى ماترمى اليه من معان سامية ، ودلالات طيبة ، ونصبح بعدها عبدة أوثان والذين يطعنون علينا هذا الامر ، يفعلون أشياء خرجت بهم عن دينهم وعن كل الاديان وأرجعتهم الى مايقرب من التعبير والتقرب للاوثان وتقديسها وما نزال نرى مثل هذه المظاهر فى بلاد العالم جميعا ، مع مايزعمه هذا العالم من تقدم فى العلم والمدنية ، والتسابق فى ميدان الحضارة . هناك فى روما وفى كنيسة القديس بطرس ، قدم لتمثال مقام بها للقديس ، يحج اليه الناس افواجا ، ويقبلون هذه القدم الحجرية ، حتى يبرى الحجر ويبلى من قبلات عباده المؤمنين ، ثم تضطر الكنيسة الى تغييرها كلما انبرت .

لا ألتمس عذرا لنا من سوق هذه القصة ، ولا أجعلها مقارنة للمظاهر التى يعيبونها علينا ، ولكن المظاهر عندنا ليست مقصودة لذاتها ، ولا يمكن أن نكون عبدة أوثان ، لان كل مظهر يرمز لمعنى جليل .

ويطول الحديث كثيرا لو تتبعنا هذه الظواهر وشرحنا ماوراء القيام بها من هذه المعانى . ولكن من وحى الاشياء السابق ذكرها أتكلم عن الحجر الاسود ، وعن تقبيل الرسول الكريم له وعن تقبيله بعد ذلك من المسلمين ، وماوراء كل ذلك من أغراض .

ان الدين الاسلامى يقوم على العقل ، ليس فيه كهانة ولا وساطة ، وليس بين الله سبحانه وبين عباده حجاب او وسيط ، ولا يلتمس رضا

الله وبركاته عن طريق انسان أو غير انسان ؟ واذن فلماذا يأخذ الحجر الاسود هذه المكانة بيننا ، وهل تبلغ هذه المكانة حد التقديس ؟ ..

من أجل ذلك أستعرض ماقيل عن الحجر الاسود ، وعن الركن اليمانى من الكعبة ، وأبين بعد ذلك أهمية ذلك الحجر الاسود فى الجاهلية ثم بقاء بعض هذه الاهمية فى الاسلام .

جاء فى البخارى ، أن عمر رضى الله عنه «جاء الى الحجر الاسود فقبله ، فقال : انى أعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا انى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك» . وجاء « أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للركن : أما والله انى لاعلم أنك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم استلمك مااستلمتك ، فاستلمه ، ثم قال فما لنا وللرمل ، انما كنا راءينا به المشركين وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شىء صنعه النبى صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه » و «سأل رجل ابن عمر رضى الله عنهما عن استلام الحجر ، فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله» وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «طاف النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير ، كلما أتى على الركن أشار اليه » .

بعد هذا نلمس مكانة الحجر الاسود فى نفس الرسول الكريم ، أو مكانة الاحداث التى أحاطت ذلك الحجر ، والنتائج المؤثرة فى الدعوة الاسلامية قبل ظهورها وبعد ظهورها والمتصلة بالحجر الاسود انه جزء من الكعبة ، والكعبة بيت الله سبحانه قبل الاسلام وبعده ، بناها ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام فى مكة ، وكان اسماعيل أول من اتخذ مكة مقاما وسكنا ، وقبل ذلك لا نعرف الكثير عن تاريخ مكة ، والراجح أنها كانت معروفة قبل ذلك ، فهى واد محصور بين الجبال ، وقد اتخذها رجال القبائل والقوافل مكانا للراحة حيث كان بها بعض العيون ، وأنهم جعلوا منها مضارب لخيامهم حين يقدمون من ناحية اليمن قاصدين فلسطين ، وحين يقدمون من ناحية فلسطين قاصدين اليمن ، وكانت سوقا للتجارة ولتبادل المنافع .

أما كيف كانت موطن اسماعيل ؟ فذلك أن ابراهيم عليه السلام بعد فشله فى هداية قومه بالعراق ، وبعد أن أنجاه الله من النار التى أرادوا احراقه فيها ، فر الى فلسطين مستصحبا معه زوجه سارة ، ثم رحل الى مصر ، وبها يومئذ العماليق [الهكسوس] ، وأراد ملك الهكسوس أن يأخذ سارة على انها أخت ابراهيم كما أشاع ، ولكن الملك رأى فى المنام انها زوجته ؟ فردها الى ابراهيم وأعطاه هدايا من بينها جارية تدعى هاجر . ورجع ابراهيم الى فلسطين .

وقضت سارة السنين الطوال مع ابراهيم ولم تنجب له ولدا ، فدفعته ليدخل بهاجر ، وما لبثت أن ولدت له اسماعيل ، وبعد أن كبر اسماعيل حدثت المعجزة وحملت سارة وولدت اسحاق « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ سورة هود .

وشب اسحاق الى جانب أخيه اسماعيل ، وتساوى عطف الوالد عليهما ، ولكن هذا أغضب سارة ، ورأى الوالد أنه لن يطيب العيش والمرأتان معا فى مكان واحد ، فأخذ هاجر وابنها واتجه بهما ناحية الجنوب ، واستقر بهما فى ذلك الوادى الذى تقوم مكة به اليوم ، وكان يومئذ مجرد مضرب خيام فى أوقات التجارة ، ويكاد يخلو بعد ذلك من الحياة ، وتتخذ هاجر لها ولابنها عريشا ، وتبحث عن الماء ، فتسعى بين الصفا والمروة سبعا ، ثم تعود لتجد الماء قد تفجر تحت أقدام ابنها ، وتكون بئر زمزم ، ويستأذن ابراهيم زوجه سارة لرؤية ابنه ، ويوحى الى ابراهيم ببناء البيت الحرام فى ذلك المكان الممتاز لتوسطه بين البلاد ولانه ملتقى القوافل ، وليعبد الله وحده فيه ، وليكون الملاذ الاول لمن أراد التوجه الى الله وحده ويؤمن بوحدانيته ، ذلك الايمان الذى كان ابراهيم أول الداعين اليه ، ومن أجله أنكر على قومه عبادة الاصنام يقول سبحانه : « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم . ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ٣٥،٣٦،٣٧ سورة ابراهيم . ويقول تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ٩٦،٩٧ سورة آل عمران . ويقول سبحانه : « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع

السجود • واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير • واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » ١٢٥ ، ١٢٦ سورة البقرة •

لقد قام البناء فى ذلك الوادى القفر ، وكان أول بناء يقام بمكة ، وقام ليكون مثابة للناس وأمنا ، وقام ليتوجه الناس اليه يعبدون الله وحده فيه ولا يشركون معه ، ولكن البيت بعد مدة لايحدثنا التاريخ عنها أصبح مكانا لعبادة الاوثان : ويرجح المؤرخون أن الصابئين كانوا يعبدون النجوم ، ولم يكونوا يعبدونها لذاتها ، وانما يعبدونها على أنها مظاهر خلق الله سبحانه ، وذلك لقصور العقول عن تفهم معنى الالوهية السامى ، ورأى البعض احجارا بركانية خيل اليهم أنها ساقطة من السماء آتية من هذه النجوم ، فقدست ثم عبدت ، وأهم هذه الاحجار الحجر الاسود بالكعبة ، ولم يكن يكفى العربى أن يعبده ، بل كان يأخذ معه أى حجر من الاحجار المحيطة به من الكعبة يعبده فى سفره ويستأذنه فى الخروج والاقامة ، وهكذا عادت الوثنية واستقرت فى مكة ، وعبدت التماثيل وقربت لها القرابين • وقد كان لكل قبيلة صنم تدين له وتعبده ، وهذه المعبودات اتخذت صور الاصنام والاوثان والنصب ، فالصنم ما اتخذ شكل انسان من خشب أو معدن ، والوثن ما كان على شكل انسان من حجر ، والنصب حجر صخرى ليس له صورة معينة ، وعليه تقوم صور العبادة لاعتقادهم أنه نازل من السماء ، فهو حجر بركانى له ألوان خاصة تستلفت النظر ، وتبعث على الاعتقاد بقدسيته • ثم تأخذ مكة مكانة خاصة ، تجارية ودينية وسياسية ، وتأخذ الكعبة مكانة قدسية فى حد ذاتها ولما تحتويه من أصنام وأوثان ونصب ، وينشأ محمد صلى الله عليه وسلم فى هذه البيئة ، ويربيه سبحانه منذ ولادته أحسن تربية ، وينكر — بعقله الواعى — على قومه عبادتهم للاصنام ، ويعصمه سبحانه من التورط فى عبادات وعادات قومه ، فهو يتأمل كل شىء حوله بفكر ثابت وجنان راجح ، فهو بين قومه صاحب الرأى الراجح والفكر الثاقب ، وهوالامين بينهم •

كان محمد صلى الله عليه وسلم ابن خمس وعشرين ، أو خمس وثلاثين فى قول ، وكان يخالط أهل مكة ويشاركهم شئون الحياة العامة ، وكانت مكة فى ذلك الوقت فى شغل بأمر الكعبة ، وذلك أنه طغى عليها سيل عرم جاءها من الجبال المحيطة بها فهدم جدرانها بعد أن أوهنها • وكان سادة قريش قبل ذلك يفكرون فيها ، لانها غير مسقوفة ، وكانت معرضة لسرقة ما تحتويه من نفائس ، ولكن الكعبة مقدسة ، ولها رب يحميها ، وهم يخافون رب الكعبة أن يصيبهم بأذى ان أقدموا على اصلاحها وعلى سقفها ، وكانت الاساطير تتردد بين الناس تخيفهم من احداث اى تجديد فيها ، ولكن بعد طغيان ذلك السيل العظيم ، كان لابد من عمل شىء على تردد وخوف وحذر ، ووافق أن القى البحر بسفينة يملكها رومى اسمه باقوم على شاطىء جدة ، وكان هذا الرجل بناء ويعرف فى النجارة أيضا ، فخرج اليه الوليد بن المغيرة ومعه نفر من قريش ، واشتروا السفينة من الرومى ، وطلبوا أن يحضرمعهم ويعاونهم فى اعادة بناء الكعبة ، فحضر معهم ، واستعان بقبطى بمكة يعمل نجارا أيضا ، ولقدسية الكعبة اقتسمتها قريش ، فكان لكل قبيلة جانب من جوانبها الاربع تقوم بهدمه وبنائه ، وكان الخوف يسيطر عليهم جميعا عند بدء العمل أن يصيبهم أذى أو مكروه من الالهة ، ولكن الوليد بن المغيرة أقدم خائفا ودعا الالهة وشرع فى هدم جانب من الركن اليمانى ، وانتظر القوم ليروا نتيجة ذلك ، وما ستفعله الالهة بالوليد ، وأصبح الوليد سليما لم يصبه أذى ، فأقدموا يهدمون وينقلون الحجارة ومحمد عليه السلام ينقل معهم ، وصادفوا صخرة صلبة ترتد المعاول عنها، فجعلوها أساسا للبناء ، وجلبوا أحجار الجرانيت الازرق من الجبال المجاورة ، وهكذا سار البناء حتى بلغ قامة الرجل ، وهو الوضع الذى ينبغى عنده أن يوضع الحجر الاسود المقدس فى مكانه من الجانب الشرقى ، وهو النصب المقدس بينهم جميعا ، كل يبتغى أن يكون له فخر حمله ووضعه فى مكانه ، واختلف القوم فى ذلك أشد الاختلاف ، وكادت تقوم حرب أهلية لا يعلم الا الله مدى ما تجره عليهم من مصائب ، وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى ، وأرادوا أن يحولوا بين أية قبيلة وبين هذا الامر الخطير والشرف العظيم ، وأقسموا على ذلك ، حتى لقد أحضر بنو عبد الدار وعاء مملوءا بالدم ، وغمسوا فيه أيديهم توكيدا لايمانهم ، وسموا لذلك [لعقة الدم] فلما رأى أبو أمية المخزومى ما انتهى اليه أمر القوم ، وخاف استفحال الخلاف بينهم ، وكان فيهم سيدا شريفا مطاعا ، وكان أسنهم أيضا ، قال لهم : اجعلوا الحكم فيما بينكم أول من يدخل من باب الصفا ، وكانت المفاجأة ، فقد كان أول من دخل محمد بن عبد الله ، وما كادوا يرونه حتى قالوا : هذا الامين رضينا بحكمه ، وأحسب

انه لو كان الداخل غيره لاختلفوا حول تحكيمه ؟ ولرضى بعضهم عنه ورفضه الآخرون ، ولكنهم أجمعوا على الموافقة ، وارتاحت نفوسهم جميعا ، واطمأنت قلوبهم الى رجاحة عقل الصادق الامين ، وليس ذلك غريبا ، فقد عرف بينهم بسعة الصدر وصدق الهمة والوفاء للناس ، وعرف أيضا بينهم بالميل الى الجد فى القول والعمل ، وبأنه بار جواد حسن العشرة ، ثابت العزيمة ، قوى الارادة شديد البأس ، ماضي التصميم لا يتردد أبدا ، كل هذه الصفات مجتمعة وغيرها كانت ذات أثر عميق فى نفس كل من عرفه أو اتصل به ، يخافه من يراه لاول وهلة ، فاذا خالطه أحبه أشد الحب .

استمع الصادق الامين للقوم ، ولاحظ العداوة فى عيونهم . ففكر قليلا ثم قال : هلم الى ثوبا ، فأتى به ، فنشره وأخذ الحجر فوضعه بيده الكريمة فى الثوب ، ثم قال ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب ، فحملوه جميعا الى ما يحاذى موضع الحجر من البناء ، ثم تناوله محمد صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه فى موضعه .

بهذا العمل الجرىء ، وبهذا التصرف الذى ينم عن عقل واع وارادة قوية حسم محمد الخلاف بين القوم ، ودرأ حربا شعواء لايعلم غير الله الى أى حد كانت نهايتها ، وزال الكرب والغم والشر عن مكة . ثم أكملت قريش بناء الكعبة ، وجعلت ارتفاعها ثماني عشرة ذراعا ، وجعلوا بابها مرتفعا عن الارض حتى يتمكنوا من ادخال من شاءوا ويمنعوا من الدخول من أرادوا .

اعتقد أن فى ذلك الحادث نقطة تحول كبيرة فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فبالرغم من الصفات النبيلة العالية التى اتسم بها عليه السلام والتى كانت تقدر بين الناس ، الا أن أثرها العملى والفعلى ظهر فى ذلك الحادث ، فقد ظهرت مكانته السامية فى نفوس أهل مكة ، وظهر الدليل العملى على تقديرهم العميق المتغلغل فى نفوسهم له ، بل أظهر هذا الحادث ما يؤهل محمدا لان يكون الزعيم المجمع عليه بلا خلاف ، ولو كان يسعى الى الزعامة الدنيوية ، والرئاسة الفعلية لكانت أيسر الاشياء بالنسبة له ، ولكن الله سبحانه ادخره لما هو أهم ، ولعله سبحانه دبر هذا الامر بحسن تدبيره ليوحى الى نفس محمد بالثقة ، وليعرفه مكانته بين قومه ، واعتقد أيضا أن من نتائج ذلك ما توفر لمحمد من ثقة نفسية فى نفسه ، حتى اذا أوحى اليه برسالة الاسلام الشاقة الخالدة حملها بعزم لا يلين وبقوة لا تعرف الوهن .

هذا أمر ؟ الامر الآخر وهو أشد خطرا ؟ هو توحيد رأى القوم لاول مرة ، لقد استحر الخلاف واشتد ،وتحالف لعقة الدم ،ولم يبق الا الحرب والقتال ثم يظهر محمد على مسرح الاحداث ، فينهى الخلاف ويمنع الحرب والقتال ، ويجتمع القوم على رأيه السليم ، وتكون الوحدة بينهم ، فيسيرون فى طريق البناء ، ويكملون بناء البيت الذى هو المظهر الخالد المقدس بينهم والجامع لكلمتهم ، يتجهون اليه جميعا ويجعلونه حرما آمنا فيه السلام وفيه الامان .

فاذا أثر عن الرسول الكريم انه استلم الحجر الاسود وقبله بعد الاسلام ، ففى هذا العمل اشارة الى المعانى الخالدة التى كانت نتيجة لوضع الحجر الاسود مكانه بيده الكريمة ، لقد اشترك زعماء القبائل فى رفع الثوب المحتوى على الحجر ، ولكنه صلى الله عليه وسلم حمله من موضعه الى الثوب وحمله من الثوب الى موضعه فى البناء ، والزعماء ينظرون فعله ويعترفون به ، ومعنى ذلك أنهم يعترفون له بما يشبه الزعامة ، ومعنى ذلك أيضا أن الثقة النفسية أخذت طريقها ورسخت فى قلبه عليه السلام .

واذا أثر عن الرسول الكريم أنه استلم الحجر الاسود وقبله بعد الاسلام ، ففى ذلك اشارة أخرى الى النتيجة الخالدة ، وهى أول عمل وحدوى يتم على يده صلى الله عليه وسلم ، ومهد له الطريق بعد ذلك لان يوحد بين قبائل متنافرة ما كان انسان يعتقد أنها تتوحد يوما ، ثم كانت الوحدة الكبرى حين اتحدت الامم تحت راية الاسلام ، ثم الدخول فى ميدان كل ما هو عربى ، فقد اتحدت اللغة بعد الدين ، واتحدت العادات والاخلاق والاهداف .

نحن نسعى الى رموز ، ونقلد الرسول الكريم فى أقواله وأفعاله ، ولكن هذه الرموز لا نسعى اليها لذاتها وانما لما تحمله من ذكريات خالدة ، نستحضرها فى نفوسنا ،ونتمثلها فى قلوبنا وأفئدتنا .

لقد تم الاتحاد بين مصر وليبيا وسوريا ، وبعده سافر الرئيس العربى المصرى ليؤدى العمرة ، وقبل الحجر الاسود الذى استلمه الرسول الكريم من قبل وقبله ، وأحس أنه استشعر الاتحاد الذى تم قديما والذى جعلنا رمزه ذلك الحجر ، كما يبين أن هذا الاتحاد ليس تكتلا معينا وانما هو نواة لاتحاد أكبر من الاشقاء الذين فرق بينهم الاستعمار قديما ومازال ينفخ فى هذه الفرقة حتى يستطيع أن يسودهم ويسيطر على كل منهم . انها الوحدة الشاملة آتية لا ريب فيها ، وعندنا رموز كثيرة لها لابد أن نسعى اليها ونقوم بالشعائر عندها حتى لا تغيب المعانى التى وراءها عن قلوبنا .

مواقيت الصلاة

اليوم	ذي الحجة ١٣٩١	يناير ١٩٧٢	مغرب		عشاء		فجر		شروق		ظهر		عصر	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
الاثنين	أول	١٧	١٧	٥	٣٩	٦	٢٠	٥	٥٢	٦	٠٥	١٢	٥٨	٢
الثلاثاء	٢	١٨	١٨	٥	٤٠	٦	٢٠	٥	٥٢	٦	٠٥	١٢	٥٩	٢
الأربعاء	٣	١٩	١٩	٥	٤١	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٠٥	١٢	٠٠	٣
الخميس	٤	٢٠	٢٠	٥	٤٢	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٠٦	١٢	٠١	٣
الجمعة	٥	٢١	٢١	٥	٤٣	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٠٦	١٢	٠٢	٣
السبت	٦	٢٢	٢٢	٥	٤٣	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٠٦	١٢	٠٣	٣
الأحد	٧	٢٣	٢٣	٥	٤٤	٦	٢٠	٥	٥١	٦	٠٧	١٢	٠٤	٣
الاثنين	٨	٢٤	٢٣	٥	٤٤	٦	١٩	٥	٥٠	٦	٠٧	١٢	٠٤	٣
الثلاثاء	٩	٢٥	٢٤	٥	٤٥	٦	١٩	٥	٥٠	٦	٠٧	١٢	٠٥	٣
الأربعاء	١٠	٢٦	٢٥	٥	٤٦	٦	١٩	٥	٤٩	٦	٠٧	١٢	٠٦	٣
الخميس	١١	٢٧	٢٦	٥	٤٧	٦	١٩	٥	٤٩	٦	٠٧	١٢	٠٧	٣
الجمعة	١٢	٢٨	٢٧	٥	٤٨	٦	١٩	٥	٤٨	٦	٠٨	١٢	٠٧	٣
السبت	١٣	٢٩	٢٨	٥	٤٨	٦	١٨	٥	٤٨	٦	٠٨	١٢	٠٨	٣
الأحد	١٤	٣٠	٢٩	٥	٤٩	٦	١٧	٥	٤٧	٦	٠٨	١٢	٠٨	٣
الاثنين	١٥	٣١	٣٠	٥	٥٠	٦	١٧	٥	٤٧	٦	٠٨	١٢	٠٩	٣
الثلاثاء	١٦	أول فبراير	٣٠	٥	٥٠	٦	١٦	٥	٤٦	٦	٠٨	١٢	٠٩	٣
الأربعاء	١٧	٢	٣١	٥	٥١	٦	١٦	٥	٤٦	٦	٠٩	١٢	١٠	٣
الخميس	١٨	٣	٣٢	٥	٥١	٦	١٦	٥	٤٥	٦	٠٩	١٢	١١	٣
الجمعة	١٩	٤	٣٣	٥	٥٢	٦	١٥	٥	٤٥	٦	٠٩	١٢	١٢	٣
السبت	٢٠	٥	٣٤	٥	٥٣	٦	١٥	٥	٤٤	٦	٠٩	١٢	١٣	٣
الأحد	٢١	٦	٣٥	٥	٥٤	٦	١٥	٥	٤٣	٦	٠٩	١٢	١٤	٣
الاثنين	٢٢	٧	٣٥	٥	٥٤	٦	١٤	٥	٤٢	٦	٠٩	١٢	١٤	٣
الثلاثاء	٢٣	٨	٣٦	٥	٥٥	٦	١٣	٥	٤٢	٦	٠٩	١٢	١٥	٣
الأربعاء	٢٤	٩	٣٧	٥	٥٦	٦	١٣	٥	٤١	٦	٠٩	١٢	١٥	٣
الخميس	٢٥	١٠	٣٨	٥	٥٧	٦	١٢	٥	٤٠	٦	٠٩	١٢	١٦	٣
الجمعة	٢٦	١١	٣٩	٥	٥٧	٦	١١	٥	٣٩	٦	٠٩	١٢	١٦	٣
السبت	٢٧	١٢	٤٠	٥	٥٨	٦	١١	٥	٣٩	٦	٠٩	١٢	١٧	٣
الأحد	٢٨	١٣	٤٠	٥	٥٨	٦	١٠	٥	٣٨	٦	٠٩	١٢	١٧	٣
الاثنين	٢٩	١٤	٤١	٥	٥٩	٦	٠٩	٥	٣٧	٦	٠٩	١٢	١٨	٣
الثلاثاء	٣٠	١٥	٤٢	٥	٠٠	٧	٠٩	٥	٣٦	٦	٠٩	١٢	١٩	٣

إلى بيت الله الحرام

الأستاذ أحمد وافي

الحج الى بيت الله الحرام ، ختام الفرائض الخمس التى يقوم بها ، وعليها ، الاسلام ، وهذه الفرائض ، فرادى أو مجتمعة ، تمثل فى هذا الكون الارضى الواسع ، كرم الله وفضله ، ولطفه بعباده ، وابتغاء هدايتهم واسعادهم دنيا وأخرى .

وفريضة الحج بشعائرها المعروفة ، تجيىءمظهرا كبيرا معبرا اجلى تعبير ، عن هذا المعنى العلوى الجليل .

فالناس جميعا متماثلون هناك : أحراما وطوافا وتسعيا ، ووقوفا وقنوتا ودعاء ، وتجردا كاملا لله وحده لا شريك له ، الملوك والسوقة ، والبيض والسود ، والاغنياء والفقراء ، كلهم سواسية كأسنان المشط ، لا يمتاز واحد من واحد ، ولا يتقدم انسان انسانا ، وهم فى غير هذا المقام العظيم ، متفرقون طبقات وأجناسا ، وأوطانا ، ولئن كان الاسلام فى تفرقهم الاجتماعى والجنسى والمكانى ، قد جمعهم من خلال فرائض التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ، والصيام ، فأنه يأتى بهم فى فريضة الحج ، أشمل جمعا ، وأوثق صفا ، وأصرح أخوة ومساواة ، وأوفر احساسا بالقوة والوحدة ..

وهم فى هذا الموقف الحاشد ، يشعرون شعورا عميقا ، بالقرب القريب من رحمة الله عز وجل ، يعمر قلوبهم الايمان بأنه ، تبارك وتعالى ، متقبل حجهم ، ومستجيب دعاءهم ، ومغتفر ما سلف من ذنوبهم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم — (الحجاج والعمار وفد الله وزواره ، ان سألوه أعطاهم . وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوا استجيب لهم ، وان شفعوا شفعوا) وليس بعد حظ الشفاعة مزيد من فضل يبتغى .

ولا شك فى أن ايمان الحاج بأن الله ، جل شأنه ، قد أظله برحمته ، وغفر له ذنوبه ، سوف يكون له أبلغ الاثر فى سلوكه ومعاملاته ، فيما بقى من حياته ، فهو بعد عودته مرتديا هذا الثوب الطهور ، خليق أن يتحرى مسالك الاطهار الاتقياء ، ويسير فى الناس سيرة الابرار الاعفاء ، ومن المرجح أن يتأسى به فى ذلك اهله ، وولده والمتصلون به ، ومن هنا يصبح هذا الحاج وأمثاله عوامل اصلاح وتقويم فى مجتمعاتهم المحلية ، ولا يغض من هذا العنصر المؤثر ان من بين الحجاج ناسا تغلبهم دنياهم على دينهم ، خرجوا للحج رياء وسمعة ، وترفا وتجارة ، فأولئك أفراد قلائل لا يؤبه بهم ، ولا يقاس عليهم ، ولا تخفى على الناس حقيقتهم ، فهم منهم أبدا بمواضع الريبة ، والازراء ..

ففريضة الحج من هذه الناحية لها ما بعدها ، من الفاعلية وقوة الاثر ، فى نشر وتدعيم الفضائل الاخلاقية واثرائها فى الناس بوجه عام ..

فى هذه الساحة الربانية الكبرى يتقارب الحجاج ، ويتعارفون ، وهم من بقاع الارض الشتى ، فيتبادلون مع عواطف الاخاء والمودة ، الاراء والافكار فى أمور دينهم ودنياهم ، وفى قضايا ومشكلات دولهم وأوطانهم ، فتستوى لهم بذلك عالميتهم المتآزرة ، الوثيقة العرى ، المتعاونة على البر ، والخير ، القادرة على استعادة ما أضاع التفرق والتمزق من سوالف أمجادهم ..

وقد كان الخلفاء وملوك الاسلام وأمراء البلاد ، يحرصون على أن يكونوا طليعة الحجيج فى كل المواسم ، ليلتقوا بالناس على مثل حالهم ، خشوعا واخباتا ، وتذللا لله سبحانه وتعالى ،

ثم يستمعون اليهم فى تفتح ورفق ، وينظرون فى شكاواهم وحاجاتهم فى اشفاق وعدل ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يأتى الموسم فيجعل منه مؤتمرا اسلاميا جامعا و « محكمة عليا » ذات جلسات « علنية » يقف فيها ولاة الامصار مواقف المساءلة والتحقيق ، تجاه الجماهير المتوافدة

ممن يلون أمرهم ؟ فيستعرض أحوالهم ؟ وينتصف لساعته من الظالم للمظلوم ، ومن الحاكم للمحكوم ، وكانت هذه سنة من السنن الخيرة فى اقامة الموازين بين الناس بالقسط ، وقد وهنت للاسف بفعل الاحداث والغير التى صيرت الدولة الواحدة دولا ، ولكنها لم تنسخ تماما فان ملوك هذه الدول وحكامها ، لم يغفلوا واجب احتفالهم بالحج ومشاركتهم فيه ، على صور أخرى متعددة ، منها انهم يبعثون فى مستهل كل موسم بعثات دولهم ، تحت أمرة ممثلين لهم فى قافلة تسمى « محملا » مزودة بكسوة الكعبة الشريفة ، ومعها الهدايا والخيرات الكثيرة ، لتوزيعها على فقراء المسلمين بمكة والمدينة ، ومما يذكر أن لمصر هناك — عدا بعوثها السنوية — مؤسسات خيرية دائمة، تقدم المساعدات الصحية والاجتماعية لمستحقيها — مجانا — بلا انقطاع طوال أيام العام ..

فياحبذا لو تجددت السنة العمرية المحمودة ، لتنمية العلاقات الانسانية بين رؤساء الدول وشعوبها ، فوق دلالتها على استمساك الرؤساء بعرى الاسلام ، وتقديسهم شعائره ، واهتمامهم بقضاء حق الله ، والوقوف بين يديه خشعا كسائر الناس من عباده ، والنظر فى مصالح الامة الاسلامية فى الاطار الواسع ، بلا فارق ولا حدود ، فان فى ذلك ما فيه من خير كثير ومنافع جمة، الى ما فيه من تمكين الثقة التى لا معدى عنها بين الرعاة والرعية وشيوع القدوة الحسنة فيهم جميعا ..

ومن شعائر الحج .. الاضحية ، أو الهدى — بمعنى الهدية — وهو ذبح البدن « الابل » والبقر ، والغنم بمنى فى أيام النحر وبمكة فى غير أيام التشريق ، وتفريق لحومها على الفقراء والمساكين الذين يكثرون فى أيام الموسم ، ومعنى هذا ، تأكيد المؤاخاة والتعاطف بين المسلمين ، والخير فى ذلك متحقق على حال مشتركة ، تنتقى بها من نفوسهم مشاعر الفرقة المشوبة بالحقد ؟ ..

وواضح أنه ليس لله — سبحانه — من حاجة الى هذه القرابين وأمثالها من شعائر وعادات ، فهى موجهة — تشريعا وتطبيقا — الى خيرهم أفرادا ومجتمعات ، وهو ، تبارك وتعالى يقول — (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر [الى قوله ، عز من قائل —] لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم ، وبشر المحسنين).

فما اعظم أفضال الله على عباده ، يمنحهم الخير ، ويأمرهم بالبر ، ويزكى انسانيتهم بالمحبة والاخاء وجميل المشاركة والتعاون ؟..

ولا نحتاج أن نقول أن الحج منوط بالاستطاعة ، (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فهو ارتحال وسفر وجهد وانفاق ، مع كمال عقل ودين ، وموفور بما فيه ، وميسور حال ، وليس جميع المسلمين فى مستوى القدرة على ذلك ، ومن هنا فلا وجوب على من لا يستطيعه، ولكن لا عذر لمتخلف مستطيع، وانه ليلقى الله عاصيا آثما ، ويرى بعض الفقهاء ان الحج يلزم المتخلف فى تركته اذا مات ، بأن يحج عنه وان لم تكن له وصية بذلك ، مثلما يكون فى ديونه للناس ، فانما الحج حق الله فى ذمة المسلم ، وحق الله أولى بالتقديم والوفاء ، وعن الدارمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال —] من لم يمنعه من الحج من حاجة ظاهرة ، أو سلطان جائر ، أو مرض حابس ، فمات ولم يحج ، فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا) ، ومما يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه انه قال (لقد هممت أن أكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا) وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس « لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه » « فذلك ضرب من الانكار لتقصير المتخلف المستطيع عن أداء حق الله تعالى فى الدنيا الى ماسوف يلقاه من حساب وعقاب فى الاخرة ..

وفى عصرنا هذا أصبحت الرحلة الى البيت الحرام ؟ ميسرة بوسائل النقل الحديثة، كالقطارات والسيارات والسفن والطائرات فصارت شهورها أياما ، وأيامها ساعات ، وكفلت للحاج راحة وأمنا وسعة وقت ، وهذه بعض حسنات العلم الذى زعموه حديثا وما هو الا ثمار الغراس التى وضع المسلمون بذورها منذ أكثر من ألف عام ؟ .

ولهذا فالملحوظ أن الاقبال على الحج والعمرة والزيارة قد أخذ فى السنوات الاخيرة يتزايد على امتداد العالم ، تشجع عليه ، بخاصة ، النهضة التقدمية الكبيرة التى شملت كل نواحى الحياة فى البلاد الحجازية ، ولولا الظروف الشاذة التى تحيط الان بالمنطقة العربية نتيجة العدوان الصهيونى الغادر ، لتضاعفت وفود الحجاج والزوار ، والظواهر العامة تؤكد أن المسلمين فى مختلف الاقطار والامصار يسودهم اليوم وعى دينى متدفق بعيد المدى ، فالمتوقع — بعد زوال آثار العدوان قريبا ان شاء الله — أن يكون هذا الوعى المنتشر مع التيسير فى وسائل الرحلة ، حافزا على الانبعاث المتواصل فى سائر الشعوب الاسلامية لقضاء فريضة الحج المباركة ، تحقيقا لمقاصدها السامية ، وانتهالا من منابعها الصافية ، واكتسابا لمنافعها المتبادلة ..

وهذا اليسر الذى يلقاه المسلمون الان ، حجاجا ومعتمرين وزوارا ، فى ذهابهم وايابهم ، يذكرنا بما كان يلقاه أسلافنا من أهوال ومشقات جسام ، على طول الطرق والدروب ، وفى رحلات ابن جبير فى القرن السادس الهجرى ، وابن بطوطة فى القرن الثامن الهجرى ، والبتانونى المصرى فى العقد الاول من القرن الميلادى الحالى ، فى هذه الرحلات صور مروعة من الاحداث المضنية المهلكة التى قلما كان ينجو منها حاج ، فمن جباة مكوس قساة أشد القسوة ، بغير حق ولا قانون ، ولا ضمير ، الى مسارات موحشة تمرح على جوانبها الوحوش المفترسة ، ولا ماء قط الا ما كانوا يعثرون به على آماد بعيدة ، زعافا ساما ، واذا ما كتبت لهم الحياة حتى يبلغوا الارض المقدسة تفاقم الهول ، وشرى البلاء ، على أيدى مرافقيهم من قادة الرواحل وحداة الطريق ، فقد كان هؤلاء يتعمدون السير بهم فى مجاهل غير مطروقة ، ثم يثبون عليهم فيسلبونهم أموالهم وأمتعتهم ، الى غير ذلك من مروعات الرحلة فى ذلك الحين ..
وقد انتهى هذا ولم يبق منه الا ذكرياته المؤلمة شاهدة على أن أسلافنا كانوا من قوة الايمان وصدق النية فى طاعة الله والوفاء بحقه ، بحيث يخرجون للرحلة الطويلة يخوضون اليها أهوالا شدادا ، ولا يخافون ، ولا يتراجعون ، وكان لهم عنها مندوحة لافتقادهم أمن الطريق ، وهو شرط جوهرى فى وجوبها ، وان فى هذا لدليلا على أن الاسلام فى قلوب المسلمين ، كان بخير وعافية حين كانت أمور الدولة مضطربة ايما اضطراب تحت وطأة الكوارث التى نزلت بها خلال الغزو الصليبى ، ثم المغولى ، وبعدهما الاستعمار الاوروبى ، وقد كانت سهام الغزو والاستعمار مسددة — ولا تزال — الى الاسلام فى قلوب المسلمين ، فطاشت السهام بددا ، وبقى الاسلام مصونا مكينا فى قلوب أهله [انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون] صدق الله العظيم ..

واذا كنا نرى فى أسلافنا هؤلاء صورا من « الفدائية » فى احتمال الاذى واقدامهم على أخطار غير مجهولة فى زمانهم ، لا يخشونها فى طاعة الله ، فاننا لا نرى هذه الفدائية أمرا مستغربا أو جديدا فى تاريخ هذا البيت العتيق ..

ان الخليل ابراهيم ، عليه السلام ، كان « فدائيا » عندما حمل ولده اسماعيل — وهو وحيده يومئذ — وأم ولده هاجر [المصرية] ليتركهما — بعد رحلة شاقة — وحيدين فى هذا المكان المقفر الذى لا حياة فيه ، انه مجرد بقعة من صحراء قاحلة بين جبال مخوفة ، لا ماء ، ولا زرع ، ولا انسان ، ولا حيوان ، .. وتسأله هاجر مرتاعة — كيف يتركهما هكذا للجوع والظما والموت ؟ ! فلا يجيبهما ، وينقلب عائدا من حيث جاء ، فتسأله

[البقية ص ١٠٣]

عيد الأضحى

الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

عيد الإنسانية

أجدر بعيد الاضحى عند المسلمين أن يكون عيدا للانسانية جمعاء ، وأجدر بالامم والشعوب المتحضرة ان تتمثل فى هذا العيد معنى من المعانى العظيمة فى التحرر واعلاء الكرامة لبنى الانسان ·

ذلك أن تقديم المسلم للاضحية فى صباح هذا العيد ، ومئات الالوف من المسلمين عاكفون على شعائر الحج فى بيتهم الحرام ، ليس مجرد استعداد وتهيئة لمائدة غنية باللحم والشحم ، ولكنه دلالة على حدث عظيم فى تاريخ الانسانية وتاريخ النضج الانسانى على هذه الارض ، وأعنى بذلك الحدث تحطيم تلك العادة الاليمة بتقديم الضحايا من بنى الانسان ترضية للالهة على مذابح الوثنية وضراوة الجاهلية الاولى ، وفداء الانسان فى هذا بذبح من الحيوان الذى يؤكل لحمه ويعم نفعه ، وانما شرع هذا الفداء ليظل عنوانا ورمزا الى ذلك الحدث العظيم ، ولكننا مع الاسف نسينا ، أو غفلنا عن هذا المعنى الانسانى فى سنة الاضحية ، ولم يبق فى اذهاننا وعقولنا عن عيد الاضحى الا صورة اللحم والشحم تتمثل فى الالوف المؤلفة من الخراف والماشية التى تطوى المدى أعناقها فى يوم العيد من كل عام لتشبع البطون التى لا تشبع أبدا على مدى الاعوام والسنين ·

والسنة فى الاضحية ترجع الى قصة أبى الانبياء ابراهيم الخليل ، وهى قصة معروفة مشهورة روتها التوراة وأوردها القرآن الكريم ، وتناولتها كتب السير والقصص والحكايات فى صور شتى من التأويل والتهويل ، **والقصة فى صورتها الواردة أن نبى الله ابراهيم رأى فى منامه أنه يذبح ولده قربانا الى الله ، ورؤيا الانبياء فى المنام حق وصدق ، وهى هاتف كهاتف الوحى ، فكان من الضرورى ان يستجيب نبى الله ابراهيم لهذا الهاتف الذى وافاه فى المنام ، وأن يعتبره امرا واجب الطاعة ، وعرض الوالد الشيخ الامر على ولده الحبيب العزيز فتقبل قضاء الله بالرضى والاذعان ، وقال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ·**

ونهض نبى الله ابراهيم لتحقيق الامر وتنفيذه ، فشحذ السكين ، واخذ ولده بين يديه ، ورفعها ليهوى بها على عنقه ، وفى هذه اللحظة الحاسمة سمع هاتفا من السماء ينادى عليه أن يكف عما يفعل ، وأوحى اليه أن فى بلوغه من تنفيذ الامر الى هذا الحد ما يكفى لتصديق الرؤيا ، وما كاد ابراهيم يرفع رأسه شاكرا لله أنعمه حتى رأى قريبا منه كبشا أقرن أملح ، فذبحه فدية عن ولده ، ومن هنا كانت سنة الاضحية والفداء ·

وهناك خلاف طويل بين علماء الدين حول الذبيح الذى آثره الله بالفداء ، فان الرأى السائد انه اسماعيل بن ابراهيم أبو العرب المستعربة ، ويرى المعتزلة انه اسحق بن ابراهيم ، لان سفر التكوين نص على ذلك فى الاصحاح الثانى والعشرين ، وليس فى القرآن نص بالاسم على أن الذبيح هو اسحق أو اسماعيل ودع عنك هذا الخلاف ووجه الحق فيه ، فان تعيين اسم الذبيح لايغير كثيرا أو قليلا فى مدلول القصة والقصد منها ، ودع عنك أيضا ما يقال حول هذه القصة وما يزجيه القصاصون والحشويون من تأويلات وتهويلات فى المبالغة بهذه القصة وتصوير الغاية منها وهم يحسبونها امرا خارقا للعادة وكفى ، ثم دع عنك أخيرا مايعتقده العامة من المسلمين من

أن التضحية تنتهى عند ذبح تلك الالاف المؤلفة من الخراف وحشو البطون بأطنان اللحم والشحم التى تتوافر من ملايين الضحايا ، فان الغرض اسمى من هذا كله وأنبل ، وانه فى ضوء الواقع التاريخى لخطوة جريئة رسمها أبو الانبياء فى فجر التاريخ لتحرير الانسان من طغيان الانسان ، ولتخليصه من عقائد الوثنية الباطلة وأوهامها الفاسدة ، وتخليص الرقاب الانسانية التى كانت تقدم بالمئات قربانا لتلك الالهة من الاصنام والاحجار .

فقد جاء ابراهيم أبو الانبياء والامم من حوله غارقة فى الوثنية ، عاكفة على عبادة الاصنام ، متخذة منها آلهه وأربابا ، وكانت غاية الاخلاص عندهم فى عبادة هذه الالهة تنحصر فى تقديم القرابين اليها ونحر الضحايا من بنى البشر تحت اقدامها وبين يديها ، وكانت هذه الضحايا تختار غالبا من اعز الابناء ، واجمل الفتيات والفتيان لعل تلك الالهة ترضى ، وباسم هذه الاصنام التى لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا كانت تزهق أرواح الالوف من الفتيان والفتيات والاطفال ، وتسفح دماء البشر هدرا على الاحجار وتحت اقدام الاصنام ، تلك عادة كانت ذائعة شائعة كما يروى التاريخ بين الفينيقيين والكنعانيين والرومانيين والغاليين والمؤابين وما الى ذلك من الامم والقبائل فى التاريخ القديم ، **فكانت الغاية الاولى أمام أبى الانبياء هى تحرير الانسان من عبوديه الاوثان والاصنام التى لا تضر ولا تنفع ، ثم تحرير رقابهم من تلك المدى الحادة التى كانت تهوى عليهم فى غير رحمة ولا شفقه ، وتزهق أرواحهم فى غير نفع ولا جدوى ، ومن ثم أن عمد ابراهيم الى تحطيم الاصنام والاوثان وأخذ يحاج قومه فى الاقلاع عن تلك الوثنية التى لا تليق بعقل الانسان على نحو ما فصلته التوراة وذكره القرآن الكريم فى غير موضع ، ثم شرع ابراهيم للناس شريعه الفداء رحمة ببنى البشر والتضحية بالحيوان فداء للانسان وابطالا لتلك العادة الذميمة وما كان عليه الناس فى قديم الزمان من تقديم القرابين والضحايا البشرية من بنى الانسان .**

وجاء نبى الله موسى بدعوة ابراهيم فى تحريم الضحايا البشرية . ونادى قومه الى الاخذ بهذه الشريعة ، وكذلك صنع من بعده عيسى ابن مريم ، ولكن عادة ذبح البشر قربانا للالهة والارباب ظلت باقية حتى سنة ٩٥ بعد الميلاد اذ صدر قرار رومانى بتحريمها كما ذكر المؤرخ بلينوس وانما الفضل الاول فى محاربة هذه الشناعة البشرية الى ابى الانبياء ابراهيم .

ولما جاء نبى الله ورسوله ، محمد صلوات الله عليه ، كان أساس دعوته تحرير العقول والقلوب والرقاب ، وكان قد بقى من آثار تلك العادة الشنعاء فى البيئة العربية عادة وأد البنات ، فحاربها نبى الاسلام حتى قضى عليها وحارب عادة القرابين والترضية للاصنام والاوثان ، وأقر سنة التضحية التى شرعها ابراهيم ابو الانبياء للناس رمزا للفداء ، على أن تكون هذه الضحية من اللحم حقا معلوما فى مال الاغنياء والقادرين على الفداء للمحتاجين والفقراء .

هكذا جاهدت الشرائع السماوية متتابعة لتحرير الانسان من عبادة الاصنام والاوثان ، وهكذا جاهدت الشرائع السماوية متتابعة لتحرير رقاب البشرية من الجبروت والطغيان ، كما جاهدت لتحرير العقول الخامدة من تهاويل الزيف والزيغ والبهتان . ولقد تتابعت السنون والقرون على هذه الدعوات الطيبات ، فهل تحررت الانسانية من العبودية والوثنية ؟ وهل أصبح الدم البشرى فى مقام التقدير والاعتبار ؟ وهل خلصت العقول من تلك الاثام ، وأصبح الانسان — كما دعا الانبياء — قبلة الانسان ؟

اننا فى عصر نسميه عصر الحضارة والتقدم ، والنور والعرفان ، عصر العقل والعلم الذى اقتحم عنان السماء ، ولكن الانسان مازال هو الانسان الاول بزويره وغرائزه يعيش على شريعة الغاب ، ويناضل فى معترك الحياة بالظفر والناب ، وماهو أقسى وأشنع من الظفر والناب !

تقدم الانسان علما واختراعا ، وانه ليمشى بخطوات جبارة للسيطرة على مقدرات الكون فى الارض والسماء وما بين الارض والسماء ، ولكن مازال الانسان خلقا وعاطفة يعيش فى ضراوة الوثنية الاولى ، ومازال بكل مايملك حربا على أخيه الانسان ..

لقد كانت دماء البشرية تراق فى الزمن القديم باسم الالهة وباسم الشفاعة والضراعة والترضية لتلك الالهة وانها اليوم تراق باسم الحرية والمدنية اشباعا لغريزة التسلط والقمع عند هذا الانسان .

ولقد دعا أنبياء الله الى تحرير الرقاب من الاعتقادات الفاسدة والاوهام الباطلة فقام مقامها ذل الرقاب تحت أقدام الاستعمار وأوهام الاغراض . فاذا كنا نرى فى عيد الاضحى آلافا مؤلفة من الخراف والماشية تطوى المدى أعناقها ، فان هناك آلافا مؤلفة من بنى البشر تصنع بها الاغراض الاستعمارية الوحشية أكثر من هذا وأشنع ، وكل جريرتها انها تريد لنفسها ابسط الحقوق الانسانية فى الحرية والاستقلال .

ونحن اذ نستقبل عيد الاضحى عيد الفداء والتحرير لبنى الانسان . أرجو أن ندرك الغاية الانسانية الشريفة التى شرعت من أجلها الضحية . وان نسمو فى فهم هذه الغاية على حشو البطون بفنون الطعام من اللحم والشحم ، وان تكون ذكرى هذا العيد الكريم فىنفوسنا هىذكرى تحرير رقاب بنى الانسان من طغيان الانسان ، وتقدير القيمة الانسانية للانسان ، وما أجدر عيد الاضحى بهذه الغاية النبيلة ، وبهذا المعنى الانسانى العظيم فى ذكراه ، أن يكون عيدا للانسانية جمعاء ، وفى جميع الامم والشعوب على السواء .

مع وفد الله في الرحلة القدسية

الأستاذ مهدى عبد الحميد مصطفى

مع الركب السائر ، والجمع الزائر ، والوفد الهادر ، من اجناس مختلفة ، وأشكال متباينة ، ولغـات متعددة ، وطباع متفاوتة ، وبلاد سحيقة .. تهفو نفوس المسلمين ، وتشرئب أعناق الموجودين ، وتحوم الارواح ، متمنية أن تصـاحبها الاشباح ، فى تلك الرحلة القدسية ، ذات الوجهة الربانية ، بغية الوصول ، الى رحاب تلك الارض الطاهرة ، صـاحبة الذكريات العاطرة ، فهى محور المسلمين فى صلاتهم ، ومصدر شروق اشعاعهم ، ونقطة انطلاق دينهم ، وكيف لا ؟ ، وعليها أقيم أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ... وكيف لا ؟ وعلى ثراها ولد هادى الانسانية ، وفى دروبهـا تربى منقذ البشرية ، وفى غار من غيران صحرائها كان أول لقاء بين أمين وحى السماء ، وسفير الله الى الانبياء ، وبين مسك الختام ،فى سلسلة الرسل الكرام ، ومن فوق جبل مـــن جبالها ، كانت أول صيحة لصوت الحق ـ بعد أن خفت صوته حقبة طويلة من الزمن ـــ ، : «يامعشر قريش ، أرأيتم لوأخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ » قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ، قال : « فانى رسول اللـــه اليكم خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعلمون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، والله انها لجنة أبدا ، أو لنـار أبدا » وعلى ربا هذه الارض حمل القائد الاعظم ، والمعلـم الاكبر ، محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ راية الـكفاح ، يدعو الى توحيد الله ، فغضبت نفوس ، وهاجت رءوس ، وتضافرت على سحق الدعوة ، واخماد الرسالة ، ولاقى الرسول ما لاقى من العناد والصدود ، وقوبل من أقرب الناس اليه بالـكفر والجحود ، فلم تلن قناته ، ولم تضعف عزيمته ، ولم تنل قواه ، بل أعلن الصبر والجلد ، والثبات والصمود ، فى قولته المدوية فى فم الزمان ، والخالدة على مر الايام : « والله الذى لا اله الا هو ، لو صعدوا الى السماء،فتناولوا الشمس بيمينهم ، والقمربشمالهم ، ووضعوا الشمس فىيمينى، والقمر فى شمالى ، على أن أترك هذا الامر ، فلن آتركه حتى أبلغ رسالة ربى ، ولو قطع منى هذا الحلقوم » !!! وفى أماكن عديدة من هذه البقعة الطيبة ، صمدت كلمة الحق ، بل وعلت على سلطان الباطل وجبروته ، بعد أن نكل بالمستضعفين ممن امنوا برسالة محمد ، واتبعوا النور الذى نزل معـــه ، فما زادهم نكال عدوهم بهم الا ايمانا وتثبيتا ، ويقينا وتصديقا، وارتفع صوتهم مرددا مع كل لفحة من نار ، أو ضربة من سوط ، أو اغراقه فى ماء ، أو حرة على رمال مكة المحرقة، أو ثقل حجر صلب كبير فوق الصدور ... أحد ، أحد !!!

وبالاضافة الى ذلك فهى تربط المسلمين بذكريات أبيهـم ابراهيم الخليل المسلم « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » (سورة آل عمران)

فهو جدنا الاكبر ، وبانى البيت ، والمؤذن فى الناس بالحج والذى سمانا بالمسلمين ، وصاحب الدعوة المستجابة : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنـــا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (سورة البقرة) .

وهو المـــامور بأمر ربنا فى قوله : « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » [سورة الحج] فصلتنا بابراهيم واسماعيل ـــ عليهما السلام ـــ ممدودة باقية ، وارتباطنا به وثيق ومتين ، وقرابته فينا قرابة الجذر لفروعه ، وذكرياتنا امتداد لذكرياته ، ودينا يجمعنا به فى رحاب مقدساتنا ومقدســـاته .

لاجل هذه المعانى الروحية الحية ؟ كان شغف القلوب ؟ ولهف النفوس ، لاداء فريضة الحج ، تلك الشعيرة القديمة المتوارثة من لدن ابراهيم — عليه السلام — بل من قبل ابراهيم ، الى نبينا الكريم — عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم — .

ولئن كانت الاهواء قد حرفت فى طريقة أدائها ، فقد جاء الاسلام ليقوم ما اعوج ، وليصلح ما حرف ، وليهذب السلوك فى أداء هذه الشعيرة العظيمة .

فبعد أن كان الناس فى جاهليتهم يطوفون حول الكعبة عراة ، جهلا منهم وظنا بأن فى هذا تجردا من ثيابهم المدنسة بأخطائهم ، نهى الاسلام عن ذلك ، وشرع لباس الحج المعروف ، سترا للعورة ، وصونا للحرمة ، وهذا اللباس لا يخرج الحاج عن مظهر التجرد الذى يجب أن يلازم هذه الشعيرة .

وبعد أن كانوا يحرمون على أنفسهم طيب الطعام فى زمن الحاج ، أبطل الاسلام هذا السلوك ، وجاء فى كتاب ربنا سبحانه : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (سورة الاعراف) .

وبعد أن كانت قريش ترى لها فضلا على غيرها باعتبارها القائمة على أمر البيت ، فكان ذلك يدفعهم الى شىء من التعالى ، ويوحى الى نفوسهم بانه لا يصح أن يقفوا مع غيرهم من عامة الناس الذين يحجون البيت موقفا واحدا ، بل عليهم أن يجعلوا لهم موقفا خاصا يميزهم عن باقى الحجيج ، فعاب الاسلام عليهم هذا التصرف ، ونزل قول الحق تبارك وتعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » (سورة البقرة) .

وبعد أن كانوا فى الجاهلية ينتهزون فرصة الحج ، وتجمع الناس فى مكة من كل صوب ، فيتفاخرون بأحسابهم وأنسابهم ، ويتبارون بأشعارهم وخطبهم ، مما كان يسبب بث روح الكراهية والشحناء فى نفوسهم ، جاء الاسلام داعيا الى الاخوة ، نابذا كل ما يفرق الجماعة ، مبينا أن الناس جميعا ينتمون الى أصل واحد ، فربهم واحد ، وأبوهم واحد ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر ، الا بالتقوى والعمل الصالح ، وصدق ربنا العظيم : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » (سورة الحجرات) .

ولقد اختلفت آراء العلماء فى توقيت فرضية الحج على المسلمين ، فقيل : انه فرض فى السنة الخامسة للهجرة ، وقيل فى السنة السادسة من الهجرة وقيل فى السنة التاسعة وهذا الرأى الاخير هو أرجح الاراء لان ما فعله الرسول فى السنة السادسة انما هو العمرة وليس الحج كما أشارت الى ذلك كتب التاريخ الاسلامى .

ولما فرض الحج على المسلمين ، تهافتوا عليه ، وتسابقوا اليه ، ورأوا فيه فرصتهم السانحة لما عسى أن يكونوا قد ارتكبوه من اثم ، أو اقترفوه من ذنب ، وقد فرضه الله مرة واحدة فى عمر الانسان كله ، حتى لا يشق أمره على المسلمين ، وما زاد على ذلك فهو من قبيل الندب ، لما روى مسلم عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : خطبنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : « أيها الناس ، ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لو قلت : نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم » ثم قال : « ذرونى ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .

والحج بمعناه الحقيقى يجمع بين حظى الدين والدنيا — وما أجملهما اذا اجتمعا — فقد كان المسلمون السابقون يتحرجون من التجارة والاعمال الدنيوية فى مدة حجهم ، حرصا منهم على أن يكون أداؤهم لهذه الشعيرة خالصا لله رب العالمين ، فلا تشوبه شائبة ، ولا يعلق به متاع دنيوى زائل ، ولكن الشريعة السمحة التى جاء بها خير خلق الله أجمعين لم تضيق الخناق ، ولم تقف أمام المصالح الدنيوية حجر عثرة ، فأباحت للمسلم أن يجمع بين حظى الدنيا والآخرة من غير تحرج ولا تأثم ؟ على أن يكون الهدف الاسمى أداء الشعيرة أولا ، وتأتى المنافع الدنيوية فى المرتبة الثانية ، فقد روى البخارى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز أسواقا فى الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا فى الموسم — أى موسم الحج — فسألوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك ، فنزلت الاية الكريمة : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » فازالت من نفوسهم مخاوفها ، وانقشعت عن قلوبهم وساوسها ، وخلصت أفئدتهم من ظنونها ، وعرفوا رأى دينهم فى صراحة ووضوح .

والحج بمعناه الحقيقى من أقرب القربات ، وأفضل الطاعات ، عند خالق الارض والسموات ، كما بين ذلك من لا ينطق عن الهوى — صلى الله عليه وسلم — فى قوله : « أفضل الاعمال عند الله تعالى : ايمان لاشك فيه ، وغزو لا غلول فيه ، وحج مبرور » (رواه ابن حبان) .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : سئل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أى العمل أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

والحج المبرور هو الخالص لله رب العالمين ، لا تشوبه معصية ، ولا يخالطه ذنب ، فينقى قلب صاحبه ، وتصفو روحه ، وتدعم صلته بخالقه ، فيقبل على الطاعات ، وينصرف عن الاهواء والهفوات ، ويتحلى بمكارم الاخلاق ، وصاحب الحج المبرور هو الذى يتعرض لنفحات ربه ، ويسعد برضا بارئه ، فتمحى ذنوبه ، وتكفر سيئاته ، ويئوب من حجه بصفحة مشرقة ، مضيئة بصالح الاعمال ، ومزينة بجميل الخلال ، فقد روى البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجة عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وروى أبو هريرة — أيضا — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » (رواه مالك ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، والاصبهانى وزاد : « وما سبح تسبيحة ، ولا هلل من تهليلة ، ولاكبر من تكبيرة، الا بشر بها تبشيرة ».

وروى مسلم عن ابن شماسة — رضى الله عنه — قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت ، فبكى طويلا ، وقال فى حديثه : ..... فلما جعل الله الاسلام فى قلبى ، أتيت النبى — صلى الله عليه وسلم — فقلت : يارسول الله ، ابسط يمينك لابايعك ، فبسط يده ، فقبضت يدى ، فقال : مالك يا عمرو ؟ » قلت : أردت أن أشترط ، قال : « تشترط ماذا؟» قلت : أن يغفر لى ، قال : « أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ » .

لذلك وجب على المسلم أن يعجل بأداء هذه الفريضة ، ولا يؤجلها ما دام قادرا على أدائها ، لان الاجل غير مضمون ، حتى لا يعرض نفسه لملاقاة ربه ، وقد أهمل ركنا من دينه ، فقد روى عبد الله ابن عباس — رضى الله عنهما — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : تعجلوا الى الحج ، فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له » ولقد جاء الاسلام منددا بهؤلاء القادرين على أداء فريضة الحج ، فغواهم شيطانهم أن يهملوها ، فضعفت نفوسهم أمام غوايته ، وخارت عزيمتهم أمام سلطانه ، لضعف فى ايمانهم ، وزعزعة فى عقيدتهم ، فلم يستجيبوا لله ورسوله ، وجحدوا فرضية هذه الشعيرة ، فبرىء منهم الاسلام ، وأسقطوا من سجل الايمان ، وحرموا من رحمة الرحمن ، فقد روى الترمذى والبيهقى عن على — رضى الله تعالى عنه — قال : قال رسول الله

ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج ، فلاعليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا».

وروى ابن حبان ، والبيهقى ، عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « يقول الله عز وجل : ان عبدا صححت له جسده ، ووسعت عليه فىالمعيشة ، تمضى عليه خمسةأعوام لا يفدو الى لمحروم» كما روى البيهقى عن أبى أمامة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « من لم تحبسه حاجة ظاهرة، أو مرض حابس ، أو سلطان جائر ، ولم يحج ، فليمت انشاء يهوديا ، وان شاء نصرانيا » .

وعن الحسن ــ رضى الله عنه ــ قال : قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ : لقد هممت أن أبعث رجالا الى هــذه الامصار فينظروا كل من كان له جدة ــ أى يسار ــ ولم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية . ماهم بمسلمين .. ماهم بمسلمين !!!

وكيف لا يكون المهملون فى أداء تلكالشعيرة ، والجاحدون لفرضيتها كذلك ، وقد حرموا الخير الكثير ؟ فقد بين لنــا خاتم النبيين والمرسلين محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ما يناله الحاج من فضل عظيم ، واجر كبير ، فى كثير من أحاديثهالشريفة:

فقد قال سيد المرسلين : « الحجاج والعمار ــاى المعتمرون ــ وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » .

وروى ابن حبان فى صحيحه أن رسول الله ــ عليه أفضــل صلاة وأزكى سلام ــ قال : « ان للحاج حينما يخرج من بيته أن راحلته لا تخطو خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه خطيئة ، فاذا وقف بعرفة : فان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا ، فيقول : انظروا الى عبادى اتونى شعثا غبرا ، اشهدكم أنى قد غفرت لهم ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ، ورمل عالج ، واذا رمى الجمار : لا يدرى أحد ماله حتى يتوفاه يوم القيامة ، واذا حلق رأسه : فله بكل شعرة سقطت مــن رأسه نور يوم القيامة ، فاذا قضى آخر طوافه بالبيت : خــرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

على أن الحج ليس فريضة عادية ، بل هو ضرب من ضروب الجهاد ، لمــا فيه من مشقة بدنية ، وتضحية مادية ، فاداؤه يحتاج الى قوة فى الارادة ، وصدق فى العزيمة ، وكفاح مرير ضد مطامع الهوى ، ونوازع النفس ، والانسان حينما يحارب نفسه ، ويتحكم فى نزواته ، ويشد لجام لذاته ، ويتغلب على شهواته ، فانه يبلغ بذلك مرحلة الجهاد الاكبر الذى أشار اليــه الصادق المصدوق ــ صلى الله عليه وسلم ــ حينما قاللاصحابه بعد ان أوبتهم من لقاء أعدائهم : « رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » فسالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟ فاجابهم بانه جهاد النفس والهوى .

وكيف لا يكون الحاج مجاهدا ، وقد تجرد من زخرف الدنيا ، وخلع مباهج الحياة ، وترك الاهل ، والمــال ، والوطن ، وانصرف بكليته قلبا وقالبا الى الله رب العالمين ، مستجيبا لدعوته ، وملبيا لندائه ، متحملا وعثاء السفر ، وعثرات الطريق ، ومشقات الزحام ، يدفعه الى ذلك شوق عارم ، وحنين جارف ؟

فقد روى البخارى عن عائشة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ قالت : قلت : يارسول الله ، ترى الجهــاد أفضل الاعمال ، افلا نجاهد ؟ فقال : « لكن أفضل الجهاد حج مبرور » .

وروى الطبرانى فى الكبير والاوسط عن الحسن بن على ــ رضى الله عنهما ــ قال : جاء رجل الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : انى جبان ، وانى ضعيف ، فقال الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ : « هلم الى جهاد لا شوكة فيه .. الحج » .

لهذا فليعمل العاملون ، وفى مثله فليتنافس المتنافسون .

بقية مقال « الى بيت الله الحرام »

أخيرا ــ أهذا الذى تفعل عن أمر ربك ؟ .. فعندئذ يقول لها : نعم .. ويواصل سيره غير ملتفت اليها ، فتقول فى ايمــان واستسلام ــ اذن ، فالله لا يضيعنا .. وقد أدركتها رحمة الله تعالى ففجر لها الماء السلسل من الصخر الصلد ، فتوارد عليه الناس ، وعمر الوادى الخراب ، ودبت الحياة فى البلقع القفر وعاشت هاجر ، وكبر اسماعيل [ثم تزوج من بعد ، وأنجب اثنى عشر ولدا كانوا هم آباء العرب المستعربة ملء جنبات الجزيرة العربية ، ومن أحفاده بنو عبد مناف ومنهم أشرف الخلق محمد ابن عبد الله ، وسول الله وصفيه وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم ، وجاءهما ابراهيم عليه السلام بعد حين مأمورا من الله باقامة قواعد بيته الاول بهذا الوادى غير ذى الزرع فاقامها هو وولده اسماعيل ، وباركه الله ، وجعله مثابة للناس ، وأمنا [واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود] .

كان الخليل ابراهيم عليه السلام « فدائيا » بتركه ولده الوحيد فى أعماق هذا المجهول الرهيب ، وهو شيخ كبير بلغ المائة من عمره ، ولم يكن قد رزق سواه ، وهو يفعل ذلك غير متردد وقلبه لاشك يتمزق أسى ، صدوعا بأمر ربه ، مضحيا بأعز ما عنــده فى طاعة الله ..

وكانت هاجر الزوجة الوفية ، والام الرؤم « فدائية » أيضا ، باستسلامها لامر الله دون أية معارضة ، مؤمنة بأن الله سبحانه وتعالى ، لا يضيعهما ؟ ..

ومرة ثانية كان الخليل عليه السلام « فدائيا » عندما أوحى اليه ربه ــ عن طريق الرؤيا ــ أن يذبح ولده هذا الوحيد ، بعد أن شب وترعرع ، فذهب به الى المنحر ، وتله للجبين وأمسك بالسكين لينفذ فيه أمر الله ، فيبعث الله اليه ، فى اللحظــة الاخيرة بذبح عظيم] فلما أسلما وتله للجبينوناديناه أنياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم [وكان هذا الذبح هو [كبش الفداء] للقرية الغالية ، وقد صار هذا « الفداء » شعيرة من شعائر الله فى الحج ، والمسلمون ــ حجاجا وغير حجاج ــ يلتزمونها ما وسعهم التزامها ، فى أعياد الحج الاكبر .. وهى نفسها أعياد الاضحى ..

وكان اسماعيل ، عليه السلام ، ذلك الفتى ريان الشباب ، المتفتح للحياة « فدائيا » كذلك حين جاءه أبوه فقال له [يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟] فيجيبه من فوره ، فى طاعة وشجاعة مؤمنة [يا أبت ، افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين] ..

فهذه « الفدائيات » المثالية غير غريبة على حرم الله وبيته الكريم ، فقد ولدت على ثراه قبل أن يكون ، ولازمته بعد أن كان امتحانا لايمان المؤمنين ، وخضوعا لامر رب العالمين ..

وبعد

فالمسلمون يعيشون الان أيام الحج المباركات وفيها يستروحون عبير الايمان والاخلاص والاخوة والمساواة والصبر فى طاعة الله والتضحية والفداء فى سبيله ، وهى الصفات والاداب العاليــة التى يتميز بها الاسلام فى سائر فروضه ، وسنته وشعائره ، ولا يكون المسلم مسلما حقا الا اذا تحلى بها ، وسار على نهجها فالمسلمون مدعوون اليها بحكم الدين ، ومدعوون اليها لانهــا مصدر قوتهم التى لا تقهــر .

جمعهم الله دائما على الخير ، ويسرهم الى طاعته ، وامدهم بقوته ونصره ..

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ...

الأستاذ محمد حسن عبد العزيز

الى الارض المباركة تتجه انظار المسلمين فى بقاع الدنيا . الى القبلة ذلك البناء الروحى العظيم تخفق قلوبهم ، بعد أن وحدت بينهم وانعقدت عليها آمالهم .

الى البيت العتيق يهرع اخوان العقيدة ، يلبون دعوة الحق ، ويستجيبون الى دعاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام « وأذن فى الناس بالحج ، يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » .

وفى ساحة الارض المقدسة ، يجتمع كل هؤلاء على اختلاف اوطانهم ، وتعدد لغاتهم وألوانهم فى مظهر واحد مجردين من كل متاع الدنيا ، يرددون ذلك الهزيج الجميل تتجاوب أصداؤه مع أصوات الملائكة فى اجواز الفضاء وكأن الدنيا كلها تردده معهم .. لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك .. ان الحمد والنعمة لك والملك .. لاشريك لك .. اللهم اليك توجهنا وبك اعتصمنا .. وعليك توكلنا .. فاللهم اجعلنا ممن تباهى بهم ملائكتك .. انك على كل شىء قدير ..

وفوق ثرى الارض الطيبة التى شهدت انبثاق النور المحمدى يبدد ظلام الباطل ويعيد للبيت كرامته وهيبته ، ويعيد للدين قداسته ، فلا يعبد غير الواحد القهار ، ولا تسجد الجباه الا لخالق الارض والسماء ، وفيها وعت خطاه يستعيدون ذكريات عزيزة وغالية استغرقت من عمر الزمان نحوا من ثلاثة وعشرين عاما ، أكتمل فيها على يديه البناء الروحى العظيم ، ونزلت آيات الوحى تشهد للرسالة الخاتمة ، وللنبى الاخير « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » وأشهدت الدنيا كلها من يومها ان من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الاخرة من الخاسرين .

وفى نفس هذا المكان وقف حبيب الله يودع دنيانا وقد اطمأنت نفسه بعد ان بين مبادىء الاسلام وارسى قواعده ، وقف يعلن الاسس التى تكفل السلام للعالم « **أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ايها الناس ان لنسائكم عليكم حقا ، وان لكم عليهن حقا ، ايها الناس ان ربكم واحد وان آباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت اللهم فاشهد** « **وياليت الناس قد عملوا بهذه الوصايا ، اذن لعم السلام وسادت الطمأنينة بين الناس ، واصبح حال البشرية على غير ما نرى اليوم ، وانتقل الى الرفيق الاعلى تاركا فينا قبسين من النور ما ان تمسكنا بهما لن نضل ابدا ، كتاب الله وسنته الغراء .**

فى هذا الشهر تشهد الارض المقدسة المؤتمر الاسلامى السنوى الكبير ، وقد تدعمت فى النفوس المحبة وقويت الروابط الانسانية ، والف الاسلام بين قلوبهم ونمى شعور الوحدة فيهم وانقذهم من عذاب الفرقة والخصام « **لو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** »

ومع آيات الحج وقفت مبهورا أمام تعبير القرآن الكريم ، « **ليشهدوا منافع لهم** » .. وفى تأمل مستغرق وكأنى هناك مع الحجيج رأيت تلك المنافع واضحة ومشهودة .

انها الشعور بالوحدة . الوحدة فى الدين .. الوحدة فى الخصائص الانسانية .. والوحدة فى الوقوف أمام الله .. حيث لا تفاضل الا بالعمل الصالح .

انها فى مشاعر الحب بين المؤمنين ، الذى قال عنه النبى عليه الصلاة والسلام « **والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا ، الا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم** »

انها فى ذلك العدد الغفير الذى جاء من اطراف الدنيا يمثل تلك الامة الواحدة البالغ تعدادها نحوا من ثمانمائة مليون مسلم يستظلون بالراية المحمدية، انهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، ذلك هو حبل الله المتين مصدر القوة والمنعة .

فى هذا الجو الروحانى الخالص ، يجتمع قادة الدول الاسلامية واصحاب الرأى والفكر فيها ، انه يمثل قوة سياسية ضخمة ، ولا شك ان ذلك ثمرة من ثمرات الحج .

وعلى صحافتنا الاسلامية ان تتابع انباء ذلك المؤتمر وتبرز معانيه واهدافه فليس من حجنا فى شىء ان يكون مجرد رخصة ندخل بها الجنة بعد عمر مديد ، حافل بالرذائل والموبقات كما انه لا يمكن ان يكون محاولة ساذجة لشراء الغفران ، انما هو ذلك العملاق الذى اجتمعت فيه فضائل العبادات كلها من شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله الى الاقرار بالعبودية والتقرب الى الله والاستعانة به كما هو فى الصلاة ، الى كف الجوارح عن المحارم، والصبر وضبط النفس وتحمل المشاق كما هو فى الصيام الى بذل المال وانفاقه تعظيما لمناسك الحج وتوسعة على الفقراء والمحتاجين كما هو فى الزكاة.

انه ذلك العملاق الذى يؤكد وحدة الامة الاسلامية ويدعمها فى الحب والاخاء ويجعلها وحدة متماسكة ازاء تكاليف الحياة ونظام الاجتماع ، فضلا عن فرائض الدين والعبادات .

اكتب هذه الكلمات ويعز علينا ان نرى بيت المقدس أول قبلة اتجه اليها الاسلام وثالث الحرمين الشريفين ومهبط الرسالات ، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ، لا يزال تحت وطأة الاستعمار الصهيونى .

ويعز علينا ان نستمع فى الايام الاخيرة ان العصابة الصهيونية قد اعتدت على الدين المسيحى فى أقدس شعائره واماكنه ، وبعد هدم كنيسة القيامة احرقت دير سانت كاترين وسلبت محتوياته التاريخية التى لا يوجد لها فى العالم نظيرا .

ان ذلك يلقى علينا وقد عرفنا الطريق ، فالمعركة هى السبيل الوحيد وهى اللغة التى لا تعرف اسرائيل غيرها بعد ان اعماها الصلف والغرور ، يلقى علينا عبئا ثقيلا فالجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، والعدو الاسرائيلى قد انتهك حرمة الدين فى أقدس شعائره واماكنه وان تخليص الارض العربية اضحى واجب كل مسلم مهما بعدت الديار ولنذكر **مدينة القدس ونحن ندخل مكة المكرمة آمنين مطمئنين فى ضيافة رب العالمين فان لنا فيها اخوة يتعرضون للقتل والتعذيب ويعيشون حياة الرعب والفزع وقد عرفت على مر التاريخ بأنها مدينة السلام .**

ولنذكر **بيت المقدس ونحن ندخل البيت الحرام مهللين مكبرين ترتفع اصواتنا بالدعاء ونسعد بالقرب من رسول الله ، فان يدا آثمة قد امتدت اليه فاعملت فيه حرقا وتهديما وحولت ساحته الى حمام للسباحة وساحة للهو والفجور .**

لنذكر مسجد الخليل ونحن ندخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . نستعيد ذكريات اهم مرحلة فى تاريخ الاسلام ، ونجلس فى نفس الاماكن التى جلس فيها نبينا العظيم ، فقد تحول الى معبد يهودى تتردد فيه عبارات التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون الصارخة العداء للاسلام والمسلمين .

ولنذكر ونحن نقدم الذبائح قربانا لربنا ان اخوة لنا هناك فى الارض المحتلة يقدمون دماءهم فى سبيل دينهم ووطنهم .

لقد فرض الله علينا الجهاد وفرض علينا الحج، ووعد الحجيج والمجاهدين بالجنة ويا لها من صفقة رابحة .

لنذكر كلمات موشى ديان التى قالها غداة دخوله القدس فى اعقاب يونيو سنة ١٩٦٧ « لقد دخلنا اورشليم ونحن الان فى طريقنا الى يثرب وبابل » انهم يريدون بعد القدس مكة والمدينة ثم القضاء على الاسلام كله ، وتلك اهداف الصهيونية بعد فلسطين لانشاء وطنهم المزعوم من النيل الى الفرات .

ليتحول هذا المؤتمر العظيم الى نداء لتجميع **قوى المسلمين فى الدنيا كلها لحشد قواهم المادية والمعنوية لتحرير الارض المقدسة ورفع اليد الآثمة عن بيت المقدس وسائر الارض المحتلة . ليعود البيت كما كان للعبادة وتعود القدس كما كانت مدينة للسلام .**

البيت المحرّم

الأستاذ عوض أحمد سعيد

قال الله تبارك وتعالى :

« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينـات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان اللـه غنى عن العالمين »

لقد بينت الآية الكريمة بصيغة التأكيد ، أن أول بيت رفعت قواعده وشيد للناس هو البيت الحرام فى مكة ، وقد خصه الله عز وجل بثلاث صـفات هى : البركة ، والهداية ، والامن ، ولمـا كان كل مسلم محتاجا لهذه الصفات الثلاث فى حيـاته كان فرضا على المستطيع من الناس أن يحج بيت الله الحرام ، ليحـقق هذه المكاسب ، ولتحقيق دعـوة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، حين أسكن أهله عند البيت المحرم فى قول الله عز وجل ! « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ، عند بيتك المحـرم ، ربنـا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعـلهم يشكرون » وما كان هذا التكليف من الله لسـيدنا ابراهيم وولده اسماعيل عليهما السلام برفع قواعد هذا البيت الا تأسيسا لامة مسـلمة سـتكون من ذريته ، وسيبعث الله فيهم رسولا منهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : واذ يرفع ابراهيم القواعد من من البيت ، واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنـا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوعليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، أنك أنت العزيز الحـكيم » ولقد كانت وصية ابراهيم عليه السلام لبنيه أنهم يبنون دينهم بالاعمال الصالحات ولا يموتون الا وهم مسلمون ، لانه ـ سبحانه ـ قد اختار لهم هذا الدين ، فثبت بذلك أن الاسلام هو دين الوجود ، قال سـبحانه وهو أصدق القائلين : « ووصى بها ابراهيم بنيه ، ويعقـوب ، يابنى ان اللـه اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » ولقد حكم الله حكما واضحا على عباده ، بأن من ابتغى دينا غير دين الاسلام ، فلن يقبله الله منه ، وهو من الخاسرين يوم القيامة .. .. « ومن يبتغ غير الاسلام دينافلن يقبل منه ، وهو فى الاخرة من الخاسرين » واذا كان الاسلام دين الوجود ، فقد اختار الله سبحانه أم القرى مكة المكرمة ليبنى فيها سيدنا ابـراهيم مع ولده اسماعيل قواعد البيت العتيق الذى سـيكون يوما قبلة الامة الاسلامية ، وقد ثبت من القـرآن الكريم ، أن سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابراهيم وأن نسب النبى محمد ينتهى الى اسماعيل بن ابراهيم

عليهم السلام ، ومعلوم لنا من التاريخ أن أم سيدنا اسماعيل هى السيده هاجر الجارية المصرية التى أهداها الى سيدنا ابراهيم حكام مصر ، أثناء نزوله بها ، وتسرى بها وأنجب منها اسماعيل الذى هو جد العرب ، واذا ثبت أن اسماعيل عليه السلام هو جد العرب من نصوص القرآن ، ومن شهادة التاريخ ، فانه يحق لنا أن نقول : ان المصريين أخوال العرب ، فهم عرب ، وانه لشرف عظيم نعتز به ، وننتمى اليه ، وشرف لنا أن نتعلق بأهداب الزعامة الاولى التى أسست دولة الاسلام « ما كان ابراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين » وكان من ذريتهما الزعيم الامثل محمد صلى الله عليه وسلم الذى ولد عام الفيل سنة احدى وسبعين وخمسمائة بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، أى من مضى أربعة عشر قرنا ميلاديا تقريبا ، قد استجاب الله دعوة خليله ، وولد محمد صلى الله عليه وسلم فى نفس السنة التى قصد فيها الطاغية اليهودى أبرهة الاشرم الى هدم بيت الله الحرام بعد ان بنى كنيسة بصنعاء اليمن ليحج اليها الناس بدل البيت الحرام ، وكان قد جهز جيشا كبيرا ، كانت الفيلة من عتاده ، والفيل آنئذ فى القتال أشبه مايكون بالدبابة أو المدرعة ، وسار بالجيش حتى دخل أرض الحجاز ، وكان محتاجا الى من يدله على الطريق الى أحب البقاع الى الله ليهدم بيته ، فقابله رجل خائن يسمى « أبا رغال » تبرع أن يدل القائد اليهودى على الطريق الى مكة وفى الطريق عند « منى » أصابته الحمى فمات ، ودفن فى هذا المكان وأصبح رجم قبره منسكا من مناسك الحج الى يوم القيامة ، لان ذلك هو جزاء الخيانة ، « وأن الله لايهدى كيد الخائنين » ..

ودفاعا عن المسجد الحرام ، وذودا عن البيت المحرم تحركت القوى الالهية « طيرا أبابيل » ضد أبرهة وجيشه أصحاب الفيل ، ترميهم بقاذفات « بحجارة من سجيل » فجعلهم كعصف مأكول ، وهذا السلاح الجوى الالهى الخاص ، قد أوضح لنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمه فى هذه المعركة مع الاشرم وجيشه دفاعا عن بيته المحرم ، واستخدمه فى معركته قبل ذلك مع قوم لوط عليه السلام لانهم كانوا يعملون السيئات، ويأتون الرجال شهوة من دون النساء ، ولما أراد الله عقابهم ، أرسل — سبحانه — رسله الى سيدنا لوط ، فجاءه قومه مسرعين ، لانهم علموا بقدوم رجال عند لوط، فاحتار حتى عرض عليهم بناته بدل ضيوفه الرجال خشية خزيه أمامهم ، فرفضوا فسلم أمره الى الله، وتحرك السلاح الجوى الالهى الخاص « بحجارة من سجيل » يقول الله القوى المتين « ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم ، وضاق بهم ذرعا ، وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون اليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، اليس منكم رجل رشيد ؟ قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق ، وانك لتعلم مانريد ، قال لو ان لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ، قالوا يالوطانا رسل ربك ، لن يصلوا اليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحد الا أمرتك انه مصيبها ما أصابهم ، ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببعيد »

فأمر الله لهذه القوة الخاصة بالتحرك والعمل دفاعا عن بيته الحرام فى العام الذى ولد فيه صفوة الخلق صلى الله عليه وسلم فيه وضوح بأن هناك ارتباطا بين الحدث الحربى الالهى ، وبين ميلاد محمد النبى ، واستجاب الله دعوة ابراهيم عليه السلام وبعث الله محمدا فى أمة العرب ، وجهر بدعوة الله وعاب الاصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله وطالب بتحطيمها ، وتطهير بيت الله المحرم منها ، ولكن أمام ضغط قوى الكفر ، ومؤامرات زمر الغدر اضطر الرسول ومن معه الى الهجرة، وعاش فى موطن الهجرة ثمانى سنوات يقاتل ، ويناضل ، حتى وهبه الله فتح مكة فى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة ، ودخل البيت الحرام ، وحطم بنفسه الاصنام ، وكان يهتف من أعماقه صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل : « جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » ..

اى وربى انها صورة غامرة من الفرح بنصر الله، حيث يسر الله لنبيه أن يعود الى مكة ، ويدخل البيت الذى بناه جداه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، والذى دنسه كفار قريش باقامة التماثيل والاصنام فطهره من كل دنس ، ونجس ، ولقد نبه الله الرسول العظيم الى أهمية هذا البيت وقدسيته، وعظمة حرمته فقال سبحانه : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم ، فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » والقتال المنهى عنه هو القتال داخل الحرم ، الا اذا قاتلنا العدو داخله فنقاتله ، ونقتله ، أما القتال حول المسجد الحرام فغير منهى عنه .. ومن خصوصيات البيت المحرم أن الله سبحانه قد اختصه بصفتى المباركة والهداية فى قوله تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » وبصفة الامن لمن يدخل مقام ابراهيم فى قوله سبحانه « فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا » ومن مظاهر عظمة بيت الله المحرم أن الله جلت قدرته فرض على المسلم البالغ المستطيع

آن يحج هذا البيت ؟ وخص هذا الحج بانه له سبحانه فقال : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وبين لنا المعلم الاول صلى الله عليه وسلم أن الحج فرصة ، وأغلى فرصة للمسلم يستطيع أن يتطهر بها من ذنوبه ، وخطاياه ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته امه »أى مبرأ من الخطايا والذنوب ..

بذلك تتبين لنا الاهمية العظمى لشد الرحال المشمولة بصيغة الحصر فى قول الرسول البليغ « لا تشد الرحال الا لثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الاقصى » وشد الرحال صادق بقصد الحج ، وصادق بقصد الزيارة ، وصادق بقصد الدفاع ، وازالة العدوان واذ قد علمنا بعض ما للمسجد من مزايا وفضائل ، فما أحوجنا أن نتمسح أيضا بثرى العتبات المحمدية اغتناما للحكم الصادر فى قول البشير الهادى « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ... وشاءت ارادة العلى القدير أن يكون اليوم العاشر من شهر ذى الحجة هو يوم الحج الاكبر ، يوم عيد الاضحى، يوم عيد النحر ، فيه ذكرى غالية علينا نحن أبناء الامة الاسلامية عامة ، وأبناء العروبة خاصة بل ذكرى غالية على جنس البشر ، فلقد افتدى الله فبه جد العرب اسماعيل عليه السلام من الذبح بذبح عظيم ، وفى ذلك ذكرى غالية علينا لانها تكريم من الله للانسان ، وحفظ دمه من الاراقة ، وكانت سنة الأضحية المؤكدة منارا لهذه الذكرى تجعلنا نستلهم ونتحسس مواطن العظة فيها لنربط بين ماضينا الذى نعيش ذكراه ، وبين حاضرنا الذى نعيشه ، فنذكر جهاد الانبياء ، ونربط بين بناء البيت الحرام وبين دعوة ابراهيم عليه السلام ، ونضيف الى سجل أعمالنا ما قدمناه ونستفيد من روضة الذكرى ما يقوى روابط الامة الاسلامية فى وقت هى احوج ما تكون فيه الى الترابط والاتحاد ؟ ولعل لنا فيما يبقى ما نذكر به عما مضى ، ونشد الرحال الى المسجد الاقصى مسرى الانبياء لنحرره من دنس اليهود الاعداء ، لان مظاهر العمل العسكرى الاسرائيلى الهادف الى التوسع والتتبير ، ودخول المسجد الاقصى وتدنيسه بأقدام الانجاس ، واساءة وجوهنا بكل أنواع الاساءة من القتل ، والتعذيب وهتك العرض ، وسلب الارض كل ذلك واضح فى قول الله عز وجل : « فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم .. » والتعبير بكلمة « عسى » يفيد رجحان وقوع الخبر ، وهو قوله « أن يرحمكم » فلنا فى الله أمل بشرنا به،وهو رجحان وقوع الرحمة ،ليدافع عن المسجد الاقصى الذى كان قبلة الناس قبل أمر الله لرسوله محمد بتحويل القبلة الى البيت الحرام « قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره »

« وبعد معشر المسلمين : ونحن فى موكب الذكرى بحج البيت الحرام ، وبعيد الاضحى المبارك،وبالامل فى نصر الله نهتف من قلوبنا : مرحى بالويلات يتطاير شظاها لا لتاتى على ماتناله ، بل لتلهب العزيمة فى قلوب المسلمين .. ، مرحى بكوارث الزمن تتحطم على صخرة العلم والايمان و « يأيها الذين آمنوا اركعوا ، واسجدوا ، واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير ، لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ، ونعم النصير ..

تطور طريق الحج إلى بيت الله الحرام

الأستاذ إبراهيم محمد الفحام

يسلك حجاج بيت الله الحرام ، فى أيامنا هذه ، طريق الجو ، لاداء فريضة الحج ٠

وقد تعاقبت على طريق الحج - عبر القرون الماضية - تطورات عديدة قبل أن تنتهى الى استخدام هذا الاسلوب الحديث ٠

وعندما يستعرض المرء هذه التطورات ، ويلمس ما كان يعانيه أجدادنا من المشاق ، فى سبيل أداء هذه الفريضة المباركة ، لا يملك الا أن يسجد له شكرا ، على ما أتاحه لنا اليوم من أدائها بمثل هذه السهولة واليسر ٠

فقبل أواسط القرن السابع الهجرى ، كانت قوافل الحجاج من المصريين والمغاربة والاندلسيين ، بل وبعض السوريين القادمين بحرا ، تجتمع فى القاهرة ، قبل شهر رمضان من كل عام ٠ ثم تغادرها برا ، أو عن طريق النيل من مرسى الفسطاط ، الى مدينة قوص بالصعيد الاقصى ، فتبلغها بعد نحو عشرين يوما ٠

ثم تسافر القوافل عبر الصحراء الشرقية ، طوال خمسة عشر يوما ، حتى تبلغ ميناء عيذاب على شاطىء البحر الاحمر ، حيث يمكثون فيه ما يقرب من الشهر أحيانا ، لحين وصول بعض القوارب أو السفن الصغيرة ، غير المحكمة الصنع ، التى تنقلهم فى ظروف بحرية قاسية ، الى ميناء جدة بالاراضى الحجازية ، فتبلغه بعد نحو أسبوعين ٠

وقد حج الرحالة ابن جبير عن هذا الطريق فى سنة ٥٧٩ هـ فقطع المسافة بين القاهرة وجدة فى نحو الشهرين والنصف ، عانى خلالهما كثيرا من المتاعب والصعاب ٠

وكان يقيم فى ميناء عيذاب حاكمان أحدهما يمثل السكان البدو ، والاخر يمثل الحكومة ٠ وكانا يحصلان رسوما من الحجاج يقتسمانها مناصفة ٠ وظل الحال على ذلك حتى أبطل صلاح الدين الايوبى تحصيلها فى سنة ٥٩٠ هـ »

وقد ظلت تلك الطريق هى طريق الحج الوحيدة ، حتى سافرت شجرة الدر مع قافلة الحج فى سنة ٦٤٥ هـ عن طريق البر ، الذى يخترق شبه جزيرة سيناء ، مارا بمدينة العقبة ٠

وقد تضاعفت أهمية هذا الطريق البرى ، عندما سافر منها السلطان الظاهر بيبرس على رأس قافلة الحج فى سنة ٦٦٥ هـ وحمل معه كسوة جديدة للكعبة ، والمفتاح الذى أمر بصنعه لبابها ٠

وشيئا فشيئا بدأ يقل ذهاب الحجاج عن طريق الصعيد فالصحراء الشرقية ، فميناء عيذاب ، وان ظل ذلك الطريق مسلكا للتجارة بين الشرق والغرب ، لبضع قرون تالية ٠

وكان طريق الحج الجديد الذى أطلق عليه درب الحج المصرى - يمتد طوال نحو ٨٠٠ كيلو متر تقريبا ٠ وكان الحجاج يسلكونه ، اما مع قافلة المحمل التى كانت تبعث بها الدولة تحت الحراسة المشددة ، لنحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ جندى ، واما مع قوافل البدو الاشداء من قبيلة أولاد على أو غيرها ، فيصلون مكة فى نحو خمسين يوما ٠

وكان ذلك الطريق البرى شاقا جدا ٠ وخاصة فى المنطقة التى تمتد بين السويس والعقبة طوال ٣٠٠ كيلو متر ٠ اذ كانت تتخللها أراض رملية ناعمة متحركة ، تغوص فيها أقدام الجمال ، وتقل فيها

المياه ، ويسترشد الحجاج فيها بواسطة مبان أشبه بطواحين الهواء تسمى (النواطير) وقد أقيمت لهذا الغرض . كما أقيمت نقط متباعدة للحراسة .

وكانت الجمال تقطع أربعة كيلومترات فى الساعة ، فقط . وكان من أصعب مراحل الطريق تلك التى تبدأ عند الاقتراب من مدينة العقبة ، فكان على القوافل أن تسلك اليها طريقا بالغ الارتفاع ، ثم تهبط عند مغادرتها طريقا آخر بالغ الانخفاض ، ثم يرتفع الطريق بعد ذلك ثم ينخفض ، ثم يرتفع ثم ينخفض ، من وقت الى آخر فى أرض حجرية تارة ، ورملية ناعمة تارة أخرى ، ثم أخرى رملية خشنة ، أو ملأى بقطع الزلط ، الى أن تمر فى مضيق لا يسع الا جملا واحدا ، ويسمى (قطع لاظ) وهو حلزونى الشكل ، فيضطر الحاج الى الترجل عن دابته ، والسير على قدميه . ويستغرق سلوك هذا الطريق ست ساعات صعودا ومثلها هبوطا .

والى جانب هذه الصعاب التى تثيرها وعورة الطريق ، والتواؤه ، كان الحجاج يتعرضون لكثير من الشدائد الطبيعية التى تفتك بكثير منهم ، مثل اشتداد الحرارة صيفا ، والبرد شتاء ، وجفاف مياه الابار فى تلك الصحارى المحرقة ، ومن أشد ما تعرض له الحجاج المصريون ما حدث فى سنة ١١٩٦ هـ . (١٧٨٢) م . عندما اجتاحت السيول خيامهم ، فقضت على نصف عددهم ، فى الطريق بين مكة والمدينة .

وكان الحجاج يحتجزون عند عودتهم فى محجر الطور الذى أنشىء فى سنة ١٨٥٨ م ليمكثوا به أياما . ومن هنالك كانت تاتي البشائر بوصولهم الى ارض مصر بالسلامة ، عن طريق بعض الاشخاص الذين كانوا يختصون بذلك العمل ، نظير بعض المنح التى يتناولونها من الحجاج أو أقاربهم . ثم أصبحت البشائر تبلغ بعد ذلك عن طريق البرق منذ سنة ١٨٩٧ ثم عن طريق البريد منذ سنة ١٩٠٠ .

وكان قد بدىء فى استخدام طريق جديد ، عندما انشىء خط السكة الحديد بين القاهرة والسويس فى سنة ١٨٦٨ فكان الحجاج ينقلون بالقطارات الى السويس ، ثم ينقلون منها بالسفن الى احدى الموانىء الحجازية .

وظل هذان الطريقان – البرى والبحرى – يسلكان معا ، حتى اقتصر الحج على الطريق البحرى منذ سنة ١٨٨٤ .

غير أنه فى العودة ، كانت السفن تنقل الحجاج الى محجر الطور ، وبعد أن يقضوا أيام الحجر فيه ، ينقلون بطريق البر الى السويس فى رحلة تستغرق نحو ستة أيام . ومنذ سنة ١٩٠٧ أتيح لهم القيام بهذه الرحلة عن طريق البحر .

ولم يكد ينتصف القرن الحالى حتى بدأت الطائرات تنافس السفن فى نقل الحجاج ، ثم أصبحت – شيئا فشيئا – طريقهم الاوحد ، الى الاراضى المقدسة .

ذكريات

لزاما على كل مسلم أن يتذكر ولا ينسى فضائل العيد الاكبر منذ أربعة عشر قرنا فى يوم الحج الاكبر وهو العاشر من ذى الحجة وقد عاد الى ما كان عليه فى عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فقد أبطل الله سبحانه النسىء الذى ابتدعه المشركون وانعكست به الاشهر العربية وضاعت به معالم الاشهر الحرم وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع بمنى فى أواسط أيام التشريق « أن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السموات والارض » وأنزل الله فيه الايات من سورة براءة « التوبة » يقول تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر » وقال تعالى : « أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم » .

لزاما على كل مسلم أن يتذكر ويديم التفكير فيما حدث فى العيد الاكبر هذا من الانقلاب الخطير فى تاريخ الانسانية والتحول الانسانى والفكرى فى تاريخ البشرية لهداية العقول وتحرير الافكار من ربقة العبودية والجهل والشرك والكفر والالحاد . والقضاء على العقائد الباطلة والعوائد الفاسدة الماجنة والتقاليد الظالمة الجائرة ، وما جد فيه من تقرير المصير وتشريع مبادىء حقوق الانسان وتمام تشريعات الاحكام بنزول آخر آية من القرآن الصالحة لكل زمان ومكان لسعادة الانسان فى الدنيا والاخرة . وفى هذا اليوم التاريخى العظيم « العيد الاكبر » أتم الله على المسلمين نعمته بتمام الدين وكماله كما يقول : « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » والمراد باليوم يوم عرفة وهو يوم الجمعة عام حجة الوداع . وباليأس انقطاع رجاء الكفار من ابطال أمر دين الاسلام فقد أكمل الله دينه . وأتم نعمته الكبرى على خلقه نعمة الاسلام والدين القويم

وفضائل العيد الأكبر

فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحي

وسطا بين المادية والروحية . **وأقام دولة الاسلام على العلم والايمان والمعرفة والبيان فكانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس.**

ان ما وقع وحدث فى العيد الاكبر والحج الاكبر من أمور عظيمة الاثر جليلة الخطر كبيرة المعانى والعبر تحفز الهمم وتحيى الضمائر وتثير العواطف والميول وتبعث فى النفوس الكبيرة المثل العليا وتدفع بالانسانية المؤمنة المخلصة الى مزيد من النظر والفكر والدفاع عن دينها وحقوقها. فالذكريات تحتاج الى تأمل وفكر ودراسة جديرة بالتقدير والتقديس والتذكير للاهتداء والاقتداء . فليست الذكرى ساعة نستمتع بها لحظة ثم تكون فى طى النسيان . «**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**» .

ان التاريخ الثابت المتواتر لحياة الرسول محمد ابن عبد الله العربى والقرآن الكريم الذى أنزله الله عليه وبينه للناس بقوله وفعله وتقريره يحدثنا عن حقيقة الاسلام . وكيف انبثق نور الايمان وانطلقت الدعوة المحمدية الى آفاق بعيدة عمت جميع الاقطار . لا تعوقها ظلمات الشرك ولا تحول دون انطلاقها قوة الكفر والظلم والطغيان ولا يقف فى سبيل انتشارها وذيوعها أشد الناس عداوة وضراوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ألا وهم اليهود أهل الغدر والخيانة والاجرام والعناد حتى تمت نعمة الله الكبرى وكمل الدين بقوانينه وأحكامه ومبادئه ونظمه وتعاليمه . يكفل للناس كافة . الحرية والاخاء والمساواة فى جميع الحقوق والواجبات . والرفاهية للمؤمنين الموحدين فى الدنيا والنعيم الدائم فى الاخرة ..

ولقد ضرب المؤمنون أروع الامثال فى التضحية والفداء والجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله والحفاظ على تراث الاسلام ومقدساته ومناسكه وتعاليمه . وتأسوا بالرسول الاعظم والقائد المثالى الاوحد والمسلم الاول واقتدوا بسيدنا محمد نبيهم العظيم واتبعوا مناهج القرآن ومبادىء الاسلام وتمسكوا بالسنة وطريقة خير الانام القائل : « **لقد تركت فيكم أمرين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى كتاب الله وسنتى** » .

وتسمية عيد الاضحى عيد التضحية والفداء . ذكرى تضحية ابراهيم الخليل بولده وفلذة كبده اسماعيل جد سيدنا محمد عليه وعليهما أفضل الصلاة والسلام «بالعيد الاكبر» تسمية لها جلالها وعظمتها تحمل كل معانى الكمال والاخلاص والتضحية والاستسلام لله سبحانه . فهو حقا العيد الاكبر فى يوم الحج الاكبر فقد اتم الله فيه النعمة والمنة الكبرى بتمام نزول القرآن والاحكام وفيه تقرير حقوق الانسان ووضع السلام والامان . ففى يوم عرفة من السنة العاشرة من الهجرة اتى النبى صلى الله عليه وسلم الموقف فى بطن جبل عرفات عند الصخرات واستقبل القبلة راكبا ناقته العضباء وفى هذا المكان أنزل الله عليه هذه الايات : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وفى هذا اليوم خطب النبى الناس خطبته المشهورة بخطبة الوداع الجامعة لاسمى المبادىء وأشرفها فى تاريخ الاجتماع البشرى .** فان من يتأمل هذه الخطبة يجدها قد وضعت المبادىء الاساسية التى يرتقى بها أى مجتمع والتى قررت حق المصير وحقوق الانسان من السلام والامان والاخاء للانسانية جمعاء وأهم ما اشتملت عليه هذه الخطبة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بعد أن حمد الله تعالى : « **أيها الناس انما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرىء مال أخيه الا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتى** » . ثم قال : « **أيها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى . ألا هل**

بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب والسلام عليكم ورحمة الله » .

هذه هى الحقوق التى قررها الاسلام ونزل بها القرآن وبلغها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول السلام ونبى الانسانية وقائد الحركة التحررية للعالم أجمع منذ أربعة عشر قرنا ووضعت هذه الحقوق موضع التنفيذ ونفذت فعلا وعم العالم كله السلام والامان والتكريم فلا عنصرية ولا طبقية ولا رجعية ولا ظلم ولا استبداد وكل الناس سواء فى الحرية والامن والاخاء .

ومن الغريب أن الناظر المحقق للتاريخ ليأخذه العجب من الدول المتحضرة فى العصور الاخيرة وقد تمثلت بهذه الحقوق الاسلامية وأعلنت وقررت حقوق الانسان عقب الحرب الكبرى والنازية . فأين مبادىء ولسن التى فشلت عصبة الامم فى تطبيقها بعد الحرب الكبرى فان الدول الباغية حادت عنها وعن السلام ومالت الى الظلم والاستعمار وتسابقت فى تقسيم النفوذ فى الارض ظلما وعدوانا ونقضت العهود والمواثيق واستهانت بالقيم الانسانية والاخلاقية واقتطعت أرض فلسطين العربية لليهود والصهيونية وشردت أهلها الاصليين . وها هى هيئة الامم المتحدة وبجانبها مجلس الامن بمبادئها المقررة للسلام والامان لكل دولة لاتزال تتعسر فى تطبيق مبادئها ولا يزال الاستعمار يساند ويشارك الصهيونية العنصرية فى اشعال الفتن والحروب بكل مكان بغية السيطرة والغلبة والاستغلال والاحتكار وقد تلاقت أفكار أمريكا بأفكار الصهيونية واتخذت دولة اسرائيل قاعدة ومنفذا لفرض نفوذها على الدول المتحررة والنامية وتوسعت الطغمة العسكرية الصهيونية واحتلت أجزاء من الدول العربية بغية التوسع واقامة دولة اسرائيل المزعومة من النيل الى الفرات ولا تزال تعيث فى الارض بالقتل والارهاب . وتدنس المقدسات الاسلامية والمسيحية ولا تستجيب لقرارات الامم المتحدة ومجلس الامن . ولا تبالى بالقيم الاخلاقية ودواعى الانسانية ومن ورائها الولايات المتحدة الامريكية تؤيدها وتمدها بالمال وآلات الحرب والقتال .

ونحن اليوم وفى هذه الظروف العصيبة . أحوج ما نكون الى تلك الروح القوية المعنوية الفتية العربية والى التكتل والتجمع بقوة الايمان والعقيدة لازالة العدوان واسترجاع الارض وحقوق عرب فلسطين . وللحفاظ على القومية العربية والمقدسات الاسلامية والقضاء على هذا العدو الضارى الباغى من اليهود والاستعمار . لا سيما ونحن على طريق النصر لمعركة فاصلة باذن الله تعالى يحدونا النصر والغلبة على العدو **ايماننا بالله تعالى وايماننا بقوة الجيش الرابض على القناة وبقوة روحه المعنوية وقوة عدته وقد أعلنها الرئيس أنور السادات كلمة مدوية أن هذا العام عام الحسم فاما سلام وأما حرب لاهوادة فيها معتمدا على نصر الله وعلى ايمان العرب والمسلمين بحقهم المشروع الذى آمن به العالم وأصبحت اسرائيل فى عزلة تامة قد وصمت بالظلم والبغى والعدوان . ودمغت بقرار مجلس الامن بالانسحاب التام .**

ويسمى هذا العيد عاشر ذى الحجة أيضا بالعيد الاكبر لاذان بلال رضى الله عنه فوق الكعبة بصيغة الاذان المشروع . الله أكبر الله أكبر الى آخر الاذان يوم فتح مكة بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد تحطيم الاصنام التى كانت فوقها وحولها وتطهير البيت الحرام للطائفين والقائمين والركع السجود وتحقق بهذا قول الله تعالى : « **واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود »** ويقول تعالى نداء لهذه الامة . أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل »** وقد نزلت سورة « **اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » حينما فتح الله على المسلمين مكة ودانت الجزيرة العربية للاسلام . فكبر المسلمون وحمدوا الله تعالى وصلوا على صاحب البلاغ صلى الله عليه وسلم . قبل صلاة العيد وبعد صلاة الفرائض أيام التشريق . **ولهذا التكبير صيغة محبوبة تداولها الناس الى يومنا هذا معروفة . وأيام التشريق هى الثلاثة أيام بعد يوم العيد يحرم صوم اليوم الاول والثانى منها عند الامام مالك ويكره صوم الثالث عند الامام أبى حنيفة . والشافعى قال يحرم صيام الثلاثة أيام رضى الله عنهم .**

ويسمى هذا العيد الاكبر . بالعيد الاضحى من الاضحية . ويوم النحر للتضحية والفداء افتداء وذكرى بسيدنا ابراهيم الخليل حيث أمره الله بذبح ولده اسماعيل فاستجاب لامر الله . ففداه الله بذبح عظيم والقصة قد قصها الله علينا فى القرآن الكريم . وبذلك صارت الاضحية مشروعة للقادر عليها . وقد ضحى النبى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين ذبحهما بيده أحدهما عنه وعن أهل بيته وثانيهما **عن أمته ولمن شهد له بالبلاغ . وهى واجبة عند أبى حنيفة . وسنة عند الائمة الثلاثة وصاحبى أبى حنيفة . وأول وقتها طلوع الشمس يوم النحر بقدر رمحين وآخر وقتها عند الشافعى آخر أيام التشريق . وعند أبى حنيفة ومالك آخر اليوم الثانى من أيام التشريق . ويستحب الاكل من الاضحية . وقال الشافعى له أن يأكل الثلث ويهدى الثلث ويتصدق بالثلث . ولا يجوز بيع شىء من لحم الاضحية ولا يجوز بيع الجلد بالاتفاق . والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا .**

دولة العلم والإيمان

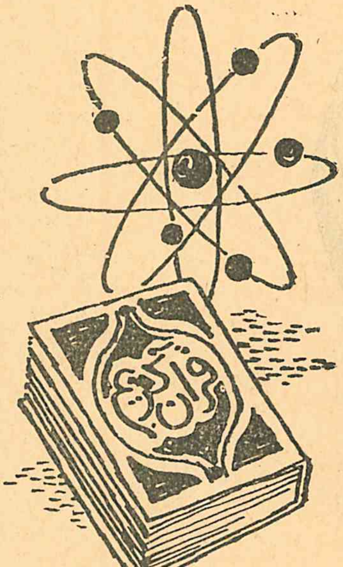

العلم في الإسلام

المستشار عبد الستار آدم

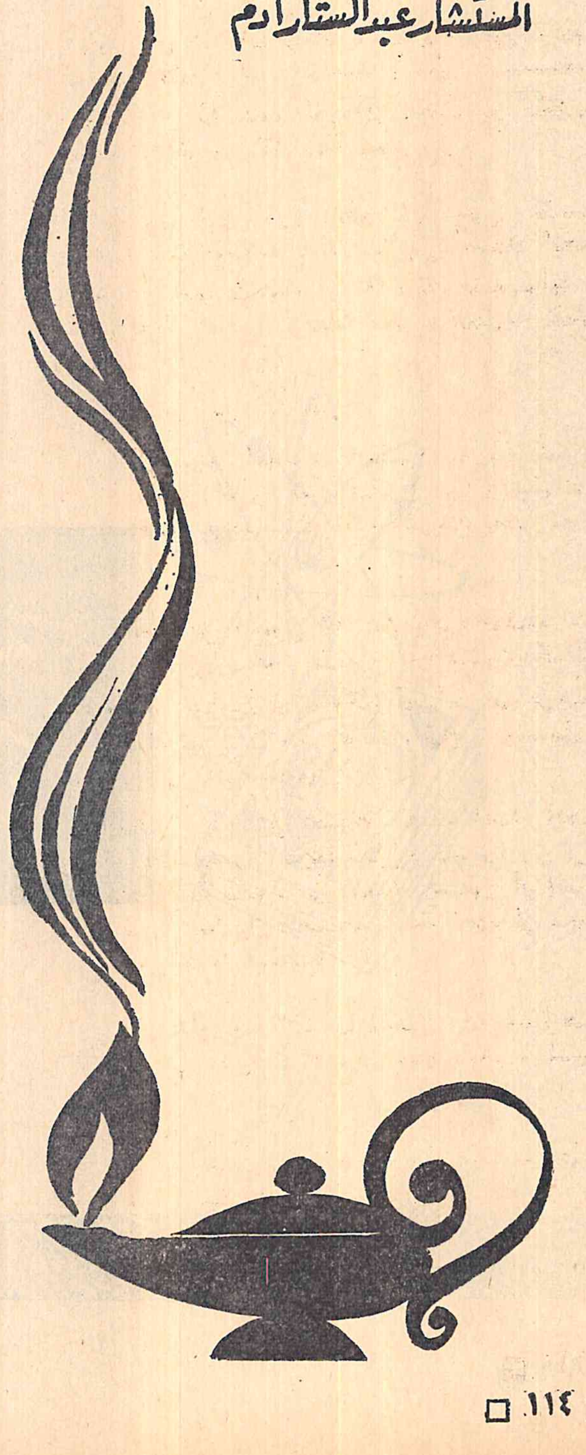

(٦)

تحدثت فى مقال سابق بهذه المجلة الغراء ـ تحت هذا العنوان ـ عن العلم فى عهد الدولة العباسية حتى عهد الخليفة هارون الرشيد واليوم أتحدث عن العلم فى عهد الخليفة المأمون وابن أخيه الواثق .

الخليفة المأمون

كان هذا الخليفة عالما من كبار العلماء ، مثقفا واسع الثقافة ، يجيد كثيرا من العلوم يهب العلم وقته ورعايته ، كما يهب العلماء عطفه وعنايته .

روى بعض المؤرخين : « ان المأمون لما دخل بغداد وقر بها قراره ، أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته .. وأختير لمجالسته مائة رجل ، ما زال يختارهم طبقة بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة »

كما كان يسهم مع العلماء فى الجدل العلمى ، ويستنهض العلماء الى النقاش الحاد ، فأوجد مجالس للمناظرة بين العلماء فى حضرته فكانوا يتجادلون ويتناظرون فى شتى المسائل العلمية ويقول بعض المؤرخين انه « اراد بعقد هذه المجالس ازالة الخلف بين المتناظرين فى المسائل الدينية وتثبيت عقائد من زاغوا عن الدين وبذلك تتفق كلمة الامة فى المسائل الدينية التى كانت مصدر ضعفهم ... »

ويقول البعض الاخر انه « اراد أن يجعل مجلسه (محكمة) يتنازع فيها الخصوم : وكل يدلى بحجته والمتنازع هم العلماء ، ثم تحكم المحكمة فيجب أن ينفذ حكمها .. ويجب أن يذعن المتنازع لحكم المحكمة ، فلا يقول قائل برأى الا ما قضت به المحكمة ... »

وبلغت فى عهده الصالونات والمجالس العلمية الذروة .. فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها .

وقويت فى عهده حركة النقل والترجمة من اللغات الاجنبية ـ وخاصة من اليونانية والفارسية ـ الى العربية ـ فأرسل البعوث الى القسطنطينية لاحضار المصنفات الفريدة فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب .. ولم تكد تلك الذخائر النفيسة تصل الى بغداد حتى عهد المأمون الى جماعة من العلماء ـ منهم الحجاج بن نصر وابن البطريق ـ

فى ترجمتها .. وكان قسطا بن لوقا يشرف على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية الى العربية ، كما كان يحيى بن هارون يشرف على الترجمة من الفارسية القديمة .

وقال بعض المؤرخين ان المأمون كان يدفع ثمن الكتاب المترجم ذهبا ويقول : انه « أى الخليفة هو الكاسب وفى عهده أيضا بدأ كثير من المسلمين فى دراسة الكتب التى ترجمت الى العربية وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها واصلاح اغلاطها ... واشتهر من هؤلاء أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى — وهو عربى الجنسية من قبيلة كندة اليمنية — وقد نبغ فى الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم وحذا فى تأليفه حذو ارسطو .. وترجم كثيرا من الكتب اليونانية الى العربية وشرح غوامضها كما نقح ما ترجمه غيره من المترجمين .. وكان هذا العالم معاصرا للمأمون ثم للخلفاء المعتصم والواثق والمتوكل

ويقول أحد المستشرقين ان عصر المأمون كان :

« ازهى عصور بنى العباس فى تاريخ النهضة العلمية فى العصر العربى اذ كان الخليفة وهو نفسه من أساطين العلم — يختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الافذاذ من الشرق والغرب ، ذلك الى جانب الاساتذة والمستشارين والمفكرين والمترجمين ، الذين ملا بهم بلاطه وزين بهم ملكه كما قيل ايضا أن بلاطه كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والادب والشعر والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم من جهات متعددة من أنحاء العالم ، وشملهم جميعا بعنايته وعطفه وتشجيعه مهما اختلفت جنسياتهم ودياناتهم ...

وفى عهده وصل النشاط فى مكتبة « بيت الحكمة — التى أنشأها والده الخليفة هارون الرشيد حسبما تقدم — وصل النشاط فيها الى ذروته .. وقد نقل اليها المأمون كتب الفلاسفة من جزيرة قبرص ، اذ أنه عندما هادن صاحب تلك الجزيرة أرسل اليه يطلب كتب اليونان .. ويقال ان المأمون اغتبط بهذه الكتب أيما اغتباط

وقد خصص فى هذه المكتبة خزانة خاصة لكتبه كما خصص خزانة لكتب والده الرشيد .

كما طلب اليها كتبا من ملك الروم

وقد صنفت كتب هذه المكتبة حسب موضوعاتها وأختار لها المأمون المترجمين ممن لهم خبرة علمية بالموضوع الى جانب اتقان اللغة المنقولة منها

وكان من هذه الكتب كتاب بطليموس فى الرياضة السماوية فأمر المأمون بترجمته وسموه «المجسطس»

ويقال ان المأمون نقل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم ما يثقل مائة بعير .

والمأمون أول من نادى بأن يكون نشاط مكتبة « بيت الحكمة » متوقفا على سخاء الخلفاء والامراء ، فهيأ للعلماء ارزاقا ثابتة يتقاضونها من أوقات ثابتة يكفى ريعها لكل المطلوب للعلماء والطلاب .

وقال كثير من المؤرخين :

« ان جميع النهضات العلمية العربية انما هى فروع للاصل الذى أنبته المأمون .. وان ماجرى فى عهده من ترجمات للتراث الاغريقى يعتبر مضرب الامثال »

والمأثور عن المأمون أنه كان يقدر العلماء سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.. فقد روى أنه أكرم (يوحنا البطريق) — وكان أمينا على ترجمة الكتب القديمة .. كما رفع منزلة (سهل بن سابور) وابنه (سابور)

كما روى أنه كان يضطهد أحيانا اعداء العلم وجفاة الفلسفة وقد عرف التاريخ كثيرا من ارباب الشهرة الذين قضوا فى سجنه الشهور أو السنين لانهم كانوا يعادون الفلسفة ، ظنا منهم أن منها ما يعدو على الدين فيفسده .

ويقول المرحوم الامام محمد عبده — رحمه الله — فى كتابه « الاسلام دين العلم والمدنية » مستفهما :

« هل رأيت فى غير الاسلام رئيسا دينيا يضطهد اعداء العلم وجفاة الفلسفة » .

ثم يجيب طيب الله ثراه ، على هذا السؤال بقوله :

« لعلك لا تجده أبداً »

وفي عهده ايضا نبغ علماء الفلك فقاسوا طول الدرجة الارضية ، وحددوا محيط الارض وحجمها على أنها كرة ، ووجدوا درجة الطول ٦٦ ميلا وثلثين ، وهذا التقدير قريب من القياس الصحيح الذى انتهى اليه العلماء .

كما بني فى عهده عدة مراصد وجهزت بادوات شتى مثل مقياس الارتفاع والاسطرلاب والمزولة (الساعة الشمسية)

وفى عهده كذلك نبغ المسلمون فى علم الجغرافيا ، حيث دخلت الجغرافيا عهدا جديدا ، وحلت كتابات المسلمين فيها محل كتابات اليونان ، وأصبحت بعد تصحيحها لاخطاء اليونان الاصل الحقيقى الذى بدأ منه التقدم الاوروبى فيما بعد .

وقد كلف المأمون علماءه بقياس درجة من خط منتصف النهار .. فقام جمع منهم واختاروا لهذا المقياس المنارة الواقعة بين تدمر والرقة على الفرات، وواديا فى أرض الجزيرة قرب سنجار بين درجتى عرض ٣٥ ، ٣٦ شمالا .. واتجهت احدى الفرقتين الى الجنوب على خط منتصف النهار على بعد درجة واحدة ، واتجهت الاخرى على نفس المسافة ولكن الى الشمال .. ولقد كانت هذه التجربة، التى أجريت فى عام ٨٢٧ م ، ثالث تجربة لقياس الارض .. اذ سبقها تجربتان فقط فى العصر اليونانى .. ويقول الاستاذ جلال مظهر :

« والحق أن القياس المأمونى (أى الذى تم فى عهد المأمون) لدرجة خط منتصف النهار كان أصح من القياسين اليونانيين السابقين وأكثرهما ذيوعا وانتشارا فيما بعد .

وفى عهده رسم العرب خريطة أو رسم للارض بالاستعانة بخريطة بطليموس مع الاشارة الى تصحيحات كثيرة .. وقد رأى المسعودى هذه الخريطة وتكلم عنها .

ويقول الاستاذ كراتشكوفسكى انه لم يبق شىء من هذه الخريطة .. وان كانت المعلومات التى لديه عنها صحيحة لدرجة تسمح بتكوين فكرة عنها ولكن اعادة تصورها بحذافيرها يكاد يكون أمرا مستحيلا اذ لا يزال هناك غموض كثير يكتنف طبيعة الاسس التى رسمت عليها .

اما الاستاذ ليليفيل فيقرر أنه توجد بقايا منها ورسم فعلا تلك الخريطة فى أطلسه .. كما يقول انه اذا قارنا البقايا التى تحت ايدينا من رسم الارض المأمونى ، بخريطة بطليموس اتضح لنا تصحيحات كثيرة فى مجموع الخريطة ،فالتحسينات التى أدخلها العرب على وضع الجزيرة العربية والمناطق حول دجلة والفرات هى تصحيحات ذات شأن ؟ بالاضافة الى التصحيحات القيمة التى ادخلوها على المناطق الممتدة من قادس فى أسبانيا الى السند فى الهند .

وكان المأمون فوق ذلك كله يؤثر العلماء على الوزراء .. فقد قيل انه كان لتمامة بن الاشرس — وكان واحد دهره فى العلم والادب — مكانة عند المأمون فوق مكانة الوزراء .. واراده ليكون وزيرا بعد قتل الفضل بن سهل ، فابى وقال : « انى لم أر أحدا تعرض للخدمة والوزارة الا لم يكن لتسلم حاله ، ولا تدوم منزلته » .

فقبل المأمون ذلك منه .

الخليفة الواثق .

هو هارون الواثق بن الخليفة المعتصم .

وقد حدثنا السيوطى فى كتابه « تاريخ الخلفاء » ان الواثق « كان لا يبارى فى علمه وادبه حتى سمى المأمون الاصغر لادبه وفضله » .

كما حدثنا المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » أن الخليفة المذكور «شغف بالوقوف على آثار العلماء والحكماء ، فطلب من حنين بن اسحق ان يؤلف كتابا يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد ، فألفه وسماه (كتاب المسائل الطبيعية) .

كما قيل أنه افرد مجلسا للمناظرة فى قصره مقتفيا فى ذلك **أثر عمه الخليفة المأمون .. وكان مثله ايضا يكرم العلماء ويجزل لهم العطاء ، ولا يرد لهم طلبا .. ومما يروى فى هذا الشأن انه قال لاحمد بن أبى داود — وكان عالما نشأ فى طلب العلم، وخاصة الفقه والكلام ، حتى اصبح من أقوى الشخصيات فى عصره — قال له :**

« قد اختلت بيوت الاموال بطلبائك اللائذين بك ، والمتوسلين اليك » .

فقال ابن أبى داود :

« يا أمير المؤمنين ، نتائج شكرها متصلة بك ، وذخائر أجرها مكتوبة لك ، وما لى من ذلك الا عشق اتصال الألسن بحلو المدح فيك ! .

فقال الواثق :

« يا أبا عبد الله لا منعناك ما يزيد فى عشقك ، ويقوى من همتك ، فتناولنا بما أحببت » .

يراجع فى كل ما تقدم الكتب الآتية :

١ — تحت راية الاسلام — تأليف الدكتور الحوفى

٢ — ضحى الاسلام — تأليف المرحوم الاستاذ الدكتور احمد أمين .

٣ — تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى — تأليف الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن الجزء الثانى .

وفى الاعداد القادمة من هذه المجلة الغراء سأتحدث ، بعون الله سبحانه وتعالى عن العلم فى عهد العصر العباسى الثانى .

والله ، جل وعلا ولى التوفيق والسداد .

أمة العلم و الإيمان

الشيخ محمد حافظ سليمان

بلغت الانسانية فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه مبلغا كان صورة حية لتمام الرجولة فى الحياة المتكاملة فى ظل الاخوة المثالية الفاضلة الكريمة ففى المدرسة الاسلامية الاولى ائتلفت القلوب ، وتعانقت الرهبة مع الرجاء ، واتصلت البطولة بالحكمة ، واتفقت القوة مع اللين ، وجاء الدين والدنيا معا . وامتلات الارض عدلا وأمنا واستقرت الثقة فى النفوس فأصبحت مخلصة رحيمة نقية تقية :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .

هكذا كانت قوة الايمان توجه الى العمل الصالح النافع فلا سلطان للشيطان ولا سبيل للنزوات الى نفوس الصابرين الصادقين :

وكان جمهور المسلمين عبادا للرحمن يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

ولقد كان القرآن الكريم مرشدا وهاديا ، وكان الخلق العظيم سائدا ورائدا . وكان الرسول الامين قدوة وأسوة . وكان الحق مهيمنا ومسيطرا . وكان العدل قاضيا وحاكما .

وما كان الاسلام الا منهاجا وعملا . ولم يكن الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل .

ولذلك خالط الايمان قلوب المتقين وامتزج بدماء المخلصين فأشرقت النفوس بنور ربها فكانت آمنة مطمئنة راضية مرضية ..

واذا عرف المرء ربه كانت حياته سجلا خالدا للفضائل الانسانية عملا بقول الله عز وجل :

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

ومن كان منهاجه صراط الله المستقيم فى سلوكه القويم فلا يضل ولا يزل ولا يشقى ولا يخزى .

ويتحقق ذلك فى مجتمع العلم النافع والايمان السليم وليس من شك فى أن العلم والايمان قد صنعا أمة التوحيد التى قال لها رب العالمين : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس »** .

ففى صدر الاسلام وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت الحياة علما وعملا ورحمة وعدلا ولينا وحزما .

روى البخارى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول : «بينما أنا نائم أوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى لأرى الرى يخرج منه فى أظفارى . فأعطيت فضلى عمر بن الخطاب . قالوا فما أولته يا رسول الله ؟ قال : العلم » .

وروى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك . ومر على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما أولته ؟ قال : الدين .

لقد كان عمر منهاجا للشريعة الاسلامية المستمدة من الهداية الالهية التى جاء بها القرآن الكريم ، وقد كان القرآن الكريم خلقا للنبى والذين معه حقق لهم الهداية والتوفيق والسعادة .

ان عمر بن الخطاب كانت حياته وقفا على اسعاد رعيته وقد طبق الوحى المحمدى فحقق العدالة والامانة ونشر الطمأنينة وأضحى الحق دستور الحياة فى المعاملات والصلات والعلاقات بين أبناء الانسانية جميعا . فلا شفاعات ولا امتيازات ولكنه العدل المطلق فى ظل الاخوة الخالصة الصافية فى حياة سعيدة آمنة .

والاسلام يرى فرض المسئولية الاجتماعية على كل انسان بلغ أشده ورشده كما يقول عليه السلام :

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالامام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته . والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها . والخادم فى مال سيده راع ومسئول عن رعيته ، والرجل فى مال أبيه راع ومسئول عن رعيته ، الا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وهكذا يحمل الاسلام المسئولية كل فرد من الافراد فيما أسند اليه من أعمال وما أؤتمن عليه من رعية . فلا يضيع حق ولا يهمل واجب وبذلك التحمل يكون لبنة فى بناء المجتمع .

ان عمل الفرد مهما كان ضئيلا فهو متمم لعمل الاخرين وبالتعاون تتوثق أركان المجتمعات . وتقوى الجماعات والله رقيب على كل نفس فيما قدمت وأخرت ..

وللناس فى حياتهم مناهج ومسالك ..

فمنهم أنانى يحب نفسه . وكل همه اشباع نهمه ولا أمل له الا أن يعيش فى حياة منعزلة بغيضة لا وزن لها ولا قيمة ..

ان هذا الصنف من الناس لا يرتبط بخدمة عامة لانه مفتون بحب الدنيا وشهواتها ومتاعها والتكالب على حطامها ولا صلة له بالمجتمع الوطنى أو الانسانى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد . الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار .. » .

وللذين يعيشون لانفسهم غايات دنيا هى رضاؤهم بالحياة الدنيا دون التطلع الى ما وراءها من خلود فى جنات أعدت للمتقن :

وليت الذين رضوا بالحياة الدنيا يقرأون قول الله عز وجل : « **اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** » .

هذه صورة الحياة الدنيا كما وضحها القرآن الكريم الذى صور حقيقتها ونهايتها وكأنها سوق قام ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر .

ومن رحمة الله سبحانه أن أنزل الكتب وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليوضحوا المنهاج القويم والصراط المستقيم لمن شاء أن يهتدى وأراد أن يستقيم وقد جعل الله سبحانه أكرم الناس عند الله أتقاهم وهذه القاعدة تنحى العصبية والقبلية والاقليمية ونحوها وبذلك تسمو الانسانية الى مراتب الكمال الانسانى فلا يكون اجتماعها وترابطها راجعين الى اعتبارات قد تدفع بأصحابها الى التفرق والتمزق والخصام وتقضى على روح التعاون والتراحم وتطمس معالم السعادة الحقة .

ان الله قد جعل الاساس فى بناء المجتمعات الاعتصام بالله وبمبدأ الخير العام « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » .

وعلى ذلك أسس الاسلام قواعده وشرائعه التى وضحت أن بنيان الحياة يقوم على قاعدة راسخة صلبة ثابتة هى التقوى التى تقرر المساواة بين الناس مهما تباعدت ديارهم وتناءت أطراف أوطانهم واختلفت آراؤهم وتعددت مذاهبهم .

والناس أسرة واحدة تدور حياتهم حول الحرية والمساواة التى يتعاون الناس فيها على الخير والبر وبذلك يشعر الناس بالوحدة الفاضلة التى يتعاون فيها الجماعة على حفظ الامن وحماية السلام ويكون ذلك بمراعاة المشاعر والاحاسيس فيأخذ القوى بيد الضعيف ويواسى الغنى الفقير لتنمو الحياة فى المجتمع المتفائل الفاضل الذى يعرف فيه كل فرد فى الحياة حقه .

من الناس من يستمد منهاج حياته من دينه ودنياه معا فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لاخرته كأنه يموت غدا .

وذلك ما يرجوه الاسلام من كل انسان فى بناء الحياة الجادة المتسامية وبقدر ما يوهب للمرء من قوة العزيمة وصادق النية ومتانة الخلق وقوة الادراك وسمو الروح ونبل الغاية يكون نجاحه فى تكوين نفسه ليصبح عضوا عاملا - وليس خاملا - ويكون ناضجا نافعا يسعد به وطنه وتنهض به أمته.

ومن الخطأ العزوف عن الدنيا تكاسلا وخمولا وتحقيرا لشأنها وبذلك يعطل هؤلاء أنفسهم عن الكد والجد وربما سلك هذا المسلك أقوام كسالى يعيشون عالة على المجتمع من غير انتاج فى حياة هزيلة ذليلة . ! !

وهذه الحياة يكرهها الاسلام وهو لا يقر انتشار البطالة بين الناس باسم الزهد والتبتل :

كذلك لايقر الاسلام الطبقية الظالمة التى تجعل من المال سلطانا وطغيانا يردى النفس ويغريها ويضلها ويطغيها ويصرفها عن سبيل المؤمنين الابرار.

« **واذا انعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه** »

« **كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى** » .

« **ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض** ».

والذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد كانوا عبر التاريخ ذوى مال وبنين وثراء فاجر قطعوا به ما أمر الله به أن يوصل وحاربوا بما أعطاهم الله من فضله شرائع الله .

وقد قص القرآن الكريم علينا قصة صاحب الجنتين الذى افتخر بهما على صاحبه وتبجح قائلا: « **أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا** » !!

ثم كانت النهاية كنهاية كل مختال فخور ختال كفور ان أحيط بثمره كما يقول رب العالمين :

وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحدا) !!

ولما نسى قارون حق الله فى النعم التى انعم الله بها عليه وجحد بطغيانه وعتوه وكفرانه . آلاءه التى بين يديه واعتقد أنه حصل على المال بعلمه وجده واجتهاده وكده ثم قال : [**انما اوتيته على علم عندى**] وبين عشية وضحاها كان يتردى بماله وكنوزه وغروره ونفوذه وسلطانه وطغيانه فى جوف الارض والله يقول :

« **فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** » .

وتلك عقبى المتكالبين على الدنيا الشاردين من الحق الباغين فى الارض بالمال الوفير والحطام الكثير -

« **الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** » ؟

وقد ربط الله دنيا الناس بدينهم لتتم السعادة باستكمال حظى الجسم والروح معا .

أما المادية المحضة والروحية المحضة فيأباها الاسلام لانها لا تلائم طبيعة الحياة .. !!

والله قد نظم الحياة وأمر بتربية الضمير ليقدر المرء الخير من الشر والنفع من الضر ...

« **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها** » **وويل لمن انطمست قلوبهم وطاشت** عقولهم وضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . « **وقد خاب من دساها** » .

ولكن أصحاب الضمائر الحية يعرفون الحق للحق غير راجين جزاء ولا ثناء ولكنهم يعملون ليرى الناس أعمالهم ويقتدون بهم ويعملون ليرى الله عملهم فيرضى عنهم كما رضوا عنه .

وهذه قصة يرويها لنا التاريخ الامين لنتخذ منها درسا نافعا ومرشدا واعيا .

قال أسلم بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس بالمدينة اذ عيى فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل واذا امرأة تقول لابنتها يا بنتاه يا بنتاه قومى الى ذلك اللبن فامذقيه بالماء . قالت لها يا أماه أو ما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين ؟ قالت: وما كان من عزمه يا بنية ؟ قالت : انه أمر منادية فنادى لا يشاب اللبن بالماء فقالت لها يابنية قومى الى اللبن فامذقيه بالماء فانه بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر . فقالت الصبية لامها : يا أماه والله ما كنت لاطيعه فى الملا وأعصيه فى الخلاء!! وعمر يسمع ذلك كله فقال يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ثم مضى فى عسه . فلما أصبح قال يا أسلم امض الى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل ؟ فأتيت الموضع فنظرت فاذا الجارية أيم . لا بعل لها واذا تيك أمها ليس لها بعل . فأتيت عمر وأخبرته .. فدعا عمر ولده فجمعهم . فقال هل فيكم من يحتاج الى امرأة فأزوجه ؟ لو كان بأبيكم حركة الى النساء ما سبقه منكم أحد الى هذه الجارية :: فقال عبد الله لى زوجة وقال عبد الرحمن لى زوجة وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى ...

فبعث الى الجارية فزوجها من عاصم فولدت له بنتا وولدت البنت عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه.

ان القرآن جعل مرد الايمان والتقوى الى الله سبحانه وحده فقال - وهو أعلم بمن اتقى - لكى يحرص المؤمن على الاخلاص وهو ثمرة الايمان بالله عز وجل وبرسالاته .

لذلك كان المؤمن مسئولا عن حياته وعن دينه ..

العلم والمعرفة

العلم والمعرفة من الصفات التى تميز الانسان عن الحيوان . وترفعه الى أعلى الدرجات . وتقربه من المولى عز وجل – يقول سبحانه وتعالى « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » من الاية رقم ٩ من سورة الزمر ..

والعلم من صفات الله تعالى . الواجبة له أزلا . والتى يجب على كل مسلم أن يثبتها له سبحانه . ويؤمن بوجوبها له ..

والعلم من أسماء الله تعالى الحسنى التى أمرنا سبحانه أن ندعوه بها – يقول جل ذكره « **ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها** » من الاية ١٨٠ من سورة الاعراف ..

والعالم على الاطلاق . هو الله سبحانه وتعالى . فهو وحده الذى يعلم كل ما كان . وكل ما يكون . ويعلم الظاهر والباطن . وهو بكل شىء عليم – يقول جل ذكره فى وصف جنابه العظيم « **يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور** » من الاية ١٩ من سورة غافر – ويقول جل وعلا « **ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شىء عليم** » الاية ٧ من سورة المجادلة .. ويقول سبحانه « **وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** » الاية ٣ من سورة الانعام ..

والله سبحانه وتعالى يعلم كافة الكائنات على ما هى عليه تفصيلا . فيعلم عدد الرمل والحصى . وعدد الانس والجن والملائكة . وعدد الحيوانات البرية والبحرية . وعدد النجوم والاشجار . وعدد قطرات المياه فى البحار والانهار . بل انه سبحانه يعلم عدد اوراق الاشجار – يقول جل ذكره « **وأحصى كل شىء عددا** » من الاية ٢٨ من سورة الجن – ويقول سبحانه « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين** » الاية ٥٩ من سورة الانعام .

وما من ورقة من ورق الاشجار تسقط على الارض . الا ولها ملك موكل بها يضعها حيث شاء رب العزة ..

وملائكة الله تعالى بلغوا من الكثرة حدا لا يعلمه الا الله .. وقد أسند سبحانه وتعالى العلم بعددهم لنفسه دون سواه – فقال جل ذكره « **ومايعلم جنود ربك الا هو** » من الاية ٣١ من سورة المدثر .. فلا يعلم احد عدد جنود الله وملائكته ، حتى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ..

روى الامام مسلم رحمه الله عن أنس رضى الله عنه – والبخارى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه أن فى السماء السابعة بيتا مسامتا للكعبة المشرفة فى الارض – يقال له (الضراح) جعله الله تعالى لعباده الملائكة عليهم السلام وطوافهم به – يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يسبحون الله ويقدسونه . ولا يعود منهم أحد الى يوم القيامة . وهو البيت المعمور . الذى أقسم الله به فى كتابه العزيز بقوله « **والطور وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور** » ..

فانظر يا أخى الى هذه العظمة الالهية . والى كثرة ملائكته سبحانه . والى علمه الواسع الذى لا نهاية له – يقول جل ذكره فى كتابه الكريم « **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما** » الاية ١١٠ من سورة طه ..

والله سبحانه وتعالى هو الذى يعلم أعمار العباد . ووقت انتهاء أجل كل منهم والمكان الذى يموت فيه . ويعلم وقت قيام الساعة . ويعلم السعداء والاشقياء .. ويعلم كل شىء علما تفصيليا – يقول جل ذكره « **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير** » الاية ٣٤ من سورة لقمان ..

وهو سبحانه وتعالى يدبر أمور العالم كلها على وفق علمه ومعرفته . وحكمته .. ولذلك كان هذا النظام الرائع البديع ، الذى يحير الالباب ، ويملأ القلوب خشية واعظاما واكبارا .. فسبحانه من اله قادر عليم .. ورب خالق عظيم ..

●●●

وعلم العباد علمان .. علم دينى ، وعلم دنيوى ..

فالعلم الدينى هو المتعلق بمعرفة الله تعالى وصفاته ، وما يجب فى حقه تعالى ، وما يستحيل ، وما يجوز - ومعرفة صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وما يجب فى حقهم ، وما يستحيل ، وما يجوز - ومعرفة أحوال الجنة والنار ، والحساب ، والثواب والعقاب ، وسائر المغيبات التى أمر الله تعالى بمعرفتها والايمان بها - ومعرفة آداب العبادات التى شرعها الله تعالى ، وفرضها على عباده من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك - ومعرفة آداب المعاملات من بيع وشراء واجارة ، وأحكام التوريث والهبة والشفقة وغيرها .. وأحكام الحدود ، كحد السرقة ، وحد ترك الصلاة ، وحد القذف وغيرها ، ومعرفة آداب التقاضى ، ومعرفة مكارم الاخلاق التى أوجب الله التمسك بها ، وتطبيقها فى سلوك الافراد والجماعات - ومعرفة سائر ما أمر الله تعالى به ، وما نهى عنه ...

والعلم الدنيوى هو المتعلق بمعرفة ما يصلح البدن ، ويحفظ الحياة، وينظم شؤون الافراد والجماعات والامم ، من زراعة وصناعة وتجارة ، ومعرفة اللغات واللهجات المختلفة ، ومعرفة علوم الطب والهندسة والحساب والاقتصاد ، وخواص الاشياء ومنافعها ، وعلوم الفلك والكيمياء وغيرها ..

وكل من العلمين مطلوب شرعا ، ويثيب الله تعالى عليه .. الا أن العلم الدينى واجب وجوبا عينيا على كل مسلم ومسلمة ، بالقدر الذى يصحح عبادتهما لله تعالى ، ويجعل الصلة التى بينهما وبين الخالق جل وعلا ، وبينهما وبين غيرهما من الناس ، على وفق الشريعة الغراء ، التى شرعها الله تعالى لعباده ، وأرسل بها الرسل عليهم الصلاة والسلام ..

أما العلم الدنيوى ، فانه يجب على سبيل الكفاية - بمعنى أنه متى قام به جماعة من الناس بالقدر الذى يغطى حاجاتنا - فانه يسقط الطلب عن الباقين ، ويكون فى حق هؤلاء الباقين مندوبا ، يثاب عليه من جهة المولى سبحانه وتعالى - فان لم يقم بتعلمه أحد .. كان الكل آثما ..

يقول صلوات الله وسلامه عليه (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الاخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم) وهو حديث مشتهر بين الناس ...

وللعالم عند الله تعالى فضل كبير ، ومنزلة عليا - يقول صلى الله عليه وسلم (فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى) أخرجه الحرث بن أبى أسامة رحمه الله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ...

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى

وفى رواية أخرى (فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) أخرجه أبو نعيم رحمه الله عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ...

وفى رواية ثالثة ، يقول صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، أن الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين ، حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير) أخرجه الترمذى رحمه الله عن أبى أمامة رضى الله عنه ..

فانظر يا أخى الى هذا التقدير العظيم للعالم ، والى هذه المنزلة الكبرى التى ينالها بسبب علمه .. والمراد بالفضل كثرة الثواب الذى يعطيه الله للعالم ، وما يمنحه اياه فى الاخرة من لذائذ ودرجات عالية فى الجنة - والصلاة من الله تعالى الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار ، ومن العباد الدعاء - فالعالم يرحمه الله تعالى ، وتستغفر له الملائكة ، وتدعو له بالخير سائر الخلائق ،

ومهما كبر الانسان ، وتقدمت به السن ، فانه ينبغى له أن لا يتقاعس عن طلب العلم والمزيد من المعرفة - ولقد اشتهر بين الناس قولهم (اطلب العلم من المهد الى اللحد) ..

والهجرة فى سبيل طلب العلم ، مشروعة ومطلوبة - يقول صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أخرجه ابن عبد البر رحمه الله ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ...

ويقول صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وان طالب العلم يستغفر له كل شىء ، حتى الحيتان فى البحر) رواه ابن عبد البر رحمه الله ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ،

●●●

ولقد كان أول ما نزل من كتاب الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء وسيد المرسلين ، الذى

أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، **ليخرج الناس من** الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراط مستقيم ، هى الايات المتضمنة الامر بالقراءة والتعلم ، وهى قوله عز وجل « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » نزلت عليه صلى الله عليه وسلم فجأة فى غار حراء ، وكان يخلو به للتعبد الليالى ذوات العدد .. صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليه ...

والمعلم الاول هو الله سبحانه وتعالى ـ فهو الذى علم عباده سائر العلوم الدينية والدنيوية ـ وهو الذى أرشد الخلائق كلهم الى خيرى الدنيا والاخرة ، يقول جل ذكره « **الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان** » ..

وهو سبحانه علم أنبياءه ورسله ـ وعلم عباده بواسطة أنبيائه ورسله ، الذين ارسلهم بالخير والسعادة ، والهدى والنور ، لتعليم خلقه وهدايتهم ـ يقول جل ذكره مخاطبا سيد الانبياء وخاتم المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين « **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** » من الاية ١١٣ من سورة النساء ، ويقول سبحانه « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** » من الاية ٣٣ من سورة التوبة ـ ويقول سبحانه « **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** » الاية ١٥١ من سورة البقرة .. ويقول جل وعلا « **وعلم آدم الاسماء كلها** » من الاية ٣١ من سورة البقرة ...

وهو سبحانه الذى علم نوحا عليه الصلاة والسلام النجارة حينما أمره بصنع السفينة بقوله « **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** » من الاية ٣٧ من سورة هود عليه السلام ...

وهو الذى علم داوود عليه الصلاة والسلام صنعة الدروع التى تلبس فى الحروب لتقى من طعن الاعداء ـ ويقول جل ذكره « **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** » من الاية ٨٠ من سورة الانبياء ـ فنوح عليه الصلاة والسلام هو أول نجار ـ وداوود عليه الصلاة والسلام أول من صنع الدروع ...

ولقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، **أن يطلب منه الاستزادة من العلم والمعرفة بقوله « وقل رب زدنى علما » من الاية ١١٤ من سورة طه ..**

والمولى سبحانه وتعالى هو الذى علم الملائكة الكرام ، عليهم السلام علومهم ، يقول جل ذكره حكاية عنهم « **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم** » الاية ٣٢ من سورة البقرة ...

وقد مجد سبحانه وتعالى العلم ، وأمر أنبياءه ورسله وجميع خلقه بالتعلم .. ذلك لانه أساس السعادة فى الدنيا والاخرة ، وسبيل العزة والمجد والسؤدد ..

والشريعة الاسلامية تطلب العزة للمسلمين ، وتوجب عليهم أن يأخذوا بأسبابها ، وأن يسلكوا الطرق الموصلة اليها ـ يقول جل ذكره « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** » من الاية ٨ من سورة المنافقون ... ولا طريق الى العزة والمجد ، الا العلم والمعرفة ...

وقد أمر المولى سبحانه وتعالى عباده المسلمين ، بأن يتخذوا العدة لمحاربة أعدائهم ، وأن يستعدوا لملاقاتهم بأسباب القوة ، ووسائل الغلبة والقهر ، بقوله جل وعلا « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا منشىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون** » الاية ٦٠ من سورة الانفال ...

وهذا لا يمكن تحقيقه الا عن طريق العلم والمعرفة ـ والاعداد فى هذا العصر ، انما يكون بالطائرات والصواريخ والدبابات والغواصات والمدمرات البحرية والمدرعات ، وسائر القوى التى توصل اليها العلم الحديث ...

ونحن اليوم بصدد الاعداد لمعركة المصير ، وتحرير أرضنا السليبة ، التى اعتدى عليها أعداؤنا بالغدر والخيانة ـ وتخليص المسجد الاقصى المقدس ، الذى له المكانة السامية فى نفوسنا ، والذكريات العزيزة الغالية علينا .. وديننا يحتم علينا أن نعمل بكل ما نستطيع من قوة على استرداده وتطهيره من دنس الصهيونية البغيضة واعادة أرضنا الحبيبة الينا ...

ولقد كان من توفيق الله تعالى وفضله أن يدعو رئيس جمهوريتنا ، السيد (محمد أنور السادات) بأن نبنى دولتنا الجديدة على أساس من العلم والايمان ، وأن يعمل جاهدا على تحقيق ذلك ...

فواجبنا أن نستجيب لهذه الدعوة الكريمة ، وأن نلبى هذا النداء ، وأن نعمل بكل اخلاص وصدق ، على تحقيق ذلك ، حتى يكتب الله تعالى لنا النصر على أعدائنا ، أعداء الاسلام والمسلمين ، بل أعداء الانسانية كلها ـ وما النصر الا من عند الله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير ـ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ،

معركتنا وطريق النصر لها !

فضيلة الشيخ عبد الحميد مليح

ان معركتنا مع اسرائيل تعبر تعبيرا صادقا عن اطماع اسرائيل التوسعية وتعلق فى صراحة ووضوح عن نزعتها الجشعة الى اغتصاب أرض العرب مدعية أنها أرض آبائها الاولين ولكنها أرض ورثها أصحابها عن أصولهم جيلا عن جيل الى مدى بعيد فى أغوار التاريخ وواقع اسرائيل أمام هذا الموقف ينطق فى صراحة بأن اسرائيل ليس عندها من القوة الذاتية لا اقتصاديا ولا عسكريا ما يمكن لها أن تحقق ما تنزع اليه من هذا المشروع الضخم الذى يحتاج الى قوة كبيرة من المال والرجال ذوى الشهامة والقوة فى لقاء العدو .

واسرائيل فيما يحكيه حالها خلو من هذا وذاك بشهادة الله عز وجل اذ يقول فى وصف اليهود « **لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون** » — بهذا الوصف نفى الله عنهم العقل اذ يقول « انهم قوم لا يعقلون » وأثبت لهم الجبن اذ يقول « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر » — يؤيد ثبوت الجبن لهم ما دار بين اليهود وبين نبى الله موسى عليه السلام بعد أن أنقذ اليهود من يد فرعون وتوجه بهم الى القدس بالشام قال لهم موسى « **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون** » فهذا اقرار منهم بالضعف والخور وعدم القدرة على مجابهة العدو وبالتالى أن هذه الارض ليست لهم كما تزعم اسرائيل فانهم لم يسكنوها بل لم يدخلوها والله عز وجل قال انها محرمة عليهم — هذا الوصف وصف الله تعالى به أصول اليهود وأجدادهم الاوائل وقد ورثه عنهم فروعهم المبعثرون فى الارض فى كل زمان فهم جبناء كذلك — ومن أجل ما منى به اليهود بالاصالة واسرائيل بالتبع من الجبن ومن عدم القدرة على مواجهة العدو فى ميدان القتال نرى اسرائيل هذه تقف من بدء المعركة من أمريكا موقف السائل المستجدى تستجدى منها النجدة بالمال تارة وبالسلاح على اختلاف أنواعه تارة أخرى ونرى من أمريكا استجابة سريعة لها بل وانها تحتضنها احتضانا حانيا يحكم من يرى هذا الاحتضان المدلل ويرى الاستجابة السخية بكل ما تطلب اسرائيل يحكم حكما لا معقب له بأن صاحب هذه المعركة هو أمريكا لا اسرائيل وما اسرائيل فى المعركة الا كعميل مأجور وتظهر فى الصورة للعالم فى صفاقة وقحة بأن بينها وبين العرب معركة دامية وانها تستعين عليها بأمريكا وأمريكا مع ما لها من جاه ونفوذ وقوة وسلطان مختبئة وراء ستار دفىء رخيص تدبر لاسرائيل وتوحى اليها بما تدبر وتخطط لها ما تشاؤه هى فى المنطقة بأسرها واسرائيل كالببغاء تحكى ما تسمع وتنفذ ما تؤمر به من سيدتها أمريكا فانها العقل المدبر واليد المحركة لاسرائيل فى المنطقة من وراء هذا الستار الكالح .

وقد تمكن السيد رئيس جمهورية مصر محمد أنور السادات أن يزيح هذا الستار عن أمريكا بجهوده النضالية ووسائله الحكيمة التى تمكن بها من كشف النقاب عن وجه أمريكا وأظهرها للعالم على حقيقتها متلونة كالحرباء مائعة كالماء وأنها هى صاحبة المعركة لا اسرائيل . وبعد هذا أخذت أمريكا تعرض عروضا لحل المشكلة وتقدم مبادرات لتسوية المسألة ولم يقبل من هذا وذاك شىء لالتوائه وعدم الجدية فيه .. ورئيسنا لا يزال عند رأيه من المجابهة فى ميدان القتال مهما كانت التضحيات والخسائر ولم يعبأ بما عليه أمريكا من قوة وجاه وعدد وعدة وعتاد متذرعا بايمانه بربه مستعينا بالله رب القوى والقدر فلا

يغلب ولا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء فلا يقهر وهو العزيز الحكيم .

وللرئيس فى هذا النضال الجرىء وفى هذا العزم المصمم الذى لا يلين له أسوة حسنة بالعاهل الاول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اذ أرسل جيشا عربيا اسلاميا لاقوى دولة وأعتى دولة وأغنى دولة مالا ورجالا وعدة وعتادا فى العالم انذاك وهى الفرس ولم يعبأ عمر بهذا كله وأرسل جيشه تحت قيادة سعد بن أبى وقاص وهو على يقين بأن توازن القوى غير متكافىء بين جيشه وجيش الفرس ومع ذلك لم يتراجع عمر وكيف خاطر عمر بجيشه مع ثقته بعدم تكافؤ القوى بين الجيشين وعلى أى شىء يعتمد اذن فى مجابهة هذا الجيش الجرار وهو الرجل الثبت المتزن حصيف الرأى يضع كل شىء فى وضعه — استمع يا أخى اليه وهو يملى على قائد جيشه وسائل النصر الحقيقية ويوصيه بالتزامها ضامنا له النصر ان أحسن اداء ما التزم به قال له « يا سعد انى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أخطر قوة على العدو وأقوى فى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك بأن تكون اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش اخوف على الجيش من عدوه وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة فلا ننصر عليهم بفضلنا ولم نغلبهم بقوتنا واعلموا ان لكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وانتم فى سبيل الله » الى آخر هذه النصائح الهادفة البناءة .

ولعل عمر استمد رأيه فى هذه النصائح من قول الله عز وجل فى معرض الاذن بالجهاد اذ يقول « **اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير** » الى أن قال « **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** » ويقول لرسوله صلى الله عليه وسلم « **ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » ثم بين صفات المؤمنين الذين يمنحهم النصر على عدوهم فى آيات أخرى منها قوله « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا** » من هذا القول الحكيم استمد عمر رأيه وعلى أساسه القويم بنى نصائحه لقائده وجيشه بأن النصر حليف تقوى الله وان من يتق الله يجعل له مخرجا من ضوائق الحياة وان معصية الله سيف **الله المسلول فى رقاب العصاة ورحم الله عمر اذ يقول لجيشه « استحيوا ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله » .**

نأخذ من نصائح عمر هذه أن القوة المادية وحدها ليست كل شىء فى سبيل النصر فلا المال ولا الرجال ولا السلاح ولا كثرة العدد ولا قوة العدد كل هذا ليس بكاف اذا عصى الله وأهمل أمره وارتكب نهيه فى وقته نحن أحوج ما يكون لعونه ومدده بجنده وما يعلم جنود ربك الا هو له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين يؤيد هذا ما قصه الله عز وجل فى موضعين من القرآن الكريم الاول فى سورة آل عمران اذ يقول « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** » قال المفسرون « أى قليلو العدد والسلاح » يعنى وهما عدة النصر الظاهرة أمام الناس ومع قلتهما عندكم نصركم الله ولم تقف قلة الرجال والسلاح فى سبيل نصر الله . والموضع الثانى فى سورة التوبة اذ يقول « **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** » قال العلماء أن عدد هذا الجيش كان اثنى عشر مقاتلا فأعجبتهم الكثرة وغرهم الصيت والسمعة فمالوا اختيالا وزهوا وافتخارا لن نغلب اليوم من قلة ونسوا الله واهب القوى والقدر وتناسوا أنه تعالى بالغ أمره وانه جعل لكل شىء قدرا فلا يكون فى الكون الا ما أراد ولا يتم الا ما قدر فتخلى عنهم برهة من نهار تركهم فيها لكثرتهم واظهر عليهم عدوهم فاستولى عليهم الرعب واشتد بهم الخوف وتفرقوا وتولوا مدبرين وهنا أدركهم الندم . ولجأوا الى الله . فعاودتهم قوتهم وجابهوا عدوهم مستميتين اذن هناك سلاح آخر هو وسيلة النصر لا القوة المادية ، وما هو ، هو ما أشار اليه الله تعالى بعد ذلك بقوله « **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين** » نعم يا أخى هذا سلاح لا يفل ولا ينهزم ولا يمل — وهو اعتصامك بربك وتأسيك بنبيك واحتماؤك بدينك احمل هذا السلاح واحفظه من العبث وتذرع به وجابه من شئت فالنصر حليفك والنجاح رائدك والفوز يؤازرك وبعد فهذا بيان نقدمه بين يدى معركة المصير التى نرقبها بين لحظة وأخرى رجاء أن يتنبه اخواننا فى جبهة القتال واخواننا فى الجبهة الداخلية الى أن النصر حق على الله كما وعد ولكن لمن آمن بالله واتقى محارمه وأدى أوامره واجتنب نواهيه وتوكل على الله اذ التقى الجمعان والله مؤيد وناصر وهو على هزيمة الاعداء قوى عزيز وهو نعم المولى ونعم النصير .

الجهاد والجندية فى تعاليم الإسلام

سماحة الأستاذ مبشر الطرازى الحسينى

الـربـاط فى سبيل الله

لقد روينا فيما سبق من قسم هذا البحث أحاديث نبوية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل الجهاد والجندية ومقام المجاهد فى سبيل الله، وها هى أحاديث نبوية وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى موضوع الرباط أو المرابط فى سبيل الله عز وجل .

— مقدمـــة —

لا شك فى ان الخدمة (خدمــة الجندى) فى حدود الدولة أو المملكة احدى الخدمات المهمة لها ، مما يحفظ بها كيانها ولهذا فان الاسلام قد اعتبر سد الثغور (وهى الحدود) واستحكامها وحمايتها عن عبور الاغيار أو تسلل المغرضين من الاعداء ، من الواجبات على ذمة الحاكم الاسلامى (ملكا كان أو رئيسا) وانما يتمذلك بتعيين جنود مسلحين منظمين تحت قيادة قائد صالح مخلص لتأدية هذا الواجب .

وقد قرر الاسلام فضائل كثيرة لخدمة الحدود (أو الرباط) وللجندىالمرابط ولقائد المرابطين ، على ما يستنبط من الاحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فمنها ما رواه الامامان البخارى ومسلم عن سهل ابن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

أقول : وفى هذا الحديث تعبير عظيم عن فضل الرباط ، ومقام المرابط (جنـديا كان أو قائدا) لا يعلم مداه الا الله ورسوله .

(ومنها) مـــا رواه الامام مسلم عن سلمان الفارسى رضى الله عنه انه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وان مات جرى عليــه عمله الذى كان يعمله ، واجرى عليه رزقه وأمن الفتان** » .

أقول : قوله عليه الصلاة والسلام « من صيام شهر وقيامه » يعنى فى غير شهر رمضان .

وقوله «وان مات» فى الرباط « جرى عليه عمله الذى كان يعمله» وهو المرابطة، فانه لا ينقطع عمله

هذا بعد موته ، ولهذا «جرى عليه رزقه » أى يصل اليه ثواب هذا العمل بصورة أبدية فى الجنة .

وقوله عليه الصلاة والسلام «وأمن الفتان» قال بعض شراح الحديث « الفتان » بفتح الفاء فعال من الفتنة والمراد فتنة القبر من قبل ملك العذاب . انتهى اختصارا .

(ومنها) ما رواه الامام الترمذى وأبو داود عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **كل ميت يختم على عمله** » **أى بعد موته حيث ينقطع عنه عمله** . « **الا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة**» حيث يصل اليه ثواب عمله ذلك فى الجنة .

اقول : ويؤيد هذا الحديث حديث سلمان الفارسى، هذا وقد روى هذا الحديث الامام الدارمى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه .

ومنها) ، ما رواه الامام الترمذى والنسائى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل** » .

اقول : قال بعض شراح الحديث فى شرح « فيما سواه من المنازل » وخص منها المجاهدة فى المعركة ، يعنى أن المجاهدة فى ساحة القتال خير من الرباط ، وقال بعضهم : ان الحديث خاص فى حق من فرض عليه المرابطة فى الحدود بنصب من قبل الامام » (الملك أو الرئيس » وهو قائد جنود الرباط . والله أعلم .

(ومنها) ما رواه الامام الترمذى عن عبد الله بن عباس رضى الله الله عنهما انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عينان لا تمسسهما النار** » **يعنى نار جهنم** « **عين بكت من خشية الله** » **خوفا من عذابه تعالى على ذنوبه** : « **وعين باتت تحرس فى سبيل الله** » .

اقول : وقوله عليه الصلاة والسلام « تحرس » يعم الحراسة فى الحدود وهو الرباط ، والحراسة فى نوبة الجنود .

(ومنها) ، ما رواه الامام البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عائذ رضى الله عنه انه قال :

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل ، فلما وضع ، قال عمر بن الخطاب «لا تصل عليه يا رسول الله فانه رجل فاجر ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس فقال : هل رآه أحد منكم على عمل الاسلام ؟ فقال رجل نعم يا رسول الله حرس ليلة فى سبيل الله ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا عليه التراب وقال « **اصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة: ثم قال : يا عمر انك لا تسأل عن أعمال الناس ، ولكن تسأل عن الفطرة** » .

اقول : وهذا الحديث رواه صاحب مشكاة المصابيح فى الصفحة ٣٣٦ من كتابه الجامع للاحاديث ويفهم من الحديث أن قول عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تصل عليه يا رسول الله فانه رجل فاجر » كان من غيرته المعروفة منه ، بناء على ما كان عليه من العلم من اعمال ذلك الميت كما يدل عليه قوله « فانه رجل فاجر» أما التفات الرسول صلى الله عليه وسلم الى الناس قائلا « هل رآه احد منكم على عمل الاسلام ؟ » فانما كان ناشئا عما وصفه الله به من الصفات النبوية بقوله « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » الاية ١٢٨ — التوبة .

نعم : ان ذلك الالتفات والسؤال كان بسبب ان عنت أمته صلى الله عليه وسلم عزيز اى شاق عليه لانه يؤدى بصاحبه الى الوقوع فى العذاب ، وأنه حريص على ايمانهم وصلاح حالهم وحسن مآلهم ، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم .

ولهذا فانه صلى الله عليه وسلم تقبل شهادة رجل واحد من أصحابه فصلى على ذلك الميت كما حثا عليه التراب بيده الشريفة . ثم تفضل مزيد التفضل الى أن قال «وأنا اشهد انك من أهل الجنة » مما يثبت أن جزاء الرباط ولو كان حراسة ليلة انما هو الدخول فى الجنة . وقد أفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « **يا عمر انك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة** » بأن الاعتبار فى مسئلة الصلاة على الميت انما هو بالفطرة ، وهو كونه فى دين الله القيم ، وبهذا نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه عمر بن الخطاب نصحا أعلن به للناس سماحة ملته وشريعته التى تبتنى على التيسير والتبشير ، كما قال صلى الله عليه وسلم :

« يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » (والحمد لله على ذلك) ولانه صلى الله عليه وسلم قال « انى لم أبعث معنتا ولا متعنتا وانما بعثت معلما ميسرا » .

للبحث صلة

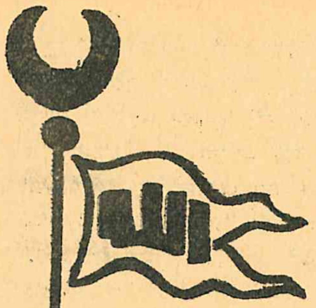

فضل الجهاد

الدكتور
عبدالله محمود شحاتة

المجاهد فى أشرف عمل وفى أعظم رسالة ، انها رسالة تحمل شرف أمته ونصر دين الله واحقاق الحق ودفع الظلم ، وتمكين المظلومين من حقوقهم ، والمجاهد فى تجارة رابحة رأس مالها الايمان بالله والجهاد فى سبيله ، وثمرة هذه التجارة مغفرة الذنوب ودخول الجنة يتمتع فيها بالحور العين والمساكن الطيبة ورضوان الله العلى الكبير ، وهناك جزاء عاجل فى الدنيا وهو النصر والفتح والبشرى للمجاهدين ٠

قال تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) الصف ــ ١٠ ــ ١٣ ٠

١ ــ دخول المجاهدين الجنة

نطقت آيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم بأن الله أعد للمجاهدين الجنة وجعل لهم فيها نعيما كبيرا وخيرا عظيما ، بل نص الله على ذلك فى كتبه السماوية وهى التوراة والانجيل والقرآن والتزم الوفاء بهذا العهد الذى جعله عقدا مؤكدا بين الله وبين المؤمنين يشترى منهم أنفسهم وأموالهم ويعوضهم جنة عرضها السموات والارض ، وأمرهم أن يستبشروا بهذه الصفقة الرابحة ٠

قال تعالى : **(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) التوبة ــ ١١١ ٠**

فليتأمل المتعاقد مع ربه جلال هذا البيع وعظمته ، فان الله عز وجل هو المشترى والثمن جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك ٠ والذى جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه ، وان سلعة هذا شأنها لقد هيأت لامر عظيم وخطب جسيم ٠

قــد هيئوك لامــر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فالله هو الذى خلق النفس وهو الذى رزق المال والحياة ثم اشتراهما منا وعوضنا عنهما أفضل عوض وأغلى جزاء قال أحد الصحابة : « **أنفس هو خالقها وأموال هو رازقها يطلبها ثم يعدنا عليها الجنة أن هذا لشىء عظيم** » ٠

المجاهد فى أعلى درجات الجنة

ورد فى صحيح مسلم متصلا عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا وجبت له الجنة** ، فعجب لها أبو سعيد ، فقال أعدها على يا رسول الله ففعل ٠ **ثم قال وأخرى**

يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله . الجهاد فى سبيل الله . الجهاد فى سبيل الله » .

٢ ـ الجهاد أفضل أنواع العبادة

ورد فى صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل فعلا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج ، وقال آخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال آخر الجهاد فى سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لاستفتيه فيما اختلفتم فيه . فأنزل الله عز وجل : (**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم**) . التوبة

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده . قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال ومن يستطيع ذلك .

٣ ـ المجاهد لا ينال الا احدى الحسنيين

فهو ان مات دخل الجنة .. وان عاش فله الاجر والغنيمة أو له عظيم الثواب ان لم يحصل على غنيمة .

وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة .

والذى نفس محمد بيده ما من كلم ـ جرح ـ يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم : لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ، ولوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » . رواه البخارى ومسلم واحمد والنسائى .

٤ ـ الجهاد أفضل من التفرغ للعبادة ، والانقطاع عن الناس فلا رهبانية فى الاسلام ورهبانية المسلمين هى الجهاد

روى الترمذى وحسنه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته فقال لو اعتزلت الناس فاقمت فى هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله ، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مقام الرجل فى الصف فى سبيل الله أفضل عند الله من عبادة الرجل ستين سنة . رواه الحاكم ـ وقال على شرط البخارى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رجل أين انا يا رسول الله ان قتلت . قال : فى الجنة . فألقى ثمرات كن فى يده ثم قاتل حتى قتل . رواه مسلم .

٥ ـ الجهاد فى سبيل الله أمان من نار جهنم وبراءة من عذابها

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما أغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع على** عبد غبار فى سبيل الله ودخان جهنم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله** » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال صلى الله عليه وسلم : « حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله أو عين فقئت فى سبيل الله » .

رواه الحاكم فى المستدرك والطبرانى فى الكبير .

٦ ـ تكريم الله للمجاهدين

كرم الله المجاهدين بل كرم أسرهم فأمرنا برعايتهم لان المجاهد مشغول عن أسرته بالدفاع عن الوطن . قال صلى الله عليه وسلم) : « **من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله فى أهله بخير فقد غزا** » . **رواه البخارى ومسلم واحمد**

وقال صلى الله عليه وسلم : « حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم . وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله فيخونه فيهم الا وقف له يوم القيامه فقيل له هذا قد خلفك فى أهلك بسوء فخذ من حسناته ما شئت فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم ؟ ما أرى يدع من حسناته شيئا » .

رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : جىء بأبى الى النبى صلى الله عليه وسلم قد مثل به فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قوم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « **ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها** » . متفق عليه .

٧ ـ القرآن يمدح المجاهدين

حث القرآن على الجهاد وبين فضله وثوابه وحذر من القعود والتخلف عنه ، قال تعالى :

[**لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم** وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا **وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما**] النساء ٩٥ ـ ٩٦ .

وتوعد الله من ترك الجهاد بالعذاب والنكال فقال سبحانه :

(**يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير**) . التوبة ٣٨ـ٣٩ .

وقال سبحانه : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** (التوبة ٤١ .

وتنزلت آيات من القرآن تحيى المجاهدين وتمجد اعمالهم .

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال غاب عمى انس بن النضر رضى الله عنه عن قتال بدر ، فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال :اللهم انى اعتذر اليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى أصحابه ـ وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع . قال انس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه ، قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانه قال انس كنا نرى ـ أونظن ـ أن هذه الاية نزلت فيه وفى أشباهه (**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**) الاحزاب ٢٣ .

٨ ـ آداب الجهاد

من آداب الجهاد الصبر على المكاره وضبط النفس . قال صلى الله عليه وسلم : « **لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتم فاصبروا** » ، متفق عليه .

ومن واجب المقاتل بذل الجهد ومعرفة العدو الذى يقاتله ، ولا بأس بأن يضلل العدو بالكمين وبخلف الوعد وبالهجوم فى أوقات لا يتوقعها وبالمباغتة وبالانسحاب للالتفاف حول العدو وبغير ذلك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحرب خدعة » متفق عليه . ومن آداب الحرب اخلاص النية والرغبة فى مرضاة الله واخلاص العمل والجهاد لوجه الله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله** » متفق عليه .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : « ياعبد الله بن عمر ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا يا عبد الله بن عمر وعلى أى حال قاتلت او قتلت بعثك الله على تيك الحال » ، رواه الحاكم وأبو داوود .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : « ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم فيه وهم بالمدينة حبسهم العذر » رواه البخارى واحمد وأبو داود وابن ماجة .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« **ان من الناس ناسا يقاتلون رياء ومن الناس ناس يقاتلون اذا رهبهم القتال فلم يجدوا غيره ومن الناس من يقاتل ابتغاء وجه الله فأولئك هم الشهداء وان كل نفس تبعث على ما تموت عليه** » ، رواه عبد الرازق فى السنن .

وعن مسروق قال : ان الشهداء ذكروا عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقوم : ما ترون الشهداء قال القوم : يا أمير المؤمنين هم من يقتل فى هذه المغازى . فقال عند ذلك ان شهداءكم اذا لكثير انى أخبركم عن ذلك ان الشجاعة والجبن غرائز فى الناس يضعه الله حيث يشاء فالشجاع يقاتل من وراء من لا يبالى أن يؤوب الى أهله . والجبان فار عن حليلته ولكن الشهيد من احتسب بنفسه والمهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

ان اخلاص النية فى الجهاد من اهم عوامل النصر ، بل هى التى جعلت المسلمين الاولين يستهينون بكل مرتخص وغال فى سبيل الله :

« بعث النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من القراء يعلمون الناس القرآن والسنة فقتلوا فى الطريق قبل ان يصلوا الى المكان الذى يقصدونه فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا انا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا .

وطعن حرام أحد القراء برمح من خلفه فنفذ الى صدره فقال فزت ورب الكعبة » . رواه البخارى ومسلم .

بهذه الروح التى تلقى الموت وهى تستبشر بالفوز وتفرح بالشهادة ، نجح المؤمنون فى رسالتهم وجاءهم نصر الله والفتح المبين .

وحدة الجبهة الداخلية

الدكتور علي حسني الخربوطلي

الامة هى جماعة من البشر ، يعيشون معا على رقعة من الارض هى الوطن ، ويشتركون فى قومية واحدة ، ويرتبطون بروابط لغوية وتاريخية مشتركة ، ويتفقون فى وحدة الهدف والمصير ، وكثيرا ما تتعرض كل أمة لاخطار خارجية تهدد سلامتها ، ولاطماع عدوانية تحاول الاعتداء على أراضيها ، مما يجعل من واجب هذه الامة الدفاع عن كيانها ، والذود عن قوميتها ، وحماية أراضيها ، ورد العدوان ، ضمانا لبقائها ونمائها ورخائها ، ولاستمرارها فى الحياة الكريمة ، وفى المشاركة مع الاسرة البشرية جمعاء ، فى الموكب الانسانى العالمى الكبير ٠

وهذا كله لا يتحقق الا بالوحدة الاجتماعية ، وبسلامة الجبهة الداخلية ، وبتكاتف أبناء الامة ، وبالاعتصام بحبل الله ، حتى يكونوا جميعا يدا واحدة أمام كل طامع أو عدو خارجى ، فالبناء القوى يصمد أمام كل معول يحاول أن يوجه اليه ضرباته ، ويد الله مع الجماعة المتحدة المتعاونة المتكاتفة ٠

وتاريخنا الاسلامى حافل بالدروس الماضية ، والعظات السالفة ٠ ولم ينتصر أجدادنا العرب المسلمون على أعدائهم ، ولم يستمروا فى انطلاقاتهم السياسية والعسكرية والحضارية ، الا حينما كانت الجبهة الداخلية يدا واحدة ، وصفا متكاتفا ، تدفعهم مشاعرهم القومية ، وحوافزهم للبقاء ، الى طريق النصر ٠

وهذه هى صورة مجيدة ، من السيرة النبوية العطرة : فقد كان أول عمل يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، هو تحقيق وحدة الجبهة الداخلية الاسلامية ، لتقف المدينة المنورة صفا واحدا أمام غزو قريش وحلفائها ٠ فوثق الرسول عليه الصلاة والسلام الصلات بين مسلمى كل من الاوس والخزرج ، فتركوا عداءهم الجاهلى التقليدى القديم ، وأصبحوا جميعا ، عن ايمان عميق ، أنصارا للرسول ، واخوة فى الاسلام ٠ ثم كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، الذين أصبح يجمعهم وطن واحد ، وهدف اسلامى مشترك ، كما ارتبطوا بمصير واحد ٠ وظهرت نتائج هذا الاتحاد الدينى والوطنى واضحا بعد عام واحد ٠ وفى غزوة بدر ، فقد انتصرت الفئة المؤمنة المتحدة ، رغم قلة عددها ، على الفئة الكبيرة الباغية المشركة ٠

وسار الاتحاد والنصر فى طريق واحد ، وانتشر الاسلام ، وأصبحت الدولة الاسلامية تضم كل أرجاء الجزيرة العربية ٠ ثم كانت وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فظهرت حركة الردة ، وهى حركة انفصالية اقليمية تحطم الوحدة الدينية والسياسية والاجتماعية ، وتفتت الجبهة الداخلية التى قامت

ونمت واستمرت طوال عهد الرسول عليه الصلاة والسلام • وكان الرسول الكريم فى أواخر عهده قد وجه حملة أسامة بن زيد لتكون طليعة الفتوحات الاسلامية • ورأى الخليفة الراشد الاول أبو بكر الصديق ارجاء الاستمرار فى سياسة الفتوحات الخارجية حتى يعيد وحدة الجبهة الداخلية • وخرجت الجيوش الاسلامية من العاصمة المدينة لتعيد وحدة الامة الاسلامية، ولتحافظ على سلامة المجتمع، فالدولة الاسلامية قامت على أسس الاسلام، ودستورها هو القرآن الكريم، وكان ارتداد هؤلاء العرب عن الاسلام هو عصيان مدنى، وخروج على الوحدة فى صورها المختلفة، واحياء للجيوب القبلية والاقليمية القديمة •

وانتصرت الجيوش الاسلامية، وعادت الجبهة الداخلية، كما كانت، وحدة واحدة، مما أمكن أبا بكر الصديق من مواصلة الفتوحات الاسلامية، فكان تكوين الامبراطورية الاسلامية التى امتدت فى عهود الخلفاء الراشدين والامويين، من الصين شرقا، الى المحيط الاطلسى غربا • ولولا وحدة الجبهة الداخلية، لما أمكن جيوش المسلمين مواجهة جحافل الفرس والرومان •

ثم طرق أبواب العالم الاسلامى دخلاء أجانب، وطامعون أوربيون، قدموا الى الشرق العربى، تحت ستار ما سموه بالحملات الصليبية، يريدون اقتطاع بعض الاراضى العربية، منتهزين فرصة تمزق وحدة العالم الاسلامى، فقد كانت هناك الدولة العباسية التى أصابتها الشيخوخة، وسيطرت عليها العناصر الاجنبية، والمغامرون من بويهيين وسلاجقة واستقلت عنها أطرافها الشرقية وكونت دويلات صغيرة مستقلة متنازعة • وكانت هناك، فى مصر والشام، الدولة الفاطمية التى تلفظ أنفاسها الاخيرة، فلم تحافظ على وحدتها الداخلية، الى جانب صراع الدولتين، العباسية والفاطمية، نتيجة الصراع المذهبى والسياسى • وانتهز الاوروبيون هذه الفرص المواتية ونجحوا فى اقتطاع أجزاء كبيرة فى بلاد الشام كونوا عليها أربع أمارات صليبية •

ولم ينجح صلاح الدين الايوبى فى هزيمة هؤلاء المعتدين من الصليبيين فى موقعة حطين التاريخية الا بعد أن وقف أبناء مصر والشام صفا واحدا: فى ظل الدولة الايوبية القوية الناهضة • حتى اذا اختفت هذه الوحدة الداخلية، التى شهدها عهد صلاح الدين، فى أواخر العصر الايوبى، عادت أطماع الصليبيين مرة أخرى، بل هدد الصليبيون الاراضى المصرية • حتى كان عهد المماليك فى مصر والشام، الذين أعادوا للشرق العربى وحدته، فنجحوا فى اجلاء الصليبيين نهائيا، وانطوت صفحة من أخطر صفحات العدوان الاوروبى فى العالم الاسلامى •

كما تقدمت جحافل المغول من وسط آسيا تكتسح أراضى العالم الاسلامى، منتهزة فرصة تفتت وحدة الجبهة الاسلامية الداخلية، ونجح المغول فى القضاء على الدولة العباسية وقتل آخر الخلفاء العباسيين فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)، وأتت النيران على تلك العاصمة الاسلامية، وعلى التراث العربى ومعالم الحضارة العباسية الزاهرة • واستمر القائد المغولى هولاكو فى زحفه العدوانى فى الاراضى العربية، فاكتسح بلاد الشام حتى وصل الى سهل بيسان فى فلسطين قرب غزة •

وكان المماليك يحكمون مصر حينئذ، واعتاد الامراء المماليك الصراع بينهم حول السلطة والنفوذ، مما أضعف الجبهة الداخلية فى مصر والشام • ولكن هؤلاء الامراء سرعان ما أدركوا خطورة الفرقة كمصير العراق والشام، اذا لم يواجهوا الغزو المغولى • وأدرك المصريون واجبهم الحتمى فى المحافظة على الاسلام وحضارته وتراثه، ولذا تناسى المماليك خلافاتهم، والتف المصريون حولهم، واعلنوا انهم سيبذلون الحياة والمال فى سبيل وطنهم وسلامة أراضيهم • ووقف الجميع صفا واحدا فى موقعة عين جالوت، ونجحوا فى وقف الغزو المغولى، وسرعان ما بدأت حرب التحرير، ونجح المماليك والمصريون فى تحرير الشام وتطهيره من كل آثار المغول •

واذا كانت هذه الصورة الباهرة توضح أثر وحدة الجبهة الداخلية فى تحقيق النصر، فهناك صورة أخرى عكسية، تبين أثر الانقسام والخصام فى تحقيق الهزيمة • فقد مات امبراطور المغول قبيل موقعة عين جالوت، وعاد القائد هولاكو الى العاصمة المغولية ليخوض الصراع القائم هناك حول الحكم والسلطة، مما أضعف الجبهة الداخلية فى امبراطورية المغول، فكانت الهزيمة الساحقة للجيش المغولى فى عين جالوت، ثم تراجعه عن بلاد الشام •

هذا، والعالم العربى اذ يواجه الان عدوانا صهيونيا غادرا، ترتب عليه اغتصاب لبعض الاراضى العربية، فان السبيل الاول للنصر، ولرد العدوان، ولاستعادة الاراضى المغتصبة، هو وحدة الجبهة الداخلية فى العالم العربى كله، ووقوف المئة مليون عربى صفا واحدا أمام اسرائيل العدو المشترك لقد ارتبط الانتصار عبر العصور التاريخية بالاتحاد، والتاريخ يمكن ان يعيد نفسه، والنصر يمكن ان يكون حليفنا كما كان حليفا للاباء والاجداد، اذا أعدنا الى جبهتنا الداخلية العربية وحدتها وتضامنها، ويد الله دائما مع الجماعة، والله عز وجل ولى النصر والفوز •

بطولة وفداء..

الأستاذ محمود السعيد الطنطاوى

البطولة هى الصمود والتضحية وعدم اليأس مهما طالت المعارك وكثر سقوط الشهداء .

والفداء هو البذل والجود بالنفس والمال وبكل غال وعزيز · اعزازا للحق ونصرة للوطن ومحافظة على كرامة الانسان ،وما كانت البطولة فى انسان الا وكان الفداء قرينا لها ·

وحين تنجح قوى الشر والظلم وتضطهد مجتمعا من المجتمعات فعلى أبنائه أن يهبوا دفاعا عنه وأن يقدموا حياتهم وأموالهم فداء لمواطنهم .

والله تبارك وتعالى · أذن لاهل الحق أن يدفعوا أهل الباطل · وشرع الاهل الاصلاح ان يحاربوا أهل الفساد · حتى لا يتغلب أهل البغى والشر فى الارض ويكون لهم السلطان فتفسد الحياة بفسادهم ·

والله عز وجل يقول فى قرآنه الكريم « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين** » آية ٢٥١ سورة البقرة ·

وقال تعالى « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز** » آية ٤٠ سورة الحج ·

وفى تاريخ المسلمين الاوائل الذين كانت بطولتهم فى سبيل اعلان الحق وكانت فدائيتهم فى سبيل نصرة الدين ومحاربة لاهل الكفر ودفاعا عن الاسلام والمسلمين ·

فى تاريخهم عظات وعبر تخلق فى شباب الاسلام فى هذه الظروف أسمى معانى البطولة والفداء ولقد أثبت التاريخ أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم · كان بطل الابطال وقائد الفدائيين · وأعظم الشجعان ثباتا فى ميادين القتال حين تشتد نار الحرب ويحمى وطيس المعركة ·

يقول الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه · كنا اذا احمرت الحدق واشتدت الحرب اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم · فما كان أحد أقرب الى العدو منه – ويقول أنس رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وسلم · أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس ولقد فزع أهل المدينة مرة فخرج الناس قبل الصوت فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد سبقهم فاستنبأ الفزع على فرس عرى لابى طلحة ما عليه سرج · فى عنقه السيف · فقال لم تراعوا ·

وكان لهذه البطولة النبوية والشجاعة النادرة والفداء الحق ، المثل الاعلى والاثر الطيب فى نفوس أصحابه ،فاندفعوا يناضلون ويجاهدون ويظهرون من روائع البطولة الحقة والفداء الصادق ما أصبح مضرب الامثال فى كل زمان ومكان ·

لقد حاربوا الكفار من عرب وفرس وروم ويهود · وأجلوا يهود المدينة · ونزل فريق من اليهود بخيبر · وكان على رأس هذا الفريق رجل يهودى من الاثرياء الذين جمعوا أموالهم بالباطل · هو – أبو رافع سلام ابن الحقيق – وكان هذا الرجل يكره النبى صلى الله عليه وسلم · لانه جاء يدعو الى الاسلام الذى يأمر الناس بالعدل والمساواة والانصاف والتعاون والطهر والعفاف ، وكان هذا اليهودى فاسقا · فجعل يؤلب الناس على الرسول صلى الله عليه وسلم · ويستعمل أمواله لينشر الاضطراب والفوضى فى المدينة، فندب النبى صلى الله عليه وسلم خمسة من الابطال الفدائيين · وعلى رأسهم – عبد الله بن عتيك .

وخرجوا الى خيبر . تدفعهم قوة الايمان والبطولة والتضحية فى سبيل الله ورسوله • مصممين على اقتحام الحصن الذى يقيم فيه – ابو رافع اليهودى – رأس الفتنة • وكل نفوسهم مملوءة ايمانا بأن الله ناصرهم ومؤيدهم وحاميهم لانهم جاءوا ليقتلوا رأس الالحاد والكفر والفساد ، وانطلق عبد الله بن عتيك • متسللا الى الحصن • ووقف رفاقه ليراقبوا الطريق واستطاع أن يعمل حيلته حتى دخل الحصن خفية دون أن يشعر به الحراس . واخذ مفاتيح الحصن من الحارس وهو نائم • وفتح الابواب • ونادى على أبى رافع • فقال أبو رافع • ما هذا الصوت • فقلد عبد الله بن عتيك • صوت الحارس قائلا . ما هذا الصوت الذى نسمعه يا أبا رافع • فصاح به • أبو رافع اليهودى • غاضبا متوعدا • أين أنت أيها الحارس ورجل فى بيتى ، فأهوى بسيفه على أبى رافع فقتله • وقفز خارج الحصن • فانكسرت احدى رجليه • فعصبها بعمامته حتى وصل الى أصحابه واخبرهم نبأ قتل اليهودى ، ثم ذهبوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وبشروه بموت عدو الله ورسوله فاشرق وجه النبى عليه الصلاة والسلام . وقال لعبد الله بن عتيك • ابسط رجلك ، فمسحها عليه السلام بيده الكريمة ، يقول عبد الله بن عتيك ، فكأنها والله لم تصب طول حياتها بسوء ولهى والله أقوى رجلى •

كان اليهود اكثر الناس كرها للاسلام ولنبى الاسلام وللمسلمين • وأعماهم ضلالهم وكفرهم بالله عن الاستماع لداعى الحق فاندفعوا فى غيهم يكيدون للنبى عليه السلام ويبثون نار الفتنة والفرقة ويشيعون الكراهية بين الناس للاسلام وللرسول وللمسلمين • مستعملين جميع الاساليب •

كان كعب بن الاشرف اليهودى • يهجو النبى عليه الصلاة والسلام محرضا قريشا على النبى • وصبر عليه الرسول كثيرا ولكنه تمادى فى هجائه وأمعن فى تحريض قريش على الرسول عليه الصلاة والسلام. فقال النبى عليه السلام . فى وسط أصحابه • من لكعب بن الاشرف • فانه قد آذى الله ورسوله ، فقال محمد بن مسلمة الانصارى • يا رسول الله أتحب أن أقتله • فقال النبى نعم • فقال فأذن لى أن أقول شيئا أتقرب به الى كعب – يعنى أنه يريد أن يتظاهر بالطعن فى الاسلام والنبى حتى يتقرب بذلك الى كعب بن الاشرف • ويأمن له فيستطيع بذلك أن يؤدى مهمته – فأذن له النبى صلى الله عليه وسلم • لان الحرب خدعة فأتاه هو ونفر من الانصار فيهم • أبو نائلة • أخو كعب من الرضاع . فقال يا كعب ان هذا الرجل يعنى النبى – قد سألنا صدقة وانه قد عنانا – أى كلفنا ما لا نطيق . وانى قد أتيتك استسلفك ، قال كعب. وايضا والله لتلعنه ، قال محمد بن مسلمة :

انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شىء يصير شأنه • وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين من تمر • قال • كعب نعم ارهنونى • فقالوا أى شىء تريد • قال ارهنونى نساءكم • قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت اجمل العرب • قال ارهنونى أبناءكم • قالوا كيف نرهنك ابناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا • نرهنك السلاح • فقبل • وواعده ليلا • فجاء محمد بن مسلمة ليلا هو وأصحابه فدعوه وهو فى حصنه • فقالت أمرأته أين تخرج هذه الساعة • فقال انما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة ، فقال محمد بن مسلمة لاصحابه اذا ماجاء فاننى آخذ بشعره اشمه فاذا رأيتمونى استمكنت منه فدونكم فأضربوه • فنزل اليهم وهو ينفح منه ريح الطيب • فقال ابن مسلمة • ما رأيت اليوم ريحا اطيب • فقال كعب عندى أعطر نساء العرب • قال له أتأذن لى أن أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه وذهب يفعل ثانية فأخذه وقال دونكم فأضربوه • فضربوه بأسيافهم فقتلوه ، وفى مجال البطولة والفداء من أجل اعلاء كلمة الله ونصرة الحق رجال كثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فصدقهم الله ورزقهم الشهادة فى سبيله وأثابهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا •

أخرج النسائى برواية شداد بن عبد الهادى ان رجلا من الاعراب جاء فآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم • ثم قال للنبى صلى الله عليه وسلم أهاجر معك فأوصى به النبى صلى الله عليه وسلم ، بعض أصحابه ثم غزا النبى صلى الله عليه وسلم • الكفار وغنم منهم أموالا فقسمها بين المسلمين فأبى الرجل ان يأخذ سهمه • وقال للنبى ما على هذا اتبعك ولكنى اتبعتك على أن أرمى الى هنا وأشار بيده الى حلقه • بسهم فأموت فأدخل الجنة • قال النبى له ان تصدق الله يصدقك • فلبثوا قليلا ثم نهضوا فى قتال العدو • فأتى به الى النبى على الصلاة والسلام محمولا قد أصابه سهم فى حلقه حيث أشار فقال النبى صلى الله عليه وسلم . أهوهو • قالوا نعم • قال صدق الله فصدقه ثم كفن فى جبة النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ودعى له النبى عليه السلام – اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا وانا على ذلك شهيد – والبطولة والفداء هما العلاج الناجح الذى يحمى الدين والوطن ولله در الشاعر فى البطولة •

خلق الاقوياء
من رجال البطولة
حيلة الاذكياء
وسياج الفضيلة
فاجعلوها السبيل
لحياة البلاد
هى نعم الدليل
لبلوغ المراد
وهى نعم الدواء
وهى سر النجاح
عند أهل الهمم
وشفاء الجراح
فى قلوب الامم
فأسرعوا للشفاء

.. وآمنهم من خوف

صدق الله العظيم

شركة الشرق للتأمين

إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للتأمين

المركز الرئيسي: ١٥ شارع قصر النيل بالقاهرة

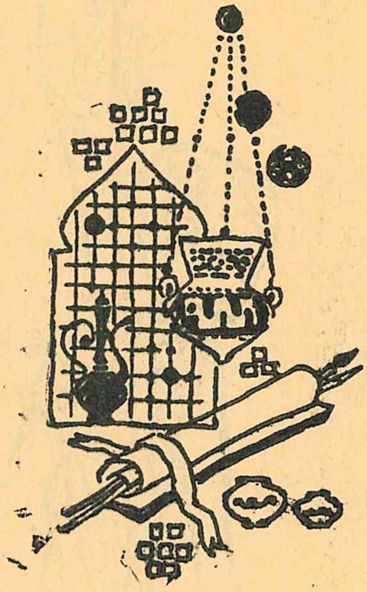

فكر وفن

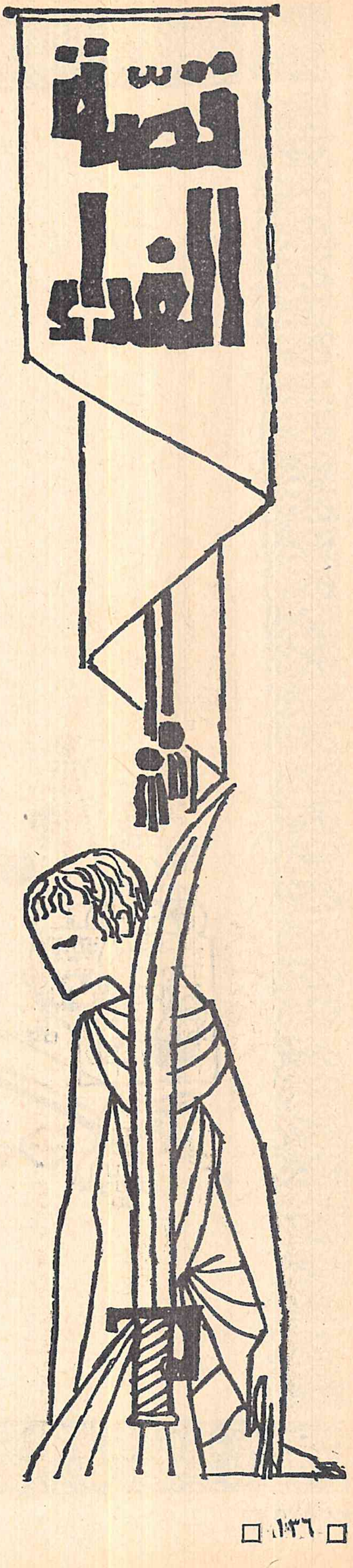

« كان سيدنا ابراهيم الخليل يزور زوجته هاجر وابنه اسماعيل .. وبينما هو مستغرق فى نومه رأى أنه يمسك بسكين ويذبح ابنه اسماعيل .. ولما كان وهو نبى الله – يعلم أن رؤيا الانبياء جزء من الوحى فقد صحا مفزوعا ، وأخذ يحدث نفسه » :

ابراهيم : رباه هل هذا امتحان النفس فى ايمانها ؟
أو تلك رؤيا منك أم للنفس من شيطانها ؟
ماذا أقول « لهاجر » والطفل نور جنانها !
هو نبع فرحتها وسر حنينها وحنانها !
أواه لو علمت لشب الحزن ملء كيانها

« هاجر تسمع همهمة ابراهيم الخليل فتسأله فى لهفة » :

هاجر : ماذا أصابك يا نبى الله من حزن عميق ؟
انى أحس كأن قلبك فى هموم لا يفيق
وقد اختفى من وجهك الاشراق واحتجب البريق

ابراهيم : لا تقلقى يا زوجتى ودعى التوجس والحذر
وتيقنى أنى ككل الناس أخضع للقدر
والهم قسط فى الحياة مقسم بين البشر

هاجر : اشتم من هذا الحديث باية تخفى على !
قلها بربك يا أحب الناس فى الدنيا الى

ابراهيم : بربك لا تلحى فى سؤالى
فانى راحل عند الصباح
ولا تتصورى انى حزين
فما بى من هموم أو جراح
وسوف يكون « اسماعيل » نجلى
رفيقى فى الغدو وفى الرواح

هاجر (فى فزع): أاسماعيل تأخذه .. تمهل
فكيف أعيش فى الصحراء وحدى
ومن فى الليل يؤنسنى .. سأبقى
لبعد الطفل فى هم وسهد

ابراهم : سيحميك الاله ، ولن تصابى
بسوء يا أعز الناس عندى

« هاجر تنادى اسماعيل فيدخل .. وتقول له » :

هاجر : بنى سنرحل فجر الغد
الى حيث شاء أبوك العظيم
بنى أطع أمره وامتثل
وكن فى طباعك مثل النسيم

اسماعيل : فديتك يا أكرم الامهات
وأفضل سيدة فى النساء
أتوصيننى بأبى .. اننى
أقدس فيه سنا الانبياء
وطاعته واجب كالصلاة
وروحى فداء له أين شاء

« اسماعيل يلتفت لأبيه » :

سنرحل فجر غد يا أبى
تباركنا رحمات السماء

« عندما يطلع الفجر يركب ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل راحلتين ويسيران فى اتجاه الشام » .

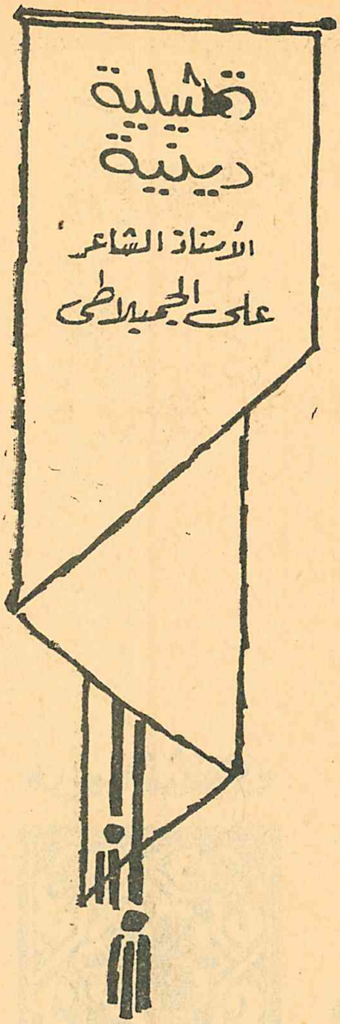

اسماعيل : أبى أين وجهتنا فى الرحيل
وماذا تريد من الرحلة ؟
أتخفى فى نفسك شيئا خطيرا
أحس كأنك فى محنة

ابراهيم : أجل .. انها محنة يا بنى
تسيل لهيبا على مهجتى
فواحيرتى بين أمر السماء
وبين حياتك . . واحيرتى

اسماعيل : فديتك يا أول المسلمين
ويا واضعا أسس الكعبة
اذا كان فيما تقول السماء
نهاية عمرى .. فيا فرحتى !

ابراهيم : بنى تجلد .. وكن مؤمنا
بحكمة ربك .. لاتفزع !
رأيتك فى الحلم فى موقف
يثير المواجع فى أضلعى !
أقوم بذبحك فاسمع لما
أقول بصبر .. ولا تجزع !

اسماعيل : اذا كان ذلك أمر السماء
فأسرع به يا أبى أسرع ! !
رضا الله أثمن شىء ينال
هلم وبارك أبى مصرعى !

« ابراهيم يمسك بالمدية ويطرح اسماعيل أرضا » :

ابراهيم : وداعا بنى ستلقى الاله
فى صوت خفيض ونفسك عن حكمه راضية
وسوف تفوز بأزهى الجنان
وتسكن فى الغرف العالية
وما بعد يومك من محنة
تظل الدموع لها جارية
ولكن قضاء وصبر جميل
وحزن على روحك الغالية

« يهم بذبحه فيسمع نداء من السماء فيتوقف عن الذبح .. » :

صوت من السماء يارب انى قد أطعتك راضيا
فى موقف منه الرضيع يشيب
حاولت ذبح ابنى كما أبصرتنى
والقلب منى فى الضلوع يذوب
ففديته يا أرحم الرحماء اذ
ألقى الملاك .. الذبح وهو قريب
يارب حمدا ألف حمد اننى
عبد لحكمك خاضع ومنيب

اسماعيل : رباه جئتك خاشعا مستسلما
أسعى الى حتفى وأنت عليم
أسلمت للسكين عنقى مؤمنا
ان المنية فى رضاك نعيم
رباه سوف أظل عبدا خاشعا
لك دائما يا حى يا قيوم

ختام

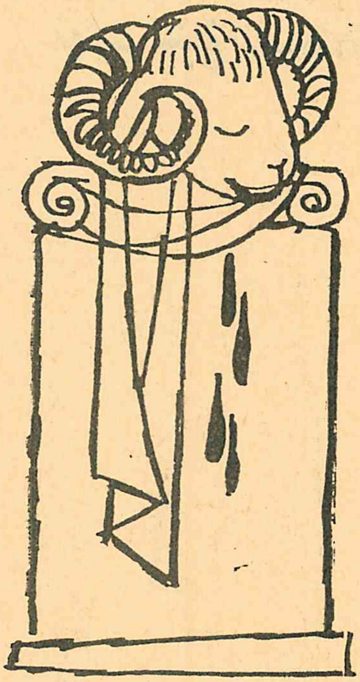

يقولَ اقبالَ :

ان الدنيا نعمة الله على خلقه ، وترك الدنيا عند المؤمن تسخيرها ، وقد كان الانبياء وأصحاب رسول الله فى حياتهم وسيرتهم ، يكسبون أرزاقهم ويعملون ولا يأكلون الا من عمل أيديهم «يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » ان نوحا عليه السلام صنع السفينة بوحى الله ، وزكريا عليه السلام كان نجارا كما فى صحيح مسلم ، وموسى الكليم كان راعيا للغنم ، وقد رعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على قراريط لاهل مكة قبل الرسالة ، وكذلك كان شأن الصحابة الكرام ، فأبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، كان كسبهم من التجارة ، وابن عوف كان زارعا ، وعمرو بن العاص كان قصابا فى بداية أمره ، وأبو عبيدة كان يبرى النبال ، وحذيفة بن اليمان كان يضرب اللبن ، وسليمان الفارسى فى ولايتـه كان يأكل من عمل يده ، فهم فى فقرهم الغيور ، رهبان الليل ، وعمال النهار ، ولو كانوا ولاة وحكاما ، وعلى سنتهم سار الائمة المجتهدون والعلماء ، ولقد كان شمس الدين البساطى امام المالكية ، وقاضى قضاتهم فى مصر يحمل شبكته لصيد السمك ليلا ، حتى اذا حانت صلاة الفجر بدل ملابسه للصلاة والقضاء .

من المثنوى

الفقر المناضل

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

فترك العمران ، وسكنى المناور والكهوف ، وتعذيب النفس ، ليس فيه تقرب الى الله عز وجل « **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** »

ليس ذلك الزهد المتسول معينا بقوله « **الفقر فخرى** » فليس ذلك الاستسلام فقرا ، بل هو الذل والمهانة ، ان الفقر الذى لايبالى بزخرف الدنيا وزينتها ويعمل على رقى الامة وحريتها هو الذى تتسامى به الحياة وتنشده الاجيال ، هو ذكرى بدر وحنين وتكبير الحسين ، واذا فمخالفة الفطرة البشرية بالانعزال ليس فقرا محمودا ، والاستسلام لحكم المستعمر لا يعد رضى عن الاقدار أو قناعة ، بل يعد ذلك هو الهروب من المسئولية والفرار من الواجب .

الحياة ليست لعنة ، بل هى نعمة الله الكبرى على كل حى ، فاقبل أيها المؤمن على متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كيف تضعف فيك الثقة بقوة الدين وتقطع طريق قافلتك بنفسك تخل عن الجمود ، وتخلص من تقاليد الدخلاء ، التى جعلت منك أسيرا لهذه المدنية ، وأنت كل يوم تفنى فى مظاهرها ، حتى تلاشت ذا تيتك ، وأصبح شخصك تكرارا لاجنبى يعيش فى ثيابك ، حتى كأنك أنت

غيرك ،عد الى الاعتراف بأنك انسان حر ،لك صفاتك ومشخصاتك ، وميزاتك فى الدين والخلق والكرامة وآن لنا أن نستمع الى اقبال فى هذه القصيدة عن فقر المؤمن .

فقرنا الحر اذا ناجى القدر

يرهب الشمس ويحتل القمر

فقرنا العارى تولاه الزوال

قد نأى المسلم عن هذا الجلال

أسفا ، لم يبق عندى سيف لا

وأرى غمدك منه قد خلا

أسفا انى أرى دنيا الفتن

زلزلت ايمانه فيها المحن

يا شباب الحق يا ذخر الشعوب

حرروا مما سوى الله القلوب

ان دنيا اليوم أبلاها القدم

فاخلقوا دنيا سواها فى الامم

أين منكم يا ذوى الماضى الكريم

غيرة الاحرار للدين القويم

طال هذا النوم عن صون حماه

ما أرى الموت سوى هذى الحياة

يدأب الحر غدوا وعشيا

ثم يبنى ذاته صرحا عليا

وجهاد المصطفى برهانه

وسجايا المصطفى ميزانه

يا لقوم أنجبوا كل أمير

فمتى يولد فى القوم فقير

لا تسل عن قصة القوم بيانا

أسكت الدمع عن الوصف اللسانا

ألم أغمد فى صدرى سهامه

هو فى قلبى كأهوال القيامة

هول هذا الحشر أعيا الواصفينا

فليدم فى الصدر مطويا دفينا

قوة الدين هى النصر القريب

غير أن القوم فى شك مريب

أين مسعاهم وهم فى العاجلة

قطعوا عمدا طريق القافلة

ليس للشيطان فينا مأرب

لا ولا للص منا مطلب

فتراث الدين قد طار شعاعا

وتراث المال قد ولى ضياعا

كم تغنى بمزايا بايزيد

ذو رياء هو للورد مزيد

فيرى فى دولة الاغيار رحمة

وكأن الذل فى دنياه نعمه

وينادى أن حكم الدخلاء

فيه للدين ازدهار وارتقاء

ايها المحروم من وجدانه

ومن الشوق ومن اشجانه

او تدرى أننا من عصرنا ؟

غرباء فيه عن انفسنا

كل حى معرض عن ذاته

فقد الجوهر من مرآته

عش ولو يوما عزيز المطلب

أجنبيا عن طريق الاجنبى

منزل الشاهين فى أوج السحاب

ماله يسكن فى وكر الغراب

لم يزل فى الروض ظل وثمرة

فالتمس عشك فى أعلى الشجرة

كن كحد السيف فى صدق المضاء

واحتسب نفسك فى كف القضاء

ان فى روحك سيلا كالعباب

ينسف الشم ويهوى بالهضاب

اندفاع السيل اثبات البقاء

وسكون السيل معناه الفناء

انا لم أسلك الى الفقه سبيلا

أتحرى الحكم فيه والدليلا

لم أكن فى الفقر ذا فهم دقيق

فى سلوك بين رواد الطريق

فكرة جاش بها القلب اضطرابا

ثم لم أملك على القول احتجاجا

كنت فى الدين حديد البصر

رغم ما بى من قصور النظر

وانجلت واحدة بين مئات

بعد لاى من مئات المشكلات

فاغتنم من فاقتى حظا يسيرا

فعسى الا ترى مثلى فقيرا

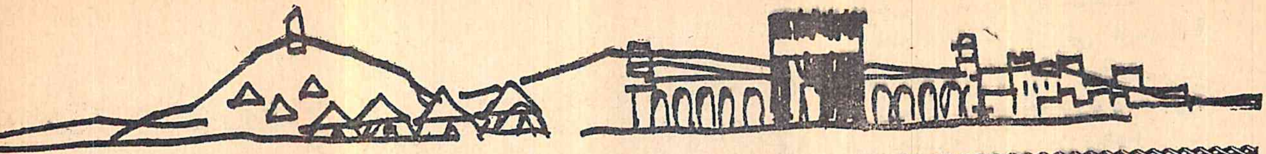

مناسك الحج

فضيلة الشيخ
محمد خليل الخطيب

الله أوجب حج كعبته ومن
يكفر فقل يا رب ما أغناكا
بيت بناه الله أول ما بنى
ومباركا وبه تمام هداكا
آياته منها المقام وآمن
من جاءه فاشكر لمن ناداكا
وأصخ اليه وتب وأد مظالما
وتحل بالاخلاص خير حلاكا
واقطع علائقك الدنيئة كلها
واملا فؤادك بالذى سواكا
ومتى تقل لبيك يا رب الورى
بجلاله وجماله لباكا
عبدى أتيت لنا وزادك طيب
فلك المنى منا وفوق مناكا
واذا أتيت الى تمشى تلقنى
أسعى اليك مهرولا ألقاكا
واذا بعثت موحدا أغفر ولو
ملئت جميع الارض من أخطاكا
صلنى أصلك وطع أثبك ودم على
ذكرى وذكر بى أدم ذكراكا
وأحبنى وأحب فى وحببن
خلقى الى وراعنى أرعاكا
خفنى وخوف بى وعاد لى العدا
وارغب الى ورضنى أرضاكا
واذكر بثوب سرت فيه لبيته
كفنا تشير به الى أخراكا
واذا بلغت البيت فاحمد خاشعا
واشكر لمن أولاك ما أولاكا
وتحية البيت الطواف فطف به
متهللا فرحا بنيل رجاكا
وأعلم بأن القصد فى طوفانه
طوفان قلبك بالذى أنشاكا
واذا استلمت يمينه فى أرضه
بايعته فاثبت على ايفاكا
عظمه بل عظم شعائره تجد
تعظيمه حيث اتجهت أتاكا

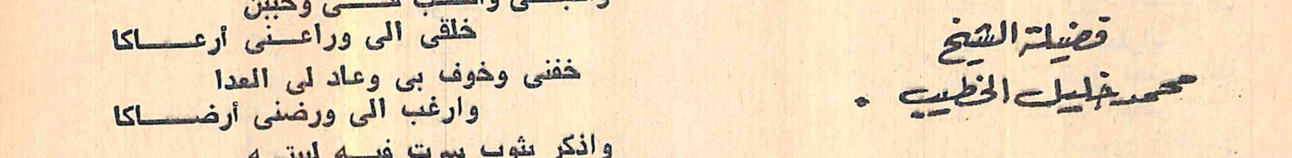

وارغب لربك فى نجاتك عنده
وعليه ألصق دون صوت فاكا

وأذب فؤادك من تذكره وما
اهناك ان ذاب الفؤاد هناكا

واشر اليه بمحجن أو غيره
ان خفت من تقبيله ايذاكا

واسجد عليه ثلاثة ومثلثا
تقبيله مستكثرا لدعاكا

وبه تجاب وعند ملتزم وز
زم مروة وصفا وفى مسعاكا

والزم بملتزم وقل متعلقا
بالستر رب استرهنا وهناكا

واذكر بسعيك بين مروة والصفا
واشكر به سقيا الاله أباكا

كاد الصدى يفنى لهاجر وابنها
فسقاهما من زمزم وسقاكا

وانو الشراب بها لما قد شئته
م الخير فى دنياك أو آخراكا

واسأل على عرفات معرفة به
فيه خليق أن يجاب مناكا

واذكر به حشر الاله عباده
ولاى ناحية تسير خطاكا

واسأله حشرا فى الذين يحبهم
ممن عرفت بهم طريق هداكا

وأتم نعمته وأكمل دينه
ولك ارتضى الاسلام سر نجاكا

وتعم مغفرة الاله عباده
ويصيح ابليس الذى أغواكا

أغويتهم حقبا وجاء بعفوه
غشاهموا يا حسرتى وهلاكا

أكرم بمؤتمر الحنيفة اذ به
سالت سيول من هنا وهناكا

فتجاوروا فتعارفوا فتشاوروا
فى أمرهم فأمد هذا ذاكا

وتعاقدوا كل التعاقد أن من
يؤذى أخاك ولو ناى آذاكا

وهم يد وبلادهم بلد ولو
كانوا كذاك لها بهم أعداكا

والصبح صل مفلسا وقفن به
مستقبلا مستحضرا مولاكا

مستمطرا رحماته لك والورى
حتى ولو كانوا ألد عداكا

واسترضه يرضى وقل متذللا
لا أبتغى الا كريم رضاكا

وأنزل منى وارم الجمار منفذا
لاوامر الجبار وارم هواكا

وارم اللعين وجنده متحصنا
بالله منه فلا يطيق اذاكا

واذكر اباك وقد رماه ودائما
اذكر بخير دعاك من ولداكا

واذبح بهديك حظ نفسك كله
واستبق حظك منه فهو بقاكا

واختره وارج قبوله متفضلا
فعسى يكون من الجحيم فداكا

والحلق والتقصير كل منهما
حل به الممنوع غير نساكا

وتمام حجك أن تطوف مودعا
للبيت تشكر من اليه دعاكا

وأسأل من الغفار فى أم القرى
ان يجعل الغفران بعض قراكا

ويحط عنك الهم الا همه
فيخف من حمل الهموم قراكا

وتضاعف الحسنات فيه فأكثرن
منها تكن عند المليك ملاكا

واذا حججت ولم تزر باب الهدى
من غير عذر كنت ما اجناكا

ان زرته فى قبره فكانما
قد زرته حيا فياطوباكا

وقل السلام عليك يا خير الورى
يا من اضاء الحالكات ضياكا

يردد عليك بنفسه ولربما
سمعت كريم خطابه أذناكا

بمحمد ندعوك تهدينا الى
ما قد هديت اليه من والاكا

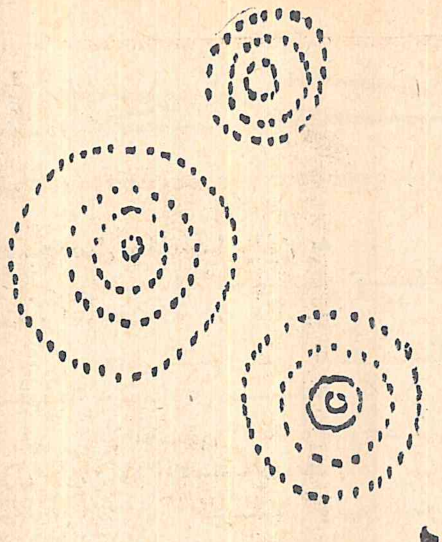

الى عرفات قد سعت الوفود

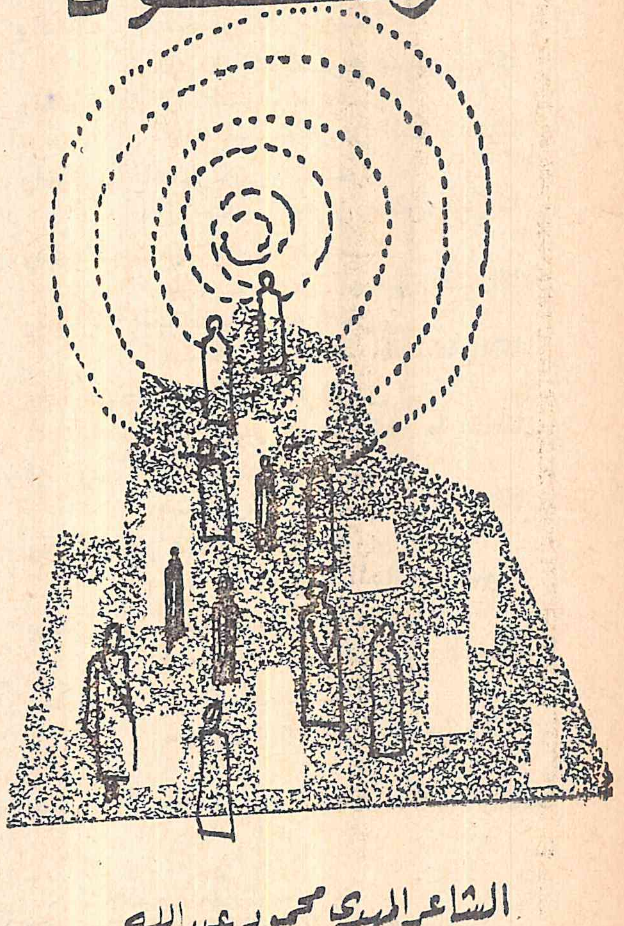

الى عرفات قد سعت الوفود
على أفواههم أحلى نشيد
أتوا فى همة من كل فج
يلبون النداء بلا وعود
يقول جميعهم لبيك ربى
وفى نبراتهم لحن الخلود
وتلبية الحجيج أجل معنى
تفيض به القلوب وما تحيد
وفى ترديدهم أسمى شعار
بتوحيد الاله كما يريد
أمام الله كلهم سواء
فلا أسياد ثم ولا مسود
توحدهم شعائر خير دين
به الرحمن قد نفح الوجود
وبالاحرام فى الحج امتثال
لامر الله طوعا فى صمود
بهم عرفات تزدان ابتهاجا
وقد حفلوا بها فى يوم عيد
جنوا فى رحبها نفحات خير
وهل يحظى بها الا السعيد
ببيت الله قد طافوا اقتداء
بخير الرسل فى أقصى جهود
سعوا والسعى عند البيت ركن
تتم به الفريضة كالسجود
وزاروا روضة الهادى ففازوا
بخير شفاعة يوم الوعيد
رسول الله روضته سلام
وجنات حوت خير الوجود
عليه الله صلى ثم أثنى
على من زاره قبل الورود
ألا حجاج بيت الله فادعوا
بنصر للعروبة والجنود
وتوحيد يضم العرب طرا
وتطهير البلاد من اليهود
فأنتم من اله العرش أدنى
وأقرب وهو أكرم من يجود
الهى فاحفظ « السادات » واجعل
جميع عهوده خير العهود
وزده تمسكا بالحق وامنح
ولاة أمورنا الرأى السديد
وهبنا قوة الايمان حتى
ندافع عن حمى الوطن المجيد

الشاعر المهدى محمود عبدالله

كل شىء فوق أرضى قام يدعو للجهاد
وبشير النصر دوى طاف أرجاء البلاد
معلنا فى كل واد : ان مجد الشرق عاد
قائلا للعرب جمعا : نصركم فى الاتحاد

• • •

يا أخى العربى هذا مولد الفجر الجديد
لاح فى الآفاق يبدو من قريب وبعيد
انه أجمل فجر صار للاوطان عيد
فهو عيد الاتحاد . جاء بالنصر الاكيد

• • •

فى طريق الاتحاد .. سوف نمضى فى وفاء
ولنا الاصرار أرض . وهدى الحق سماء
اننا بالاتحاد سوف نحيا كرماء
فهو للمجد طريق . وهو للنصر ضياء

• • •

كل شىء فوق أرضى يرفض العادى الغريب
نور شمسى وسمائى وهوائى والمغيب
سوف نمضى فى اباء نصنع المجد المهيب
فنداء الحق دوى أعلن النصر القريب

• • •

يا أخى العربى هيا وتقدم للكفاح
أسرع الخطو وأسبق كل فرد للسلاح
اشرق النور بعزم قاهر حر صراح
واركب الصعب وهيا نحو أضواء الصباح

• • •

يا أخى انا جميعا من بعيد أو قريب
اننا فى الخطب سيف قاطع الحد رهيب
اسأل التاريخ عنه فهو أولى أن يجيب

الصهيونية وأساليبها !!

فضيلة الشيخ حسن صالح

وبدأت أوروبا بعد انفلاتها من بعض الفكر اليهودي وتحرر فكرها تركض لاهثة الى كنوز المعرفة بالاندلس ، وعلماء الشرق والمكتبة الاسلامية العامرة ثم نهضت ثملة ، بعد أن أوغلت فى هذه الكنوز بحثا وتنقيبا ، وابداعا وتهذيبا فأخذت منها العلوم الكونية ، وطبائع الحياة والتاريخ والفلسفة والمادية وتركت الدين لما أصابها من عنت وارهاق وكبت على يد أهله ممن تحكموا باسمه ، فلم تبق الا على بقايا آثار من طقوس جافة وتعميد ، واحكام زواج ومراسم موتى ، وصرف أوروبا عن دين الحق ما شعوذت به اليهودية المتمسحة عليها ، وأحكمت الرتاج ، فغلفت القلوب بالشبه والاساطير والاسرائيليات وما وضعت من أحاديث نسبتها الى صاحب الرسالة العظمى .

في المحيط الاسلامى :

ونظر الناس فى المحيط الاسلامى نفسه فوجدوا الخلافة الاسلامية ملكا عضودا ، والدين منفصلا فعلا بعد الراشدين عن السياسة ووجدوا الفتنة السبئية وما فرقت وتفرع بها من فرق ومذاهب متمسلمة ، وشاعت المذهبية وكثرت المدارس ، وأطلت برأسها القبلية الجاهلية وسرى الانحلال والتعفن والجمود ، والتيارات الوافدة والعقائد الدخيلة ثم التخلخل ، وطوفت بالعالم الاسلامى فنون السحر والطلاسم ، والالغاز والحجى ودخلت الرمزية على الصوفية واستخفت الباطنية المدمرة ، والفاطمية المجهولة النسب ، وتسللت المجسمة والحلولية ، واضرابهما وفترت هيم المصلحين ، او أخمدت أنفاسها اليهودية القذرة وعطلت شحنة العقيدة الدافقة الدافعة ، وأذهبت قوتها ووضاءتها .

الانهيار الاجتماعى :

فخبت الجذوة واتجه المسلمون بعضهم الى بعض واصطرعت القوى وقد أدى كل أولئك الى الانهيار الاجتماعى ، وانحسار المد الاسلامى عن مداه وتقلص ظل الفكرة الاسلامية ، بهجوم الفرنجة على الاندلس والصليبيين على الاقطار الاسلامية الشرقية ، مركزين على فلسطين بالذات وعلى مصر المنافحة وقلب العروبة النابض واندفاع المغولية البربرية الى بغداد والشام ، وما استطاعت أن تدمر من الحضارة العربية والاسلامية ، لولا أن قيض الله لهما صلاح الدين الايوبى وبيبرس ، فارتدا فى حطين وعين جالوت ، وبقيت الحضارة الاندلسية تلفظ أنفاسها فى احتضارها ، نورا قويا ساطعا على ربوع أوروبا يتألق فى أفق تفكيرها ، ويتغلغل فى أعماق مجتمعها ، شعاعا هاديا ، ومنبعا متدفقا ومنارا سنيا فكان له ولما حملت الهجمات الصليبية معها من تراث الشرق العربى والاندلس جليل الاثار فى نهضتها وانفلاتها من براثن الكنيسة ، ومن الاستعلاء والطغيان الدينى اليهودى المتمسح .

الاستعمار التركى :

ثم جاء الاستعمار التركى فى ثياب الخلافة الاسلامية يملك صولجان السلطتين الدينية والزمنية فى العالم الاسلامى ، وحاول تتريك العربية فى المهد القريب ، وأخضع للقوة القاهرة أدوات التوجيه والقيادة الفكرية والاقتصاد ، الى نظمه واقطاعه متأثرا بالبيئة البيزنطية التى جاورته أو عاش فيها ، وبقيت آثار ثقافتها فى المحيط العثمانى ، فنفض ما امتلا به وفاضه ونفث فى المجتمع الاسلامى التقاليد والاوضاع التى ورثتها اياه تلك الثقافة ، مهملا علىيد ولاته فىالولايات ، شئون التعليموالجندية ، ورعاية شئون الشعوب التى تستظل برايته وانما كانت فى رايه بقرة حلوبا ، وفى حقيقته خدما وعبيدا ، ونخر فى الكيان العثمانى داء الامم قبله من عوامل التحلل والفساد الخلقى والرشوة فهوى

جوارى القصور :

ولا تنس فى كل ذلك اليهودية الخبيثة ، وجوارى القصور والغانيات من بنات راشيل تسفر عن وجهها حينا وتستره أحيانا بيدها ، وقفازها الحريرى الناعم الملمس ، وفى ثناياه السم الزعاف ، والسلاح الفتاك ، تثير الفتنة ، وتؤلب على الخلافة ، وتغرى بها وليدتها الصليبية وتمهد للصهيونية المزمنة فى دأب ونشاط واصرار ، وتدير سياسة القصور ، حتى أنهكتها فكانت الرجل المريض ، ثم أسلمت تركته الى دولها ، فى حياة الهيكل الخلافى ، وفى ساعة الاحتضار ، حتى جاءت الحرب العالمية الاولى ، وتمت الصفقة بالانتدابات والحماية والاستعمار ، وانتهت الخلافة .

وعد بلفور :

ووضعت بريطانيا حامية اليهودية الصليبية المتمسحة ، ودرعها فى ذلك الحين يدها فيما وضعت على فلسطين ، بالانتداب بعد اصدار وعد بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ فكانت الامينة الوفية المخلصة ، تنفذ بأمانة وحرص ، ما أوحى به اليها ، ان اقامة دولة اليهود هو تحقيق لارادة المسيح وما هو فى حقيقته الا تحقيق الارادة اليهودية العنصرية المستعلية ، والكافرة بكل قيم البشرية.

ولست ألقى القول على عواهنة ، أو أتهم من غير أدلة مادية وانما أضع فى يدك الجانى متلبسا ، ووثائق التاريخ ومنطق الاحداث أفصح من يتحدث فى يقين ويروى عن مشاهده .

العهدان القديم والجديد :

تفحص جيدا وانعم النظر أولا فيما بين أيديهم من كتاب فى عهديه القديم والجديد فسوف لايطالعك منه الا الشعور باستخفافهم بعقول الناس ، وبراعتهم فىالتلفيق ، وتغنيهم بالامجادالاسرائيلية وعنايتهم بابراز أنسابهم وتاريخهم وأصولهم وبطونهم ، وأيامهم وملوكهم وتحاول التخلص من ثرثرتهم بالنظر فى الشريعةوالعبادات فلا تجد الا أحابيل لاستغلال الجماهير وقيودا تطوق أعناقهم ، وتدخلا فى أخص خصائص الفرد بينه وبين ربه أو بينه وبين الناس ، وافتراء على الانبياء وتنقيصا لاقدارهم ، بل واغراء على من خالفهم هم من رسل الله ، وجهر بدعوته ووصل بها الى قلوب الناس مخالفا لناموسهم ، وما سطره كهنتهم وأحبارهم ، وقاموا على تنفيذه ، وتفتش عن التوراة المصدقة بما جاء بعدها من عيسوية نقية روحية ، ومحمدية عالمية ، وعن نور الله الذى تجلى به لعباده فى كتابه الخالد ، فلا تظفر بشعاع ناهيك عن ركاكة اللفظ والتواء العبارة ، والتعمية فى المعنى المقصود ، وظهور الغرض الاسرائيلى فيه ، ورسم الصورة للدولة المزعومة وتحديد معالم الملك المرتجى ، والسلطان المرتقب ، وتجسيم الخالق ، وادخال الزيف فى قصص الانبياء ، وحصر الوصاية على الخلق فيهم واعداد الاجيال لادائها على وجهها الذى رسموا ومنهاجها الذى بينوا فى كتابهم وتلمودهم وبروتوكولاتهم ، وتوكيد هذه المعانى وترسيبها ، فى كل مناسبة أو أسلوب ، [وانى أعطيتك يا اسرائيل من الفرات الى النيل] هو أشدها تركيزا مما يقطع بالوضع والتدليس والتجديف على حد قولهم فى حق الله

الحضارة الاسلامية في إيران

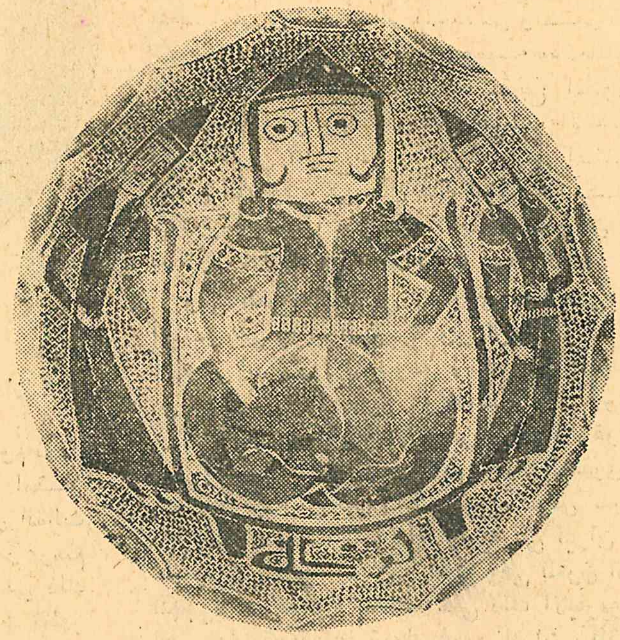

طبق من الخزف ذو البريق المعدنى من ايران فى القرن ٣ هـ .

الدكتورة سعاد ماهر

تناولت فى حديثى عن الحضارة الاسلامية فى ايران جانبا واحداً من جوانب الفن التشكيلى فيها ونعنى به فن العمارة وتتبعت مظاهره وأساليبه خلال العصور الاسلامية ، أما الان فاننى سأحاول أن أعطى فكرة متكاملة عن فنونها الزخرفية رغم تعدد موضوعاتها وتشعب طرزها وثراء موادها التى لا يدانى ايران فيها أى بلد آخر من بلدان العالم الاسلامى .

ولما كانت صناعة الخزف من أهم الميادين التى حاز فيها الايرانيون المكانة الاولى بين الامم الاسلامية لذلك فقد عنى بدراسته علماء الاثار ومؤرخو الفنون عناية خاصة على اعتبار انه من الدعائم الهامة التى يمكن الاعتماد عليها فى التأريخ الحضارى . فقد تعددت أنواع الخزف الايرانى طبقا لطرزه التطبيقية أو أساليبه الزخرفية . فهناك خزف مطلى بطلاءات متعددة وآخر غير مطلى ولكنه مزخرف بالرسوم المضافة البارزة أو المحفورة حفرا غائرا فى عجينة الاناء .

وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا

فهم أحذق بالاغلال والاقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن

والواقع ان التحف المعدنية الساسانية قد امتازت بتناسق نسبها ورشاقة أحجامها ، قل أن نجده فى تحف معدنية أخرى ، وخير دليل على ذلك ما وصل الينا من الصوانى والاطباق الذهبية والفضية ذات الزخارف البارزة ٠ وأكثر هذه التحف عثر عليها فى جنوبى الروسيا وشمالى ايران والمحفوظة الان فى متحف الهرميتاج بمدينة لينينجراد .

وقد استمر الاسلوب الساسانى فى صناعة التحف المعدنية فى أوائل العصر الاسلامى واستمر قرابة أربع سنوات ، مما أدى الى ظهور مسحة ساسانية واضحة عليها الامر الذى دعا علماء تاريخ الفنون اطلاق اسم (ساسانى متأخر) على التحف الاسلامية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى. واستخدم الفنانون شتى الطرق النطبيقية فى عمل هذه الزخارف فكان بعضها محفورا وبعضها مفرغا ، وبعضها وثيق الصلة بأسلوب (المينا) ٠ شكل (٣)

وفى القرن السادس الهجرى نشأ على يد صناع المعادن فى بلاد الجزيرة وايران أسلوب جديد بلغ غاية فى الدقة والابداع وهو (تكفيت) الفضة والذهب فى الاوانى البرنزية والنحاسية ٠ والمعروف أن) التكفيت) طريقة فى زخرفة المعادن قوامها حفر رسوم على سطح المعدن ثم ملء الشقوق الناتجة بأسلاك رفيعة من معدن أغلى ومختلف فى اللون ٠

وبلغت صناعة التحف المعدنية فى ايران عصرها الذهبى فى نهاية القرن السابع وفى القرن الثامن بعد الهجره ٠ وحسبنا للدلالة على ذلك الاباريق الجميلة التى كانت تصنع فى شمال غربى ايران ، التى امتازت ببدنها المضلع المغطى بالاشرطه والجامات ذات الرسوم الادمية والحيوانية والكتابية على أرضية نباتية مكفتة بالفضة والذهب ٠

وقد سمعنا عن شهرة المنسوجات الايرانية منذ عصر هيرودوت فقد كان أهل روما يدفعون فيها الاثمان الباهظة ، ثم أقبل البيزنطيون على تقليدها ، وخاصة المنسوجات الحريرية المزركشة المصنوعة فى العصر الساسانى ذات الرسوم الحيوانية المتقابلة أو المتدابرة حول محور يمثل شجرة يرمز بها الى شجرة الحياة التى تعرف عندهم بان (هوما) ٠ والمعروف أن الصينيين كانوا يعجبون بهذه المنسوجات الحريرية التى كانت يقدمها حكام الولايات الصينية الواقعة بين الصين وايران جزية الى ملوك الصين ٠ شكل (٤)

واتساع رقعة الدولة الاسلامية وتوحيدها كلها تحت أمرة الخليفة الاموى فى دمشق ثم الخليفة العباسى فى بغداد ، أفاد ايران ، فقد نتج عن ذلك نشاط التجارة واتساع صادراتها من المنسوجات الحريرية الى سائر الاقطار الاسلامية ٠ وقد كتب الجغرافيون والمؤرخون المسلمون فى العصور الوسطى عن المدن الايرانية ، وما كانت تنتجه من التحف ولا سيما المنسوجات فأطنبوا فى الحديث عن

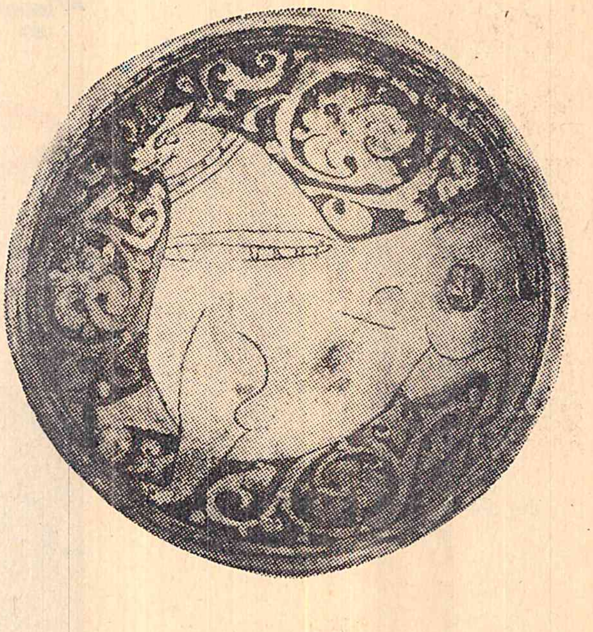

صورة شكل رقم ٢ من الطبق الجيرى مصنوع فى ايران ٤ هـ

أما بالنسبة للخزف المطلى فهناك الخزف المرسوم تحت الطلاء والخزف ذى البريق المعدنى الذى امتاز باحتوائه على الرسوم الادمية فى نهاية القرن الثالث الهجرى ٠ فقد كره المسلمون فى أول الامر رسم الصور الادمية على تحفهم واستمر الحال على ذلك قرابة ثلاثة قرون ، وفى نهاية هذا القرن بدأت تظهر الرسوم الادمية وكانت ايران أول من رسمها ٠ شكل (١)

وقد انفردت ايران بصناعة أنواع من الخزف مثل الخزف الجيرى الذى امتاز برسومه الرمزية التعبيرية المتحررة ٠ وخزف المينائى الذى تمثل رسومه وزخارفه رسوم مدارس التصوير المعاصرة فى القرن السابع الهجرى ٠ ومن المعروف أن صناعة التماثيل لم يكن لها نصيب فى الفن الاسلامى ، فقد خشى المسلمون الاوائل ، أن يعيد فن النحت الى الاذهان صناعة الاوثان ، ولكن فى القرن السابع الهجرى بدأت تظهر بعض التحف الخزفية على شكل التماثيل ٠ شكل (٢)

برع الفنانون الايرانيون كذلك فى صناعة التحف المعدنية قبل الاسلام وظلت لهم المكانة السامية فى هذه الصناعة بعد أن أصبحت بلادهم جزءا من الامبراطورية الاسلامية ٠ وقد أطنب المؤرخون فى وصف براعة صناع المعادن فكتب ابن الفقيه الهمدانى فى القرن الثالث الهجرى يقول : ولفارس فضل فى اتخاذ الالات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على أشياء ظريفة عند بعض الملوك من الات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما أرادوا

ازدهار صناعة النسيج فى كثير من الاقاليم الايرانية ولا سيما (تستر) التى ذكرها الاصطخرى وقال انها كانت مركزا عظيما لانتاج الديباج الذى كان يصدر الى شتى بقاع الدنيا . فقد ذكر المقريزى فى كتابه الخطط ان خزائن الفرش والامتعة بقصور الفاطميين كانت تضم بين كنوزها ستارة ثمينة من الحرير الازرق المنسوج فى مدينة (تستر) بخيوط من الذهب والحرير . كان الخليفة الفاطمى المعز لدين الله قد امر بعملها سنة ٣٥٣ هـ وفيها صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها . كذلك ذكر المسعودى وياقوت أن (شاهبور الثانى) أحد أكاسرة الدولة الساسانية فى القرن الرابع الميلادى . كان قد غزا بلاد الجزيرة وأمد (ديار بكر) وغير ذلك من المدن التى كانت تابعة للروم فى ذلك الوقت ، ونقل كثيرا من نساجيها الى اقليم خوزستان فى ايران ، فتزاوجوا وازدهرت صناعة النسيج فى هذا الاقليم منذ ذلك التاريخ .

واذا صح ما ذكره الرحالة الذين زاروا ايران فى

شكل ٣ ابريق من الفضة من
صناعة ايران فى العصر الساسانى

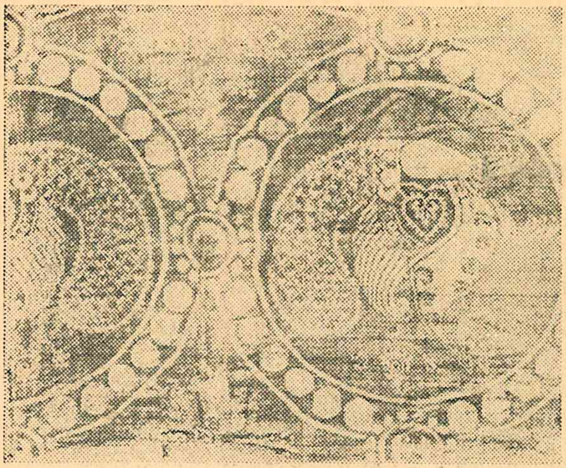

شكل ٤ قطعة من الحرير من
صناعة ايران فى العصر الساسانى

صورة شكل ٥

العصر الصفوى (من القرن العاشر الى الثانى عشر من الهجرة) فقد كان هذا العصر اعظم العصور الذهبية فى صناعة المنسوجات الايرانية فقد كان الملوك والامراء وعلية القوم يرفلون فى الحلل المصنوعة من الديباج وغيره من الاقمشة الثمينة المحلاة بخيوط الذهب والفضة . ويكفى للتدليل على شهرة ايران فى هذا الميدان أن نذكر بعض المدن والالفاظ الفارسية التى دخلت العربية وأصبحت علما على أنواع من المنسوجات فكلمة قماش مثلا معناها (عمل مدينة قم) وكلمة ديباج تتكون من كلمتين فارسيتين (ديو بمعنى الجن وبانج بمعنى

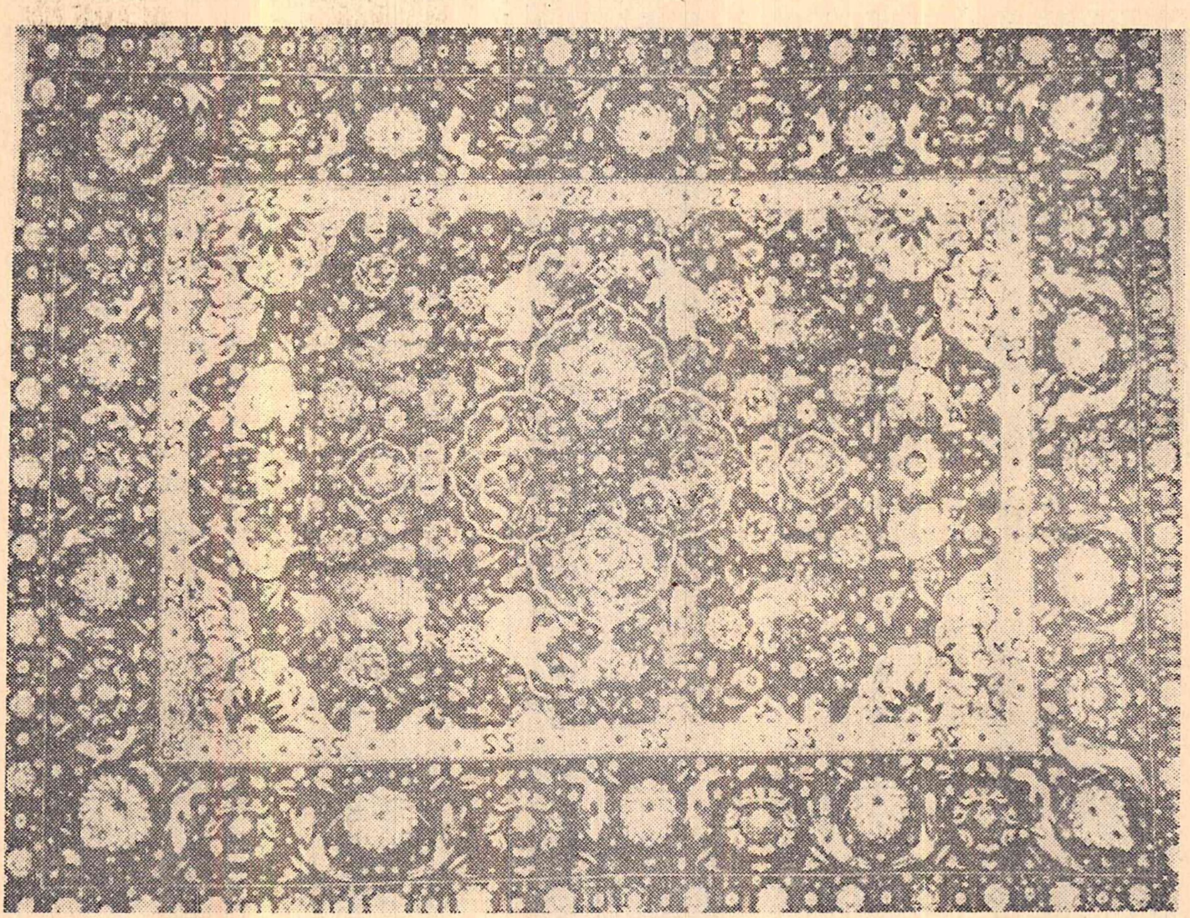

صورة شكل « ٦ » سجادة من صناعة ايران فى العصر الصفوى .

عمل) أى أن النسيج لدقته لا يمكن أن يعمله غير الجن . شكل (٥) .

ولا ريب ان ايران كانت كذلك أكبر مركز لصناعة السجاد فى الشرق كله وان المراكز الاخرى فى الهند وتركيا وغيرهما من أقاليم الشرق الاوسط قد تاثرت بأساليبها الفنية كل التأثير .. ولعل خير ما نستشهد به فى هذا ما ذره الرحالة الانجليزى رتشارد هكلوت صاحب كتاب (الرحلات) مخاطبا الرحالة والتجار من أهل بلده ، قال : وفى فارس ستجد سجاد من الصوف الخشن ذو وبرة مرسلة ، فهذا أجود بسط الدنيا ، وألوانه أجمل الالوان ، فالى هذه البلدان والمدائن فتوجه وفيها فاعمل الحيلة لتتعلم من أهلها كيف تصبغ الخيوط فهى مصبوغة بطريقة خاصة بحيث لا يؤثر فى لونها مطر أو خل أو خمر . فاذا أنت بلغت منهم علم ذلك ، واكتهنت كنه هذا السر العجيب أمكنك أن تستعمله فى صبغ القماش وأنت والحق ، فالصبغة التى تثبت فى الخيوط الخشنة تكون أكثر ثبوتا فى الخيوط المنسوجة . واسأل عن مواد الصباغة وحوانج الصبغ وتعرف أثمانها ، واذا أنت استطعت ان تعود برجل واحد يحسن صناعة السجاد الايرانى فقد غنمت الخير الكثير لامتك والكسب الوفير لشركتك » .

وصفوة القول ان السجاد كان من الميادين الهامة التى ابرزت براعة الايرانيين فى اختيار الالوان والرسوم والزخارف فقد بلغ ما استخدموه من الالوان فى بعض الاحيان فى السجادة الواحدة زهاء عشرين لونا كما جمعت السجادة جميع أنواع العناصر الزخرفية فى العصر الاسلامى من رسوم آدمية وحيوانية ونباتية وهندسية حتى العناصر الكتابية كانت تحصر فى بحور ، ومع ذلك فقد اصاب الفنان الايرانى أبعد حدود التوفيق فى ترتيبها بحيث تكون السجادة وحدة متماسكة فى زخارفها وألوانها .

أقباس من النور ونفحات من المعرفة

في حقيقة الذرة الكونية

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفى

قد توصف الذرة بانها جسم صغير الوزن الا أنها فى الوقت نفسه عظيمة القوة شديدة القدرة فلو أننا استطعنا أن نحصل على الطاقة الكامنة فى ذرات جرام واحد من المادة العادية لكفى مقدار هذه الطاقة لتحريك قطار وزنه مئات الاطنان حول الكرة الارضية بأسرها هذا وان كان البحث عن تركيب الذرة لم يكن الباعث عليه الرغبة فى استخدام القوة الكامنة فيها وانما كان الدافع هو عرفان حقيقتها رغبة فى المعرفة مما يدل على أن العقل البشرى يميل دائما الى دراسة الطبيعة لتفهم أسرارها وهو يحيل ضمنا الى دراسة وحدات الكون دراسة ممعنة لعرفان أسراره .

ففى الفلسفة الافريقية القديمة نجد طاليس الذى عاش الى سنة ٦٠٠ ق.م يتكلم عن ضرورة وجود وحدة أساسية . ودمقريطس ونقريطس كانوا يتكلمون عن ذرات جامدة لا تنقسم ولا تنحل الى غيرها وتتركب منها جميع المواد المختلفة فى الكون ولكن مما وصلت اليه الكيمياء فى القرن التاسع عشر اكتشاف مندليف للجدول الذرى للعناصر وهذا كان سببه الميل الى ايجاد أصل مشترك لكل أنواع الذرات حتى توصل العلماء الى أن كل الذرات مكونة من نواة [بريتون] وكهرب حولها [الكارول]

الذرة فى القرن العشرين :

وكان القرن العشرون هو عصر الاشعاع الذرى الحقيقى وتطويره المجدى علميا ويبدأ تبيين النشاط الذرى الاشعاعى على حقيقته عندما كشف العالم ببيير كورى وزوجته مارى عنصر الراديوم وذلك فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهكذا تقدم البحث الى الامام فى سبيل عرفان العناصر المشعة وغير المشعة بل وتحويل العناصر الغير مشعة الى عناصر مشعة .

والواقع أن البحث فى الذرة وتركيبها بحسب المعرفة الحديثة قد ظهر فى أوائل القرن الحالى كما تقدم وهو أن الذرة التى كان يظن أنها غير قابلة للتجزئة وأنها قديمة وخالدة أيضا ولذا سميت بالجوهر الفرد لانه كان يظن أنها لا تنقسم ، قد ثبت الان أنها تتحول الى مجرد طاقة كما رأيت فبعض الذرات ينفجر من تلقاء ذاته لذرات الراديوم واليورانيوم وغيرهما من العناصر المشعة والبعض الاخر يمكن تحطيمه بوسائل خاصة ويرجع الفضل فى مدى الكشف عن حقيقة الذرات المادية الى طومسون وزرفورد اللذين حولا نظرية الجوهر الفرد المادى القديم الى كهرباء خاصة وبهذا انكشف أمام البشر عالم جديد هو العالم الذرى أو قل العالم النورى الاشعاعى الجديد بدلا من العالم المادى القديم الذى كان والذرة المغلقة على نفسها تلك التى ظل أمرها مستعصيا الى عصرنا الحاضر العصر الذى نشأت فيه مباحث عدة فى تركيب الذرة .

وقد دلت التجارب العملية على أن كل ذرة تتألف من جزء مركزى يسمى النواة كما قدمنا وهو يحتوى معظم وزن الذرة ويحيط به عدد من الجسيمات الكهربية تعرف بالالكترونات ويختلف عدد هذه الالكترونات باختلاف العنصر .

فنواة الهليوم مثلا وزنها أربعة أمثال وزن نواة الايدروجين كما أن عدد الالكترونيات الخارجية فى الهليوم اثنتان أما فى الايدروجين فواحدة والنواة أيضا تتألف من جسيمات بعضها مكهرب كالالكترونات والبروتونات وبعضها غير مكهرب كالنيوترونات .

وان من أمتع البحوث فى العلوم الحديثة البحث فى هذا العالم الذرى الجديد وفى قوانينه ونظامه واتصاله بالاشعاع فنرى

كيف أن النور ينشأ عن حركات هذا العالم الذرى طبقا لقوانين ومعادلات رياضية ثابتة وليست عبارة عن مقاييس ولا أوزان مادية فكانت نتائج البحث فى الذرة نتائج مدهشة كان لها أثرها العظيم فى تطور المدنية .

وذكرنا أن الذرة جسم صغير ، وهذا التعريف بالجسمية تشبيه شبه مادى ولكن الى أى حد هو صغير ؟ ولنفرض هنا أننا قسمنا جراما من المادة الى ألف جزء وكل جزء يكون ١ على الف من الجرام أو ما يعرف بالمللى جرام ثم لنفرض أننا استمررنا فى عملية التقسيم فقسمنا المللى جرام الى ١٠٠٠ جزء ثم قسمنا كل جزء من هذه الاجزاء الى الف وهكذا حتى نصل الى مايسمى وزن الذرة ولكى نصل الى هذا الوزن يجب أن نكرر هذه العملية ٨ مرات وبعبارة أخرى أن وزن الذرة يمكن أن يقارن بجزء من مليون مليون مليون مليون جزء من الجرام وفى هذا الوزن الخيالى تتفاوت الذرات وأخف الذرات جميعها ذرة الايدروجين وهى كما أثبت العلم الحديث أصل جميع العناصر أى الاصل الذى يوحدها ويبلغ وزنها ١ر٦٦٢ من المللى جرام .

طبيعة النور وتطور الاشعاع :

بدأت معرفة طبيعة النور منذ عرف السير اسحق نيوتن أنه اذا دخلت شعاعة من ضوء الشمس حجرة معتمة من ثقب فى جدارها أو فى ستار أسود مسدول على نافذتها ووقعت هذه الشعاعة على منشور زجاجى نفذت منه الى الناحية المقابلة وقد انحلت الى ألوان سبعة هى الاحمر فالبرتقالى فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلى فالبنفسجى ، والاحمر أطول الامواج والبنفسجى أقصرها أمواجا وأمواج الالوان الاخرى متدرجة بينهما قصرا وطولا كما بينا من قبل .

غير أن مدى الاشعاع فى الطبيعة لا ينتهى عند الاحمر من ناحية ولا عند البنفسجى من الناحية الاخرى ووراء الاحمر أشعة تعرف بالاشعة التى تحت الاحمر وهى أشعة حرارية تصل أمواجها فى السرعة الى مبلغ لا تتأثر به عين الانسان فيعجز عن رؤيتها ولكنه يحس حرارتها ويرجع الفضل فى اكتشاف فعل هذه الاشعة الى العلامة هرشل .

وما فوق البنفسجى أشعة خفية أيضا لاترى وهكذا يتحول الجوهر الفرد القديم أو قل الكتلة المادية بأسرها الى نور وأشعاع .

وقد اثبت هرتز وجود أمواج كهرطيسية أى مركبة من مغناطيس وكهرباء وهى الاشعة التى تتأثر بها أجهزة الرادار والراديو والتليفزيون وغير ذلك .

الاشعة الكونية العامة :

وكان العلامة زرفورد يجمع التجارب فى أشعة جما وهى احدى أفراد الاشعة التى تنطلق من الراديوم كأختيها الفا وبيتا فوجدها تنبعث من اشعاع خارجى شديد النفوذ يأتى من جميع الجهات ولا يمكن أن يكون سبب وجود هذا الاشعاع عنصرا من العناصر وتبين أن تلك هى الاشعة الكونية التى تنطلق من اجواز الفضاء.

البحث فى طبيعة النور ونشؤ الكائنات :

ان النور كائنا ما كان سطوعه سواء كان نور الشمس ام نور المصباح فان ورقة رقيقة تحجبه أما الاشعة الكونية ومثلها الاشعة السينية فهى أقوى من نور الشمس نفوذا للاجسام كأشعة رنتجن السينية مثلا فتنفذ من مواد كثيرة لاينفذ منها نورالشمس، ونستطيع أن نرى بها عظام الانسان داخل جسمه أما الاشعة الكونية العامة فاشد نفوذا من الاشعة السينية عشرات المرات لان الاشعة السينية فرع عنها فسبحانه من خلق الكون من النور وبالنور فكان هو منور السموات والارض .

وهكذا تتولد السدم والمجرات والنجوم بادئة من ذرة الايدروجين التى تكونت منها فى البدء مجموعات من السحب النورية الدقيقة ومهما تبدأ العناصر بالطاقة التى تنطلق فى رحاب الفضاء ثم تتحول الى كهيربات وبروتونات وهكذا تألفت ذرة الايدروجين من بروتون واحد وكهرب واحد ثم تندمج ذرات الايدروجين فتتألف منها ذرات الهليوم وهكذا الخ جدول الذرات . فالكون بحسب نظرية العالم العظيم ملكن يبتدىء من حيث ينتهى وينتهى الى حيث بدأ وسبحان الله الذى قال فى كتابه العزيز عن ذاته « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين » والذى قال عن السموات والارض انهما (كانتا رتقا ففتقناهما) .

وبهذا الصدد يقول الدكتور ايرفنج وليام معترفا بوجود الخالق وهو ما هدته اليه دراساته العلمية العديدة فى الكون أثبتت له ان المصادفة وحدها أو المادة الميتة لا يمكن لهذين الرأيين أن يفسرا لنا وجود هذا الكون : أما بالنسبة الى بوصفى أحد المشتغلين بالعلوم فانى لا أنكر وجود المادة أو وجود المصادفة أحيانا وفى النادر ولكننى برغم هذا أؤمن بوجود الله تعالى وقد اعتقدت فى وجوده سبحانه لاننى لاأستطيع أن أتصور أن المصادفة تستطيع أن تفسر لنا الهروتونات الاولى والكترونات وما يكون فى هذا الشأن من الذرات الاولية ، ولا أستطيع أن أعتقد أن الصدفة هى خالقة الاحماض الامينية الاولى أو البروتوبلازم الاولية أو البذرة الاولى للنبات أو العقل الاول فى الكون .

اننى اعتقد فى وجود الله لان وجوده هو التفسير المنطقى الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التى نشاهدها .

ويقول الدكتور كلى فلاند « لا تستطيع العلوم ان تحدد لنا الوقت الذى نشأت فيه هذه العناصر الغير مرئية التى تكون عنها العالم المادى المرئى الذى لابد ان يكون مخلوقا وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محدودة ومعقولة وليس لعنصر المصادفة بينها مكان « ثم قال » فاذا كان العالم المادى عاجزا عن أن يخلق نفسه أو يحدد القوانين التى يخضع لها فلابد أن الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادى وغير منظور وهو (الاله) وتدل الشواهد جميعها على أن هذا الخالق لابد أن يكون متصفا بالعقل والحكمة ، ذلك العقل الذى يستمد منه عقلنا نوره ولابد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى أعماله فى كل مكان »

ومثل تلك الاقوال يا قارئى العزيز وغيرها كثير هى مبلغ ما وصل اليه العلم الحديث من المعرفة وما ارتفع اليه العلماء من التفكير الخالص الذى لا يبتغى سوى الحقيقة ولو شئنا لاتينا بمئات الاقوال التى تثبت وجود الخالق ولكن يكفى ما أوردناه فى هذا المقام واذا ما وصلنا الى الكلام عن الحقيقة الالهية منفردة أوردنا أقوالا أخرى لعلماء وفلاسفة استنارت عقولهم واهتدت قلوبهم الى درك بعض أفعال الحقيقة الالهية المطلقة .

وعلينا الان أن نتكلم عن رأى الفلسفة فى مثل تلك المسائل مع نماذج من آراء كبار الفلاسفة القدماء والمتوسطين ثم الفلاسفة المحدثين .

للأستاذ الشاعر
صالح جودت

أناديكَ يا منْ تلبى النداء
وأدعوك يا مستجيب الدعاء
أنلنا الأمانا
وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء

• • •

تقولُ لك الروح يا خالقى
حملت الجهاد على عاتقى
وأوليته همة الواثق
ورمت الحياة بلا عائق
ورددت للخير أغنيتى
فغالت قوى الشر أمنيتى
وأنت تبارك حريتى
فباسم الصغير اليتيم الوليد
وباسم الجريح وباسم الشهيد
وباسم الطموح لفجر جديد
وباسم الكرامة واسم الفداء
أناديك يا منْ تلبى النداء
وادعوك يا مستجيب الدعاء
أنلنا الامانا
وسدد خطانا
وطهر حمانا منْ الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبياء

• • •

أيرضيك ياصاحب القبلتين
قيام اليهود على الحرمتين
مسار المسيح وجد الحسين
ونحن نلبيك فى المشرقين
ونعنوا لذاتك يا ذا الجلال
ونبذل أرواحنا فى النضال
لنحمى حماك ونمحوا الضلال
فباسم محمد واسم المسيح
وباسم الاسير وباسم الجريح
وبالثأر أقسم لا يستريح
الى أن يحين انتقام السماء
أناديك يا من تلبى النداء
وادعوكَ يا مستجيب الدعاء
أنلنا الامانا
وسدد خطانا
وطهر حمانا من الاشقياء
بحق حبيبك فى الانبيا

قصة العدد

لا يضيع المعروف بين الله والناس

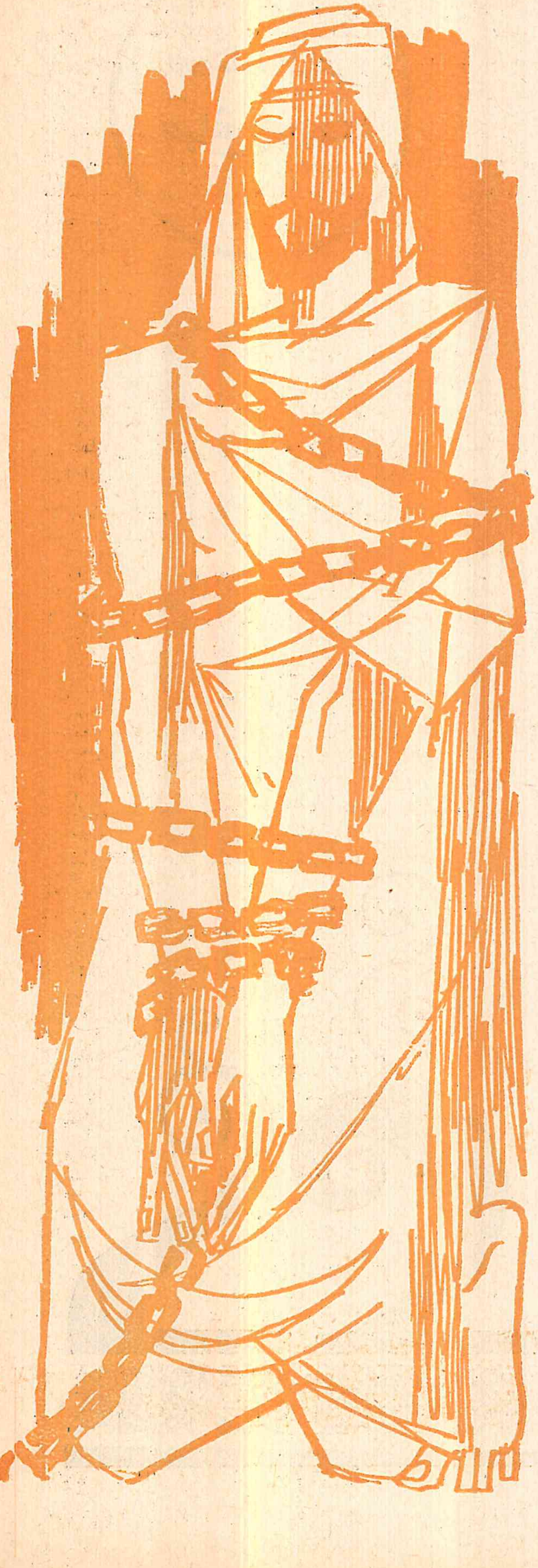

قضى الله على التاريخ أن يعيد نفسه ، فما من حادثة جرت فى هذه الايام الا ولها فى الايام الخوالى شبيه ، وما من قصة فى قديم الزمان ، الا ونجد لها فى عالم اليوم موقفا أو مواقف هى اليها أقرب .

ومامن دولة مهما ارتفع شأنها واتسع ملكها : وقوى نفوذها ، الا وجاء يوم على اهلها ، فاستكبروا استكبارا ، واغتروا بملكهم ، وبغى بعضهم على بعض . فأمر الله مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها الدمار ثم يأتى بقوم آخرين ، يبسط لهم فى الملك ، ويغدق عليهم من النعيم ويشد ازرهم ليقيموا العدل بين الناس ، ويلفتهم الى أنه خالق الكون فيسمع البعض النداء ثم لايلبث الجميع ان ينسوه ، فيتركهم مدبر الحياة على الارض لشأنهم فتتغلب عليهم الامصار ، وتقوم عليهم البلاد فيأتى الله بقومآخرين، وهكذا دواليك .

شأن الحياة الدنيا من حفظ النعمة صان ملكه، ومن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن استقام قام، ومن كانت بغيته اللعب واللذة أملى الله له فى الارض وكانت عاقبته الخسران .

هذا هو الشأن من يوم ان خلق الله الارض ومن عليها ، فكانت الحكومات المتعددة من ملوكوفراعنة وأكاسرة وأباطرة وخلفاء وأمراء — مما لايعلمبحصره الا الله .

الأستاذ محمد عباس محمد

كان من بين الخلفاء أمير المؤمنين عبدالله المأمون، وهو من اعظم خلفاء الدولة العباسية التى قامت بعد سقوط الدولة الاموية وكان مركز خلافتها العراق بعد ان كانت الخلافة بالشام .

وهذه قصة عربية قديمة رواها احد كبار رجال الشرطة أيام المأمون وكان يلقب بصاحب الشرطة، فبينما هو داخل على الخليفة يوما فى مجلسه ببغداد وجد بين يديه رجلا مكبلا بالحديد ، فلما رآه قال له : ياعباس !

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : خذ هذا اليك ، واحتفظ به ، وبكر به الى من غد .

فدعوت جماعة فحملوه ، ولم يقدر أن يتحرك .

فقلت فى نفسى : مع هذه الوصية التىأوصانى بها امير المؤمنين من الاحتفاظ به يجب ان يكون معى فى بيتى ، فأمرتهم فتركوه فى مجلس لى فى دارى .

فسألته عن قضيته ، وعن حاله ، ومن اين ؟

فقال : انا من دمشق

فقلت : جزى الله دمشق واهلها خيرا . فمنأنت من اهلها ؟

قال : وعمن تسأل ؟

قلت : اتعرف فلانا ؟
قال : ومن اين تعرف ذلك الرجل
قلت : وقعت لى معه قضية
فقال : ماكنت بالذى اعرفك خبره ، حتى تعرفنى قضيتك معه .

فقال : كنت مع بعض الولاة بدمشق ، فبغىاهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالى تدلى فى زنبيل(قفة) من قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت فى جملة القوم ،فما زلت أعدو أمامهم حتى فتهم ،فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك ، وهو جالس على باب داره ، فقلت اغثنى اغاثك الله .

قال : لابأس عليك . ادخل الدار ، فدخلت ،

فقالت زوجته : ادخل تلك المقصورة فدخلتها ، ووقف الرجل على باب الدار ، فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه ، يقولون : هو والله عندك ، فقال : دونكم الدار ، فتشوها ، ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة ، وامرأته فيها ، (وهذا المكان من الدار لايدخلها الا صاحبها فهو جناح الحريم) .

فقالوا : هو هنا ، فصاحت بهم المراة ، ونهرتهم، فانصرفوا .

وخرج الرجل ، وجلس على باب داره ساعة ،وأنا قائم ارجف ، ماتحملنى رجلاى من شدة الخوف .

فقالت المرأة : اجلس لابأس عليك . فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال : لاتخف ، قد صرف الله عنك شرهم ، وصرت الى الامن والدعة .

فقلت له : جزاك الله خيرا ، ثم مازال يعاشرنى احسن معاشرة واجملها وافرد لى مكانا فى داره ، ولم يفتر عن تفقد احوالى . فأقمت عنده اربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنأه الى ان سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها ، فقلت أتأذن لى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى ، فلعلى أقف منهم على خبر ، فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه .

فخرجت فطلبت غلمانى ، فلم أر لهم أثرا ، فرجعت اليه، وأعلمته الخبر وهو مع هذا كله لايعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف اسمى ، ولا يخاطبنى الا بالكنية .

ثم قال : علام تعزم ؟ .

فقلت : عزمت على التوجه الى بغداد

فقال : القافلة بعد ثلاثة ايام ، وها أنذا قد اعلمتك .

فقلت له : انك تفضلت على هذه المدة ، ولكعلى عهد الا أنسى لك هذا الفضل ولاكافئنك ما استطعت

ثم دعا (الرجل) غلاما له أسود ، وقال له : اسرج الفرس ، ثم جهز آلة السفر ، فقلت فىنفسى ما أظن الاانه يريدأن يخرج الىضيعة أوناحية من النواحى .

ولما حان يوم خروج القافلة ؟ جاء فى السحر ؟ (قبيل الصبح) ، وقال لى : قم ، فان القافلة تخرج الساعة ، وأكره أن تنفرد عنها . فقلت فى نفسى : كيف أصنع ، وليس معى ما أتزود به ، ولا ما أكترى به مركوبا (مايركب) .

ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان افخر الملابس ، وخفين جديدين ، وآلة السفر ، ثم جاءنى بسيف ، ومنطقة فشدهما فى وسطى ، ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ، وقدم الى فرسا ، وقال : اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ،ويسوس مركوبك .

واقبل هو وامرأته يعتذران الى من التقصير فى أمرى ، وركب معى يشيعنى ، وانصرفت الى بغداد وأنا اتوقع خبره ، لافى بعهدى له فى مجازاته ومكافأته ، واشتغلت مع امير المؤمنين ، فلم أتفرغ أن أرسل اليه من يكشف خبره ، فلهذا أسأل عنه .

فلما سمع الرجل الحديث قال : لقد أمكنك الله من الوفاء له ، ومكافأته على فعله ، ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ، ولا مئونة تلزمك .

فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنا ذلك الرجل ، وانما الضر الذى أنا فيه غير عليك حالى ، وماكنت تعرفه منى .

فما تمالكت ان قمت وقبلت راسه ، ثم قلت له: فما الذى أصارك [صيرك] الى ما أرى ؟ فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك، فنسبت الى وبعث امير المؤمنين بجيوش ، فأصلحوا البلد ، واخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت ، وقيدت ، وبعث بى الى أمير المؤمنين ،وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم ، وهوقاتلى لامحالة .

وقد أخرجت من عند اهلى بلا وصية ، وقدتبعنى من غلمانى من ينصرف الى أهلى بخبرى ، وهونازل عند فلان ، فان رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد ، فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة ، وقمت لى بوفاء عهدك .

قلت : يصنع الله خيرا .

ثم احضر العباس حدادا فى الليل فك قيوده وأزال ماكان فيه من القيود ، وادخله حمام داره ، والبسه من الثياب ما احتاج اليه ، ثم أرسل من أحضر اليه غلامه .

فلما رآه جعل يبكى ويوصيه ، فاستدعى العباس نائبه ، وقال : على بالافراس والهدايا ، ثم أمره أن يشيعه الى حد الانبار .

فقال له : ان ذنبى عند امير المؤمنين عظيم ، وخطبى جسيم ، وان أنت احتججت بأنى هربت بعث فى طلبى كل من على بابه ، فأرد وأقتل .

فقال العباس : أنج بنفسك ، ودعنى ادبر أمرى فقال : والله لا أبرح بغداد حتى اعلم مايكون من خبرك ، فان احتجت الى حضورى حضرت .

فقال العباس : ان كان الامر على ماتقول ، فلتكن فى موضع كذا ، فان أنا سلمت غداة غد أعلمتك وان انا قتلت فقد وقيتك بنفسى كما وقيتنى .

ثم تفرغ العباس لنفسه وتحفظ وجهز له كفنا .

قال العباس : فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى وهم يقولون هات الرجل معك وقم.

فتوجهت الى دار امير المؤمنين ، فاذا هو جالس ينتظر .

فقال : أين الرجل ؟ فسكت : فقال : ويحك اين الرجل ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين ، اسمع منى .

فقال لى : لله على عهد لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك .

فقلت : لا والله ياأمير المؤمنين ماهرب ، ولكن اسمع حديثى وحديثه ، ثم شأنك وماتريد أن تفعله فى أمرى .

قال : قل .

فقلت : ياأمير المؤمنين ، كان من حديثى معه كيت وكيت ، وقصصت عليه القصة جميعها ، وعرفته أنى أريد أن أفى له ،واكافئه على فعله معى . وقلت، أنا وسيدى ومولاى امير المؤمنين بين أمرين : اما أن يصفح عنى ، فأكون قد وفيت وكافأت ، وأما ان يقتلنى فأقيه بنفسى ، وقد تحنطت ، وها هو ذا كفنى ياأمير المؤمنين .

فلما سمع المأمون الحديث قال : لاجزاك الله عن نفسك خيرا ، انه فعل بك مافعل من غير معرفة ، وتكافئه بعد المعرفة بهذا ؟ هلا عرفتنى خبره ، فكنا نكافئه عنك ، ولانقصر فى وفائك له .

فقلت : ياأمير المؤمنين ، انه هاهنا وقد حلف الا يبرح حتى يعرف سلامتى ، فان احتجت الى حضوره حضر .

فقال المأمون : وهذه منة أعظم من الاولى ، اذهب اليه الان ، فطيب نفسه وسكن روعه وائتنى به حتى أتولى مكافأته .

فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ، ان اميرالمؤمنين قال كذا وكذا .

فقال : الحمد لله الذى لايحمد على السراء والضراء سواه ، ثم قام وركب ، فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين اقبل عليه ، وادناه من مجلسه وحدثه ، حتى حضر الغداء فأكل معه ، وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى ، فأمر له بصلة وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به .

نهج الكتاب على الحط من شأن المرأة فى الجاهلية . ولا أعتقد الا أن هذا نهج خاطىء ، ذلك أن الحقيقة التاريخية المؤكدة التى نستطيع استيضاحها من مجمل الاشعار والاحوال والاخبار التى وصلتنا عن الجاهلية بصورة لا لبس فيها ، انما تدلنا دلالة أكيدة على أن المرأة الجاهلية قد تمتعت بمكانة مرموقة جدا تحسدها عليها كثيرات من نساء العالم المعاصرات لها . فمما لا مرية فيه أن المرأة العربية الجاهلية تمتعت فى مجتمعها بمنزلة أرقى كثيرا من منزلة المرأة اليونانية أو الرومانية الوثنية .

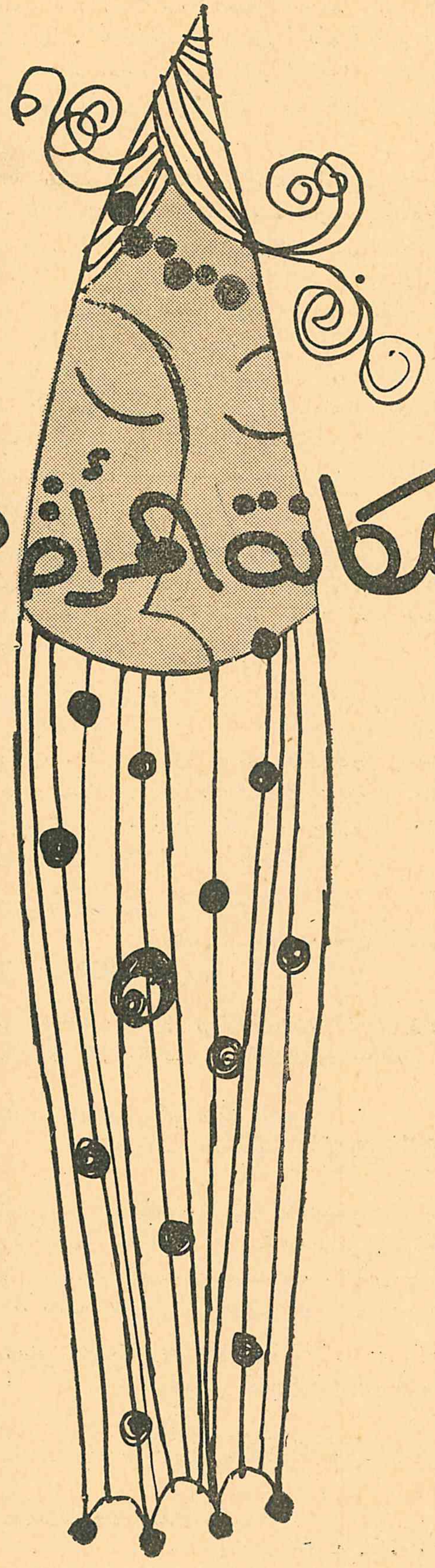

مكانة المرأة فى الشعر الجاهلى

الأستاذ جلال مظهر

تدلنا أخبارهم على أن المرأة كانت حريصة كل الحرص على الاقتران بالرجل الكفء بها . وكذلك كان الرجال أيضا حريصين على الاقتران بنساء هن أكفاء لهم . فقد كان الرجل يطلب فى زوجته أن تكون ذات مجد وحسب وحسن أحدوثه ، تتصف بمكارم الاخلاق . ولا يهم بعد ذلك أن تكون فقيرة أو ثرية . أوصى حكيم العرب فى الجاهلية أكثم بن صيفى بنيه بقوله : « **لا يكفيكم** جمال النساء عن صراحة النسب ، فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف . » وقال النبى عليه الصلاة والسلام : «اياكم وخضراء الدمن» أى اياكم والمرأة الحسناء فى المبنت السوء . وكان الرجال يمتدحون فى المرأة لين العريكة ودماثة الخلق وعدم الثرثرة ، والكياسة ، وعدم التكلم بالتافه الذى لا يجدى ولا ينفع . وكان الرجل يفتخر بحسن عشرته لزوجته وبدماثة خلقه ، ويستمع الى مشورتها . وكذلك كانت المرأة تشترط فى الرجل حسن الاحدوثة ، وحسن العشرة ، وأن يكون رفيقا بها كريما وفيا رضيا قنوعا متحليا بفضائل العرب المعروفة من شجاعة وأنفة وعزة وصوله ونحو ذلك من خلقياتهم التى اشتهروا بها .

والحق أن ذراريهم كانت نجيبة طيبة أصيلة . فلا غرو ان كان هذا المجتمع العربى عند ظهور الاسلام قد طور سلالة انسانية أظهرت على وجه التاكيد قوتها وعظمتها ونبوغها من جميع النواحى . لقد كانوا أمة نسيج وحدها من أمة منتقاة .

ولما كان العربى يجير من يستجير به ، ويدافع عنه بأعز ما يملك ، وكانت القبيلة تقبل اجارته وتحترمها ، فكذلك رأينا المراة الجاهلية وقد رفعت نفسها الى هذه المنزلة ، فأجارت وقبل الرجال جوارها واحترموه ، بل انها أجارت من استجار بها بحد السيف فى بعض الاحيان اذا لزم الامر . حمت ريطة بنت جدل الطعان دريد بن الصمة عندما أسره بنو فراس وأجارت أم هانىء فاخته بنت أبى طالب رجلا أراد أخوها على أن يقتله يوم الفتح ، فما ملك النبى عليه الصلاة والسلام الا أن قال لها : لقد أجرنا من أجرت يا أم هانىء . واجارت زينب بنت الرسول زوجها ، فأطلقه المسلمون من الاسر . أما أشهر قصة لعربية أجارت فارسا من كبار فرسان العرب بحد السيف فقصة فكيهة بنت قتادة خالة طرفة بن العبد، اذ أجارت السليك بن السلكة عندما أسره جماعة من بنى مالك فأفلت منهم ودخل عليها واستجار بها . قامت فكيهة ومنعته من آسريه وجعلته تحت درعها ، واخترطت السيف ، فلما تكاثروا عليها كشفت خمارها عن شعرها وصاحت باخوتها فجاءوها ودفعوا عنها حتى نجا السليك من القتل .

وفى ذلك يقول :

من الخطرات لم تفضح أباها
ولم ترفع لاخوتها شنارا
يعاف وصال ذات البذل قلبى
ويتبع الممنعة النوارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت
بنصل السيف واستلبوا الخمارا

ثم ان المرأة كانت تتعاقد مع الرجال على ما يتعاقدون عليه . اشتركت عاتكة بنت مرة بن هلال زوجة عبد مناف فى حلف الاحابيش . واشتركت أم حكيم أو أختها عاتكة بنت عبد المطلب فى حلف المطيبين .

وكان للمرأة حق التملك وحق التصرف بكامل حريتها فيما تملك ، وحق ادارة أموالها بطبيعة الحال . وأوضح مثال يشهدنا عليه التاريخ هو مثال السيدة خديجة أولى زوجات النبى عليه السلام . فانها لم تعهد للنبى بادارة شئون تجارتها فحسب وانما اعطته من مالها . ويروى ان عائشة غارت من خديجة اذ كان النبى يكثر من ذكرها واطرائها ، فقالت : « هل كانت الا عجوزا ؟ فقد ابدلك الله خيرا منها . » فغضب وقال : « والله ما أبدلنى خيرا منها . آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى فى مالها اذ حرمنى الناس . »

أما حياتها وسيرتها فى الادب العربى الجاهلى فكانت الشغل الشاغل للرجل . وان شعرهم لاكبر دليل على ذلك . لم ينظم الرجل شعرا الا وكانت المراة أول مايجول بخاطره ، يحبها ويخشع لها ويناجيها ويذكر ديارها ويناديها ، وكانها كانت مفتاح نفسه . فقدكان دائم الشوق اليها والفتنة بمحاسنها، حتى لقد أصبح ذكر المرأة فى مستهل القصائد كالامر الواجب المحتوم . على أنها نبغت هى ايضا فى قول الشعر وفى نقده . ولا يخفى علينا بطبيعة الحال كثير من أخبارها فى هذا الميدان الثقافى الهام .

واننا لنعلم أن امرىء القيس وهو فحل من فحول الشعراء قد غضب على زوجته أم جندب عندما حكمها بينه وبين علقمة الفحل أيهما أشعر فحكمت لعلقمة فطلقها .

وقصة ذلك أن علقمة بن عبدة التميمى جاء امرء القيس يوما وهو قاعد فى الخيمة وخلفه زوجته أم جندب . فلما تذاكرا الشعر قال امرؤ القيس : أنا أشعر منك . فقال علقمة : بل أنا أشعر منك . فقال قل وأقول . وتحاكما الى أم جندب . فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها

خليلى مرا بى على أم جندب
نقض لبانات الفؤاد المعذب

وفيها وصف ناقته وفرسه

وقال علقمة فى القافية والروى ووصف ناقته وفرسه معارضا لامرىء القيس قصيدته التى مطلعها

ذهبت من الهجران فى غير مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

فلما فرغ من القائها فضلته أم جندب على زوجها امرىء القيس . فقال لها . بما فضلته على . قالت : فرس ابن عبده أجود من فرسك . قال : بماذا ؟ قالت : سمعتك زجرت وضربت وحركت وهو قولك

وللساق الهوب وللسوط درة
وللزجر منه وقع أهوج متعب

وأدرك فرسه علقمة ثانيا من عنانه وهو قوله :

فأقبل يهوى ثانيا من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

فغضب امرؤ القيس على أم جندب وطلقها . وقيل ان علقمة تزوجها فسمى علقمة الفحل .

وفى هذا المثال دليل وأى دليل على أن المرأة العربية الجاهلية كانت مثقفة ثقافة أدبية رفيعة جدا ، وهى ثقافة تلقتها من البيئة تلقائيا . ولا يخفى بطبيعة الحال أن أم جندب كانت امرأة كباقى نساء العرب . كذلك لا يخفى علينا أن النابغة وكان حكم العرب فيما يقولون من شعر فى عكاظ، قد أعجب بشعر الخنساء وقال لها لولا أن هذا الاعمى أى الاعشى أنشدنى قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم .. وكان الاعشى يعرض قصائده على ابنته .. ونعلم أن أبا تمام ضمن ديوانه الشهير « الحماسة » شعر كثيرات من النساء .

ولقد حظيت المرأة عند زوجها بمكانة عظيمة جدا . فقد ناداها بألقاب التكريم ، وحرص على أن يفتخر أمامها بحسن أفعاله ويشهدها على مفاخره . واعتذر لها أشد اعتذار اذا ما فر مضطرا فى الحرب . وحماها وأضرم الحروب الضروس اذا أهانها أحد أو استذلها .

واعتد الاب برأى ابنته واستشارها فى زواجها وفى أموره الخاصة . وتعلم أن بعض فتيات العرب المجيدات قد اشتهرن بحسن الرأى حتى لقد كان لقيط بن زرارة يرجع الى رأى ابنته دختوس ويصحبها معه فى غزواته . وكان عامر بن الظرب يرجع الى رأى ابنته عمرة اذ تقرع له العصا اذا سها فى الحكم ، حتى لقد قال فيه المتلمس :

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا
وما علم الانسان الا ليعلما

ولقد عبر كثير من العرب عن حبهم لبناتهم ، فكانوا يستشيرونهن وينزلونهن من قلوبهم مكانا رفيعا ويتكنون بأسمائهن .

يقول الشاعر :

فرد أبو ليلى طفيل بن مالك
بمنعرج السؤبان لا يتقصع

ويقول آخر :

فمهلا أبا الخنساء لا تستمنى
فتقرع بعد اليوم سنك بالندم

ولا غرو أن عرفت المرأة فى الجاهلية حكما ووسيطا للصلح وقاضية وقائدة جيش وملكة وحكيمة وناقدة أدبية يشار اليها بالبنان .

وخلاصة القول أن المرأة العربية الجاهلية كانت فى واقع الامر كما قلنا أرقى منزلة وأرفع مكانا فى مجتمعها من المرأة اليونانية أو الرومانية . فالعرب لم يعتبروا المرأة وعاء للنسل فحسب كما فعل اليونان . ولم يعتبروها مخلوقا أحط من الرجل أو أنها باب للجحيم أو أنها خطر ونجس ، أو أنها المضلل الاول والعائق الاساسى فى طريق الخلاص، أو أنها أداة للشيطان ، أو أنها مخلوق شرير دنىء يباح ضربها والاعتداء عليها وكان العرب يقولون ان النساء شقائق الاقوام . والشقائق جمع شقيقة ، وهى كل ما يشق نصفين . أى أن النساء كن مثل الرجال .

اذن ليس صحيحا أن المرأة العربية كانت فى حضيض الذل تعامل معاملة الاماء والعبيد وتسام الخسف . بل انها شاركت الرجل مشاركة فعالة فى جميع شئون الحياة ، واشتركت معه اشتراكا بين القسمات فى جميع صفاته الخلقية الممتازة وفروسيته . فكانت ندا فى الحقيقة للفارس العربى فى المروءة والشجاعة والشهامة والعزة والنجدة وفى جميع القوى النفسية بأحلى معانيها .

فهى تموت ولا تذل ، شجاعة لا تتراجع ، تقول رأيها صراحة ولا تخشى من شىء ، مستمسكة بعقيدتها ، صابرة على الاذى ، عزيزة النفس ، ولا تخضع ولا تستخذى شىء أبية ، معتدة بنفسها ، حافظة لكرامتها ، حريصة كل الحرص على حسن الاحدوثة ، وعلى صيانة الاسرة وسمعتها وسمعة القبيلة ، كريمة ، سمحة ، مضيافة .

لقد عاشت المرأة العربية الجاهلية عنوانا ساطعا على صفات أخلاقية عظيمة . فقد كانت حرة مريدة صاحبة شخصية قوية استطاعت بها أن تفرض ارادتها فى كثير من الاحيان . فقد كان لها حق ثابت لا ينازعها فيه منازع فى الموافقة على الزوج المتقدم لها . كما كان لها أيضا الحق فى تطليقه اذا عاملها معاملة سوء أو انكرت عليه فعلا لا يتفق والمثاليات التى تتطلع اليها . وهى كثيرا ما اتخذت موقفا صارما يخالف مواقف الرجال . فكم من روايات عن هذه أو تلك تجابه أباها أو زوجها أو أخاها بما يكره ، ولكن بما تعتقد هى أنه الحق والصواب . وأن فى قصة فاطمة بنت الخطاب مع أخيها عمر ، أحد صناديد العرب المهاينة البطاشين لاكبر دليل على ذلك .

يا رسول الله

الشاعر عزيز اباظة

رسـول الله جئتـك فى ذنوبى
ولست ترد مقترفـا فتـابا
شفاعتـك الكريمـة يـوم ندعى
فنبعث بعـد أن كنـا ترابـا
غـداة الهـول ينصب انصبابا
وخلق اللـه تضطرب اضطرابا
حيـارى ذاهلين بـكل واد
وقـد نكروا الاقـارب والصحابا
وجئت وفى يـدى اليسرى كتابى
وويلى منـه يومئـذ كتـابا
ركضت مـع الهـوى وظلمت نفسى
ومـا خفت الحسـاب ولا العقابا
وان النفس تغـرى بالمعـاصى
اذا ركبت مـع الجهل الشـبابا
شفاعتـك الرحيـمة ارتجيـها
فان تمنن أمنت بهـا العـذابا
يحب اللـه أن يعفـو فـان لم
أسىء أوصدت للغفـران بـابـا

مع مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم

فـى مـنزل جمعت لـه
فيـه الى الروح السـكينة
طـابت لـه أيـامه
فى ظـل مخلصـة أمينـة
ترعـاه مدنيـة لـه السرا
ء مبعـدة شـجونه
أحيـا لـه هـذا الهدو
ء الى تحنفـه حنينـه
فمضى يغـوص الى الحقـا
ئق قاطعـا فيـها سنينة
متـأملا مستقصيـا
يذكى تـأملـه يقينـه

• • •

ويقـول مـا قـومى علـى
حـق ولاهـم مهتـدون
أربـابهم خـلقت بـأيـ
ـديهم وهـم لا يخلقـون
أفيعبـدون حجـارة
وهـم العـدول الراشدون
ويتـابع الخـلوات يسـ
ـتجلى بهـن ويسـتبين
ويظل يبنى ثم ينـ
ـقض والتثبت ذو شجون (١)
يـأوى الى غـار فيهـ
ـجره الى غـار جنين (٢)
وحـراء آخـرها الى
ان شـف سن الاربعـين

---

(١) جمع شجنه بكسر الشين وهى الطريق
(٢) أى مستخف

وأحس اذ يغفو بأن رؤاه
تصدق حين يصحو
وأحس أن هداية
ترتاد حيرته فتمحو
وتشيع أنباء بمكة
قد تصح ولا تصح
بين النصارى واليهو
د لهذه الانباء سرح
قالوا سيشرق للنبو
ة بعد ليل الجهل صبح

• • •

فى حراء والليل داج وللنجـ
ـم فتور كأنه اغفاء
نزلت آية السماء فبات الـ
ـكون والنور فوقه لالاء
سل حراء فلو أحس حراء
ما تجلى فيه لخر حراء
شهد الارض كيف كرمها اللـ
ـه بدين هو السبيل السواء
يوم ألقى جبريل معجزة الدهـ
ـر كتابا بآيه يستضاء
قيل سحر ، وقيل بل هو شعر
دون هذا وتقصر الشعراء
انه البينات تبقى على الدهـ
ـر وتبلى البلى ويفنى الفناء

• • •

ومضى يهيم لداره وكأنه
من هول ما شهد المعنى المقلق
وحراء مرهوب المتالع خلفه
عال على لحظ العيون محلق
قد كللت هاماته وشعابه
بسنى يرف الكون فيه فيشرق
شهد الزمان عليه وحدانية
غمر الزمان ضياؤها المتالق
ورأى الوجود على عتيق ترابه
عتقا من الرق الذى يتذوق
اقرأ ، فلم يقرأ ولكن شعه
دينا هو الفن الجميل المونق
أرسى على الاخلاق سمح أساسه
العقل من اعجازه والمنطق
يا أم (١) سيدة العقائل لم يتح
لكريمة فضل كفضلك معرق
قد ثبت الاسلام أنك ركنه
يوم النضال وحضنه المترفق

---

(١) الخطاب لام المؤمنين خديجة ، وسيدة العقائل فاطمة الزهراء

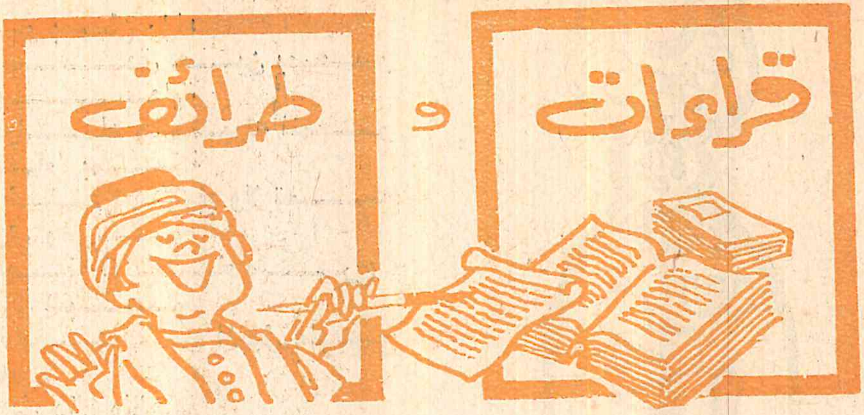

تقديم : فؤاد هيبة

• من آداب الحج •

يحمل غلاف منبر الاسلام هذا الشهر الى قرائه فى شهر ذى الحجة قوله تعالى « ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين · ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم · فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق · ومنهم من يقول ربنا آتنافى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار · أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ·

عن ابن عباس قال : كان النـاس يتقون البيـوع والتجارة فى الموسم والحج ويقولون أيام ذكر الله ، فنزلت (ليس عليكم جناح) الاية · وقد أخرج نحوه عن البخارى وغيره ·

وعن أبى أمامه التميمى قال ، قلت لابن عمر ، انا أناس تكرى فهل لنا من حج ؟ قال : أليس تطوفون بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، وتأتون المعـرف ، وترمون الجمار ، وتحلقون رءوسكم ؟ قلت ، بلى ، فقال ابن عمر : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذى سألتنى عنه فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الاية (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه الاية وقال : انتم حجاج أى ليس عليكم اثم ان تطلبوا رزقا بالتجارة فى الحج ·

نزلت ردعا للناس من العرب كانوا يتـأثمون ان يتجروا أيـام الحـج ويسـمون مـن يخـرج بالتجارة « الداج » ويقولون : هؤلاء الداج وليسوا بالحاج · **وقال بعض العلماء ان نفى الجناح فى الاية يقتضى أن هذه الاباحة رخصة وأن الاولى تركها فى أيام الحج وان التفرغ للمناسك فى ايام ادائها افضل : والتنزه عن جميع حظوظ الدنيا فى تلك البقـاع الطاهرة أكمل ·**

فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام »

الافاضة معناها الدفع ، **ويقول ابن عباس أنه سمى بعرفات لان جبريل كان يقول لابراهيم عليه السلام حين رأى المناسك عرفت ،** وهو جبل فى حدود مكة

يتعرف فيه الى الله بالعبادة · وعرفه اسم لليوم الذى يقف فيه الحجاج بعرفات وهو تاسع ذى الحجة · والوقوف بعرفات أعظم أركان الحج وكلها موقف ·

والمشعر الحرام جبل بالمزدلفة يقف عليه الامام ويسمى « قزح » وسمى مشعرا لانه معلم للعبادة ، ووصف بالحرام لحرمته ، والمعنى انه يطلب من الحاج اذا نزل من عرفات الى المزدلفة أن يذكر الله عند المشعر الحرام بالدعاء والتكبير والتهليل والتلبية ·

(واذكروه كما هداكم) لمعالم بيته ومناسك حجه وقيل اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم الهداية الحسنة التى نزل بها قرآنه الكريم وبينها رسوله العظيم [وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى وانكم كنتم من قبل الهدى ضالين عن الحق فى عقائدكم وأعمالكم ·

(ثم افيضوا من حيث أفاض الناس) والمعنى : بعد ما تبين لكم ما تقدم من أعمال الحج ، وليس فيه امتياز أحد على أحد ولا قبيل على قبيل ، وعلمتم أن المساواة وترك المفاخر من مقاصد هذه العبادة ، بقى شىء واحد هو ان تلك العبادة المميزة التى يقوم بها قريش ومن كان على دينها **وهم الحمى – حيث كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه وكان من سواهم يقفون بعرفة اصبح لا وجود لها وأصبح عليكم أن تفيضوا مع الناس من مكان واحد ، فأنزل الله قوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)** ثم قال **(واستغفروا الله)** والمراد الاستغفار مما احدثوا بعد ابراهيم من تغيير المناسك وادخال الشرك وأعماله فيها ، والا فهو استغفار من الضلال الذى ذكرهم به فى الاية قبلها ومن عامة الذنوب فى الحج وغيره (ان الله غفور رحيم) يغفر **ذنوب المستغفر وينعم عليه (فاذا قضيتم مناسككم فأذكروا الله كذكركم اباءكم أو اشد ذكرا » كان أهل الجاهلية يقفون فى الموسم يقول الرجل منهم : كان أبى** يطعم ، ويحمل الحمالات والديات ليس لهم ذكر غير افعال ابائهم ، فأنزل الله هذه الاية · والمعنى اذا فرغتم من مناسك الحج اذكروا الله أشد من ذكركم اباءكم ، أى كونوا أشد ذكرا لله ، ثم بين تعالى أن الذين يذكرونه فيدعونه على قسمين **(فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق) الخلاق** : النصيب والحظ ، هذا الفريق يطلب حظ الدنيا لينعم بشهواته وملذاته يطلب الدنيا من كل باب ويسلك اليها كل طريق ، فاستيلاء حب الدنيا عليه صرفه عن العمل لاخرته ، فحرمان هذا الفريق من خلاق الاخرة هو أثر كسبه وسوء اختياره وتفضيله حظوظ الدنيا الفانية على سعادة الاخرة الباقية ·

(ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة) أى ومنهم من يطلب خير الدنيا والاخرة · والحسنة وصف لمحذوف أى حياة حسنة ، واختلفوا فى حسن الاخرة فقيل الجنة وقيل الرؤية : واختلفوا فى عذاب النار ، ورد عن على كرم الله وجهه أنه المرأة السوء · والطلب من الله تعالى انما يكون باتباع سنته فى الاسباب والمسببات والتوجه الى الله تعالى واستمداد المعونة والتوفيق منه للهداية الى ما يعجز العبد عنه ، وعلى هذا فيخرج تفسير الحسن لقوله تعالى **« وقنا عذاب النار »** بقوله : أى احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية اليها · فطلب الحياة الحسنة فى الدنيا يكون بالاخذ بالاسباب ، وأعظمها وأنفعها الثقة بالله والاخلاص له وقصد الخير فى الاعمال كلها وتوقى الشرور كلها · وطلب الحياة الحسنة فى الاخرة يكون بالايمان الخالص والعمل الصالح بقدر الاستطاعة · وطلب الوقاية من النار يكون بترك المعاصى والشهوات المحرمة مع القيام بالفرائض المحتمة ·

(اولئك لهم نصيب مما كسبوا) أى للاولين نصيب من الدنيا ولا نصيب لهم فى الاخرة ، وللاخرين نصيب مما كسبوا فى الدنيا والاخرة ، ومنهم من يرى « اولئك » اشارة الى الفريق الثانى ·

(والله سريع الحساب) والمعنى أن حسابه لعباده فى يوم القيامة سريع مجيئه ، فبادروا بأعمال الخير ،

لو أنه وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق مع كثرة عددهم وأنه لا يشغله شأن عن شأن فيحاسبهم فى حالة واحدة كما قال تعالى [**ما خلقكم وما بعثكم الا كنفس واحدة**] .

وقد قيل أن الله تعالى يحاسب الخلائق كلهم فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا . وورد بمقدار لمحة البصر . والله أعلم .

(فتح القدير للشوكانى - وهداية القرآن للدرديرى)

● كيفية الذبح وآلة التذكية

للامام ابن حزم في ذلك قول حقيق بالقبول مؤيد بالدليل القوى من السنة الصحيحة .

قال : ان كمال الذبح باتفاق هو أن يقطع الودجان (عرقان فى جانبى ثغرة النحر) والحلقوم والمرىء (مجرى الطعام والشراب من الحلق) فان قطع البعض من هذه الاراب ، فأسرع الموت كما يسرع فى قطع كلها فأكلها حلال ، فان لم يسرع الموت فليعد القطع ولا يضره ذلك شيئا ، وأكله حلال سواء ذبح من الحلق أعلاه وأسفله وسواء رميت العقدة الى فوق أو أسفل أو قطع كل ذلك من العنق ، وسواء أبين الرأس أم لم يبين ، كل ذلك حلال .

وبعضهم أكل ما لم يقطع أوداجه وما ذبح من قفاه .

وأما آلة التذكية فهى كل شىء يقطع قطع السكين ، أو ينفذ نفاذ الرمح ، سواء فى ذلك كله العود المحدد والحجر الحاد والقصب الحاد وكل شىء سوى السن والظفر . وما عمل منها الى آخر ما ذكره فى المحلى جـ ٧ .

فالذبح بآلة حادة تقطع العنق وتفصل الرأس ولو كان من القفا جائز شرعا عنده .

أما ازهاق روح الحيوان بغير الذبح كالوقد وتسليط التيار الكهربائى عليه فيحرم أكله باتفاق . والله أعلم .

● حكم التسمية على الذبيحة

قال تعالى (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) ، من غير فرق بين اسم واسم ، فاذا ذكر اسم من أسمائه تعالى كان المأكول مما ذكر اسم الله عليه فلم يكن محرما سواء قرن بالاسم الصفة بأن قال : (الله أكبر) (الله أجل) (الله أعظم) (الله الرحمن الرحيم) ونحو ذلك ، أو لم يقرن بأن قال : الله ، أو الرحمن ، أو الرحيم . وسواء أكانت التسمية بالعربية أو بالفارسية أو أى لسان كان وهو لا يحسن العربية أو يحسنها .

وروى عن أبى يوسف : لو أن رجلا سمى على الذبيحه بالرومية أو الفارسية وهو يحسن العربية أو لا يحسنها أجزأه ذلك عن التسمية لان الشرط فى الكتاب والسنة ذكر اسم الله مطلقا عن تقييده بالعربية أو الفارسية أو غيرها . (بدائع الصنائع ص ٤٨ ج ٥) والله أعلم .

● أصحاب السبت

أصحاب السبت هم اليهود واليهود لعنوا فى القرآن على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون ، فهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، وكانوا يتولون الذين كفروا ، **ولعنة الله اذا حلت على انسان لا تبقى شيئا من آدميته بل تقلب كيانه البشرى ، وتحيله خلقا آخر لا يستقيم حاله ، فهو فى صورة انسان وفى طبيعة حيوان .**

ومعروف أن السبت هو يوم عطلة اليهود ، وراحته يحرم عليهم به العمل وايقاد النار والطبخ ، فهم يستعدون ليوم السبت من يوم الجمعة ، ولكنهم خالفوا أمر الله عليهم ، واعتدوا ، اكتسبوا وفعلوا ، فأنزل الله فيهم قوله (**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين** » صدق الله العظيم .

أول رام وأول شهيد في الاسلام

ان أول من رمى بسهم فى الاسلام هو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، بعثه النبى صلى الله عليه وسلم قائد سرية عدد رجالها ، ثمانون مقاتلا ، تعترض عيرا للمشركين ، فيها مائتا رجل فوافوا العير ببطن رابغ بين مكة والمدينة وكان بين المسلمين بقيادة

عبيدة وبين المشركين رميا بالنبال الى أن هرب المشركون ، ولم يتبعهم المسلمون يومئذ وفر من المشركين : المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان اسلما ولحقا بالمسلمين ·

وأول من استشهد فى معركة فى الاسلام هو أيضا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب قتل فى غزوة بدر ، فعندما تراءت الفئتان برز الى المعركة فى صفوف المشركين عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبه وخرج لهم من صفوف المسلمين حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ، وعلى بن أبى طالب وبارز على : الوليد ، وبارز حمزة : شيبه وبارز عبيدة ! عتبة فقتل حمزة شيبة ، وقتل على الوليد، واختلف عبيدة وعتبة بضربتين كلاهما اصاب صاحبه وكر على وحمزة على عتبة فقتلاه وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحا ، ينزف الدم من ساقه وأضجعوه الى جانب الرسول صلى الله عليه وسلم فأفرشه قدمه الشريفة حتى مات فى يومه ··

فكان عبيدة رضى الله عنه أول رام وأول شهيد فى الاسلام لقى ربه وهو يحمل سيفه دفاعا عن دينه وعقيدته ·

أما أول من قتل تعذيبا فى الاسلام فهو ياسر وزوجته سمية والدا عمار بن ياسر واللذين بشرهما النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة عندما قال لهما صبرا آل ياسر ان موعدكم الجنة ! ·

أبو هريرة بين الاسم والكنية

كان اسم أبى هريرة « عبد غنم » أو « عبد شمس » وسماه الرسول عليه الصلاة والسلام (عبد الرحمن) أو (عبد الله على خلاف فى الروايات وهو من (دوس) وكان خليفا لابى بكر الصديق ، وقد سئل رضى الله عنه : لم كنيت بأبى هريرة ؟ قال : كنت أرعى غنما لاهلى وأنا صغير ، وكان لى هرة صغيرة . كنت اصحبها فى النهار، فاذا امسى المساء، وضعتها فى شجرة ، واذا كان النهار ذهبت بها معى ألعب بها ، فكنونى« أبا هريرة » وقال آخرون : ان أبا هريرة كان اسمه عبد (شمس) وكنيته (ابو الاسود) فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم (عبد الله) وكناه « أبا هريرة » معنى هذا ان هذه الكنية أعطيت لابى هريرة من الرسول صلى الله عليه وسلم بدلا من أبى الاسود ·

على كل حال ، بقى رضى الله عنه بهذه الكنية « أبى هريرة » التى غطت على اسمه فأخفته ولم تزل ثابتة فى كل كتب السنة والمواعظ مع اختلاف فى اسمه الحقيقى كثير ·

ابراهيم الخليل والنمرود الملك

ان الرجل الذى حاج ابراهيم فى ربه والذى ذكر القرآن قصته فى سورة البقرة .. هو الملك الذى سماه المؤرخون « نمرود » ملك بابل الذى بعث ابراهيم عليه السلام فى زمنه ، وكان قد ادعى الربوبية ، وأمر الناس بالسجود له ، وقد حاج ابراهيم ، عندما دعاه ابراهيم الى الله والى توحيده بالعبادة فقال : انا الرب وليس غيرى رب ·

قال ابراهيم : ربى الذى يحى ويميت ·

قال الملك النمرود : انا احيى واميت فأحكم على من أشاء بالموت ولمن أشاء بالحياة ·

قال ابراهيم ردا عليه : ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ، وأسقط بيده ، وغلبه ابراهيم بالحجة ··

وهذه القصة ذكرها القرآن بقوله تعالى فى سورة البقرة « ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال انا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين ·

أول الانبياء وخاتمهم

جاء فى الحديث النبوى الصحيح « كنت نبويا وآدم بين الروح والجسد » رواه ابن سعد ، عن ابن أبى الجدعاء ، ورواه ابن حيان عن ابن عباس وهذا يعنى : أن آدم كان ملزما بالايمان به ، لان الله تعالى قال فى كتابه العزيز (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ــ الاية ٨٠ سورة آل عمران ·

أو يكون المعنى بوجه آخر : أن الله يعلم ــ بمقتضى علمه الازلى ــ أن محمدا سيكون نبيا ورسولا قبل أن يخلق ، وقبل أن يخلق آدم ، شأنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك شأن كل الناس ، فان الله تعالى ، يعلم قبل ان يخلقوا فى الارحام [أرزاقهم ، وآجالهم ، واعمالهم وعاقبة امورهم وعلىذلك فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو اول الانبياء فى علم الله قبل خلقه وقبل خلق آدم وهو آخر الانبياء لان رسالته خاتمة الرسالات · (من كتاب سألونى لعبد الله النورى)

مع الفاظ القرآن الكريم

اللات ــ لات

١ ــ اللات : أحد الاصنام الثلاثة التى كان العرب

يقدسونها فى الجاهلية وهى اللات والعزى ومناة ، وكانت اللات أشهر هذه الاصنام ، وكانت بالطائف ، ويرجح أنها كانت تمثل الشمس وقد ذكر اسمها كثيرا فى النقوش النبطية .

قيل ان اسمها اللات ، وانها سميت كذلك لان يهوديا كان يلت السويق عندها ، وقيل ان أصلها الالهت فحذفت الالف والهاء على مر الزمن وقيل غير ذلك .

وكانوا يزعمون ان اللات والعزى ومناة تمثال بعض الملائكة التى هى فى زعمهم بنات الله ومن ثم يتقربون بها اليه سبحانه « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى » ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ النجم

وكم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا
ولات حين مناص ٣ ص

٢ — لات أى وليس الحين حين مناص ، والغرض ليس وقت استغاثة الكفار حين ينزل بهم العذاب وقت مفر من العذاب .

و (لات) كلمة مركبة من (لا) النافية ، بمعنى (ليس) ومن التاء ، التى تتصل بالحرف ، فتزاد فى [رب] فيقولون ربة رجل لقيته . وفى [ثم] فيقولون : جاء محمد ثمت أبو بكر .

و (مناص) أى فرار ونجاة ، تقول العرب : ناص فلان من مرافقته ، ينوص : اذا فر وذاغ منه .

قصة عكاف وكرسف

عن أبى ذر ، قال : **دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له عكاف بن بشر التميمى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عكاف هل لك من زوجة ؟ قال : لا ، قال : ولا جارية ؟ قال : لا . قال : وأنت موسر ؟ قال : وانا موسر .**

قال : أنت اذن من اخوان الشياطين : لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ، ان سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم .

أبا لشياطين تمرسون ؟ ما للشياطين من سلاح أبلغ فى الصالحين من النساء ، الا المتزوجون اولئك المطهرون المبرؤون من الخنا ، ويحك يا عكاف ! انهن صواحب أيوب وداود ويوسف وكرسف ، فقال له بشر ابن عطية : **ومن كرسف يا رسول الله ؟**

قال : رجل كان يعبد الله بساحل البحر ثلاثمائة عام ، يصوم النهار ويقوم الليل ، ثم انه كفر بالله العظيم فى سبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة الله عز وجل ، ثم استدركه الله ببعض ما كان فيه فتاب عليه ، **ويحك يا عكاف ! تزوج ، والا فأنت من المذبذبين ، قال : زوجنى يا رسول الله ، قال : قد زوجتك بنت كلثوم الحميرى .**

● حوار بين الديلمى وشاعرة

كتب أسبهرودست الديلمى الشاعر الى شاعرة يقول :

ما تقولين فى فتى يهواك
ومناه فى كل وقت يراك
قد تخلى بالهم فيك وما يفتر منه اللسان عن ذكراك

فأجابته :
أنت ممن يبغى الوصال حراما
ان فعل الحرام كا الاشراك
لو طلبت الحلال منا اطعنا
ك والا فاعدل الى الامساك
ان خير الاعمال ما كان عقبا
ه نجاة من الأذى والهلاك

● التهليل

التهليل هو الذكر بلا اله الا الله

ومما وصفت به كلمة لا اله الا الله أنها :

كلمة التوحيد ، وهى كلمة الاخلاص ، وهى كلمة التقوى ، وهى الكلمة الطيبة ، وهى دعوة الحق ، وهى العروة الوثقى وهى ثمن الجنة . (احياء علوم الدين) .

وقد روى الترمذى بسنده عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شئ قدير » .

وقد أخرج الامامان : البخارى ومسلم رضى الله عنهما من حديث أبى هريرة نضر الله وجهه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئه ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك » .

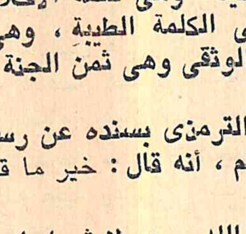

● الحرص على زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم

ورد عنه عليه الصلاة والسلام انه قال : من حج ولم يزرنى فقد جفانى ، ومن زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا » فلا ينبغى للمؤمن أن يقصر عن زيارة نبيه عليه الصلاة والسلام الا لعذر ناجز ، فان حقه صلى الله عليه وسلم على امته عظيم ، جزاه الله عنا وعن سائر المسلمين أفضل ما جزى نبيا عن امته ، فقد أدى الرسالة ، وأوضح الدلالة ، ونصح الامة ، وكشف الغمة ، وتركنا على بيضاء نقية ، ومحجة واضحة من الحق ، ليلها مثل نهارها ـ صلى الله وبارك وسلم عليه وعلى آله أفضل ما صلى وبارك وسلم على أحد من خلقه ، عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم كلما ذكره الذاكرون ، وسها وغفل عن ذكره الغافلون .

● الاولياء والابتلاء

يبتلى الله عباده الصالحين ، لئلا تساكن قلوبهم هذه الدار ليكونوا فى الحضور والرجاء ولذلك قال الشعرانى ·

لزمت الرجاء طول عمرى "

فقيل له : كيف ذلك ؟

فقال : لانى كنت فى الحضور

فكلما زاد البلاء زاد الترقى ·

ولذلك قال الامام مالك فى الاولياء :

لولا الاجل المحتوم لطارت أرواحهم شوقا الى الله ، فكلما ارادت أرواحهم أن تطير حبسها الاجل المحتوم ، وكلما كثر عليهم البلاء رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يقطنه فيلازمون الادب والشكر ·

ابن جبير ومناسك الحج

رحلة ابن جبير جديرة بالدرس فصاحبها أديب سلس الاسلوب سائغ الالفاظ قام من وطنه الاندلس بثلاث رحلات فقضى فيهن نحو ثلاث سنوات طائفا فى البلدان العربية وجزائر البحر المتوسط ومدونا لمشاهداته وأختباراته فى جميع البلدان ومع ذلك لم يصلنا فيها غير ما جمع بعد وفاته من أحاديث رحلته الاولى التى ظهرت باسم تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار »

وقد اهتم بها المستشرقون فحرروها وآخرجها المستشرق الانجليزى رأيت فى سنة ١٨٥٢ والمستشرق الهولندى دى خويه سنة ١٩٠٧ فجاءت سفرا ادبيا ممتعا لرشاقة اسلوبها فى الوصف وحسن سردها للوقائع ومن فقراتها ما رواه عند زيارته جبل أبى ثور (أو ثور كما جاء فى امن بطوطه) حيث الغار الذى أوى اليه النبى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبى بكر الصديق ، وبشاهد تزاحم الحجاج عليه ومحاولة بعضهم دخول الغار من الشق الضيق الذى دخل منه النبى تبركا به ، فيصف ابن جبير ذلك المشهد بقوله :

« فيمتد المحاول لذلك على الارض ويبسط خده بازاء الشق ويولج يديه ورأسه اولا ، ثم يعالج ادخال سائر جسمه ، فمنهم من يتاتى له ذلك بحسب قضافة بدنه ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيعضه [رأى يضغط عليه شق الغار لضيقه) فيروم الدخول والخروج فلا يقدر ، فينشب ويلاقى مشقة وصعوبة ، حتى يتناول بالجذب العنيف من ورائه ! ·

ويصف بعض الحجاج وقد راقبهم وهم يطوفون قائلا :

« اذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الام المشفقة ، لائذين بجوارها ، متعلقين بأستارها وفى أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعيه تتصدع لها القلوب وتتفجر لها الاعين الجوامد فتصوب » ·

لحظات مع التاريخ والادب

● قيام الدولة السعودية

فى عام ١٩٢٥ أستقر الامر فى بلاد الحجاز للملك عبد العزيز آل سعود وأعلن تطبيق الشريعة الاسلامية وامن طرق الحجاج والقضاء على الفوضى التى كانت فى بلاد الحجاز وانتهز المرحوم محمد عبد المطلب اقامة حفل تكريم للشيخ حافظ وهبه بمدرسة القضاء الشرعى وألقى قصيدة عامرة يصور فيها استبشار المسلمين بقيام هذه الحكومة الاسلامية الخالصة التى طالما تمناها المسلمون من آماد طويلة ··

ومطلع القصيدة :

أهل الحمى ! ان الزمان وفى
وعد المنى فتحقق الوعد

عادت الى الاسلام دولته
وسما لها ببلاده بند

وعلى تهامة من بشاشته
سبغ الندى والعيشة الرغد

الى أن يقول :

عبد العزيز ، لك السلام من لا
سلام والاطرء والمجلس

أرضيت أحمد فى شريعته
شيدت منها ماله هدوا

فأعد الى الحرمين مجدهما
فخما فما لسواهما مسجد

وأعد لدين الله حرمته
ان الورى فى كيده جدوا

واعرف لطيبته حق ساكنها
ان الحقوق اليه ترتد

● فشل وساطة روزفلت

يحلم اليهود بامبراطورية كبرى تمتد من الفرات الى النيل وتشمل فيما تشمل جزءا من الاراضى الحجازية المقدسة بالمدينة المنورة وما حولها ومن ثم وسطوا الرئيس الامريكى روزفلت ليفاوض الملك عبد العزيز آل سعود فى السماح لليهود باستعمار جزء من المدينة المنورة وأماكن خيبر وبنى النضير وغيرها مقابل عشرين مليونا من الجنيهات الذهبية ، فرفض الملك بكل اباء وشمم · وكان ذلك فى أوبرج الفيوم عندما تقابلا فى عام ٤٥ هناك ·

حقائق عن قضية فلسطين
للسيد أمين الحسينى

من وحى الحج

الشاعر محمد حليم حامد غالى

الى البيت يهفو القلب .. والشوق يهدر
فروحى بذكر الله .. روح معطر ..
تجردت يا مولاى .. الا من التقى ..
ومن قولة التوحيد « الله أكبر »
تجردت من دنيا العباد .. وذلها
فما عادت الدنيا تثير .. وتبهر

• • •

تركت على ساح الحياة أحبتى
وفتنة أيامى .. تفح .. وتزفر
ومن غرت الدنيا حجاه تضله
وتصليه ألوان اللظى .. وتدمر
وعمر الفتى فى الارض .. ومضة خافق
وحفنة أيام على الارض تنثر
وما جئتها يا رب .. الا عبادة
وصوتا على ساح الوجود يكبر

الشوق

الى البيت .. من طول البلاد وعرضها
أتوك .. ولبوك النداء .. وكبروا
يقودهم الحب العميق .. لدينهم
حنينهم الدفاق بالذكر يهدر
ومن كل فج فى الوجود .. يدلهم
الى البيت روح بالضياء مطهر
يطوفون بالاركان .. ألهب شوقهم
حنين .. وحب مستفيض مسيطر
ضيوفك يا رب العباد دعوتهم
فما ردهم مال .. ولا رد معشر
تباروا قلوبا كالضياء شفيعة
تلوح على الصحراء .. بالبشر تقطر
خطاهم على التوحيد تمضى مواكبا
اليك .. وفى نور الحفاوة تزهر

ضيوف الرحمن

زمزم

ويسعون بالتهليل فى كل مرة
وهرولة الحجاج لحن .. معبر
وأشواطهم فى السعى .. وجه عبادة
« فهاجر » كانت ها هنا تتحير
[وبين الصفا والمرو ..] كانت حزينة
بجرعة ماء .. ترتجيها .. وتندر
وفى المهد اسماعيل .. يرقب أمه
ويضرب رجليه .. على الارض .. يحفر
تتابع مسعاها .. وينبض قلبها
وترفع عينا .. بالأسى تتقطر
يكاد حشاها أن يذوب تحسرا
وما ينفع الظمآن هذا التحسر
ضناها على المهد المطهر ظامىء
وفى قلبها وقد اللهيب مسعر
وترجع ولهى للرضيع .. تضمه
فيبهرها .. للماء .. وجه .. ومنظر
تفجر نبع الماء .. من تحت رجله
فوا فرحتا .. للماء .. والماء يقطر
وفجرها الجبار .. « زمزم » يستقى
حلاوتها الحجاج .. وهى تحدر
كئوسا من الرحمن .. تنبع فى الثرى ..
فتخصب أرواح الحجيج .. وتزهر

مؤتمر الحج

ومن كل صوب فى الوجود توافدوا
ومؤتمر الاسلام .. يزهى .. ويكثر
أحبوا .. فهاموا .. فاستبانوا طريقهم
اليك .. الى حيث السعادة تنشر
فجمعهم حج .. على النور .. والتقى
ومجتمع الاسلام .. بالحج .. يبهر
فيا ليت اذ جاءوك .. جمع أمرهم
رباط .. يضم المؤمنين .. وينصر
ووحدهم ـ كاليوم ـ أمر حياتهم
فذل لهم أعداؤهم .. وتكسروا
على الأرض أجناس تفرق بينهم
مذاهب شتى .. وهى بالحب تستر ..
ومجتمع الاسلام .. وحد بينه
أذان .. وتكبير .. ودين ومشعر
فياليتنا صنا قداسة ديننا
فوفقنا الرحمن .. وهو المدبر ..

زيارة الرسول

حبيبى .. متى ألقاك .. التمس الثرى
شفاء .. ويلقانى الضياء المعطر
أمسح بالخدين أرض مجادة
سعيت بها تجلو الحقيقة .. تظهر
لمسجدك المرموق فى النفس ومضة
تلوح فتغرى النفس بالحب تجهر
صحوت على صوت يصافح مهجتى
ويملأ روحى بالشعاع فأهدر
أناديك أستدنى رضا الحق انه
حقيقة روحى .. فى حياتى تسفر
حقيقة هذا الكون أعطاك نوره
ومن نوره جئنا .. ونمضى ونحشر
هو الخالق المعبود .. يا خير هاتف
على الكون باسم الله .. والله اكبر

المسجد دين ودنيا

لقد كان بيت الله .. دنيا .. رحيبة
وشرعة دين .. حين ينهى .. ويأمر
ومدرسة التشريع .. والعلم .. والهدى
بها الدين نور .. والأمور تقدر
ومجتمع الاصحاب حول نبينا
شعاع من الهدى .. المضىء .. ينور
رجال تواصوا .. والنبوة منهل
لافكارهم .. دين .. مبين .. منضر
نبى الهدى أرسى قواعد دينه
فمسجدنا .. شورى .. وعلم .. مطهر
متى تصبح الدنيا .. حضارة مسجدى ؟ !
فيرجع للايام .. نصر مؤزر ؟ !
هنا نملك الدنيا .. ونجلى ظلامها
ويرجع للقدس الصباح المنور

الفجر فى غدنا

غفت عيون المنى عن موطنى زمنا
غدا نعيد له بالبذل اشراقه

غدا سيبسم بالامجاد مؤتلقا
ونجمة النصر فوق الافق الاقه

ولن أذوق الكرى ما ظل فى وطنى
عصابة فوق ارض الطهر أفاقة

لا لن تقر بأرض العرب ناعمة
والنار فى دمنا تنساب دفاقة

وابنى هناك بخط النار مرتقبا
صوت النذير فيوم النصر قد شاقه

وابنى هناك بحضن الموت يلهبه
لحن الفداء سعيرا هز أعماقه

انا سنشرب كأس النصر يا وطنى
فالعرب دوما لكأس المجد ذواقة

غدا ستصفو سماء العرب مشرقة
بموكب النور فوق الافق براقة

مهما يطل بالاسى ليل الجهاد فما
طعم المنى أبدا ينساه من ذاقه

شبابنا الحر لا ينسى مرابعه
له مواقف فى الاحداث عملاقه

سلوا الدماء التى سالت على كرم
فوق الجبال وفوق السهل دفاقه

سلوا الصعاب التى باتت تجابهه
كم داس تحت خطاه كل ما عاقه

يمشى أبى الخطا للهول فى لهف
ولا تذل الليالى السود أعناقه

سهران سهران من أجل الحمى قلقا
يطرز النور بالامجاد أوراقه

الجرح فى القلب نار ليس يخمدها
الا أياد لباب النصر طراقه

لا تعرف اليأس مهما عز مطلبها
حتى عن الاخ تأبى منه اشفاقه

أبية النفس شكواها لخالقها
والمرء يسأل فى البأساء خلاقه

مهما يطل ليلنا فالفجر فى غدنا
يضىء للعرب بالامجاد آفاقه

الشاعرة روحية القليني

التحرك النفسي والأخلاقي في المعركة

الأستاذ محمد دياب

أعتقد أننا فى معركتين لا معركة واحدة ٠٠ وفى ميدانين لا ميدان واحد ٠٠ وبالتالى فان لنا عدوين لا عدوا واحدا ٠٠ فاذا أغفلنا معركة منهما أو ميدانا أو عدوا ٠٠ عز علينا الانتصار واستحال !

كيف ذلك ؟ !

ان هذا الكلام قد يبدو للوهلة الاولى غريبا ٠٠ وقد يقول البعض انه كلام لا علاقة له بمعركة المصير التى نعد لها ونستعد ٠٠ وقد يصفونه بأنه من قبيل التجليات أو الدروشة ٠٠ ولكنه رغم كل شىء سيظل هو التعبير البسيط عن الحقيقة العلمية والتاريخية التى لا مهرب منها ولا مفر ٠

فى كل معاركنا التاريخية الكبرى ٠٠ خاض المسلمون الاولون المعركتين والحربين ٠٠ ودخلوا الميدانين ضد العدوين ٠٠ وأحرزوا أعظم الانتصارات وأتموا أعظم الفتوحات ٠٠ وجاءت بعد ذلك دول كبرى أخذت عنهم هذا المنهج القويم فى حروبها فكان النصر حليفها على طول الخط ٠٠ بل ان قيادتنا المؤمنة المعاصرة تعرف لهذه الحقيقة قدرها فى مسيرة النضال ٠٠ وتلح عليها أسلوبا للمعركة بالافعال لا الاقوال ٠

وقبل ان نضرب الامثال احب ان اوضح المسألة ٠

وهى أننا - فى كلمة موجزة - يجب أن نحارب حربا جادة فى الميدان النفسى والاخلاقى بنفس الجدية التى نحارب بها فى الميدان العسكرى ٠٠ بمعنى أن خطة التحرك فى اتجاه الطهر والنقاء والايمان يجب أن تسير موازية تماما لحظة التحرك فى اتجاه القتال ٠٠ وأننا كما نستعد لمحاربة العدو الخارجى يجب أيضا أن نأخذ المبادرة لمحاربة العدو الداخلى ٠٠ وهو النفس بكل آثامها وشهواتها ومباذلها ونزواتها ٠

وليس ذلك بدعا نبتدعه ٠٠ ولا جديدا ننتجعه ٠٠ فالجهاد النفسى والاخلاقى كان دائما وسيظل مقدمة طبيعية لجهاد الاعداء ٠

وقد أطلق التاريخ على فتوحات الاسلام الاولى اسم « فتوحات الاخلاق » ٠٠ لان الاخلاق قبل الرماح والسيوف كانت سلاحها الحاسم ٠٠ وعندما كان المسلمون يخسرون معركة كان القائد يقف وسط الناس يسألهم :

- لماذا خسرنا المعركة ؟ هل فيكم من عصى الله ؟ هل فيكم من خالف عن أمر الله ؟ هل فيكم من ترك سنة من سنن رسول الله ؟

فاذا لم يجد القائد سببا من هذه الاسباب ٠٠ انتقل الى غيرها من الاسباب الفنية والمادية ٠

وبين يدى الان دراسة اسلامية مستفيضة وممتازة للكاتب الاسلامى توفيق محمد سبع ٠٠ تطالعنا بكثير من الحقائق تؤكد صدق ما نقول ٠٠ وتوضح دور الاخلاق كخط دفاع أول ضد الانهزامية فى معارك المسلمين ٠٠ وكيف كان التماسك الروحى والاخلاقى أساسا ومسندا للتماسك المادى ٠٠ وكيف كان المسلمون الاولون قبل الالتحام بالعدو يبدأون بعملية تنقية للنفوس من الادران وتطهير للسلوك من الاوضار ٠٠ ثم ينطلقون بهذا الزاد النفسى ليحاربوا فى سبيل الله ٠٠ وما من معركة خاضها المسلمون الا كانت أولى النصائح المهداة اليهم الابتعاد عن المعاصى والذنوب ٠

وليقل لنا أصحاب الميراث المادى : ماذا تستطيع الطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ أن تصنع اذا كان زمامها بأيد رخوة ؟ !

ألا فليقرأوا وليقرأ غيرهم وصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب الى قائده سعد بن ابى وقاص

« أما بعد يا سعد ٠٠ فانى آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال ، فانها أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ٠ وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، والا ننصر عليهم بفضلنا ودينا لم نغلبهم بقوتنا ٠

« واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا معاصى الله وانتم فى سبيله ، ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط الله علينا ، فرب قوم سلط عليهم من هم شر منهم ، كما سلط الله على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ٠

اسألوا الله العون على أعدائكم »

ولم يكن غريبا أن يستلهم الاوربيون فى أوقات المحن والشدائد مثل هذه الوثيقة من وثائق الاسلام الاخلاقية ٠٠ وأن يفطن المفكرون فى أوربا الى أثر الانحلال الاخلاقى فى انهيار الامم ٠

وعلى سبيل المثال ٠٠

يقول أندريه مورو : « ان من أهم أسباب انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية ، هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة لانتشار الرذيلة بين افراده » ٠

ولهذا فان الجنرال ديجول عندما اراد ان يرد الى فرنسا هيبتها ومكانتها العالمية سياسيا واقتصاديا وعسكريا وحضاريا ٠٠ شدد الرقابة على الاخلاق ٠٠ ونجح برنامج ديجول الاخلاقى ٠

وعندما أحست اليابان الحديثة - بعد شوطها الحضارى الواسع - بأن شبابها بدأ يعبث ويلهو وينحل ٠٠ لجأت الى الدين كعامل من عوامل النقاء والقوة ٠٠ وأصدرت القوانين بألا يوظف شاب فى وظيفة عامة الا بعد أن يدخل المعبد ويمارس فيه رياضة روحية ٠

العالم كله بدأ يتجه الى أخلاقيات الدين لعلاج أوصابه وهمومه وأوجاعه ٠

ولعل من الطريف حقا ٠٠ أن الصهاينة أنفسهم - وهم اعداء الاديان وقتلة الانبياء يحاولون أن يركبوا الموج ويتمسحوا بكلمات الدين والروح ٠٠ انهم يلبسون حربهم الاجرامية ضدنا مثلما فعل الصليبيون من قبل ثوب العقيدة ٠٠ يدعون أنهم يقاتلون فى سبيل التوراة ٠٠ والتوراة منهم براء ٠

بل ان بن جوريون يقول للاسرائيليين فى حديثه عن درس الخامس من يونيو : « يجب على شعب اسرائيل أن يتفوق روحيا .. فبفضل هذا التفوق الروحى استطاع شعبنا أن يحيى وطنه وأن يستمر فى البقاء ٠٠ أن كل ما جاء به العلم الحديث لا يكفى وحده ٠٠ ولن تكون الكلمة الاخيرة للدبابة والمدفع والطائرة ٠٠ وانما للانسان بعقائده » ٠

الحقيقة الواضحة والمؤكدة ٠٠ هى أن المنهج النفسى والاخلاقى والروحى - منهج الدين - لازم لنا لزوم الحياة ٠٠ وليس أدل على ذلك من أن رذائل الاستعمار والصهيونية تقوم على قاعدة تنحية الامة العربية والاسلامية عن دينها وصرفها عن قرآنها وربها ٠٠ لتصبح شاردة يسهل اخضاعها واذلالها حتى ترتع فى جو من الشهوات والمآثم ٠٠ وعندئذ تنحل ارادتها وتنفصم عروتها وتذهب ريحها !

فلنبادر الى خوض معركتنا ضد النفس ونحن نعد لمعركتنا ضد العدو ٠٠ ولترتفع كل وسائلنا الاعلامية والثقافية الى مستوى معركة نصوغ فيها الحياة على أرضنا بالايمان والاخلاق والطهر والنقاء ٠٠

وخليق بنا ٠٠ بكل رجل وامرأة ٠٠ بكل شاب وفتاة وطفل ٠٠ بكل معاهدنا ومدارسنا وجامعاتنا

وبيوتنا .. خليق بنا جميعا أن نفتح القلوب والعقول جيدا لما نادى به قائدنا المؤمن الرئيس أنور السادات .. من أن معركتنا يجب ان تكون معركة سلوك لا شعارات .. وأن بناء دولتنا العصرية يجب أن يقوم على العلم والايمان والاخلاق ..

وما أروع ما قاله زعيمنا الخالد جمال عبد الناصر فى أعقاب النكسة : « لابد من التمسك بالدين والاعتصام بفضائله » .. وما قاله أيضا عن ضرورة مجتمع القيم والفضائل : « الدين هو طريقنا الى الحياة الفاضلة .. الدين يبين لنا الحلال من الحرام .. كل ما يقره الدين فنحن نعمله .. وكل ما ينكره الدين فنحن نتركه .. ان اعداءنا يتهموننا بالجمود لتمسكنا بديننا .. فاذا كان التمسك بالدين جمودا فنحن نرحب به » .

بقى أن نقول أن الجبهة الداخلية التى نريد لها أن تكون بالاخلاق والايمان سندا لجبهة القتال .. ليست هى جبهة مصر وحدها ولا جبهة سوريا وحدها .. وانما يجب أن تكون الجبهة ممتدة على ساحة العالم العربى الاسلامى بأسره .. فالعدو هو عدو الجميع . وحربه حرب ضد الجميع ..

وعلى الدعاة والقادة الاسلاميين واجب حشد سبعمائة مليون مسلم .. وترجمة العقيدة التى تجمعهم الى خطة تحرك فى اتجاه المعركة :

تحرك عقيدى وروحى واخلاقى يفعم القلوب بالايمان والقوة والترابط ، تطبيقا لقول رسول الاسلام عليه أفضل الصلاة والسلام : « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر » .

وتحرك مادى يقدم للمعركة اعظم وسائل الدعم والحسم ، احياء لكلمة صلاح الدين: «أيها المسلمون .. اننا فى حاجة الى سيوفكم أكثر من حاجتنا الى دعائكم » .

(نصر الله امة العرب والاسلام وسدد خطاها .. ما استمسكت بطريق الله وآمنت بنصره .. وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) .

شركة اسطوانات صوت القاهرة
تقدم

المصحف المجود مسجلا
على اسطوانات ٣٣ لفة
بصوت الشيخ
عبد الباسط عبد الصمد
يباع كاملا أو فى مجموعات بخصم كبير

مجموعة كبيرة من اسطوانات
القرآن المجود
لأحب الأصوات التى تسبح بآيات الله البينات
الشيخ محمد رفعت • الشيخ محمد الناري
الشيخ محمود خليل الحصرى • الشيخ صديق المنشاوى
أروع الألحان وأعذب الأغانى الدينية

• • • • • • •

أسماء الله الحسنى ..
أداء : النقشبندى • الفيومى • الشام • رمضان وبدر

تباع بفروع صوت القاهرة ١٢ عمارة الكونتيننتال بميدان الأوبرا ، ٣٠ شارع البورصة الجديدة بالقاهرة
٣٠ شارع كلية الطب بجوار سينما الهمبرا بالاسكندرية ومعارض شاهر/ ستريلك وجميع محلات بيع الاسطوانات بمصر والخارج

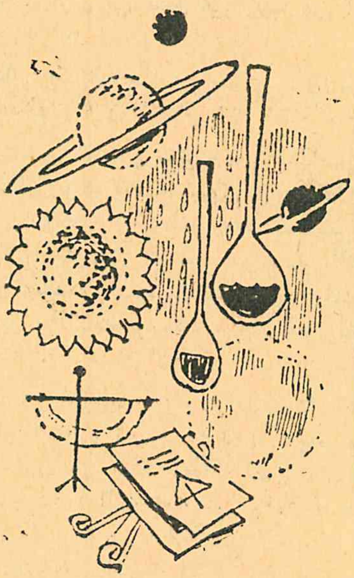

باب العلم

الغذاء والماء في القرآن الكريم

الدكتور جمال الدين حسين مهران

الغذاء ينبوع الحياة ، لاغنى عنه لكل كائن حى أوجده الله على ظهر البسيطة من انسان وحيوان ونبات ، فهو يمده بالطاقة اللازمة لحياته وبالعناصر التى تتكون منها خلاياه وأنسجته وتجددها . وأصل الانسان وخلقه من الطين والتراب بقدرة الله تعالى وبعد أن نفخ فيه من روحه .

« ولقد خلقنا الانسان من سـلالة من طين » (المؤمنون ١٢) .

« يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب (من ٥ الحج) .

« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون » (الحجر ٢٨) .

ومادة جسم الانسان مكونة من العناصر الاساسية للتراب والطين وخلاياه تتكون من هـذه العناصر نفسها ، ولذا وجب أن تتوافر هذه العناصر فى الغذاء نفسه ، وهذا قد يبين الصلة بين خلق الانسان من تراب وبين الغذاء الذى يشتمل على عناصره ليبنى بها الانسان والنبات جسده وأعضاءه ويقوم بهـا أوده وحياته .

والنبات هو الوحيد من بين المخلوقات والكائنات الحية القادرة على تصيد طاقة الاحياء جميعـا واختزانها ، ومصدر هذه الطاقة أصلا هى الشمس ، وبفضل ما أودعه الله فيه من مادة اليخضور أو الكلوروفيل التى توجد عادة فى المجموع الخضرى للنبات وبخاصة الاوراق ويستعمل هذه الطاقة فيحول بها ماتمتصه جذوره من الارض من عناصر وأملاح وخاصة النيتروجينات وماتمتصه اوراقه من غازات الجو من الاكسجين وثانى اكسيد الكربون الى مواد عضوية منها مادة الحياة (البروتوبلازم) ومنهـا المواد العضوية المعقدة الاخرى كالنشويات والسكريات والبروتينات التى يستخدمها الكائن الحى فى غذائه ويختزنها فى بعض أجزائه ، وتأمل قول المولى جل جلاله فى محكم آياته فى الاية ٩٩ من سورة الانعام:

« وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا بـه نبات كل شىء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا » .

ومن دورة التمثيل الغذائى فى النبات تبرز عجائب الخالق وقدرته أن جعل الموت ضروريا للحياة وكيف خلق الحياة من نواتج الاحياء .

« تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخـرج الميت من الحى »
(ومن يدبر الامر فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون)

فدورة الحياة والموت هى معجزة الكـون وسر الحياة نفسها ، والسمات الرئيسية فى هذه الدورة أن الماء وثانى أكسيد الكربون والنتروجين والاملاح غير العضوية فى التربة تتحول بفعل طاقة الشمس والنباتات الخضراء والانزيمات فيها وأنواع معينة من البكتريا الى مواد عضوية منها مادة الحياة التى تتكون فى النبات والحيوان ، اما فى الشق الثانى من هذه الدورة فتعود هذه المواد الى عالم الموت فى صورة نفايات الاحياء ونواتج أيضها وتنفسها ثم فى صورة أجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل البكتيرى والكيماوى التى تحيلها الى مواد بسيطة غير عضوية مهيأة للدخول فى دورة جديدة من دورات الحياة ، وهكذا فى كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتا من الحياة .

ان المؤمن الخاشع يسبح لعظمة مولاه حين ينظر حوله كل يوم الى الارض الميتة الهامدة ثم ينزل عليها الماء فتربو ويخرج منها النبات الحى الاخضر شاهدا على قدرة المولى أنه يحيى الموتى ويبعث من فى القبور فيزيده ذلك ايمانا وعقيدة .

« فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » (٥ الروم) .

وعلى هذا فغذاء النبات من التراب والماء والشمس والهواء ، اما الانسان والحيوان فليس لهما القدرة على الاستفادة مباشرة من التراب والماء والشمس والهواء وعلى تحويل المواد غير العضوية الى مواد عضوية حية وغير حية كما يفعل النبات ولذا يعتمد الانسان فى غذائه على النبات ، يأكل منه مايبنى به جسده من مواد حية اولية وعضوية ويأكل من الحيوان المواد الحيوية التى أنتجها بدوره من النبات ويستفيد بهذا الطعام فى توليد الطاقة اللازمة لحياته يبنى بها خلاياه ومن خلاياه ينشىء انسجته ومن الانسجة يبنى أعضاءه ومن اعضائه يبنى جسمه .

وقد أرشد الله الرحيم الانسان الى الغذاء والطعام الذى يفيده ويستفيد منه فى بناء جسمه وفيما يحتاج اليه من طاقة للقيام بأعماله .

وقد ذكر القرآن أنواعا متعددة من الاغذية التى أثبتت البحوث العديدة الحديثة فى التغذية أنهـا تحتوى على المكونات الغذائية الضرورية لجسـم الانسان ، هذا وتوجد فى القرآن الكريم اللبنـات الاساسية لاسس التغذية السليمة التى تبنى على الاتزان وعدم الاسراف كمانهى القرآن الكريم الانسان

عن الاغذية الضارة والتى اثبت العلم ماتحويه من عناصر ضارة وخطرة على الصحة ، مثل الدم والميتة ولحم الخنزير .. الخ

وتشير آيات عديدة الى الطيبات من الرزق التى أحلها الله لعباده وغذائه من لحوم الاغنام والابل والانعام والطيور والاسماك واللبن وكذلك الفواكه والثمار والبقول والحبوب والخضروات وهى تحتوى على عناصر الغذاء الاساسية التى تمد الجسم بالحرارة الضرورية لحياته والطاقة اللازمة لدوام الوظائف الطبيعية والحيوية .

والغذاء فى حياة الانسان كالوقود اللازم للاله مثل الكهرباء والبنزين والبخار مع البون الشاسع والفارق الكبير ، فالانسان فى عمل مستمر دون توقف طيلة حياته ، حتى فى أوقات تفرغه وراحته حيث تقوم أجهزته بوظائفها دون توقف فلا يمكن مقارنة مايبذله من جهد مستمر بما تقوم به الاله التى تعمل حينا وتتوقف أحيانا .

والغذاء والطعام هو مصدر الطاقة اللازمة للجسم للقيام بنشاطه ووظائفه الحيوية واعطائه صفة الحياة ، اذ تتولد الحرارة فى الجسم نتيجة تأكسد واحتراق المواد الغذائية والقيمة الحرارية للاغذية هى كمية الطاقة الحرارية المتحررة من المواد الغذائية بعملية الايض الهدمى .

يقول تعالى فى محكم آياته : « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » (**من الانبياء ٣٠**) وقد اثبت تحليل الكائنات الحية المختلفة المعروفة لدينا أن الماء يكون حوالى ثلاثة أرباع وزنها « **والله خلق كل دابة من ماء** » وان عدم وجود الماء يفقدها الحياة . وتتكون المواد الغذائية فى النبات باتحاد كيميائى حيوى بين الماء وثانى اكسيد الكربون ولذلك أوضحت آيات عديدة فى القرآن الكريم وربطت بين الماء واخراج النبات والاشجار والنخيل والزرع والحب والثمار ليدرك الانسان أن الماء هو الاصل فى احياء النبات الذى يتغذى بـه .

« **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم** » (**من الاية ٣٢ . ابراهيم**) « **وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون ، فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون** » (المؤمنون ١٨ ــ ١٩) .

ولم يكتف القرآن الكريم أن يبين لنا ان الماء هو أصل كل حى من نبات وحيوان بل أمرنا أن ندرس ونتدبر حقيقة ذلك وأن ينظر الانسان الى مابين يديه من أقرب الاشياء اليه وهو طعامه وغذاؤه وماذا صنع الخالق القدير فى أحداثه وتهيئته لان يكون غذاء صالحا فقال تعالى : « **فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا** (عبس ٢٤ ــ ٣٠) .

فقد أنزل الله الماء من السماء مطرا على الارض وهو مصدر المياه العذبة وعليه يتوقف كيان الزراعة التى هى ينبوع الرخاء ومورد الغذاء والثروة الدائمة .

وان قلت كمية المطر جدبت الاراضى واقحلت المراعى واذا قل ماء المطر وماتجود به السماء دعا المؤمنون ربهم وصلوا صلاة الاستسقاء لتجود به السماء :ــ

« **استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا** (نوح ١٠ ــ ١١) وينزل الماء على الارض التى كانت رتقا متماسكة الاجزاء فتنشق ويخرج النبات منها منتجا أنواع الغذاء المختلفة من حب وهو كل ماحصد كالحنطة والشعير ، والقضب وهو الرطبة ومايؤكل غضا من النبات ، ــ وسمى قضبا لانه يقطع مرة بعد أخرى ــ ، والزيتون والنخيل من الثمار المغذية والحدائق وهى البساتين ذات الاشجار المثمرة والضخمة العظيمة وذكر الحدائق برمتها للنعم التى نستفيدها من أشجارها وثمارها وأخشابها ، والاب هو المرعى الذى يتغذى عليه الحيوان لانه يؤب ويؤم وينتجع ، كل ذلك المتاع ينتفع به الانسان لغذائه والماء مصدر الغذاء والشراب .

ونص القرآن الكريم على أن اطهر الماء مانزل من السماء :

« **وانزلنا من السماء ماء طهورا** » (الفرقان ٤٨)

فجاء المطر عند بدء تكوينه فى أعلى درجات النقاوة على الرغم من انه يحمل بعد ذلك بعض مافى الجو من جسيمات وذرات وغازات .

والماء الذى يكون حوالى ٧٠٪ من جسم الانسان يوجد على هيئة سوائل فى الجسم وهو أساس تكوين الدم والسوائل التى بين الخلايا (الليمف) ، والسائل النخاعى وافرازات الجسم كالبول والعرق والدموع واللعاب والصفراء واللبن والمخاط .. الخ ..

ويأخذ الانسان حاجته من الماء مما يشربه وما يحتويه الطعام منه ومايتنتج منه من عمليات أكسدة المواد الدهنية والكربوايدراتية والبروتينية فى جسمه .

ويمتص الماء أساسا فى الامعاء الغليظة والى درجة أقل فى الامعاء الدقيقة ويذهب الى الدم حيث يفرز عن طريق الرئتين على هيئة بخار والكليتين على هيئة البول والجلد على هيئة العرق ، كما يفرز فى صورة العصارات الهضمية فى المعدة وفى الامعاء ، ويمتص ثانية مع الماء الموجود فى الطعام والشراب .

والماء هو سبب رخاوة الجسم وليونته ، وهو يساعد على تنظيم تركيز العناصر المعدنية ، ويعمل على نقل المواد الى الانسجة والخلايا عن طريق اذابتها ويسهل اخراج الفضلات والمواد الضارة عن طريق الكلى ويلطف درجة حرارة الجسم عن طريق تبخره فى الرئتين والجلد ، ولذلك فلولا الماء ماتم تحليل الاطعمة وتحويلها الى مواد أبسط وأسهل على الامتصاص ولولاه ما انتقلت الفضلات والسموم التى تطردها الخلايا والانسجة خارج الجسم ومن أجل هذا نرى أنه بدون الماء لاتقوم للحياة قائمة .

والماء يلى الهواء مباشرة فى الاهمية لجسم الانسان ، فالمرء يمكنه أن يبقى أسابيع بلا طعام ،

البقية ص ٢٠٧

سيارة العصر

مع تحيات

نصر للسيارات

﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾

الدكتور محمد حسين حلمي

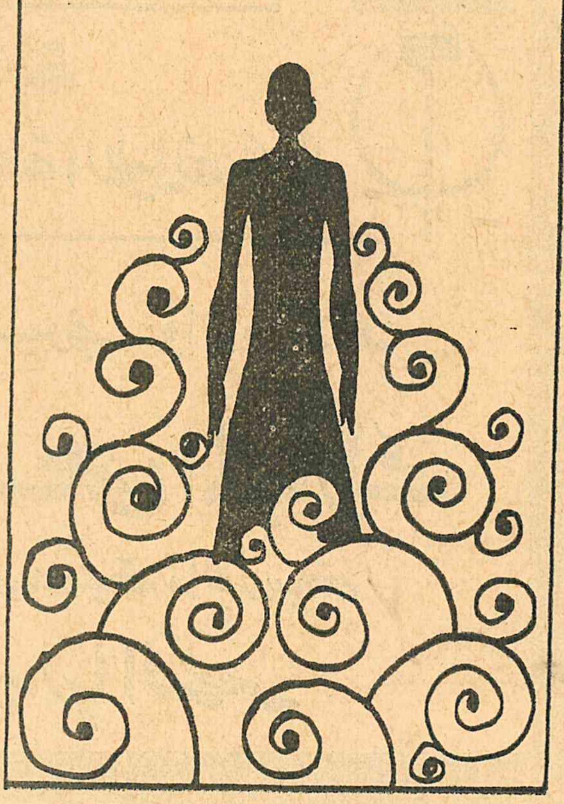

ان المتأمل فى الكون وما فيه من أسرار اذا دقق النظر وأطال التفكير وجد فيما حوله كثيرا من العجائب التى لاتدانى ولاكتشف من الظواهر ما تكفى فيها النظرة السطحية الى الاشياء .

قال الله عز وجل «**الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك** » . ان فى هندسة الخلق من الاسرار الكثيرة التى وضح بعضها الان ولايزال البعض الاخر مستترا عن أعين العلماء . ان العلماء كلما تقدموا فى العلوم وارتقت لديهم أدوات المعرفة كلما اكتشفوا المزيد من تلك السنن والاسرار وخصوصا بعد تقدم تكنولوجيا المنظار المكبر أو المجهر الالكترونى . ان الحقائق والاحداث تثبت لهم كل يوم أن تلك الهندسة الكونية وذلك الخلق الفريد كان ولايزال على أعلى المراتب من الابداع والعظمة .

فخذ مثلا هذا الحيوان البسيط الذى يعيش فى الماء ويتكون من خلية واحدة هى كل مايملكه من ذات أنه يعيش فى البيئة التى وجدها تناسبه فهو يتكيف بظروفها ويسير على مقتضى أحوالها .

ان بينه وبينها يوجد جدار ــ ان الجدار نفسه معجزة من معجزات الخالق أنه تركيب معقد وجهازا حساس فهو يحس بالبيئة ويخضع جسم الحيوان لحكمها . فاذا صلحت البيئة يحس الحيوان بالدفء ويلجأ الى الحركة واذا ساءت لجأ الى الانزواء .

فمن المعلوم علميا أن درجة حرارة الماء يصحبه سرعة فى التفاعلات واشتداد فى الحركة فى الجزئيات والاملاح الذائبة فيه وكأن هذا النشاط على ميعاد مع حركة الروتوبلازم الحى داخل الخلية ومع تفاعلاته . وبين هذا وذاك يوجد ذلك الجدار أو الجهاز الحساس الذى اكتشف العلماء حديثا من أسراره الكثير . فهو مكون من ثلاث طبقات .. طبقة خارجية تطل على الوسط أو البيئة وطبقة داخلية تلامس البروتوبلازم الحى وتنبئه بما يدور فى خارج الخلية من أحداث . أما الطبقة الوسطى التى تقع بينهما ففيها فجوات وتراكيب تنظم حركة مرور جزئيات الغذاء والمواد الداخلة اليها والخارجة منها وتتحكم فيها وتضبطها لفائدة الحيوان .

وكل هذه الطبقات والتراكيب لاتزيد فى السمك عن واحد من المليون من سمك المليمتر الطولى .
واذا تعمقنا فى النظرة وتقصينا فى البحث وتابعنا البروتوبلازم فى نشاطه لوجدنا من قدرة الله عجبا ومن عظمة الخالق حكما . ان هذه القدرة وتلك العظمة قد أخرست كل لسان والجمت كل متطاول الى آخر الزمان فلقد اكتشفت الانزيمات أخيرا وثبت أنها تقوم باتمام أعقد التفاعلات الكيميائية فى سهولة ويسر وفى لحظات معدودات فالتفاعل الذى كان يتم فى المعمل فى ساعات وأيام صار يتم هنا فى دقائق وثوان والعملية التى تحتاج الى الاجهزة والتركيبات التى تشغل معملا بأسره تتم فى داخل جسم الخلية فى مساحة لاتزيد عن جزء من ألف من مساحة المليمتر المربع فكيف يتم هذا وكيف يتحقق هذا النمط الهندسى الرائع « **انه على كل شىء قدير** » وقال الله جلت قدرته «**وجعلنا من الماء كل شىء حى**» فان الذين اكتشفوا تلك الانزيمات قد اكتشفوا أيضا أنها لاغنى لها عن الماء فهى تذوب فيه لتتهيأ للعمل وبه تذيب الجزئيات الداخلة فى تراكيب المادة وبواسطته ترجع سيرتها الاولى بعد اتمام العمليات لتبدأ بالتالى الى نشاط جديد . ولقد حاول العلماء أن يصنعوا من هذه الانزيمات شيئا فى المعمل ففشلوا فقاموا باستخراجها من مصادرها الطبيعية فصادفتهم الصعوبات الجمة وحاولوا بتلك المستخرجات أن يصنعوا من الطين خلية حية فعجزوا عن ذلك تماما وكل ماحققوه أنهم جاءوا بالبروتوبلازم الحى وعملوا على تنشيطه بالطرق الصناعية فنتج عن ذلك تكاثر فى الخلايا ولكن بدون روابط وتضخم فى البروتوبلازم بدون هدف معين وهذا مانسميه الان بعملية زرع الانسجة فى المزرعة الصناعية ولكن هذا ليس خلقا جديدا لان الخلق من قدرة الله والابداع من عظمة الخالق .

« أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم »

صدق الله العظيم

المؤسسة المصرية العامة
للمصانع الحربية وصناعة الطيران وشركاتها

تهنئ الشعب العربى والإسلامى
بعيد الأضحى المبارك
أعاده الله على الأمة الإسلامية والعربية
وقد تحقق لها النصر

المكتبة الإسلامية

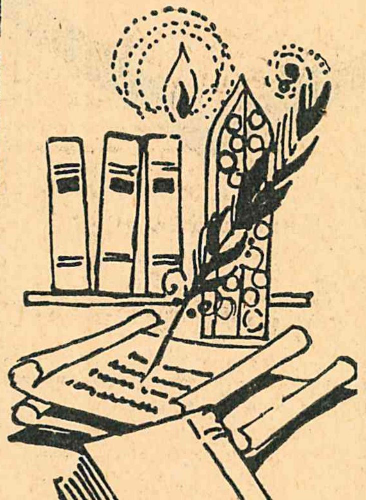

الكعبة

تأليف

الدكتور علي حسني الخربوطلي

عرض

عبد المقصود حبيب

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »

دعوة الله الى خلقه المؤمنين به وبرسوله عليه الصلاة والسلام الى قضاء ركن من اركان الاسلام « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « هذا البيت دعامة الاسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله ان قبضه أن يدخله الجنة وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة » .

هذا هو البيت ..

وهذا جزاء زائره حاجا أو معتمرا .. فى تعبير رشيق عميق المعنى كبير الدلالة .

فى الاشهر الحرم المباركة يلبى المسلمون الدعوة الربانية لحج البيت الحرام مصداقا لقوله جلت قدرته « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ويسافرن المصطفون المختارون من عباد الرحمن الى مواطن الرحمة وساحات الانعام ، ويستولى على وفد الله شعور غامر وشوق زائد الى اللحظات السعيدة التى يتشرفون فيها برؤية الكعبة المعظمة التى جذبت قلوب المسلمين اليها وحولت وجوههم فى الصلاة نحوها .

انها أول بيت وأشرف بيت وأطهر بيت على وجه الارض « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » .

كل ذلك اجمالى عن هذا البيت العتيق .. لكن التفاصيل بالاخبار والمعلومات عن هذا البيت .. كيف أنشىء ومتى ومن انشأه وأين وما تطوره وما الاحداث التى مرت به وماذا اعتراه من تغيرات وماذا حدث له من اضافات وما تعرض له من حب أقوام وكره آخرين .. كل ذلك لابد لنا ممن يروى تفاصيله ولابد لمن يسعى اليه أن يعرضها حتى يقدسه تقديس العالمين العارفين وليس فقط تقديس المقلدين .

وقد كتب كثير من المؤرخين فى تاريخ الكعبة المعظمة واحداثها وتناثرت كتاباتهم فى كتب كثيرة مثل : مسالك الابصار فى ممالك الابصار — رحلة ابن بطوطة — الطبرى — تاريخ اليعقوبى — تاريخ ابن عساكر — مروج الذهب — الكامل — أنساب الاشراف — البداية والنهاية — سيرة ابن هشام — العقد الفريد — الطبقات الكبرى — اقناع الاسماع .. الخ .

وفى العصور الحديثة تناول الموضوع من زوايا مختلفة وتأسيسا على تلك المراجع أو بعضها كتاب كبار مثل العقاد والدكتور هيكل وجمال سرور .

ولكن فى مارس ١٩٦٧ طالعنا كتاب صغير الحجم فى ١٢٤ صفحة منفردا بدراسة الكعبة وحدها هو « الكعبة على مر العصور » لكاتب اسلامى كبير ممن يمدون المجلة الغراء « منبر

على مر العصور

الاسلام » بفيض دائم من علمهم الغزير الا وهو الاستاذ الدكتور على حسنى الخربوطلى .

ويقدم المؤلف هذا الكتاب بقوله : هذه هى دراسة علمية منهجية لتاريخ الكعبة المقدسة التى يقدسها المسلمون فى أرجاء الارض ويحجون اليها فى كل عام لتادية فريضة الحج التى هى ركن من أركان الاسلام حيث يجتمعون بين يدى الله عز وجل فيتوجهون اليه بالدعاء ويلتمسون الغفران والبركات » .

ثم يحدثنا عن مصادر دراسته فيقول فى المقدمة أيضا « وقد اعتمدنا فى هذه الدراسة على القرآن الكريم وكتب السيرة النبوية والمصادر العربية الاسلامية الاصلية ودرسنا تاريخ الكعبة منذ قيامها وفصلنا تاريخها على مر العصور المختلفة حتى اليوم » .

والكتاب فى جملته ينتظم أحد عشر فصلا أولها فصل عن « روايات حول الكعبة قبل ابراهيم عليه السلام وآخرها فصل عن وصف الكعبة .. فيصفها « شكل الكعبة مربع تقريبا مبنية بالحجارة الزرقاء الصلبة ويبلغ ارتفاعها ١٥ مترا وطول ضلعها الذى فيه الميزاب والذى قبالته ١٠ أمتار و١٠ سنتيمترات وطول الضلع الذى فيه الباب والذى يقابله اثنى عشر مترا وبابها على ارتفاع مترين من الارض ويصعد اليها بسلم كسلالم المنابر وسلمها الحالى من الخشب المصفح بالفضة هداه الى الكعبة أحد أمراء الهند . وفى الركن الذى على يسار باب الكعبة الحجر الاسود على ارتفاع متر وخمسين سنتيمترا من أرض المطاف .

أما شكل الكعبة من الداخل فمربع مشطور الزاوية الشمالية وبهذه الشطرة باب صغير اسمه باب التوبة يوصل الى سلم صغير يصعد به الى سطحها وبوسطها من الداخل ثلاثة أعمدة من خشب العود عليها مقاصير وترتكز على حائط الميذاب من جهة الحائط الحجر الاسود من جهة أخرى ويغطى سقف الكعبة وحوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردى عليها مربعات مكتوب فيها « الله جل جلاله » وفى قبالة الداخل من الباب محراب كان يصلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ويحيط ببناء البيت من الداخل هامش من الرخام المجزع على ارتفاع نحو مترين » .

أما بناء الكعبة فقد وردت فيه روايات كثيرة ومختلفة فى كثير من التفاصيل والمعلومات ويقول الدكتور الخربوطلى « قام ابراهيم وابنه اسماعيل ببناء الكعبة بعد نزوحهما من فلسطين الى بلاد الحجاز بأمر من الله سبحانه وتعالى وهو ما يؤكده القرآن الكريم ومجمع عليه المؤرخون ولكن يحلو لبعض المؤرخين أن يذكروا بعض الروايات التى تدور حول بناء الكعبة فيجعلون لتاريخ الكعبة أصولا وجذورا تمتد الى ما قبل عهد ابراهيم واسماعيل ويصبح الخيال الواسع عنصرا بارزا فى بعض الروايات واختلاف بعض الروايات وتناقضها وعدم موافقتها للكتب السماوية يجعلنا لا نؤمن بصحتها ولكننا ونحن ندرس تاريخ الكعبة المعظمة لا نرى بأسا من أن نذكر بعض هذه الروايات التى حوتها كتب بعض المؤرخين الاقدمين فقد أصبحت جزءا من تواريخهم وهى محط أنظار القراء فى كل زمان . وحتى يمكننا أن نناقش هذه الروايات ونحكم عليها حكما تاريخيا منهجيا » .

ويقول الدكتور الخربوطلى تحت عنوان بناء الكعبة « ومن أدق هذه الروايات وأوجزها ما رواه الطبرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس » جاء ابراهيم فوجد اسماعيل يصلح نبلا له من وراء زمزم فقال له ابراهيم : يا اسماعيل ان ربك قد أمرنى أن أبنى له بيتا . فقال له اسماعيل : فاطع ربك فيما أمرك . فقال ابراهيم قد أمرك أن تعيننى عليه . قال : اذا أفعل . فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ويقولان « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل اسماعيل يتناوله ويقولان : « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » فلما فرغ ابراهيم من بناء البيت الذى أمره الله عز وجل ببنائه أمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج فقال له « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

وعن الحجر الاسود فيقول عن رواية أسندها الطبرى الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال « فوضع ابراهيم الاساس ورفع البيت هو واسماعيل حتى انتهيا الى موضع الركن فقال ابراهيم لاسماعيل : يابنى ابغ لى حجرا أجعله علما للناس فجاءه بحجر فلم يرضه وقال : ابغنى غير هذا فذهب اسماعيل ليلتمس له حجرا فجاءه فقد وجده أتى بالركن فوضعه موضعه فقال يا أبت من جاءك بهذا الحجر ؟ فقال من لم يكلنى اليك يابنى » .

كان العرب فى بداية الامر يقدسون الكعبة باعتبارها بيت الله الحرام الذى بناه ابراهيم وابنه اسماعيل بأمر من الله عز وجل وافق تقديس العرب للكعبة الى تقديس مكة والمناطق المجاورة لها حتى أصبحت الاراضى الممتدة حولها الى عدة فراسخ حراما لا يجوز فيها الاعتداء على انسان أو حيوان .

... ...

وقد جاء فى كتاب « الاصنام » لابن الكلبى « انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للكعبة وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على ارث أبيهم اسماعيل من تعظيم الكعبة والحج والاعتمار » .

ولم يقتصر تقديس الكعبة قبل الاسلام على العرب وحدهم بل امتد تقديسها الى بعض الامم الاخرى كالفرس والهنود .

... ...

وبعد وفاة اسماعيل تولى الاشراف على الكعبة ابنه « ثابت » ثم بعد ذلك زعماء جرهم ثم قبيلة خزاعة التى ظلت تتولى شئونها حتى برزت قبيلة قريش واستطاعت أن تأخذ

حقائق الإسلام وأباطيل خصومه

تأليف الاستاذ
عباس محمود العقاد

هذا الامر بيدها واتخذت قريش من الارض المجاورة للكعبة حرما أولوه احترامهم واعتبروه مقدسا وحرموا فيه القتال .

وكتب الله لمكة بعد بناء الكعبة المجد والخلود فقد أصبحت مكة موطن الكعبة ومقصد الحجاج من أنحاء الارض .

وطمعت القبائل فى بلاد أخرى أن تكون لهم نفس المكانة التى للكعبة ولمكة .. وخشى تبابعة اليمن بوار تجارتهم فرأوا أن يعملوا على الخلاص من الكعبة اما بهدمها أو الاستحواذ عليها .

وخرج من اليمن قاصدا مكة لهدم الكعبة ولكنه حاد عن عزمه وتأثر بقدسية البيت العتيق فكساه ونحر عنده .

ثم كانت محاولة أبرهة التى باءت عليه بغضب من الله سجله القرآن فى سورة « الفيل » .

وتعرضت مكة لعدة سيول فى أوقات متفاوتة مما صدع جدرانها فبدأت قريش عملية هدمها وبنائها من جديد « وكان أول من بدأ الهدم « عائذ بن مروان بن مخزوم » فتناول من الكعبة حجرا فوثب بين يديه حتى رجع الى موضعه كما يروى ابن هشام فقال عائذ : يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا ولا يدخل فيها مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ».

ولما بلغ البناء موضع الحجر الاسود اختلفت بطون قريش فيمن يحوز شرف اعادة الحجر الاسود الى مكانه حتى وصل الخلاف الى حافة القتال وكان محمد عليه الصلاة والسلام يدخل عليهم من باب المسجد فاحتكموا اليه فأشركهم جميعا فى وضع الحجر .

ثم أخذ الرسول يدعو لدين الله وكان كل اعتماده فى نشر الدعوة على موسم الحج فكان يلتقى بالقبائل عند الكعبة ويدعوهم الى الاسلام وفى ذى القعدة سنة ٦ هجرية رأى الرسول أن يدخل مكة معتمرا لا غازيا ليعلن للعرب أن دين الاسلام يحترم الكعبة كما يحترمونها وخرج لاداء العمرة ومعه ألف وأربعمائة من المهاجرين والانصار .

ثم كان فتح مكة وتطهير الكعبة من الاصنام والاوثان .. ثم أذن للصلاة من فوق الكعبة ..

وتعرض الكتاب ابتداء منفصله الثامن الى أحداث طرأت على الكعبة بعد النبى صلى الله عليه وسلم وانتقاله الى الرفيق الاعلى ثم من بعده الخلفاء الراشدون الى أن تولى الخلافة الاموية « يزيد بن معاوية بن أبى سفيان » وأعلن معارضة ذلك الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير .

ولاذ ابن الزبير بالكعبة وسمى نفسه « العائذ بالبيت » وأخذ يصلى بجوار الكعبة ليلا ونهارا ويتصل أيضا بوفود الحجاج اليها حيث يبث دعوته السياسية فيهم ويثير عندهم روح السخط على يزيد والخلافة الاموية .

واستفحل الامر فقامت الحرب بين ابن الزبير وبين الامويين وتهدمت عنها الكعبة وأعاد بناءها ابن الزبير وانتشرت دعوته وأخذ يقوى حتى جاءه الحجاج الثقفى وحاصره فيها ورماها بالحجارة والمجانيق فتهدمت واعيد أيضا بناءها .

واهتم الخلفاء المسلمون بعد ذلك باعادة البناء أو الترميم أو التعلية حتى اذا جاءتها سيول شديدة فى ١٠٣٩ هجرية ضعفت جدرانها وقام بعمارة البيت من جديد جماعة منالمهندسين والعمال المصريين وانفقوا فى سبيل ذلك أموالا كثيرة وكان الحجر الاسود قد عراه بعض التصدع فى عهد ابن الزبير فعالجه المهندسون المصريون اذ ذاك بتقويته بسيور من الفضة

ثم جاء الفصل العاشر من الكتاب وكله عن كسوة الكعبة على مر العصور .

... ...

والكتاب فى جملته سفر جامع لمن يريد أن يعرف تاريخ الكعبة قبل أن يصل اليها .. حتى اذا ما لبى النداء وتوجه اليها مقبولا من الله وقف يدعو أول رؤيته لها « اللهم ان هذا الحرم حرمك والبلد بلدك والامن أمنك والعبد عبدك جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة وأعمال سيئة أسألك مسألة المضطر اليك المشفق من عذابك أن تستقبلنى بمحض عفوك وأن تدخلنى فى فسيح جنتك جنة النعيم اللهم ان هذا حرمك وحرم رسولك فحرم لحمى ودمى وعظمى على النار » .

عرض وتقديم

الأستاذ محمد فادي عسر

شاع عن الاسلام انه دين السيف وهو قول يصح في هذا الدين اذا أراد قائله أنه دين يفرض الجهاد ومنه الجهاد بالسيف. ولكنه خطأ بين اذا أريد به أن الاسلام قد انتشر بحد السيف أو أنه يضع القتال في موضع الاقناع .

ويرد توماس كارليل صاحب كتاب الابطال وعبادة البطولة على هذا الاتهام بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه : « ان اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، اذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته . فاذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها » .

وفي استعراض لما تناوله الاستاذ عباس العقاد في كتابه حقائق الاسلام وأباطيل خصومه في باب حقوق الحرب ، نجد أن الواقع الثابت في أخبار الدعوة الاسلامية أن المسلمين كانوا هم ضحايا القسر والتعذيب قبل أن يقدروا على دفع الاذى من مشركي قريش في مكة المكرمة فهجروا ديارهم وتغربوا عن أهليهم حتى بلغوا الحبشة في هجرتهم ثم بعدها المدينة المنورة .

ولم يعمد المسلمون قط الى القوة الا لمحاربة القوة التي تصدهم عن الاقناع . فاذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها لان القوة لا تحارب بالحجة أو النية . واذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لهم بسوء .

ولم يفاتح النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بالعداء . وقد كتب الى الملوك والامراء يبلغهم دعوته بالحسنى . ولم تقم الحرب بعد هذا البلاغ بين المسلمين وجنود الفرس والرومان الا بعد تحريضهم القبائل العربية في العراق والشام على غزو الحجاز واعدادهم العدة لقتال المسلمين .

وفي الجزيرة العربية لم تقم حرب بين المسلمين وقبائلها الا أن تكون حرب دفاع أو مبادرة الى اتقاء هجوم مبيت .

وكانت العداوة سافرة بين المسلمين ومشركي قريش لا يكتمها المشركون ولا يخفون أنهم عقدوا النية على الايقاع بمحمد وأصحابه وفض العرب من حوله وايذاء كل من يدخل في الاسلام واستمرت الحرب كذلك حتى فتح مكة . فظهرت حرب أخرى هي حرب النفاق وزمرة المنافقين وشدد الله ورسوله عليهم ..

اما قبائل الجزيرة العربية في غير قريش : فلم يحاربهم الاسلام الا حرب دفاع أو حرب مبادرة لاتقاء الهجوم من جانبها .

وهذا هو حق السيف كما استخدمه الاسلام في أشد الاوقات حاجة اليه . حق السيف مرادف لحق الحياة . وكل ما أوجبه الاسلام فانما أوجبه لانه مضطر اليه . أو مضطر للتخلي عن حقه في الحياة وحقه في حرية الدعوة والاعتقاد . فان لم يكن درءا للعدوان والافتئات على حق الحياة وحق الحرية . فالاسلام في كلمتين هو دين السلام .

وأيسر من استقصاء الحرب وأسبابها في صدر الاسلام أن نلقي نظرة عامة على خريطة العالم في الوقت الحاضر لنعلم أن السيف لم يعمل في انتشار هذا الدين الا القليل جدا مما عمله الاقناع والقدوة الحسنة . فان البلاد التي انعدمت فيها حروب الاسلام هي البلاد التي يقيم فيها اليوم أكثر مسلمي العالم وهي بلاد أندونيسيا والهند وباكستان والصين ونيجيريا والصحراء الافريقيةوما يليها ، فان عدد المسلمين فيها يجاوز الاربعمائة مليون نسمة . ولم يقع فيها من الحروب بين المسلمين وأبناء تلك البلاد الا القليل الذي لا يجدي في تحويل الالاف بل الملايين عن دينهم . ونقارن بين تلك البلاد ، والبلاد التي اتجهت اليها الغزوات الاسلامية لاول مرة في صدر الاسلام وهي بلاد العراق والشام فان عدد المسلمين فيها أقل من عشرين مليونا يعيش بينهم من اختاروا البقاء على دينهم من المسيحيين واليهود والوثنيين أو أشباه الوثنيين .

وأنفع من الاحصاءات والمقارنات أن نتفهم دخيلة الدين من روحه التي تصبغ العقيدة بصبغتها فيما يعين المتدين على قصد منه أو فيما يتسلق اليه بوحي من روح دينه كأنه عادة

مطبوعة لا يلتفت الى قصده منها . وروح الاسلام فى العلاقة بين المسلم وسائر بنى الانسان تشف عنها كل آية وردت فى القرآن الكريم عن حكمة الاجتماع من أكبر الجماعات الى أصغرها . وحكمتها كل فيما يتعلمه المسلم من أنها وشيجة من وشائج المودة والرحمة وسبيل الى التعارف والتقارب بين الغرباء ومن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ».

وهذه الاية وغيرها تلهم المسلم أن المودة والرحمة حكمة الله فى خلقه وأن الله يرضيه من عباده أن يسلكوا سبيل المودة والسلام ويسخطه منهم أن يسلكوا سبيل العداوة والعدوان .

والعلاقة بين الناس فى دستور الاسلام علاقة سلم حتى يضطروا الى الحرب دفاعا عن أنفسهم أو اتقاء لهجوم تكون المبادرة فيه ضربا من الدفاع . فالحرب يومئذ واجبة على المسلم وجوبا لا هوادة فيه وهو — مع وجوبها — مأمور بأن يكتفى من الحرب بالقدر الذى يكفل له دفع الاذى ومأمور بتأخيرها مابقيت له وسيلة الى الصبر والمسالمة .

ومن ذلك قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . كما قال تعالى : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا »

اما المشركون الذين لم يصدوا المسلمين عن دينهم ولم يبادلوهم بالعدوان فلا حرج على المسلم أن يبر بهم ويعدل فى معاملتهم وأن يعاهدهم ويوفى لهم عهدهم الى مدته والى أن ينقضوه مخالفين بما عاهدوا عليه ان لم يكن له أجل محدود . ومنه قوله تعالى : « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » .

ومن توكيد الاسلام لواجب الوفاء بالعهد أنه يحرم على المسلمين أن يستبيحوا القوم منهم يستنصرونهم فى الدين اذا كان بينهم وبين أعداء المستنصرين لهم عهد وميثاق . وفى هذا يقول تعالى : « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » .

وان عهد الحديبية بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش ثم عهد بيت المقدس الذى قطعه عمر بن الخطاب لاهل بيت المقدس من أشهر العهود التى التزم بها المسلمون أتم التزام وحافظوا على تطبيقها نصا وروحا ولم يثبت عليهم الخروج عليها مرة واحدة . ومن استقراء ما ورد فى المعهدين نجد أن الاسلام لم يعتمد على الاكراه فى نشر دعوته كما زعم البعض . وترك لغير المسلمين الاقامة على دينهم والتمتع بحريتهم .

وشرع الاسلام القتال على درجات ، فلم يشرع حالة الا وضع لها حدودها ، وبين للمسلمين ما يجب عليهم فيها . وتم له فى نحو عشرين سنة قانون دولى كامل لاحوال الحرب مع المقاتلين على اختلافهم فاتم فى القرن السادس ما بدأت فيه أوروبا فى القرن السابع عشر ولم يزل قاصرا عن غايته مهملا فى ساعة الحاجة اليه .

وقد شرع الاسلام حكما لكل حالة يمكن أن توجد بينه وبين جيرانه على الحذر أو على الامان . فنص على حالة الدفاع والعدوان ونص على الدفاع الواجب فى حدوده على حسب العدوان ونص على التعاهد والمسالمة الى مدة أو الى غير مدة .

وانقضى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون يعلمون حدودهم فى كل علاقة تعرض لهم بين أنفسهم وبينهم وبين جيرانهم علاقة المودة والوئام وعلاقة الشغب والفتنة وعلاقة الحرب أو التعاهد أو علاقة الموادعة أو المهادنة . أو علاقة الامان أو الاستئمان . وهذه العناية ببيان الحدود وبيان واجباتها هى وحدها حجة قائمة للاسلام على خصومه الذين يتهمونه بانه دين الاكراه الذى لا يعرف غير شريعة القوة أو شريعة السيف . فمن كان لا يعرف غير شريعة السيف فما حاجته الى بيان لكل حالة من حالات السلم والحرب بأحكامها وواجباتها وحدودها وتبعاتها ؟ لا حاجة الى حد من هذه الحدود مادام معه السيف الذى يجرده متى استطاع . ولا حاجة به الى حد من هذه الحدود ما دام عزلا من السيف مغلوبا على كل حال فانما يبحث عن تلك الحدود من يضع السيف فى موضعه ويأبى أن يضعه فى موضع المسالمة والاقناع وكذلك كانت شريعة الاسلام منذ وجب فيه القتال . لم يوجبه الا لمقابلة البغى والقسر والعنف والاخراج من الديار .

وبينما كانت هذه الحدود معلومة مقسومة باقسامها وتبعاتها فى شريعة الاسلام كانت العلاقة بين الامم فى القارات الثلاث فوضى لا تثوب الى ضابط ولا يستقر بينها السلام الا حيث يمتنع وجود المحارب فيمتنع وجود الحرب بالضرورة التى لا اختيار فيها ..

وكانت شريعة الرومان ترى أن كل قوى يجاورك عدو تقضى عليه . وكذلك كانت شريعة فارس فى الشرق مع من يجاورها . ومن قبل كانت شريعة الاسكندر الاكبر ، وكذلك بقيت شريعة الدول فى القارة الاوروبية الى القرن السابع عشر أول عهدهم بالبحث فى الشرائع الدولية وحقوق الحرب والسلام ويومئذ بدأت بحوثهم فى حدود الحرب والسلام وتصدى فقيههم جروتيوس لاستنباط هذه الحدود من وقائع الاحوال التى سماها بقانون الحرب .

وان القارىء المسلم ليبتسم حقا حين يقرأ فى مراجع البلاد الغربية تلك البحوث الفجة على أنها بحوث تسرى على العالم الاوروبى الذى كان معروفا آنئذ بالعالم المسيحى ولاتسرى على العالم المحمدى لانه عالم جهالة لا يفقه هذه الحدود ولايلتزم بها وبواجباتها وتبعاتها . فمن دواعى السخرية حقا أن يقال هذا عن دين يتناول المتعلم المبتدىء فيه مرجعا من مراجع أصوله التى فرغ البحث فيها منذ القرن السادس للميلاد فيه ، فيه أحكام الاعلان والتبليغ والمعاهدة والصلح والذمة والهدنة والموادعة والسفارة والوساطة ، ويرى لكل حكم من الاحكام واجباته على المسلم فى حالتى ابرامه ونقضه ، وواجبات الامام والرعية فيه مفصلة مردودة كأنها صيغ العقود التى يتحرى فيها الموثقون غاية التوكيد والتقييد منعا للاغلال والاسلال ، كما جاء فى أول عهد بين الاسلام والمشركين .

فالشريعة الاسلامية لا تبيح أن يقتل ذميا أو يقتل مخالفا يقبل أداء الجزية بعد تخييره بينها وبين المعاهد أو الاسلام .

وأخيرا فان تقدم العالم الانسانى بالقانون الدولى لهو ضرورة فاسدة ليس فيها كبير فضل من نصوص وأحكام ولا كبير فضل للمقاصد والنيات . فان اشتباك العالم فى المصالح بعد اقتراب أنحائه بالمواصلات وتسامع الاخبار قد خلق بين الامم علاقات مقصودة وغير مقصودة ترغم القوى على محاسنة الضعيف ، وتجعل الخطر فى بعض أطراف الكرة الارضية محسوسا به فى أبعد أطرافها من بلاء الاقوياء والضعفاء .

فهذه العلاقة مرجوة الخير مبتدئة بالامم فى طريق لا يسهل عليها النكوص عنه وهى آمنة على سلامتها وسلامة العالم الانسانى فى جملته . فاذا صح فيها رجاء العالم الانسانى فهو رجاء يساق القرب فيه بسائق الضرورة العمياء ويقل فيه فضل السعى والتدبير ، ولكنه رجاء يتلقاه المسلم تصديقا لايمانه بالله ولعقيدته فى حكمته لانه يؤمن بان التعارف بين الناس هو الحكمة الالهية من خلق الشعوب والقبائل واختلاف الاجناس والالوان .

الخلفاء الراشدون وأعلام الإسلام

من أبناء الصحابة

كاتب الحديث

الأستاذ صلاح عزام

وعبد الله .. الصحابى الجليل ابن عمرو بن العاص ..

وكان على نقيض أبيه .. فى كل شىء حتى فى عواطفه .. ومفاهيمه للحياة .. ومن أجل ذلك فقد سبق أبوه الى الاسلام وبسنوات .. وكل الذى يذكره لنا التاريخ عن اسلامه أنه كان ملما بالقراءة والكتابة الامر الذى جعله يحيط علما بالاديان السابقة .. وعندما علم بخبر الاسلام .. وقرأ آيات القرآن الكريم أحس أنه أمام أمر من السماء فلم يتأخر طويلا كأبيه فسارع بالدخول فى الاسلام ..

ويذكر لنا التاريخ أيضا أنه لم يقف موقفا واحدا ضد الاسلام والمسلمين كما حدث من أبيه .. وانما كان مع المسلمين الاول .. يراه الناس فى صفوف المجاهدين باحثا عن الشهادة . وفى حكمة وعبقرية لا تقل عن أبيه ولكن بصورة مغايرة .. وانه حضر معظم واقع الجهاد الاسلامى .. وبعد انتهاء القتال كان يشاهد الى جانب النبى .. لا يريد أن يغيب عن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه يستغفر الله لموقف أبيه - الاول - من الاسلام ويتزود لغد قريب أو بعيد .

وبعد أن بايع أباه رسول الله استمر هو فى قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. يتعلم منه .. ويكتب عنه .. واستأذن من رسول الله أن يكتب منه ما يقوله فأذن له الرسول العظيم .. ويخبرنا الصحابى أبو هريرة فيقول (ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب ولا أكتب) .

وهنا يقول عبد الله بن عمرو عن نفسه (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠٠٠ مثل) .

و .. بعد أن ينفض مجلس النبى .. يذهب عبد الله الى بيته عابدا .. قائما يصلى .. يقرأ القرآن . ويواصل حياته بين صوم النهار .. وقيام الليل لا يقطع هذه العبادة الدائبة غير أيام الجهاد .. الامر الذى اشتكى منه بعض الصحابة ..

وأشفق عليه رسول الله وهو الذى يعرف له مكانته ويقدر له مواقفه ..

ويستدعيه رسول الله يوما .. ويدور بينهما حديث معلم للعابدين عبر التاريخ اذ يطلب منه النبى أن

بدالله بن عمرو بن العاص

يخفف من عباداته قليلا اشفاقا عليه ولكيلا يقلده آخرون فى ذلك فيظن المتأخرون والقادمون عبر التاريخ ان هذه تعاليم رسول الله فيتركون الحياة الى الصوامع ..

ويحدد له الرسول العظيم .. ويحدد لنا .. معه .. طريقة التعبد . فأما عن الصوم الذى كان يصومه يوميا « فحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام . فيقول عبد الله .. « انى أطيق أكثر من ذلك » فيقول رسول الله .. « فحسبك أن تصوم من كل جمعة يومين »فيقول عبد الله بأنه يطيق أكثر من ذلكفيأمره النبى بقوله (فهل لك اذن فى خير صيام .. صيام داوود .. كان يصوم يوما .. ويفطر يوما ..) ..

و ..عن تلاوة القرآن الكريم .. فيقول له الرسول (علمت انك تجمع القرآن فى ليلة .. وانى أخشى أن يطول بك العمر وأن تمل قراءته ..) .

ويطلب منه النبى أن يقرأه مرة كل شهر فيجيبه انه يطيق أكثر فيقول صلى الله عليه وسلم اقرأه فى كل عشرة أيام مرة . ولكنه يجيب بقدرته أكثر فيقول النبى (اقرأه فى كل ثلاثة مرة ..) ثم يضع عليه الصلاة والسلام معالم العبادة لابن عمرو .. وللناس جميعا بقوله الشريف (انى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتـزوج النسـاء فمن رغـب عن سنتى فليس منى ..) .

ويبقى عبد الله مع رسول الله يتعلم منه ، ويدرس على يديه حتى يصبح واحدا من المقربين الى رسول الله .. يسأل عنه اذا غاب ..

وينتقل النبى وهو راض عن عبد الله بن عمرو .

وبولائه العميق لرسول الله .. يحب عبد الله آل البيت ويكون معهم حيث يكونون .. وان حتمت عليه الظروف أن يبقى الى جانب أبيه فقلبه معهم ..

واستمر فى جهاده .. وشهدته المواقع الاسلامية أيام الخلفاء كما كانت تشهده أيام الرسول .. وكان دائما فى جيش أبيه .. شهد معه فتح الشام .. وكانت معه راية يوم اليرموك ..

وجاءت الخلافات مع الامام على .. أيام معاوية .. وكان عبد الله بكل عواطفه مع الامام فضجت مجالس معاوية منه فقد كان يذكره بمكانة الامام من رسول الله .. وكان هو وحده يمثل مشكلة كاملة لمعاوية رغم دهائه لانه يعلم مـدى حفظـه لتعاليم الرسول وأحاديثه ويعلم أيضا معرفة الصحابة لذلك .. وبالتالى مدى ما يؤثر فيهم بقوله .. وكان كثيرا ما يطلب من عمرو أن يرى فى ابنه رأيا يريحهم منه ..

ولكن .. عمرو .. رغم كل الخلافات التى بينه وبين ابنه كان يحب فيه علمه المحمدى وتقاه وورعه .. وأنه أول أولاده وأن رسول الله أحبه وانه أسبق منه الى الاسلام وانه يحس كما لو كان أخا له لا ابنا اذ لم يكن فـارق سن بينهما غير اثنى عشر عامـا لذا فكثيرا ما كان يعالج هذه المواقف بدهائه المعروف .. الى آن كان ذات يوم .. وجاءت موقعة حطين .. وأصر معاوية على أن يكون عبد الله واحدا من أفراد جيشه لانه بذلك سوف يضمن ولاء الالوف من الذين معه يوم يشاهدون هذا الصحابى الجليل معهم يقاتل الامام على فيظنون أنه على الحق وهو من هو علما بالحديث المحمدى وحبا لال بيته ..

وأصر عبد الله على أن لا يقاتل المسلمين أيا كانوا فما بالكم بمن هم حول الامام على ..

وزاد معاوية اصرارا .. على مطلبه .. واستعان بذكائه .. ودهاء عمرو بن العاص حتى ضيقا عليه الخناق اذ ذكراه بآخر حديث لرسول الله معه يوم وضع يده فى يد أبيه عمرو وقال له النبى صلى الله عليه وسلم (افعل ما أمرتك واطع أباك ..) .

وكان هذا حق ..

وانتصر معاوية وعمرو على عبد الله ..

ومع هذا فكان هذا الموقف لحكمة يعلمها الله فى غيبه تساعد على اظهار حق وسط الظلمات انه ما كاد عبد الله يرى عمارا فى صفوف الامام على حتى اهتزت جوانبه وصرخ فى القوم انهم على باطل .. وضيع عليهم فرصة النصر بأن أعلن لهم وهو العارف بأحاديث الرسول .. وبعد أن رأى عمارا ضحية سيوف أنصار معاوية .. وانهم فئة باغية فرسول الله

يقول لعمار (تقتلك الفئة الباغية) وانصار معاوية هم قتلة عمار .. وظل يردد ذلك حتى أخرجه معاوية من مجلسه أكثر من مرة وظل هو يستغفر ربه على أن سمع كلام أبيه وذهب مع جيش معاوية .. وكان يصرخ دائما بين صلواته .. مالى ولصفين ..

وذهب مع أبيه لمصر ..

وحضر وفاته وصلى عليه ..

وأراد معاوية استرضاء آل العاص .. فعين عبد الله واليا على مصر حتى حين .. ثم عزله ليعين مكانه أخاه .. فعاد بعدها الى المدينة .. عابدا .. مستغفرا ربه عن يوم صفين .. وكانت أحد أمنياته أن يصفح عنه الامام الحسين .. ويعذر له يوم صفين لانه يحبه .. ويحب آل بيته ..

واستمر على هذه الامنية .. ويذكرها للمقربين منه .. الى أن كان ذات يوم .. وفى مسجد رسول الله فيدخل الامام الحسين ويلقى السلام على المجلس الموجود وكان به عبد الله .. ثم ينصرف .. فيبكى ابن عمرو .. ويقول لمن حوله (أتحبون أن أخبركم بأحب أهل الارض الى أهل السماء .. انه هذا الذى مربنا الان .. الحسين ابن على .. وما كلمنى منذ صفين .. ولان يرضى على أحب الى من حمر النعم ..) .. فيسمعه الصحابى العظيم سعيد الخدرى ويقوم بدور الوسيط بين الامام وعبد الله .. وينتهى الامر بموافقة سيدنا الحسين على أن يستقبل عبد الله فى بيته ..

وكان عتاب .. وأراد الامام الحسين أن يعرف من عبد الله سبب اشتراكه فى صفين مع صفوفهم وهو يعرف مكانتهم فقال عبد الله .. (ذات يوم شكانى عمرو بن العاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ان عبد الله يصوم النهار كله ويقوم الليل كله فقال لى الرسول يا عبد الله صل وصم ، وافطر .. وأطع اباك .. ولما كان يوم صفين أقسم على أبى أن أخرج معهم فخرجت .. ولكن والله ما حطت برمح ، ولا خربشت بسيف ، ولا رميت بسهم وما كان رجل أجهد منى رجل لم يفعل شىء من ذلك ..) .

وتصافيا ..

ولم يكن بالمدينة من هو أسعد من عبد الله بن عمرو ابن العاص .. فقد تصافح مع سيدنا الحسين رضى الله عنه .

واستمر فى المدينة .. عابدا .. وكأن الله تبارك وتعالى يريد به الخير قبل رحيله من الدنيا فكان هذا الصفاء مع الامام الحسين .. ولم يعش بعده طويلا .. فاختاره الله لجواره .. وهو قائم يصلى يقرأ فى القرآن الكريم .. وقد بلغ من العمر ٧٢ عاما ..

ورضى الله عنه .

البنك الأهلى المصرى

يضع أوعيته الادخارية فى خدمتكم

صندوق التوفير

يقبل الودائع من ٢٥ قرشا - بفائدة ٣ ½ ٪ سنويا

شهادات الاستثمار
بأنواعها الثلاثة

• ذات القيمة المتزايدة مجموعة "أ" • ذات العائد الجارى مجموعة "ب" • ذات الجوائز مجموعة "ج"

ودائع لأجل

بفائدة تصل إلى ٤٪ سنويا

بنك المدرسة
لطلبة المدارس

يقبل الودائع من ٢٠ مليما

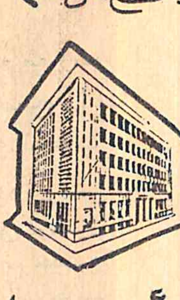

البنك الأهلى المصرى

خبرة (٧٤) عاما فى كافة الاعمال المصرفية

من أعلام الصوفية

سيدى
ممشاد الدينورى
رضى الله عنه

الاستاذ
جودة محمد أبو يزيد المهدى

فى أفق النـور الاعلى حلقت قلوب العـارفين الربانيين بأجنحة الشوق والمحبة تنشد الحقيقة المطلقة وتطير الى رحاب الجناب الاعلى لتسجد سجدة العبودية الصادقة على بساط حضرة الربوبية فتنال شرف الرضوان الاكبر والعز المؤبد . فحياة هذه القلوب لاتوجد الا بالقرب من سيدها ، وأرواح هذه النخبة لا تنفك عن باب الحضرة . انها أرواح والهة بحب اللـه ، هائمة فى ملكوته ، غارقة فى بحـار عشقه ، لاتزال مع كل نفس تذكره وتستغرق فى عظمته ، وتفنى فى عشق جماله ، وتذوب هيبة من جلاله . انها أرواح الصفوة من جند الله وأوليائه وخاصته من أحبابه .. رضى الله عنهم وعنا بهم فى زمرة المحبين الالهيين .

من كبار أقطاب أولئك الصفوة الاخيار : عارف عرفت روحه الطريق الى سيدها فطارت اليـه . وذاق قلبه حلاوة الطاعة وعز العبودية فتبتل الى ربه تبتيلا . وأنابت نفسه الى خالقها على شوق ومحبـة فأناخت على باب الحبيب حتى أذن لها بالدخول الى وطنها الاول . فطاب هنالك المقـام وارتقت فى الولاية الى أعلى مقام . انه الصوفى الشامخ والعارف الراسخ : سيدى ممشاد الدينورى رضى الله تعالى عنه وعنا به وأمدنا بمدده فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

هو احـد اركان التصوف فى القـرن الثالث

الهجرى ممن ترجموا الهدى القرآنى الحنيفى الى سلوك عملى ، وعرفت عنهم الاحوال والمقامات ، ومهدوا الطريق لرعيل لاحق من الصفوة ينسج على منوالهم مسترشدا بمناهجهم التربوية الروحية التى لم تعرف الانسانية لها نظيرا ، لانها ارث النبوة وثمرة للتحقق بالكتاب والسنة . وعارفنا الامام ممشاد على الرغم من سطوع شهرته فى الافاق الصوفية والاذعان لمكانته السامية ، الا أنه لم ينل حقه فى التاريخ كامام عارف وصوفى محقق . وقد استرعى انتباهى وانا أقرأ فى كتب القوم ما أثر عنه من فقرات قليلة هنا وهناك . أجدها قليلة فى الكم الى حد لا يفى بحاجة المتطلع لمعرفة الكثير عن هذا الامام . ولكنى أجدنى أقف مشدوها ومشدودا أمام كل جملة قرأتها لهذا العارف وأمام كل فقرة يترجم له بها أحد مؤرخى التصوف . على الرغم من أن أحدا ممن قرأت له عن سيدى ممشاد لم يشر الى الجانب الشخصى من حياته من نسب أو مولد أو نشأة على الاطلاق . وقد كان هذا مثار فضول علمى وتعطش أكبر الى التعرف والبحث عن تلك الشخصية الفذة . وقد اختلف المترجمون لسيدى ممشاد فى ضبط اسمه . فالامام أبو نعيم فى الحلية والامام القشيرى فى رسالته ثم الامام الشعرانى فى طبقاته كلهم يذكره باسم (**ممشاد**) بالدال المهملة . بينما يذكره الامام الطوسى فى اللمع والامام السلمى فى طبقاته باسم [**ممشاذ**] بالذال المعجمة . وايضا فصاحب اللمع يذكره بكسر الميم الاولى بينما يضمها الامام السلمى . ودينور التى ينسب اليها الامام ممشاد : هى — كما يقول ياقوت فى معجم البلدان — [مدينة من أعمال الجبل قرب [قرميسين] . وهى بلدة تقارب فى حجمها ثلثى همذان ، كثيرة الزروع واليها ينسب كثير من اهل العلم والفضل] . أما عن تاريخ وفاة العارف ممشاد : فيذكر الامام السلمى — نقلا عن ابى زرعة الجنيدى — كما يذكر صاحب الرسالة القشيرية : **أنه مات سنة تسع وتسعين ومائتين هـ .**

واذن فقد عاش الامام الدينورى فى القرن الثالث الهجرى حتى نهايته تقريبا وعاصر جمهرة صوفية هذا القرن الذين ارتفع بهم صرح التصوف نظريا وعمليا وكان من ابرز من عرفه شيخنا من أئمتهم : سيد الطائفة الامام الجنيد رضى الله تعالى عنه وعنا به . وقد ذكر الامام الطوسى فى صدارة باب : مكاتبات بعض الصوفية الى بعض من كتاب اللمع : رواية عن احمد بن على الكرخى يقول فيها : (كتب الجنيد الى ممشاد الدينورى رحمه الله تعالى كتابا ، فلما وصل الكتاب اليه قلبه وكتب على ظهره : (**ما كتب صحيح الى صحيح قط ولا افترقا فى الحقيقة**) !! وفى هذه الفقرة الوجيزة تكمن أسرار وأسرار دونها بحار وبحار . لكن الذى نستطيع ان نستنبطه منها : أن الامام ممشاد آنذاك كان لا يزال فى الطريق سالكا بينما قد وصل الامام الجنيد الى نهاية السلوك فصار صحيحا . ومن ثم كانت المكاتبة وانما تسقط المكاتبة بين صحيحين يرى كل منهما الاخر بنور الله فى قلبه فلا يحتاج لمكاتبته لانه لا افتراق بينهما فى الحقيقة . ولقد مضى الامام ممشاد فى طريق الله حتى صار صحيحا فى مفهوم القوم . أو بمعنى أصح فى مفهومه هو . فقد صحب العديد من شيوخ التصوف وأئمته فى عصره . وقد صرحت بذلك المصادر المترجمة له دون أن تفصل شيوخه فى الطريق . بيد أنها تواطأت على ذكر واحد منهم بالتعيين وهو الامام العارف سيدى يحيى الجلاء رضى الله عنه . وسيدى يحيى الجلاء هو أحد أجلاء الصوفية العظام ، صحب سيدى بشر بن الحارث وروى عنه كما صحب الحكيم الترمذى وطاهر المقدسى وغيرهم وابنه هو عارف الشام الكبير سيدى أبو عبد الله بن الجلاء الذى كان يعده الصوفية أحد ثلاثة لا نظير لهم فى وقتهم : الامام الجنيد ببغداد وأبو عثمان بنيسابور وهو بالشام وقد روى صاحب (تاريخ بغداد) عن محمد بن داود الرقى أنه قال : قلت لابن الجلاء : لم سمى ابوك الجلاء ؟ فقال : (**ما جلا ابى قط ، وما كان له صنعة قط ، وكان يتكلم على الناس فيجلو القلوب فسمى الجلاء**) . هذا هو أحد شيوخ الامام ممشاد الذين تتلمذ على يديهم . وقد ذكرت المصادر أيضا ان سيدى ممشاد قد صحب الطبقة التى فوق العارف الجلاء أيضا . لقد دخل سيدى ممشاد الطريق على تعطش ونهم . وحين وضع القدم فى أول الطريق أضاءت له منارات العرفان فى عصره ، وتوقدت عزيمته وارتفعت همته الى افق النور فلم يرتد طرفه الى الارض ثانيا . لقد صار قلبه علويا لا يخلد الى الطين ولا ينقاد للهوى . فمن كان عبدا لله تحررت روحه من عبودية ما سواه . وكانت اشارة البدء على يد شيوخ الطريق الذين صحبهم سيدى ممشاد كما أشرنا . واقتضاه ذلك الاقتفاء لاثار شيوخه والمتابعة لهم أن يسيح فى الارض تلمسا للمناهل العذبة والموارد الدفاقة التى يروى منها تعطشه الى النور . وكان له مع كل شيخ درس وعظة ولمحة واشارة . بيد أن مفتاح الوصول لا يكون للمريد — عادة — الا عند شيخ واحد . وهذا نموذج من تلك الاشارات المضيئة التى

انتفع بها شيخنا ممشاد ٠ من شيوخه فى سلوكه ٠ يروى الامام السلمى فى طبقاته أنه كان يقول : (**رأيت فى بعض أسفارى شيخا توسمت فيه الخير ٠ فقلت يا سيدى ! كلمة تزودنى بها ، فقال : همتك فاحفظها فان الهمة مقدمة الاشياء ٠ ومن صلحت له همته وصدق فيها صلح له ما وراءها من الاعمال والاحوال**)

واشتعلت جذوة همة العارف ممشاد حتى طارت به فى معاريج الفلاح ٠ فأكب على العمل الدائب والخدمة الدائمة لمن سكن حبه فى أحشائه ووقر سره فى قلبه عكف على العبادة بشتى اشكالها وصورها فلم يدع بابا من أبواب البر الا وكان له فيه قدم ٠ وسارع الى النوافل المقربة الى الله بعد الفرائض المحببة اليه فأودعها أنفاسه ، وتعايش بوجدانه مع الطاعات والقربات فكان يعبد الله على حب وشوق ٠ وكانت آدابه مع شيوخه فى الطريق كفيلة بأن تدخله فى زمرتهم ٠ كانت مثلا عليا فى التواضع والخلق السامى يقول رضى الله عنه : (**ما دخلت قط على أحد من شيوخى الا وأنا خال من جميع مالى أنتظر بركة ما يرد على من رؤيته أو كلامه ، فان من دخل على شيخ بحظه انقطع بحظه عن بركات رؤيته ومجالسته وأدبه وكلامه**) ٠ **وكان منطق سيدى ممشاد فى الصحبة نابضا بالحكمة الرفيعة ٠ يقول قدس سره : (صحبة أهل الصلاح تورث فى القلب الصلاح ، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد)** ٠

ولقد صحب سيدى ممشاد أهل الصلاح حتى صلح والصالح فى عرف الطريق : هو من صلح لحضرة الله عز وجل ٠ وذاق الامام ممشاد شراب القوم ونهل من حياض المعرفة ، وأخذ يترقى ويترقى وقلبه مستغرق مع الله ، وجوارحه نابضة بطاعة الله حتى صار ربانيا صرفا وعارفا حقا فأذعنت له جمهرة أهل التحقيق وشهدوا له بالرسوخ والعرفان والتمكن ٠ وها هو ذا الامام السلمى يصفه فى ترجمته من طبقاته بأنه : (من كبار مشايخهم) ويقول عنه انه : (**عظيم المرمى فى هذه العلوم ، أحد فتيان الجبال ، كبير الحال ، ظاهر الفتوة**) ٠ ولنا مع هذه الفقرات وقفات وسبحات ، اذ أن عبارات الصوفية حين تطلق فى مضمار الوصف والتعريف توزن الذرة منها بأطنان الذهب ، لانها الحقيقة بجوهرها عارية عن أى شوائب تخرج بها عن نطاق الحق الصرف ٠ فسيدى أبو عبد الرحمن السلمى يشهد للامام ممشاد اولا : بأنه من كبار مشايخ الصوفية ٠ ولا يجدر بصوفى أن يحسب فى عداد المشايخ حتى يكمل تربية وسلوكا وحالا ومقاما ليتأتى له أن يربى غيره على منهج خاص استحق به أن يكون شيخا ٠ ولم يكتف الامام السلمى بوصفه بالمشيخة فحسب ٠ بل جعله من كبار مشايخ القوم فهو اذن صاحب مدرسة لها اسلوبها الخاص فى التربية والترقى ٠ وثانيا : شهد له الامام السلمى بأنه عظيم المرمى فى علوم الحقائق ٠ وهى العلوم الوهبية اللدنية التى اوتيت لسيدنا الخضر عليه السلام كما قال سبحانه (**وعلمناه من لدنا علما**) وكلمة : عظيم المرمى هنا ، ومن الامام السلمى بالذات تحتاج الى مجلدات ٠ ولكن علوم القوم فى الحقائق مضنون بها على غير أهلها فلا تغشى الا لمن صلح وتزكى ٠ ومن ثم لا يمكن الوقوف على تلك العلوم نظرا أى اكتسابا كما لا يتسنى التعرف عليها ممن لم يدخل فى عداد القوم ٠ واذن فهذه العبارة تجسد لنا مقام (العارف) ممشاد ومنزلته فى المعارف الالهية ٠ ثم ثالثا : قوله (أحد فتيان الجبال) : يعطينا أن الامام ممشاد كان يؤثر منطق العزلة والسياحة فى الجبال ٠ وذلك أن الصوفى حين يصافى من جانب الحق تعالى : لا يجد له راحة الا فى التفرد لحبيبه والانقطاع التام اليه فيحظى بنعيم الانس الالهى والوصل الربانى ويكون وحدانى الذات لا عيش له الا مع ربه ٠ ثم يصفه الامام السلمى رابعا : بأنه كبير الحال ٠ والحال يعرفه الامام أحمد ضياء الدين النقشبندى شيخ شيخنا العارف بالله تعالى مولانا الشيخ جودة ابراهيم قدس الله سرهما ورضى عنهما وعنا بهما : بأنه : (**ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل ولا اجتلاب كحزن أو خوف أو بسط أو قبض أو ذوق ٠ ويزول بظهور صفات النفس سواء تعقبه المثل أولا ٠ فاذا دام وصار ملكا سمى مقاما**) وعبارة كبير الحال توحى بعظم الواردات التى سرعان ما تتمكن فى القلب فتصبح مقامات ٠ ثم خامسا وأخيرا : يصفه الامام السلمى بأنه ظاهر الفتوة ٠ والفتوة عند العارفين مقام سام من مقامات الخواص المقربين ٠ وقد عبر عنه شيخ شيخنا الامام أحمد ضياء الدين فى (جامع الاصول) بمعان تبذل فيها الارواح اذ قال قدس سره (وأصلها فى هذا القسم : طهارة القلب عن غواشى النشآت والرجوع الى صفاء الفطرة حتى يتصف بالعدالة التى هى جماع الفضائل الخلقية وظل الوحدة الحقيقية ، ويتنزه عن الرذائل النفسية والالوان الطبيعية ٠ وصورته فى البدايات : الوفاء بعهد الايمان وعقود الاسلام وترك الخصومة مع الانام ٠ وفى الابواب : نسيان الاحقاد والاذيال والتغافل عن الزلات ٠ وفى المعاملات : قطع النظر عن الاعمال ـ أى عن رؤيتها ـ والاعراض عن الاعواض ودرجتها فى الاصول : الا يتعلق فى المسير اليه بدليل

ولا يأنس مما سواه بخليل • وفى الادوية : تنوير العقل بنور القدس وتنزيهه عن الميل الى جانب الوهم والحس • وفى الاحوال : الاكتفاء بالمواهب والارتقاء عن ريب المكاسب • وفى الولايات : التخلى عن كمالات القلب والتحلى بصفات الحق • وفى الحقائق : بذل الروح للفوز بحياة المحبوب • وفى النهايات : القيام بالحق من غير رسم ، والوقوف مع الحقيقة لا مع الاسم) أرأيت الى هذا المرتقى السامى الذى ارتقاه عارفنا الامام ممشاد وعبر عنه شيخ شيخنا الامام أحمد ضياء الدين ؟! انه مرتقى أهل الفتوة العارفين • ولقد استطردنا للتعرف على حقيقة ماشهد به عدول الصوفيـــة لسيدى ممشاد . ولكنه استطراد فى الصـميم يهـدف الى فتـح الاقـواس لايضاح عبارات قليلة تحمل جبالا من المعانى تحققت فى الامام ممشاد • فرأينا عوضا عن قلة ما ترجم به أن نبسط القليل مما قيـل فى شـأنه مـع التحليـل لمصطلحات القوم التى تنطبق عليه من خلال شهادتهم له • ولكن ما الذى يشهد للامام ممشاد من خلال نفسه هو ؟! انها أقواله المعبرة عن حاله وسلوكه ، لا سيما وأن من أخص صفات الصوفى أنه لا يتكلم الا عن ذوق وتجربة ذاتية • ولنا أن نتساءل : ما سر تفرد هذا الامام فى عالم الولاية والتحقيق والمعرفة ؟ والجواب بأيسر منطوق : هو الاصطفاء الالهى المحض والاختيار الربانى الذى أدخل هذا العارف فى زمرة المقربين • ثم هنالك جانب مكتسب حصله الامام ممشاد بجهاده الروحى وعباداته المتصلة وسلوكه للطريق • ولكنى أعود فاقول : ان هذا الجانب الكسبى نفسه هو وليد التوفيق الالهى فيرد آخر الامر الى الهبة المحضة • فماذا عن جوانب السلوك عند العارف ممشاد من خلال أقواله هو ؟ نجده يركز بصفة خاصة على الحضور مع الله فى الطاعات وعدم الغفلة عنه بدوام ذكره منددا بقبح الغفلة ومبررا لذلك اذ يقول : (**ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برك ، وما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك**) ولا يتاتى محو الغفلة الا باخلاء القلب لله وفراغه من السوى وذلك الفراغ يستلزم الزهـد فى الدنيا كما يقـول عليـه الرضوان (**فراغ القلب فى التخلى مما تمسك به أهل الدنيا من فضول دنياهم**) ثم يؤكد لنا الامام ممشاد أن التوكل على الله بالمفهوم الصوفى الصحيح للتوكل من أعظم مقومات الوصول اليه سبحانه • وقد سئل سيدى ممشاد عن حقيقة التوكل فقال : (**التوكل حسم الطمع عن كل ما يميل اليه قلبك ونفسك**) • ومستند

هذا التوكل عند سيدى ممشاد : هو الثقة فى الله • ومحال أن يصل الى الله عبد لم تكتمل ثقته به . يقول الامام ممشاد ــ فيما رواه عنه الامام السلمى باسناده ــ (**لو جمعت حكمة الاولين والاخرين ، وادعيت أحوال السادة من الاولياء : فلن تصل الى درجات العارفين حتى يسكن سرك الى الله تعالى وتثق به فيما ضمن لك**) • وحين يسكن سر العبد الى ربه ويتوكل عليه ترتفع همته من الاكوان الى المكون فيصير فى حرز الله وأمانه ويصبح من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • وقد صاغ الامام ممشاد هذا المضمون فى قوله (**من يكن الله همته لم تستقطعه الاقدار ولم تملكه الاخطار**) ونتساءل عن المعرفة عند سيدى ممشاد : ما السبيل اليها ؟ وما غـايتها ؟ ويجيبنا رضى الله عنه بقوله : (**جماع المعرفة : صدق الافتقار الى الله تعالى**) فطريق المعرفة اذن هو صدق العبد فى شعوره بالافتقار الى ربه تعالى • فيلوذ به ويتقرب اليه بطاعته ومحبته فيدنيه مولاه من حضرته ويعرفه به • وعندما يعرف العبد ربه يتزايد افتقاره اليه وكلما افتقر اليه اغتنى به والغنى بالله غاية معرفته ، وبين الوسيلة والغاية لا انفكاك عن الافتقار الى اللـــه فهو عماد المعرفة الحقـــة والعبوديـــة الخالصة • ويصف لنا الامام ممشاد الطريق الى الله بأنه طويل وشـاق ولا يقدر عليه الا الابطال الاقـوياء يقول رضى الله عنه : (**طريق الحق بعيد ، والصبر مع الحق شديد**) ! ! أجل •• ان الغاية سـامية فلابد وأن يكون صعبا مرقاها • ولكن لا بعيد على مريد • والمريد هو الرامى بأول قصده الى الله تعالى فلا يلتفت عنه حتى يصل اليه • وهو فى أول طريقه مريد وفى وسطه سالك ومتصوف وفى منتهاه صـوفى وواصل • وللمريد آداب عند سيدى ممشاد يوضحها بقوله رضى الله عنه : (**أدب المريد فى أربعة أشياء : التزام حرمات المشايخ ، وخدمة الاخوان ، والخروج عن الاسباب ، وحفظ آداب الشرع على نفسه**) • هذه هى الاداب التى تمثل منهج الامام ممشاد فى التربية وتعكس لنا مشربه السلوكى واتجاهاته العملية التى تجسد طابع مدرسته الصوفية • فهو أولا : يحث على التزام حرمات المشايخ . والمراد هنا : الكاملون من أهل الحقائق • فتأدب المريد معهم والانقياد لاوامرهم هو مفتاح السلوك • ثم هناك واجب آخر يحدده الامام ممشاد تجاه اخوان الطريق وهو خدمتهم والتواضع لهم • وفى ذلك جهاد للنفس وخروج عن حظها • وهو باب عظيم من أبواب الفتح • ثم الادب الثالث وهو الخروج عن الاسباب وليس المراد به عدم مباشرة الاسباب تواكلا كما فهم الجهلة من خصوم التصوف •

بل المراد الخروج عن رؤية تأثيرها فى المسببات باسناد الحول والقوة لله وحده سبحانه • ثم يأتى عماد هذه الاداب ، وأساسها الرئيسى وهو (حفظ آداب الشرع) فيقصم ظهر اعداء الصوفية الذين يرمونهم بالتحلل من الشريعة بينما لا يعتبر الصوفية من يتحلل من الشرع مسلما فكيف يدخل فى عداد الصوفية وهم الذين تحققوا بأعلى مراتب الاسلام ؟ ان قمة الاسلام وحقيقته العليا هى أسلام الوجه لله فى مقام الاحسان وهو مقام المشاهدة كما يطلق عليه الصوفية وفى هذا المقام يحضر العبد مع ربه ليراقب مشاهدته له أو يشاهده هو فيكون فى غيبة عن الاكوان بحيث لا تؤثر فيه ولا تنال من حضوره مع ربه وهكذا كان دأب العارف سيدى ممشاد فقد روى الامام القشيرى فى رسالة بسنده عن أحمد بن على الكرخى انه قال كان جماعة من الصوفية متجمعين فى بيت الحسن القزاز ومعهم قوالون يقولون ويتواجدون فأشرف عليهم ممشاد الدينورى فسكتوا . فقال : ارجعوا الى ما كنتم فيه ،فلو جمع ملاهى الدنيا فى اذنى ماشغل همى ولا شفى بعض ما بى) !! لقد انشغل سيدى ممشاد بالله حتى فقد قلبه مع الله الى الابد ، يقول الامام الطوسى فى اللمع : (سمعت بعض أصحاب ممشاد الدينورى يحكى عن ممشاد رحمه الله تعالى : انه اعتل علة شديدة فدخل عليه أصحابه عائدين له • فقالوا : كيف تجدك ؟ قال : لا أدرى ولكن سلوا العلة كيف تجدنى ؟ فقالوا له : كيف تجد قلبك ؟ فقال : قد فقدت قلبى منذ ثلاثين سنة) لقد صار قلبه مع ربه فلم تعد فيه بقية يلتفت بها لما سوى الله • حتى ولو كانت الجنة بنعيمها. انظر الى الامام القشيرى وهو يقول فى رسالته :) دخل جماعة على ممشاد الدينورى فى مرض موته فقالوا : ما فعل الله بك وما صنع ؟ فقال ، منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى !! وقالوا له عند النزع : كيف تجد قلبك ؟ فقال : منذ ثلاثين سنة فقدت قلبى) • ومن الاسس التى بنى عليها الامام ممشاد منهاجه الصوفى : اسقاط رؤية الخلق تخلصا من الرياء الذى يطلق عليه الصوفية : الشرك الاصغر • يقول سيدى ممشاد : **(أحسن الناس حالا من أسقط عن نفسه رؤية الخلق وراعى سره فى الخلوات مع الله واعتمد عليه فى جميع الامور) •**

وحين سقطت رؤية الخلق عند سيدى ممشاد وقف قلبه مع الله تعالى : ألقى اختياره فى بحر التدبير الالهى فمنحه الله تعالى سر (كن) الذى لا يناله الا الربانيون من عباد الله تعالى • ولكن هل استعمل سيدى ممشاد سر (كن) ؟ كلا • لانه قد ترك اختياره لله تعالى بالكلية اذ فقد قلبه معه • ثم انه وهو العارف المحقق العليم بآداب الحضرة الالهية قد آثر التأدب مع الله تعالى ففنيت ارادته فى ارادة مولاه • يروى الامام العارف سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه وعنا به ان سيدى ممشاد كان يقول : **(فقدت قلبى من عشرين سنة مع الله تعالى ، وتركت قولى للشىء كن فيكون منذ عشرين سنة أدبا مع الله عز وجل) •** ثم يعلق مولانا الشعرانى على ذلك بقوله (قال بعضهم معناه انه كان يرجع الى قلبه ثم يرجع بقلبه الى الله • ومعنى : تركت قولى للشىء كن فيكون : انه كان مجاب الدعوة كلما دعا أجيب • ثم ارتفع عن ذلك الى الله فصار بمراد الله لا بمراده فترك الدعاء ا • ه • ثم يعرفنا الامام ممشاد بمعاريج المعرفة والقرب قائلا (أرواح الانبياء فى حال الكشف والمشاهدة وأرواح الصديقين فى القرب والاطلاع) أما كرامات سيدى ممشاد فنكتفى منها بذكر هذه الكرامة التى رواها الامام السلمى بسنده عن فارس الدينورى يقول (خرج ممشاد من باب الدار فنبح عليه كلب فقال ممشاد (لا اله الا الله) فمات الكلب مكانه) !! لقد تحقق بسر لا اله الا الله فصار من خواص العارفين • رضى الله عنك يا سيدى ممشاد وجعلنا فى معيتك من خواص أحبابك فى الدنيا والاخرة آمين •

الفارابى

المعلم الثانى

الأستاذ عبد المنعم حمادة

فلسفة الفارابى :

تحدثنا فى المقالات السابقة عن الفارابى ، عن أصله ، ونسبه وعن نشاته ، وطلبه للعلم ، وعن حياته العامة ، وما تعرض له من متاعب ، وما وصل اليه من مكانة ، ونستكمل الحديث فى هذا العدد عن فلسفته وآرائه ·

العدد عن لسفته وآرائه .

تنوعت آراء الفارابى ونظرياته الفلسفية ، فبحث فى كثير من المسائل ، ونظر فى كثير من الاراء التى ثار حولها الجدل وكثر النقاش ، وتناول المشاكل الفكرية بالتحليل ، ونستعرض فيما يلى بعض المسائل التى تعرض لها بالدراسة : —

الواجب الممكن — الله والعالم : —

وقد عرف الفارابى الفلسفة بأنها العلم بالموجودات بما هى موجودة أى العلم بالموجود المطلق الذى لها دون أن يقيده زمان أو مكان .

وكان يقول : « هذا الحد الصحيح مطابق لصناعة الفلسفة ، وذلك يتبين من استقراء جزئيات هـذه الصناعة ، وذلـك أن موضوعات العلوم وموادها لا تخلو من أن تكون : اما الهية ، واما طبيعية ، واما منطقية ، واما رياضية أو سياسية .. وصناعة الفلسفة هى المستنبطة لهذه والمخرجة لها ، حتى أنه لا يوجد شىء من موجودات العالم الا وللفلسفة فيه مدخل ، وعليه غرض ، ومنه علم بمقدار الطاقة الانسية » .

فموضوع الفلسفة عند الفارابى هو موضوعات جميع العلوم ، او هو كل المشاكل الكونية ، واما غايتها فهى الحق ، ولما كان

الحق لا يتعدد فقد وجب أن تكون البحوث متجهة نحو وحدة لا خلاف بينها فى ذلك .. ولما كانت فلسفته تدور فى أكثرها على الالهيات وعلم ما وراء الطبيعة بحيث لا يخلو مبحث له فى النفس أو فى الاجتماع من صلة بهذا المنحى العقلى ، لذلك نبدأ بالحديث عن مسألة الوجود التى اعتمد فى حلها على طريقة الاسكندرانيين التى تلائم الاسلام الذى نشأ عليه ، والتى تنسجم مع ميله الى الجمع والتوفيق .. لقد جعل الفارابى بحثه فى مسألة الله فى شقين :

- منطقى فى تحديد الكائنات الواجبة والكائنات الممكنة ..

- ولاهوتى عن صفات الله وماهيته ، وعلاقته سبحانه وتعالى بالعالم الذى أبدعه ..

وخلص من بحثه الى تقسيم الموجودات الى ممكن وواجب ، وأما الممكن فهو بتحديده لا يوجد من تلقاء نفسه ، وانما يوجد بعلة خارجة عنه ، اذ ليس من نفسه أن يكون موجودا .. واما الواجب فهو الذى تكون علة وجوده من ذاته ، ولم ينشأ من علة خارجة عنه .

والموجودات كلها تاتى على هذا النظام :

ـ واجب بذاته : هو الله وحده ، وهو الموجود الضرورى الحقيقى ، الدائم ، الثابت الذى لولاه لما كان الوجود .

ـ ممكن بذاته واجب بغيره : أى بعلة خارجة عنه بعد ان كان فى حالة الامكان المجرد ، وفى رأيه أن كل ما فى عالم الطبيعة هو من هذا القبيل .

ـ ممكن بذاته بالقوة : وهو المحتمل الوجود ، الذى لم يخرج بعد الى العالم المحسوس ، وبه تثبت خاصة الاستمرار فى الانبثاق عن الله ويستقيم دوام الفيض .

وحين يتكلم فى القسم اللاهوتى عن صفات الله وماهيته وعلاقته بالعالم الذى أبدعه يقول : « انه لا يحتاج فى اثبات وجوده الى برهان ، لانه هو برهان على جميع الاشياء .. انه واحد .. وانه بسيط .. انه واجب بذاته ، وهو أول الكائنات ومصدرها ، وجوده أسمى وجود ، لانه لم يخرج من علة ، ولا يعتوره نقص وليس له شكل لانه غير متصل بمادة ، ولما كان الله كاملا ، والكمال واحدا ، نجم أن الله لا شريك له ولا شبيه ، وما دام فريدا فى طبيعته فهو فريد فى وجوده ، وهو واحد ، وهو بسيط لا جنس له ولا نوع ، ولا أجزاء يتركب منها ، ولانه بسيط فلا يقبل التحديد ، والله نور محض ، ولفرط انبثاق ضيائه تعجز عيوننا عن رؤيته ، وهو عقل محض عجزت عقولنا المحدودة عن ادراك كلية جوهره ، هو فى أعلى العقول المفارقة المجردة ، ونحن فى المادة منغمسون ، فكرته قائمة فى نفوسنا ، لكننا عاجزون عن ادراك كماله المطلق الذى هو خارج طوقنا الانسانى وكلما ابتعدنا عن المادة وشهواتها اقتربنا من العقول ، وكان ادراكنا له تعالى أجلى وأوضح ، ولا تكمل معرفتنا اياه الا بانسلاخنا التام من عالم الجسمانية ..

ولما كان وجوده أكمل وجود ، وكان مصدر كل وجود ، نشأ انه هو وحده الحقيقة ، لانه وجود كامل ، وماهيته هى عين وجوده خلافا لسائر الموجودات .. هو حى ، وليست الحياة صفة مزيدة عليه ، بل الحياة جوهره وطبيعته ، وهو عليم لانه يعلم ذاته بعلم دائم ، والمعلوم — وهو نفسه — دائما أيضا ، ولا فرق بين علمه وجوهره ..

والله سعيد ، لانه يعلم ذاته ، ويفكر فى ذاته ، ولما كان ابديا لا نهاية له ، وكمالا لا حد له ، كانت سعادته كذلك أبدية كاملة.

ونظرية المعرفة :

عند الفارابى متفرقة فى ثنايا كتبه ، فلم يعالجها مستقلة على حدة ، وانما هى منثورة هنا وهناك ، وخاصة فى أحاديثه عن النفس وقوى النفس ، ويؤكد فى حديثه عن نظرية المعرفة على أهمية الحس ، وفى ذلك يقول : « فالمعارف انما تحصل فى النفس بطريق الحس » ، ويستشهد بما قاله أرسطو فى كتاب البرهان : « ان من فقد حسا ما فقد فقد علما ما » .. ويرى أن ادراك الحواس انما يكون للجزئيات ، وعن الجزئيات تحصل الكليات ، والكليات هى التجارب على الحقيقة ، وليس العقل شيئا غير التجارب .. والاشياء المادية انما تعرف بان تتحول الى معقولات فتحصل فى العقل صورة منفردة غير ملابسة للمادة ، ومجردة من جميع ماهى ملابسة له .

ولا تحصل المعرفة فى الانسان بمجرد مباشرة الحس المحسوسات ، بل بعد تدخل قوى نفسية متعددة يمكن تلخيصها فى هذا النص الذى ننقله عن الفارابى :

« وقد يظن أن العقل تحصل فيه صورة الاشياء عند مباشرة الحس للمحسوسات بلا توسط ، وليس الامر كذلك ، بل بينهما وسائط ، وهو أن الحس يباشر المحسوسات فتحصل صورها فيه ويؤديها الى الحس المشترك حتى تحصل فيه ، فيؤدى الحس المشترك تلك — الصور — الى التخيل ، والتخيل الى قوة التمييز ليعمل التمييز فيها تهذيبا وتنقيحا ويؤديها منقحة الى العقل »

ولا بد ونحن نتحدث عن نظريته فى الفلسفة ، أن نشير الى أنه ما من شك فى أنها عنده نوع من التصوف والمشاهدة تختلف حظوظ الناس فيها باختلاف مراتبهم ، وتتفاوت أقدارهم فيها بتفاوت قدرتهم على الاتصال بالعقل الفعال والاستغراق فيه ،

وما من شك فى انه تاثر فى هذا الاتجاه بنواح ثلاثة ذات اثر كبير فى حياته الفلسفية أولاها أفلاطون والافلاطونية المحدثة نتيجة ما قرأه من آراء هذا الفيلسوف العظيم ، والثانية التيـــارات الصوفية فى عصره ، والثالثة نظرية الوحى فى الاسلام .

والعقل هو « هيئة مافى مادة معدة لان تقبل رسوم المعقولات» (ايراد اهل المدينة الفاضلة للفارابى ص ٨٢) .. والعقل فى رايه نوعان :

● عملى : وهو الذى يعلم الجزئيات ، ويميز بين الجميـــل والقبيح ، ويستنبط ما يجب فعله من الاعمال الانسانية ، واذن فهو مبدأ السلوك الاخلاقى ومبدأ استنباط الصناعات الانسانية العملية ، والعاقل فى نظره من كان فاضلا وجيـــد الرؤية فى استنباط ما ينبغى أن يؤثر من خير ، أو يتجنب من شر . [الفارابى رسالة فى معانى العقل ص ٤ ــ ٥] .

● ونظرى : وهو الذى يدرك الكليات ، ويميز بين الحـــق والباطل ، وهو أصل وفروع ، ويعنى بالاصل : قوة النفس التى بها يحصل للانسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية ، لا عن قياس أصــلا ولا عن فــكر بل بالفطرة والطبع .. وتلك المقدمات هى مبادىء العلوم النظرية (المصدر السابق) ثم تاتى الفروع ، وهى على اربع درجات :ـ

١ ــ عقل بالقوة :

وهو الاستعداد الاول المشترك لجميع الناس ، والـــذى به يستطيع الانسان أن ينتزع صور الموجودات عن موادها ، وأن يصيرها معقولات بالفعل ويسمى هذا العقل عقلا هيولانيا ، لانه شبه المادة الاولى التى تقبل جميع الصور ، والصور تنتقش فى هذه القوة كما ينتقش الرسم فى الشمع ، « الا أن المـــواد الجسمانية تقبل الصور فى سطوحها فقط دون أعماقها ، وهذه الذات ليست تبقى ذاتها متميزة عن صور المنقولات .. بل هذه الذات نفسها تصير تلك الصور » (المصدر السابق) .

٢ ــ العقل بالفعل :

هو الادراك العقلى للمعقولات الحاصلة بالفعل ، وهـــذه المعقولات قبل حصولها فى العقل تكون اما صورا للاشياء الحسية فان العقل ينتزعها من مادتها فيجردها عن الاين والوضع والزمان وتصبح كليات بعد أن كانت صفات لاشياء جزئية .. اما اذا كانت بذاتها مجردة فان العقل يدركها كما هى ، وتكون ماهيتها مشبهة لوجودها ، أو هى عين وجودها ، وفى الحالتين فالعقل بالفعل يكون هو والمعقول شيئا واحدا [المصدر السابق] .

٣ ــ العقل المستفاد :

وهو قدرة العقل على ادراك ذاته على أنه عقل بالفعل ، فيكون وجوده وهو معقول هو وجـــوده فى ذاته ، ويـــكون العقل المستفاد شبيها بالصورة للعقل الذى بالفعل ، والذى بالفعل شبه موضوع ومادة للعقل المستفاد .

٤ ــ العقل الفعال :

وهو الموجود الحادى عشر فى سلم الوجود ، وهو صورة مفارقة لم تكن فى مادة ولا تكون أصلا ، وهو بنوع ما ، عقـــل بالفعل قريب الشبه من العقل المستفاد ، وهو الذى جعل تلك الذات ، التى كانت عقلا بالقوة ، عقلا بالفعل ، وجعل المعقولات التى كانت معقولات بالقوة ، معقولات بالفعل (المصدر السابق)

المنطـــــــق :

ولقد كان للفارابى اهتمام خاص بالمنطق ، وهو الذى درســـه من قبل على أبى بشر متى بن يونس فى مدينة بغداد ، ثم درس طرفا منه على يوحنا بن حيلان فى مدينة حران ، درســـه على هذين الاستاذين دراسة تلقينية مباشرة ، فعرف الطريق اليـــه ، واستهواه السير فيه ، فما ان اطلع على آثار ارسطو ،ومنها الذخيرة النفيسه التى خلفها من بعده عن علم المنطق ، حتى هام بهذا العلم ، وسار فيه حتى النهاية ، وتناول القدامى والمحدثون الكلام عن هذه الناحية فى حياته العلمية ، ففى نبوغه فى علم المنطق يقول القاضى صاعد فى التعريف بطبقات الامم انه : بذ جميع الفلاسفة فى صفة المنطق واربى عليهم فى التحقيق بها ، فشرح غامضها وكشف سرها ، وقرب تناولها ، وجمع ما يحتاج اليها منها فى كتب صحيحة العبارة ، لطيفة الاشارة » .. ويقول الدكتور مرحبا : « ومما لا شك فيه أن الفارابى قد فهم منطق أرسطو فهما دقيقا ، حتى لقد بذ فى ذلك جميع أهل الاسلام واربى عليهم بالتحقيق فيه ، فشرح غامضه ، وكشف أسراره ، وقرب متناوله ، حتى ليقول الكثيرون ان ذلك كان هو السبب فى تلقيبه بالمعلـــم الثانى ، اذ أن ارسطو هو المعلم الاول » .

ويرجع الفضل فى نبوغ الفارابى فى المنطق الى أسباب كثيرة منها : انه لم يقتصر على تحليل الفكر ، بل زاد الى بيـــان علاقة ذلك بالنحو وقال ان النحو قاصر على ضبط لسان العرب، وان المنطق نحو يضبط سائر الالسن ويصونها من الزلل ، وهذا هو الذى هداه الى البحث فى المنطق بالتدريج : اللفظة ، فالجملة

المركبة ، فالخطاب المتهب ، وكانت هذه الطريقة من ابتداع الفارابى .. والمنطق مى نظره قسمان :

● تصور : وهو أبسط ما يرتسم مى الذهن ، أى صورة الجزئى التى تتمثل لنا مفردة من غير أن نحكم عليها بنفى أو اثبات

● تصديق : وهو اثبات امر لاخر ايجابا وسلبا ، ويكون بتركيب القضايا وتاليف الاقيسة واقامة البراهين .

ولم تكن دراسة الفارابى للمنطق دراسة لمجرد الدراسة دون هدف، ولكنه اقبل على هذه الدراسة واعطاها نصيبا كبيرا من اهتمامه ، لانه كان فى المنطق غاية يحددها فى كتابه « احصاء العلوم » حيث يقول اننا لو جهلناه « لم نقف من حيث نتيقن على صواب من أصاب منهم كيف أصاب ، ومن أى جهة أصاب ، وكيف صارت حجته توجب صحة رأيه ، ولا على غلط منهم أو غالط كيف ومن أى جهة غالط أو غلط ، وكيف صارت حجته توجب صحة رأيه ، فيعرض لنا عند ذلك .. اما أن نحسن الظن بجميعهم ، واما ان نتهم جميعهم ، واما ان نشرع فى أن نميز بينهم ، فيكون كل ذلك منا بلا تثبت ومن حيث لا نتيقن .. فالمنطق ضرورى لمن أحب أن يقتصر فى اعتقاداته وآرائه على الظنون » [احصاء العلوم الطبعة الثانية ص ٥٦ ــ ٥٨] .

وللفارابى تصانيف كثيرة ودراسات وشروح فى المنطق ، ضاع اغلبها ولم يبق لنا غير عدد قليل لعل أشهره شرح كتاب « العبارة » لارسطو .. وله كذلك فصول مبعثرة هنا وهناك فى العلوم ، وفى عيون الاخبار ، وفى تحليل السعادة وغيرها .

ومن أقوال الفارابى فى أغراض المنطق :

« صناعة علم المنطق تعطى جملة القوانين التى شأنها أنتقوم العقل ، وتسدد الانسان نحو طريق الصواب ، ونحو الحق فى كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات ، والقوانين التى تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط فىالمعقولات ، والقوانين التى يمتحن بها فى المعقولات ما ليس يؤمن ان يكون قد غلط فيه غالط)(١) .. وذلك ان فى المعقولات أشياء لا يمكن أن يكون العقل غلط فيها ، وهى التى يجد الانسان نفسه كأنها فطرت على معرفتها واليقين بها مثل ان الكل أعظم من جزئه ، وان كل ثلاثة فهو عدد مفرد .. ففى ذلك يضطر الانسان الذى يلتمس الوقوف على الحق واليقين فى مطلوباته كلها الى قوانين المنطق ».

الطبيعة :

وللفارابى مذهب فى الطبيعة ومراتب الوجود ، وتسلسل الكائنات بعضها عن بعض ، والعدل فى الموجودات ؟ وتعليل اختلاف الاجسام تحت فلك القمر باختلاف الاجسام السماوية وتباين أوضاعها وحركاتها ــ تقول له مذهب فى هذا كله لا يخلو من الطرافة والجمال والاصالة ، ولا تحسب ان أحدا سبقه اليه فى طابعه وجزئياته وحبكه وتنسيقه ، وان كانت تشيع فيه الفاظ ارسطو طاليسية كثيرة كالقوة والعقل والمادة ، والصورة .. وان كان أيضا يقوم على أساس الافكار القديمة التى تقول بتاثير العالم الاعلى فى العالم الاسفل ، تاثير الكواكب والنجوم والاجرام السماوية فى حياتنا الارضية » [من الفلسفة اليونانية ص ٤٢٣] .

النفس :

ويتحدث الفارابى عن النفس فيقول فى تعريفها انها : استكمال أول لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة .. وهى ليست مقصورة على جنس واحد من الموجودات ، وانما هى تشمل جميع الكائنات الحية ، والفصل هو الذى يميز نوعا عن نوع .. ويقسم الفارابى قوى النفس الى ثلاثة أقسام : ــ

١ ـ قوى النفس النباتية : واستكمالها يكون بالاغتذاء، والنمو ، وتوليد المثل ، وهى ثلاثة أقسام : القوة الغازية وهى التى تحيل الغذاء الى مشاكله الجسم .. والقوة المربية .او المنمية التى تبلغ بالجسم كماله فى النشوء .. والقوة المولدة التى تولد المثل ليستمر النوع فى الوجود .

٢ ــ قوى النفس الحيوانية : واستكمالها يكون بالاحساس والحركة الادارية ، وتنقسم الى قسمين ..

(أ) محركة او نزوعية أو ارادية : وهى اما شهوانية تطلب النافع ، وأما غضبية تدفع الضار .

(ب) مدركة : اما بالحواس الخمس الظاهرة ، أو بالحواس الخمس الباطنة .

٣ ـ قوى النفس الانسانيه : وهى التى بها يحوز الانسان العلوم والصناعات ، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الافعال والاخلاق ، وبها يروى فيما ينبغى أن يفعل أو لا يفعل ، ويدرك بها مع هذا النافع والضار ، والملذ والمؤذى ، وهى العقل أو القوة الناطقه .

التصوف :

ويتناول الفارابى فى دراساته الفلسفية موضوع التصوف وهو على نوعين : تصوف روحى ، وتصوف عقلى ..

---

(١) يشير هنا الى الحاجة الماسة الى علم المنطق فى الاحكام التى تبنى على قضايا سابقة ، ولا يؤمن فيها من الوقوع فى خطأ القياس ــ أعلام الفلسفة العربية ص ٤٧٠ .

« فالتصوف الروحى يقوم على الزهد والتقشف وقهر النفس ومجاهدتها وتصفيتها بضروب من الحرمان والتعذيب تنتهى بها الى أحوال ومواجيد لا يمكن العبارة عنها بالالفاظ ، ويكاد أقطاب الصوفية يتفقون على أن غاية التصوف الروحى انما هى الفناء فى أنفسهم ، والبقاء فى الله ، واتحاد العبد بالمعبود والرب بالمربوب » .

ويلاحظ فى هذا النوع من التصوف ، أن العقل والتأمل والتفكير المجرد أمور لا دخل لها فى تحقيق هذه الغاية ، وعلى الاقل انها تاتى فى المرتبة الثانية والاخيرة ،بمعنى من الممكن للانسان أن يكون من كبار رجال التصوف دون أن يهتم بتنمية الجانب العقلى فيه ، بل ان بعضهم يندد بالعقل ويراه عائقا عن التصوف الصحيح » .

واذا كان الفارابى بطبيعته قد انساق الى الزهد فى الدنيا ، والتقشف فى الحياة ، والبعد عن الناس على قدر المستطاع ، واعتكف لدراسته وبحثه ، فهو بهذا قد نزع الى التصوف ولكنه كان تصوفا من نوع آخر ، تصوفا لم يكن التقشف والحرمان وتعذيب النفس والبدن من أدواته ما هى من أدوات التصوف الروحى ، وانما كان التأمل والتفكير والنظر العقلى المجرد هى أدوات تصوفه .. يقول الدكتور مرحبا :

« ومع أن الفارابى كان زاهدا متقشفا فى حياته العملية ، الا أنه لم يتخذ من الزهد والتقشف سبيلا الى التصوف ، وانما كان سبيله اليه التأمل والتفكير والابتعاد عن كل ما يشغله عنهما .. فمباذل الحياة ومباهج الدنيا وزخرفها من شأنها ان تقف حجر عثرة بينه وبين حياة العقل التى ينشدها ، ولذلك لم يقبل من صلات الامير الحمدانى سيف الدولة — على وفرتها — الا أربعة دراهم كل يوم ، اقتصر عليها راضيا ليتمكن من الانكباب على التأليف والدرس والتأمل ويبلغ مرتبة العقل المستفاد ، فيكون على اتصال دائم بالعقل الفعال والعقول المفارقة والارواح القدسية » .

الاخلاق :

وكان الفارابى فى دراساته ينشد السعادة لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه وللمجتمعات التى تأتى من بعده ، وكان يعتقد أن هذه السعادة هى الغاية الاولى من الاخلاق ، وله فى ذلك كتاب بعنوان « تحصيل السعادة » عالج فيه الاشياء الانسانية التى اذا حصلت فى الامم ، وفى أهل المدن ، حصلت لهم بها السعادة الدنيا فى الحياة الاولى ، والسعادة القصوى فى الحياة الاخرى ، وقد حصر هذه الاشياء الانسانية التى تحصل فى الامم فى أربعة أجناس : —

١ — الفضائل النظرية : وهى العلوم التى يكون الغرض الاقصى منها حصول الموجودات فى الذهن معقولة ببراهين يقينية وطرق اقناعية ، ومثالات لكل تلك المعقولات .

٢ — الفضائل الفكرية : وهى القوة التى يتمكن بها الانسان من استنباط ما هو الانفع فى غاية ما فاضلة لطائفة من أهل المدينة أو لاهل منزل ، والقدرة على سن القواعد والقوانين التى ينبغى اتباعها ، فهى أشبه أن تكون قادرة على وضع النواميس .

٣ — الفضائل الخلقية : وهى التى يتوخى بها الانسان فعل الخير ، ولا يمكن للانسان أن يوفى أفعالها الا باستعمال سائر الفضائل كلها .. ويعتقد الفارابى أن كل فضيلة خلقية لابد لها من فضيلة فكرية سابقة لها توجهها ، وكلما كانت الفضائل الفكرية أكمل ، كلما كانت الفضائل الخلقية المقترنة بها أشد رئاسة وأعظم قوة .

٤ — الفضائل العملية : وهى تحقيق الفضائل الخلقية بأفعال ظاهرة ، والتعويد عليها بطريقين : —

(أ) طريق الاقاويل الاقناعية والاقاويل الانفعالية وسائر الاقاويل التى تمكن فى النفس هذه الافعال والملكات تمكينا تاما حتى يصير نهوض عزائمهم نحو أفعالها طوعا .

(ب) طريق الاكراه ، ويستعمل مع المتمردين العاصين من أهل المدن والامم الذين لا ينهضون للصواب طوعا من تلقاء أنفسهم ولا بالاقاويل ، وكذلك مع من تعاصى منهم على تلقى العلوم النظرية التى تعاطاها .

ومما يثبت صحة ما ذهبنا اليه من أن الفارابى كان ينشد فى دراساته السعادة لنفسه وللمجتمع الذى يعيش فيه وللمجتمعات من بعده كتابة « التنبيه على سبيل السعادة » الذى يؤكد فيه أن السعادة هى الغاية القصوى التى يشتاقها الانسان ، ويسعى للحصول عليها ، فهى من بين الخيرات أعظمها خيرا ، ومن بين المؤثرات أكمل كل غاية يسعى الانسان نحوها .

ومن أجل هذا .. من أجل السعادة التى كان ينشدها للمجتمعات التى كانت حاضرة فى زمنه وللمجتمعات التى سوف تأتى من بعده ألف كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » ، وقد عرف السعادة فى كتابه هذا تعريفا ميتافيزيقيا صوفيا جميلا يتفق ومذهبه العام ، فالسعادة فى رأيه : « هى أن تصير نفس الانسان من الكمال فى الوجود الى حيث لا يحتاج فى قوامها الى مادة ،وذلك أن تصير فى جملة الاشياء البريئة عن الاجسام ، وفى جملة الجواهر المفارقة للمواد ، وأن تبقى على تلك الحال دائما أبدا .. والسعادة هى الخير المطلوب لذاته وليست تطلب أصلا ، ولا فى وقت من الاوقات ، لينال بها شىء آخر ، وليس وراءها شىء آخر يمكن أن يناله الانسان أعظم منها»

[للبحث بقية]

الإفتاء • المرأة المسلمة
الرياضة
بريد القراء • بريد التعارف

أنت تسأل ؟

س ١ : من المهندس عبد المعطى السيد بحدائق القبة بالقاهرة يقول ما مؤداه :

أنا أتألم نفسيا اذا سمعت القرآن أو تلوته وانا مضطجع أو مسترخ ، لان هذا الوضع غير لائق أن يكون مع الناس ، فهل الجلوس على بعض هذه الاوضاع جائز وما صلته بقول الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » وما هى الهيئة المثلى لقراءة القرآن الكريم ؟

الجواب : ذكر الله تعالى على الهيئات الموجودة فى الاية يشمل قراءة القرآن كما يشمل ذكره بأية صيغة أخرى ، وتذكره والتفكير فى خلقه ، وهذا التيسير يشير الى الترغيب فى ذكر الله على كل حال . وقد ثبت فى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم **كان يتكىء فى حجرها ويقرأ القرآن** ، وجاء عنها أيضا **أنها كانت تقرأ حزبها وهى مضطجعة على السرير** ، ومن هنا يكون سماع القرآن أو تلاوته مع الاضطجاع أو الاسترخاء لا مانع منه شرعا ، وان كان مكروها بدون عذر ، **والكمال فى قراءة القرآن** يقتضى أن يكون القارىء طاهرا فى جسمه وثوبه ومكانه متطهرا من الحدثين مستقبلا للقبلة خاشعا متدبرا متحليا بكل صفة تليق بجلال الكلام الكريم الذى يتلوه .

س ٢ : ومن السائل نفسه يقول ما ملخصه :

ما حكم قتل الزانية الثيب ، وهل من الحسن تركها بغية توبتها وهدايتها ، وهل القوانين السائدة تبيح قتل الزانية اذا ثبت بالامر القاطع ؟

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور محمد محمد الفحام

... والمفتى يجيب!

الجواب : اذا ثبت الزنا بطرقه المعروفة من الاقرار والبينة والحمل وما الى ذلك فحكم الشرع رجم الثيب الزانى والزانية حتى الموت ، وذلك للحديث الصحيح الوارد فى ذلك **لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى والقاتل والمرتد** » · وقد أقام النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده حد الرجم ·

وثبوت الزنا بالاقرار سهل عند من يريد التوبة ، وكذلك بحمل المرأة مع الشروط الواجب توافرها ، أما البينة فهى من الصعوبة بمكان ، لانها لا تكون الا بشهود أربعة عدول ، يرون حادثة الزنا صريحة واضحة دون لبس ، وندر أن يتوفر هؤلاء العدول الاربعة وأن يشاهدوا العملية بأنفسهم ·

واذا ثبت الزنا حقيقة وجبت اقامة الحد دون رحمة أو تهاون ، أما اذا لم يثبت بالادلة القاطعة فان أمر الزانى أو الزانية مفوض الى الله وعسى أن يتوب ويصلح الله شأنه ، والقوانين الحديثة فى بعض البلاد الاسلامية لا ترجم الزانى اذا ثبت زناه ، لانها مستمدة من غير الشريعة الاسلامية ·

والذى يتولى الرجم هو الحاكم وليس للافراد أن يقوموا به ، حفظا للنظام وضمانا لوقوع الحد موقعه الصحيح ·

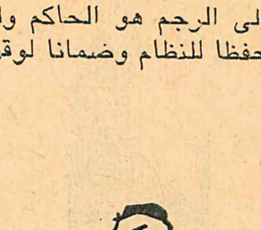

س ٣ : من المقاتل ابراهيم ابراهيم البيلى بالوحدة ٩١٤٧ جـ ٦٥ :

يقول : هل تجب الزكاة فى مرتب الموظف الذى يتقاضاه من الحكومة ، علما بانه يعول أسرة ، وما مقدار الواجب اذا كانت واجبة ؟

الجواب : رأى بعض الائمة ومنهم الامام الشافعى عدم وجوب الزكاة فى الراتب الذى يتقاضاه الانسان عن عمله فى الحكومة أو غيرها ، ما دام يصرف ولم يدخر لمدة سنة فأن ادخره لمدة عام وبلغ نصاب الزكاه وجبت فيه الزكاة وهى ربع العشر ، أما اذا صرف كما هو المعتاد عند أغلب الناس فلا زكاة فيه ، ورأى البعض أن كل دخل مهما كان مصدره تجب فيه الزكاة ·

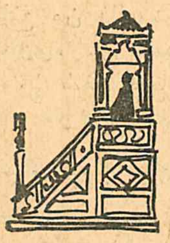

س ٤ : من مصطفى عبد الله عبد الفتاح المهاجر بشط الشعراء دمياط ·

يقول : ان عمرى ٢٦ عاما وأرغب فى الزواج من ابنة خالتى التى يبلغ عمرها ١٥ عاما وقد اخبرتنى والدتى أن خالتى أرضعتنى وأنا صغير مرة واحدة ، فهل يحل لى زواجها ؟

الجواب : ان كانت رضاعتك من خالتك مرة واحدة أو أقل من خمس رضعات معلومات ، فان بنتها يحل لك زواجها وهو الرأى المختار للفتوى · ·

س ٥ : من عبد الحميد عبد المقصود عفان ـ المدرس

يقول : طبيب مسلم يصف للمريض شرب دواء سائل به نسبة معينة من الكحول ـ ويقول انه غير حرام ، فهل هذا صحيح ، وهل البيرة محرمة حتى لو يدخر لمدة سنة فان ادخره لمدة عام وبلغ نصاب الزكاه

الجواب : اذا كانت نسبة الكحول فى الدواء قليلة واستهلكت بحيث يزول عنه وصف الاسكار فلا يحرم تعاطى الدواء ، أما اذا كانت النسبة بحيث اذا شرب قدرا كبيرا منه سكر فهو حرام ، لان ما اسكر كثيره فقليله وكثيره حرام ، والادوية الحلال كثيرة وفيها غنى عن أى دواء فيه شبهه . على أن الامام الشافعى يرى ان هذا الدواء قد تنجس بسبب الكحول ولا يجوز تعاطى النجس . والبيرة أيضا محرمة ما دام فيها عنصر الاسكار ولا يجوز تعاطيها للاستشفاء .

س ٦ : من سائل لم يعرف اسمه يقول :

ما حكم الشريعة فيمن يقطع تلاوة القرآن الكريم بين الحين والاخر وذلك لانشغاله بمتجره أو الرد على أحد يكلمه ؟

الجواب : لا مانع من ذلك شرعا حتى لا تكون القراءة معطلة للقارىء عن كسب العيش وقضاء المصالح المشروعة وهى شغل اللسان باطيب ذكر وذلك أفضل من شغله بكلام آخر لا خير فيه .

س ٧ : ومن السائل السابق يقول :

ما حكم الشريعة الاسلامية فى التحية بالعناق والقبلات بين الاهل والاصدقاء والاقارب من رجال ونساء من أبناء العمومة والاقارب؟

الجواب : العناق والقبلة عند التحية بين الذكور فقط أى بين الاناث فقط مع أمن الشهوة لا مانع منه شرعا ، وان كان التقبيل مستهجنا طبيا اذا كان فى الفم ، والتقبيل فى الفم لا يظهر فيه معنى التكريم كتقبيل اليد والرأس ، فهو مكروه عند عدم التلذذ والا كان حراما .

وقد تلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب عند عودته من الحبشة فالتزمه وقبل ما بين عينيه وقبل الصحابة يده عليه الصلاة والسلام . عند عودتهم من مؤتة ، كما قبل الصحابة بعضهم بعضا .

أما القبلة بين الجنسين للتحية ، فان كانت مع المحارم كالولد مع أمه أو الاخ مع أخته فلا مانع منها شرعا وقد قبل النبى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة رضى الله عنها ، كما رواه النسائى وصححه وقبل أبو بكر رضى الله عنه ابنته عائشة رضى الله عنها كما رواه مسلم .

وان كانت مع غير المحارم فهى محرمة أشد التحريم سواء كانت فى الفم أم فى غيره لان اللذة تصحبها غالبا ، ومجرد ملامسة الاجنبية بالمصافحة باليد حرام ، فما بالك بالقبلة ، وقد جاء فى الحديث « لان يطعن فى رأس أحدكم مخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » . رواه الطبرانى بسند صحيح وثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصافح امرأة عند المبايعة بدون حائل .

س ٨ : ومن السائل السابق يقول :

هل يجوز تبرع المسلم بدمه للكافر وبالعكس وذلك لانقاذ حياته ؟

الجواب : ليس هناك نص صريح يحرم ذلك .

س ٩ : ومن السائل السابق يقول :

فى سورة العنكبوت قوله تعالى : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » فهل مكث سيدنا نوح ألف سنة الاخمسين فى قومه ، وما الفرق بين سنة وعام ؟

الجواب : صريح الاية يقول : ان سيدنا نوحا مكث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما ، ولكن هل هذه المدة هى مدة البعثة والدعوة السابقة على الطوفان ، أو تشمل المدة السابقة من ميلاده الى مبعثه ثم المدة التى عاشها بعد الطوفان أيضا ، وبهذا تكون مدة بعثته قبل الطوفان غير محددة لعمره الذى عاشه ؟ الظاهر أن المدة المذكورة فى الاية كانت مدة الدعوة من بدء البعثة الى وقوع الطوفان الذى ترتب عليه تكذيب قومه له ، وأما عمره الشامل فلم يرد به خبر صحيح ولا فرق فى اللغة بين السنة والعام فى التقدير الحسابى .

س ١٠ : من السائل السابق يقول :

أ ــ قال الله تعالى فى سورة البقرة « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » . « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » فهل الزواج من المشركات حرام ، مع العلم بأن كثيرا من الناس يتزوجون منهن ؟

ب ــ نسمع من بعض الائمة أن الزواج من المشركة حلال وزواج المؤمنة من المشرك حرام .. فهل هذا صحيح ؟

الجواب : ا ـ هذه الاية تحرم نكاح المؤمن للمشركة وهى التى لا تدين بدين سماوى يهودى أو نصرانى ٠ قال تعالى للمهاجرين الى المدينة الذين تركوا زوجاتهم المشركات بمكة ، « **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** » ٠ أما من تدين بأحد هذين الدينين فزواجها حلال ، قال تعالى فى سورة المائدة « **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان** » ٠

ب ـ ليس صحيحا على اطلاقه ما يقوله بعض الناس من حل الزواج من المشركة فلعلهم أرادوا بها من تدين بدين اليهودية أو المسيحية أما غيرها فلا يحل زواجها ، وزواج المؤمنة من المشرك حرام ، والمراد به كل من لم يكن مسلما حتى لو كان يدين بدين سماوى غير الاسلام ٠ والفرق بين الحالتين أن الاسلام دين سمح لا يكره أحدا على تغيير دينه ، فالزوج المسلم لا يكره اليهودية ولا المسيحية على الاسلام وعند التسامح يمكن للأسرة أن تستقر ، أما غير المسلم فليس عنده هذا التسامح فيخشى منه على المسلمة أن يفتنها عن دينها وذلك ما يأباه الاسلام وعند الخوف لا يكون استقرار عائلى ٠

س ١١ : ومن السائل نفسه يقول :

هل الاستنجاء فرض أو سنة ؟

الجواب : قال الائمة : ان الاستنجاء واجب ، وذهب أبو حنيفة الى أنه سنة مؤكدة للرجال والنساء ٠

س ١٢ : ومن السائل نفسه يقول :

هل المسح باليد على الوجه عند سماع اسم الرسول صلى الله عليه وسلم محبب ؟

الجواب : ليس هناك دليل على استحباب ذلك ، كما أنه ليس هناك دليل على منعه فهو مباح والاعمال بالنيات ٠

س ١٣ : من الرقيب أحمد طه حسين بالاسكندرية يقول :

والداى كبيران ومقيمان بعيدا عنى وعندى أسرة أنفق عليها ، وكثرة السفر الى والداى يكلفنى ما لا أستطيع ، ومن هنا لا أستطيع امدادهما بالمال دائما ، فما حكم الدين ؟

الجواب : اذا كان والداك فى حاجة اليك فعليك أن ترسل اليهما ما يكفيهما مع مراعاة ظروف أسرتك بالمعروف ، ولا يلزمك السفر اليهما ، فارسال مصاريف السفر قد تكون أفضل من زيارتك بدون مال ، أما اذا كانا مستغنيين ماديا عنك ويقدران ظروف أسرتك فلا تحرمهما من البر بما استطعت ٠

س ١٤ : ومن أمين على موسى من وراق الحضر بالجيزة يقول :

هل قتل الذباب بمساكننا مخالف للدين ، لان البعض يقول انه من النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ؟

الجواب : قتل الذباب غير محرم لانه يسبب أمراضا كثيرة ، وليس من النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ، قال الامام الدميرى فى كتابه حياة الحيوان الكبرى (مادة نمل) بعد أن ذكر حديث حرق **بعض الانبياء لنملة لدغته :**

ليس فى هذا الحديث ما يدل على كراهته ، ولا خطر فى قتل النمل فان من آذاك حل لك دفعه عن نفسك ، ولا أحد من خلق الله أعظم حرمة من المؤمن ، وقد أبيح لك دفعه عنك بضرب أو قتل على ما له من المقدار فكيف بالهوام والدواب التى قد سخرت للمؤمن ، وسلط عليها وسلطت عليه فاذا آذته أبيح له قتلها ٠ أ ٠ هـ ٠ **ولا شك أن الذباب مؤلم ومضر فلا مانع من مكافحته بكل الوسائل الممكنة ٠**

س ١٥ : ومن السائل نفسه يقول :

هل البيع فى ورق الجرائد والمجلات مخالفة للدين ، وهى لا تخلو من أسماء الله وايات قرآنية ؟

الجواب : البيع فى الاوراق المكتوبة كالجرائد والكتب اذا عرضها للاهانة والاستخفاف كرميها فى القاذورات بعد استعمالها حرام ان تيقن أن فيها أسماء الله أو قرآنا أو كلاما مقدسا ، وان لم يتيقن كره ذلك ، أما اذا لم تعرض للاهانة والاهمال بعد استعمالها ـ وذلك غير واقع ـ فلا يحرم البيع فيها ·

س ١٦ : ومن السائل نفسه يقول :

هل وجود الراديو بالمساجد لسماع القرآن يوم الجمعة وفى صلاة الفجر جائز على الرغم مما فيه من علو صوت المعجبين بالقراء وهو يشوش على المصلين ؟

الجواب : رفع الصوت في المسجد اذا شوش على المصلين لا يجوز حتى لو كان ذلك بالذكر وقراءة القرآن ، وسماع القرآن يلزمه الادب والخشوع ·

س ١٧ : من هارون ساماسا بباريس يقول :

ما حكم التمائم والرقى وما الدليل على ذلك ؟

الجواب : التمائم وهى الخرزات التى كان العرب **يعلقونها فى الجاهلية على المرضى اعتقادا منهم أنها هى التى تهب الشفاء قد حرمها الاسلام لان فيها** شائبة الشرك ، جاء فى الحديث « **من علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا اودع الله له** » رواه أحمد وأبو يعلى باسناد جيد والحاكم وصححه ، وفى رواية « **من علق فقد أشرك** » ·

أما الرقى فقد رخص فيها النبى صلى الله عليه وسلم لحديث عائشة فى الصحيحين « **أمر النبى أن نسترقى من العين** » على ألا تكون بمحرم من الكلام فمن الجائز قراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وآية الكرسى ·

وورد أن سيد حى لدغ ، فرقاه المسلمون بفاتحة الكتاب **فاقرهم النبى صلى الله عليه وسلم** كما رواه البخارى ومسلم قال الامام النووى فى شرحه لمسلم فى الجمع بين الاحاديث المجوزة للرقى والناهية عنها ، **ان المنهى عنه هو الرقية بكلام الكفار** والرقى المجهولة والتى بغير العربية وما لا يعرف معناها فهى مذمومة لاحتمال أن معناها كفر أو قريب منه أو مكروه ، **وأما الرقى بآيات القرآن وبالاذكار المعروفة فلا نهى عنه بل هى سنة** ، وقد روى مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم « **اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك** » · وتراجع فتاوى شهر شوال من هذا العام فى هذه المجلة ·

س ١٨ : ومن السائل نفسه يقول :

هل كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبض يديه فى الصلاة أم يتركه : وهل يترتب شىء على الاخذ والترك ؟

الجواب : ذهب جمهور الفقهاء الى مشروعية وضع الكف على الكف فى الصلاة عند القيام لقراءة الفاتحة ، وذلك للحديث الذى رواه مسلم وغيره عن وائل بن حجر انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ، ولغيره من الاحاديث التى تبلغ العشرين عن الصحابة والتابعين حتى حكى الحافظ ابن عبد البر انه قال : **لم يأت عن النبى فيه خلاف** ·

وذهب بعض الفقهاء الى ارسال اليدين ونقله النووى عن الليث بن سعد ونقله ابن القاسم عن مالك وخالفه ابن الحكم فنقل عن مالك الوضع والروايه الاولى عنه هى رواية جمهور اصحابه ، وهى المشهورة عندهم · واحتج القائلون بالارسال بحديث لم تسلم حجيته عند غيرهم وبان الوضع مناف للخشوع وعلى كل حال فالوضع أو الارسال من السنن لا تبطل الصلاة بتركه ·

س ١٩ : ومن السائل نفسه يقول :

ما حكم الاتصال بالاولياء والصالحين لطلب الدعاء ؟

الجواب : تقدم فى فتاوى شهر شوال من هذا العام الحديث عن التوسل فأرجع اليه ، وعلى كل حال فان طلب الدعاء من الصالحين غير ممنوع ، وكان الصحابة يطلبون الدعاء بعضهم من بعض ، بل ان النبى صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء من عمر ، كما روى الترمذى وأبو داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : **استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فاذن وقال « لا تنسنا يا أخى من دعائك »** · فقال كلمة ما يسرنى ان لى بها الدنيا · وهو حديث حسن صحيح ·

س ٢٠ : ومن السائل نفسه يقول :

ما حكم قراءة الفاتحة بعد الصلاة ناويا بها الاموات والغائبين وقصدا للتبرك ؟

الجواب : قراءة الفاتحة أو أى شىء من القرآن ليس فيه مانع بل هو مستحب ، أما نية هبتها للاموات أو لغيرهم هل تنفعهم أو لا فهو موضوع خلاف قديم بين العلماء ومهما يكن من شىء فلا ضرر فيها ٠

س ٢١ ومن السائل نفسه يقول :

ماذا يترتب على من قال لزوجته : انت حرام ، وما المراد من قوله تعالى فى سورة التحريم « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك » ؟

الجواب : ذكر القرطبى فى تفسيره سورة التحريم أن للعلماء فى هذا اللفظ « أنت حرام » ١٨ قولا منها انه لا شىء عليه ، وقيل : عليه كفارة يمين ، وقيل : ظهار ، وقيل : طلقة رجعية ، وقيل : بائنة وقيل ثلاث تطليقات ، وقيل غير ذلك ، قال الامام الشافعى ان هذا اللفظ من كنايات الطلاق ، ان نوى به الطلاق وقع والا فلا ، وقال غيره انه من صريح الطلاق لا يحتاج الى نية لوقوعه ٠

اما معنى آية سورة التحريم فان النبى صلى الله عليه وسلم حرم على نفسه أكل العسل عندما عابت عليه السيدة حفصة أن رائحته كريهة ، كما رواه البخارى وقيل ان هذا التحريم كان معه يمين وقد شرع الله تحلة اليمين المعروفة وقيل لا ٠٠

س ٢٢ : ومن السائل نفسه يقول :

ماذا فى السجاير والدخان ؟

الجواب : حرم جماعة شرب الدخان وأباحه آخرون ، **وقال بعض العلماء اذا كان شربه يضر بالصحة والمال فهو حرام** ، وان تعين دواء لمرض لا دواء غيره كان واجبا ، وان لم يضر الصحة والمال ولم يتعين دواء كان مكروها لانه اسراف أو اهلاك للمال دون فائدة وقيل مباح ٠

وعلى كل حال فالافضل تركه لان له رائحة تؤذى الغير ، وفم شاربه يتأذى منه الكثير من النـاس والاسلام يمنع الايذاء ، ذلك الى البحوث الكثيرة والتصريحات المستفيضة عن ضرره وأثره علـى الاجهزة الجسمية ، والدين لا ضرر فيه ولا ضرار ٠

س ٢٣ : من السائل نفسه :

ما موقف الاسلام من الوصول الى القمر هل هو ممكن أو لا ؟

الجواب : لا شك فى أن الوصول الى القمر ممكن عقلا وعادة وشرعا ، وقد حدث بالفعل وليس فى الدين ما يمنعه فان الله سبحانه قد سخر للانسان ما فى السموات وما فى الارض ولم يمنعه من الافادة من كل شىء فى هذا الكون الا بدليل خاص يمنعه ـ ولم يوجد ذلك بالنسبة الى الوصول الى القمـر ٠

س ٢٤ : ومن السائل نفسه يقول :

ماذا فى تقبيل يد الشيوخ وأرجلهم للاحتـرام ؟

الجواب : ليس فى تقبيل يد الشيخ مانع شرعا ما دام للاحترام ٠ وقد تقدم فى فتاوى شهر شوال أن الصحابة قبلوا يد النبى صلى الله عليه وسلم عند عودتهم من تبوك ، وكذلك وفد عبد القيس قبلوا يده ، كما رواه أبو داود وفى شرح البخارى لابن حجر ان الذين تاب الله عليهم لتخلفهم عن تبوك قبلوا يده عليه الصلاة والسلام حين تاب الله عليهم ٠ أما تقبيل الارجل فلم يعهـد شرعا ولا عرفا ٠

س ٢٥ : من محمد ماهر عبد الرازق جاد الله من منوف ـ يقول :

خرج منى يمين طلاق بالثلاثة ما أنا مستعمل أدوات المطبخ مدى الحياة ، فهل يقع الطلاق اذا استعملتها ؟

الجواب : اذا كان القصد من هذا اليمين هو منع نفسك من استعمال أدوات المطبخ وليس قصـدك

التطليق فهو يمين معلق لم يقصد به الطلاق فلا يقع بفعل المحلوف عليه كما نص عليه القانون المعمول به فى الاحوال الشخصية .

س ٢٦ : من محمود آدم - من الخرطوم : يقول :

سافر رجل من بلده الذى ولد فيه ، وترك زوجته ومعها بنت صغيرة ، وبعد غياب ٢٣ سنة اجتمع فى بلد آخر مع بنته وتزوجها دون علم بأنها بنته وولدت منه طفلتين ، ثم علم بعد ذلك - فما الحكم ؟

الجواب : ان النكاح تبين بطلانه لاختلال أحد شروطه ، وعليه فالتفريق ضرورة لابد منها والطفلتان هما بنتا الرجل ينسبان اليه ولهما كافة حقوق الاولاد على أبيهم كما قرره الشافعية .

س ٢٧ : ومن السائل نفسه يقول :

من هم أصحاب القرية التى جاءت فى سورة (يس) ؟ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون » .

الجواب : القرية هى أنطاكية . أرسل الله لها ثلاثة هم صادق ومصدوق وشلوم ، وهم اما رسل من الله ابتداء ، واما من قبل سيدنا عيسى فكذبوهم فعاقبهم الله .

س ٢٨ : ومن السائل نفسه يقول :

ما هو ذو القرنين الوارد فى قوله تعالى «ويسألونك عن ذى القرنين » سورة الكهف

الجواب : ذو القرنين مختلف فى اسمه كثيرا ، وقد رجح بعض الباحثين أخيرا أنه (كورش) الفارسى الذى حكم منذ ٢٥٠٠ سنة وعلى كل حال نحن غير مكلفين بمعرفة اسمه وليس لنا الا العبرة من قصته .

ردود خاصة

١ - الى السيد - أحمد اسماعيل شكرى - من بنى مزار :

وصف العلاج لمغالبة الشيطان والحرص على لايمان بحث طويل ليس محله باب الفتوى ولعلك تجد ما يساعدك على ذلك فى البحوث التى تنشرها المجلات الاسلاميه .

٢ - الى المسلم : د . س . أ . بالبحيرة :

اصبر وتحمل واعف عمن ظلمك وأعتقد أن الله سينتقم لك من الظالم ان عاجلا وان آجلا .

٣ - الى السيد - محمد حسنى . خ . بالاردن :

التوبة الخالصة تقتضى ارجاع الحقوق الى أصحابها ان عرفوا فان لم يعرفوا دفع الحق الى جهة خيرية عامة كالمساجد والمستشفيات ودور التعليم والملاجىء فى أية جهة من الجهات وذلك بنية أن يكون ثوابه لصاحبه والله يقبل التوبة ان شاء الله .

٤ - الى السيد - م . محمد أشرف عبد الغنى الغراب :

سؤالك عن الرسم والتصوير مرت الاجابة عليه فى فتاوى شهر جمادى الاولى من هذا العام فارجع اليه .

.. بدون الماء فهو ملاق حتفه فى مدى أيام قليلة من ٣ الى ١٠ أيام على أقصى تقدير اذ أن الماء يدخل فى تركيب كل أنسجة الجسم وخلاياه .

ويحتاج الانسان فى المتوسط الى لترين أوثلاثة من الماء يوميا — ماء شرب وفى المأكولات والسوائل الاخرى والناتج من أكسدة الغذاء — ولابد أن يكون هناك هذا التوازن ، فاذا اختل لامر ما كأن يكون المفقود أكثر من أن يعوض بسبب الصيام عن الماء أو نتيجة للقىء أو الاسهال او ازدياد ادرار البول مع الامتناع عن شرب الماء وفى الحميات .. الخ ، حدث جفاف تدريجى للجسم ترتفع معه درجة حرارته وتجف الافرازات كاللعاب مما يؤدى الى الشعور بالعطش وتغور العينان ويجف الجلد ويتجعد ، وكلما ازداد جفاف الجسم زادت الحالة سوءا ، ولو فقد الجسم ٢٠٪ من الماء ، يكون معرضا للهلاك .

وقد وجه القرآن الكريم الانظار الى أن الماء الآسن الراكد المتغير ماء ضار ولايصلح للشرب وقد قررت الاية الكريمة فى قوله تعالى « **مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن** » (من الاية ١٥ سورة محمد) تلك الحقيقة قبل اكتشاف المكرسكوبات ، وبعد أن تبينا بالعلم الحديث أن الماء الراكد مستودع لملايين البكتريا الضارة وغيرها من الكائنات الدقيقة والطفيليات التى قد تصيب الانسان والانعام بأضرار وأمراض شتى ويجب أن يبتعد الانسان عن تعاطى المياه الراكدة لبالغ ضررها عليه .

ولذلك يمكن القول بأن كل كائن حى مخلوق من الماء ، وانه بدون الماء لاتوجد الحياة ، وجل من قائل « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** » .

ابتهال الى الله فى ضراعة

دعا اعرابى وهو يطوف بالكعبة ، فقال :

« الهى .. من أولى بالتقصير والزلل منى وانت خلقتنى ؟ .. ومن أولى بالعفو منك عنى وعلمك بى محيط ، وقضاؤك فى ماض ؟ .. الهى أطعتك بقوتك والحسنة لك ولم احسن حين اعطيتنى ، وعصيتك بعلمك فتجاوز عن الذنوب التى كتبت على .. وأسألك يا الهى بوجوب رحمتك ، وانقطاع هجتى ، وافتقارى اليك ، وغناك عنى ، أن تغفر لى وترحمنى ، اللهم انا اطعناك فى احب الاشياء اليك : شهادة ان لا اله الا أنت وحدك ، لا شريك لك ، ولم نعصك فى أبغض الاشياء اليك : الشرك بك ، فاغفر لى ما بين ذلك .. اللهم آنس المؤنسين لاوليائك ، وخير المعينين للمتوكلين عليك .. اللهم انت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسرى اليك مكشوف ، وانا اليك ملهوف ، اذا أوحشتنى الغربة آنسنى ذكرك ، واذا أكبت على الهموم ، لجأت الى الاستجارة بك ، علما بان أزمة الامور كلها بيدك ، ومصدرها قضاؤك ، فاقلنى اليك مغفورا لى ، معصوما بطاعتك باقى عمرى ، يا أرحم الراحمين » .

نظرة على المسلمين

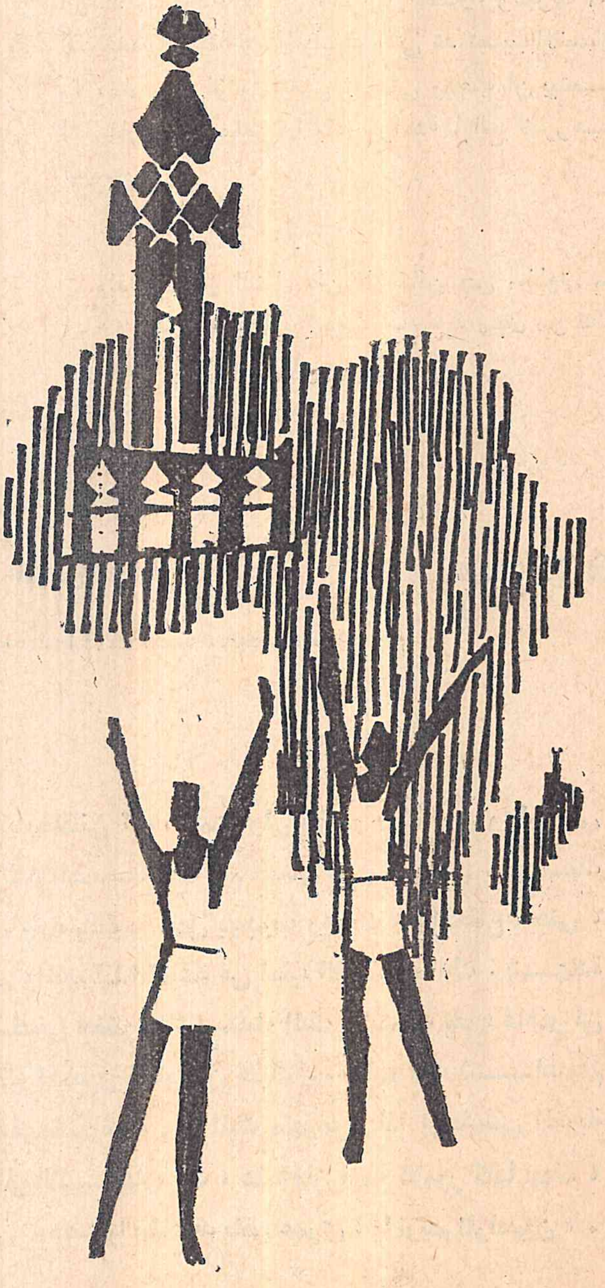

على ضوء ما شاهدت ، ولمست من نشاط المسلمين فى أفريقيا ، وفى دول الغرب منها بالذات ، أجدنى مقتنعا بما يجب أن يدخل من تعديل فى أسلوب الدعوة الاسلامية ، فالاسلام فى هذه الدول ينتشر بسرعة رهيبة ، تؤكد أنه دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، والذين يدخلونه جددا طواعية يعجبك قولهم وفهمهم للاسلام ، فهم لم ينتسبوا الى الاسلام عن تقليد ، وانما عن دراسة واطلاع ، وبالتالى فان الشباب الجديد الذى تحول الى الاسلام وظهر فى مساجد ساحل العاج والسنغال مختلف عن الذين هم مسلمون بالوراثة الجدد درسوا ، وقارنوا ، ووجدوا أن الاسلام دين يحقق التوازن فى سلوك الفرد بين ما للحياة الاولى والحياة الاخرة ، دون أن يطغى نشاط الروح على نشاط الجسد ، أوتطغى لذة الجسد على متعة الروح فى مزاولة العبادات .

أما القدامى ، فمنهم ، كما هو معروف حتى فى بلادنا من يضعف أمام سيطرة المشعوذين المتخلفين عن ركب الحياة — الذين لا يؤمنون بأن الاسلام دين عمل وعبادة ، وأن العمل ذاته لون من الوان العباد بل هو فى بعض الاحيان عبادة لها قدسية خاص ترفع من شأن المؤمن ، وتحقق له ما يريده الاسلا منه ، أن يكون قويا متوكلا على الله . لا ضعيفا مستسلما ، متخاذلا ، متواكلا ... ولقد التقيت ف

في غرب إفريقيا

الأستاذ ناصف سليم

داكار بأحد دعاة الاسلام ، شاب من أفصح شباب العرب . يتكلم العربية كأهلها ، وله اتصال وثيق بالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية وناقشته في شئون المسلمين في داكار على ضوء ما شاهدت ورايت وعشت أسبوعين ، كما قلت لك :

وقال لى الشاب الداعية ابراهيم محمود جوب الامين المساعد للاتحاد الاسلامى الافريقى :

لقد كان الوفد الداعية برئاسة فضيلة الشيخ ابراهيم نياس شيخ الاسلام في غرب أفريقيا في جولة بدول المنطقة وفي نيجيريا ، وأهم انطباع للوفد يدعو الى التفاؤل أو المساعدة ، والاطمئنان الى سلطان الدين الاسلامى على النفوس ، لايبدو هذا من سخاء المسلمين في تبرعاتهم للمساجد ، بقدر ما يبدو من ظهور شباب جديد ، وجد في الاسلام ملاذا للخلاص من مشاكل الحياة النفسية ، وعقدها التى جلبتها الحضارة !

وقلت للاستاذ ابراهيم محمود جوب ، لكنى أرى أثر الاستعمار مازال باقيا ، ولقد حرت في أمر ، لا أدرى أهو صدفة .. ، أم هو تخطيط استعمارى قديم ، وهذا الامر ، هو وجود بعض « المواخير » في مواجهة أو بجوار كل مسجد في داكار .....

ولست مبالغا حين أقول لك أننى بنفسى كنت أستمع الى أصوات المصلين في تسابيحهم عقب كل صلاة تطغى على أصوات المنحرفين ، .. بل لقد كنت اقف على باب الفندق في نفس الشارع ساعات ، لارى الفارق بين الناس ، هنا وهناك .. الخارج من الماخورة مصاب بذهاب العقل يترنح .. أو الخزى وتأنيب الضمير يتوارى ، والخارج من المسجد ممتلىء بالثقة فخور يبدو على وجهه الرضا والاطمئنان ..

ولقد كان حديث صديقنا الداعية الذى قابلته مصادفة .. في فندق « دى ليبيه » المواجه لاحد البيوت التى تطلق عليها مشبوهة ، وتديرها سيدة أمريكية كما سمعت ، مؤكدا أن الاسلام يمحو في طريقه كل هذه المفاسد ، فالمنحرف نفسه الذى تضيع أمواله في سبيل الشهوة لا يلبث أن يفيق ، تهز ضميره تسبيحات المصلين ، فيتوب الى رشده.. خاصة وان الاسلام لا يحرم الانسان من متع الحياة ولا زينتها ، بل أحلها ووضع لها القوانين التى لا تكبد الناس أعباء ولا مالا ...

ومضيت أطالع في وجوه الناس ، ما أرى ، فاذا رجل الدين عندهم له قداسة لا تدانيها قداسة أخرى ، اذا وقف في الطريق .. توقفت مسيرة

النـــاس ورفعوا أيديهم أمام وجوهــهم .. يدعون ويرددون ، وسألت شابا لبنانيا من الجالية الكبيرة المسلمة هناك ، ماذا يقول :

فقال لى : يدعو لهم بدخول الجنة ، والغفران .. والمح فى عيونهم نــور الايمـــان .. والرضـــا ، والاطمئنان فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر !

وقلت فى نفسى كلمة عمر رضى الله عنه :

اللهم أرزقنى ايمانا كايمان العوام ..

وقال لى بعض رجال سفارتنا هناك :

ان المسلم لو خيرته فى أن يترك دينه أو ينشر بمنشار ، لجلس راضيا أمام المنشار مطمئنا الى أنه قد اشترى الاخرة بالدنيا .

وخرجت من التجربة التى تحتاج الى حديث آخر عن سر انتشـــار الاســلام فى غرب أفريقيا ، بأن أسلوب الدعوة يجب أن يتطور ، وأن نشاط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية يزداد وان منبر الاسلام وحدها هى مصدر ثقافتهم الدينية وياحبذا لو صدر نشرة دورية بسيطة بأكثر من لغة تتضمن ، أخبار العالم الاسلامى ، وتحليلا للمشـــاكل الدولية على ضوء نظرة الاسلام اليها ، ثم بحثا علميا فى مشكلة من مشاكل الحياة فى العصر الحديث ، وهو وان كان يحتاج الى مزيد من الجهد فانه ســوف يحقق أثرا طيبـــا فى رفع المستوى الفـكرى والوعى الاسلامى هناك ..

ولقد وضح لى جليا ، كيف تنتشر الكتب الاسلامية بصورة مذهلة غطت على كتب الجنس ، فقد صدر كتاب اسـمه « اســلاميك نوار » أو « الاســلام الاســود » فى أفريقيا تأليف جان بيير الفرنسى ، وتحدث عن المتناقضات بين سلوك الافراد ومايطلبه الدين الاسلامى الملائم لكل عصر ، فذاع صيت الكتاب ، وحقق عكس ما كان يتوقع الكثيرون عن اقبال على الدين الاسلامى .. الدين الوحيد الذى انتشر وفتحت له كل الابواب الموصدة لان طبيعته هى التى سمحت بذلك .. والا ، **كيف يستطيع عدد من التجار فى الصــومال وغيرها أن يحولوا دولا كاملة بأسرها الى الاسلام ..**

من مواعظ على [رضى الله عنه]

قال على [كرم الله وجهه] :

أوصيكم بخمس لو ضربتم عليهـا اباط الابل لكان قليلا : لا يرجون أحدكم الا ربه .. ولا يخافن الا ذنبه .. ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم .. واذا لم يعـلم الشىء ان يتعلمه .. واعلموا ان الصبر من الايمان ، بمنزلة الراس من الجسد ، فاذا قطع الراس ذهب الجسد .

وقال :

من أراد الغنى بغير مال ، والكثرة بلا عشـيرة ، فليتحول من ذل المعصية الى عز الطاعة ، ابى الله الا أن يذل من عصاه .

وقال :

اعملوا لله فى الرغبـة كما تعملون له فى الرهبة .. الا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها الا وانكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد ، وان اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل .

مع القراء

إعداد : فؤاد هيبة

عزيزى القارىء :

اختص الله الامة المحمدية بأمور تعبدية تقوم فى جوهرها على الفكر والذكر ، والعمل المثمر ، من أجل عمارة الدنيا على أساس من الحق والعمل الصالح والكلم الطيب ..

فتربية الروح وتحليقها ، وصفاء النفس وتهذيبها مدخل أساسى لكل عمل صالح ، فالظاهر والباطن ، والذكر والفكر ، والنية والقصد ، والجوانية والبرانية ، كلها مناط الشريعة الاسلامية ، فلا عبرة بعمل ينطلق من باطن أجوف وقصد سىء ، ولا اعتبار بجوانية لا تساهم برانيتها فى قيام المجتمع الصالح ..

وتأتى فريضة الحج كفريضة تعبدية تسمو فى فكرها وذكرها وقصدها على ما يسعى اليه البعض من اتخاذها وسيلة لتحقيق مآرب شخصية ونوازع مظهرية تقتصر على الاغراض الدنيوية ، فان الله سبحانه وتعالى عندما أباح الاتجار بالحج وأنزل فى شأنه قوله « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات .. » الآية ، فانه جلت قدرته قد عبر عن الاباحة بصيغة نفى الاثم اشعارا منه سبحانه وتعالى لعباده بأفضلية تجريد القصد للحج .

كما ينبغى على الحاج أن يكون فى سفره متواضعا متخشعا متمسكنا ، فعلى مثل هذه الاوصاف ينبغى له أن يفد على الله الملك الجبار المتكبر ، ولا يكون فى سفره وحجه من المتكبرين ، ولا من المترفهين فيكون عند الله من المطرودين ، **قال عليه الصلاة والسلام « انما الحاج أشعث أغبر » وحج علية الصلاة والسلام على رجل رث وتحته قطيفة لا تساوى أربعة دراهم ، فكلما كان الحاج أكثر تواضعا وتمسكنا – يريد بذلك وجه الله – كان حجه أطيب وأزكى وأجل وأكمل .**

ومهما كان الحاج موسرا فليبالغ فى توسيع النفقة على الفقراء والمساكين ، وبذل المعروف للضعفاء والمقلين مخلصا فى ذلك لله رب العالمين . فذكر الله وقصد الخير والاخلاص فى النية بعيدا عن الرياء وحب الدنيا هى سبيل الحاج الصادق **وصدق الله العظيم اذ يقول : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آبائكم** أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق ، **ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .**

فموسم الحج هو موسم التدريب الكامل لجند الله الخالصين المخلصين القادرين على البذل فى غير ما تقتير ، والتضحية فى غير مامنة ، والصبر بلا قنوط ، والذكر بلا اشراك ، والتكبير بلا رياء ، حتى يكون المسلم قد برأ من كل مايشوبه من رزايا ، وخلص من كل ما يعوقه عن التسامى الى مراتب الصديقين والشهداء ، من علائق الدنيا ومظاهرها .

والحج معركة يخوضها الانسان مع نفسه قاصدا تقويمها . وتجريدها من الشهوات ، وتخليصها من النزعات الشيطانية ، ووضعها فى الاطار السليم القويم الذى اراده الله لها ، وقد حدد الله تبارك وتعالى ميقات هذه المعركة المكانى والزمانى . فكانت الاشهر الحرم هى زمانها وبيت الله الحرام وأرضه المقدسة مكانها اجلالا لهذه المعركة وتكريما للقائم بها واعزازا له . أما أسلحتها فهى صدق النية والتجرد من الترف والمظهرية ، والطواف والسعى والنحر والتهليل والتكبير والبذل والخشوع والذكر ..

وبانتصار الحاج فى معركته ينهزم الشيطان ويحل الاطمئنان ويعلو الحق وجنده ، ويزهق الباطل وأعوانه ، ويتحقق الرضا ويصبح الحاج أهلا لتلقى النفحات الربانية ، وقبول الدعوات ، والسمو الى مراتب العفو والغفران وقد برىء من الادران المادية والفكرية وتجنب التردى فى مهاوى الرزائل واستعذب الخير والبذل والتضحية .. اولئك هم جند الله القادرون على حماية مقدساته والقيام على تعاليمه والسعى الى رحابه .

ونحن اذ نشارك وفد الله رحلتهم المقدسة بالتهليل والتكبير والنحر والذكر فما أحرانا أن نكون صادقى القصد والنية . محققين الانتصار على الرغائب النفسية .. منخرطين فى صفوف جند الله « ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما » .

ويومئذ يكون النصر هو المنحة الالهية والنفحة الربانية التى يفيض الله بها على جنده المخلصين وعباده الصادقين ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ..

والمجلة اذ تشارك الامة الاسلامية فرحتها بعيدها الاضحى تهيب بها أن تستلهم معانيه السامية ، وفضائله الدانية . لتكون لها عونا ومددا ، وتقية وسندا ، فى نضالها الخالد مع عدو الله وعدوهم ، اذ لا مناص لنا من دفعة روحية صادقة تسود اسلوبنا الفكرى ، ونظامنا الحضرى ، وأجيالنا الصاعدة ، من أجل اقامة جبهة مؤمنة صامدة تخلص امتنا من ذل الاستعمار وعار الهزيمة والصغار ..

وهو ما نرى بوادره قد لاحت معارتفاع علم اتحاد

الجمهوريات العربية .. التى نرجو لها مزيداً من التأييد فى رحاب مفهوم وحدة وجود الامة العربية ..

وصدق الله العظيم اذ يقول « ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

الوحدة العربية ورسالتها

من وحى الشعور الفياض الذى يجتاح الامة العربية تيمنا بفال دولة الاتحاد يبعث شاعرنا بقصيدة مطولة يشير فيها الى رسالة الدولة الجديدة معبراً عن شعوره حيث يقول :

سحر الجلالة بين الكون ينبثق
اذا تالف شمل العرب واتفقوا
بنى العروبة هبوا ان عزمكم
لا يترك البحر الا وهو منفلق
بنى العروبة أن المجد ينشدكم
بغير وحدتكم فى الارض لا تثقوا
الاتحاد لكم حصن لهيبته
خرت جباه جرى من تحتها العرق
فاليوم لا سوريا من دون مصر ولا
سودان تزهو بلا ليبيا وتاتلق
انى لالمح من توحيدكم قبسا
من السلام على الغبراء ينبثق
انى لارجع بالذكرى فيطربنى
نصر يؤازركم والصبح منفلق
غداة كان كتاب الله رائدكم
الى السلام وصوت الحق ينطلق
مدوا الى الوحدة البيضاء أيديكم
فانتم قادة الاحرار مذ خلقوا

مع الصوفية والمريدين
الاستاذ عبد الرحمن السحراتى

أصول التصوف خمسة تقوى الله فى السر والعلانية ، واتباع السنة فى الاقوال والافعال والاعراض عن الخلق فى الاقبال والادبار ، والرضا عن الله تعالى فى القليل والكثير ، والرجوع الى الله تعالى فى السراء والضراء ... فتحقيق التقوى بالورع والاستقامة وتحقيق السنة بالتحفظ وحسن الخلق . وتحقيق الرجوع الى الله تعالى بالشكر فى السراء والضراء .. وأصول ذلك خمسة :

علو الهمة وحفظ الحرمة ، وحسن الخدمة ، ونفوذ العزيمة ، وتعظيم النعمة . فمن علت همته ارتفعت رتبته ، ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته ، ومن حسنت خدمته وجبت كرامته ، ومن نفذت عزيمته دامت هدايته ، ومن عظم النعمة شكرها ، ومن شكرها استوجب المزيد من المنعم بها .

وأصول المعاملات خمسة : طلب العلم للقيام بالامر ، وصحبة المشايخ والاخوان للتبصر . وترك الرخص والتأويلات للحفظ ، وضبط الاوقات بالاوراد للحضور . واتهام النفس فى كل شىء للخروج عن الهوى وللسلامة من العطب فآفة طلب العلم صحبة الاحداث سنا أو عقلا أو دينا ممن لا يرجع لاصل ولا قاعدة . وآفة الصحبة الاغترار والفضول . وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس . وآفة ضبط الاوقات اتساع النظر فى العمل لعلة الفضائل . وآفة اتهام النفس الرضا عن أحوالها واستقامتها وقد قال تعالى : « وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها » وكيف يصح لعاقل أن يرضى عن نفسه ، وقد قال سيدنا يوسف « وما أبرىء نفس أن النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى » وأما أصول ما تداوى به علل النفس خمسة أشياء : تخفيف المعدة من الطعام والشراب . واللجوء الى الله مما يعرض عليه . والفرار من مواقع ما يخشى وقوع الامر المتوقع فيه . ودوام الاستغفار مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور وصحبته من يدل على الله أو على أمر الله وهو معدوم خصوصا فى هذه الازمنة التى تركت النصيحة فيها وحصل الظلام فى القلوب الا قلب من رحم الله وهو قليل . فنسأله حسن صحبته تعالى .

مع وفد الله
للشاعر الاديب محمد خليفة أحمد بقرية علوان مركز أسيوط

حجاج بيت الله زاب فؤادى — شوقا الى طه الحبيب الهادى
سارت ركائبكم وسار دليلها — وأنا الذى قطعت أكبادى
حجاج بيت الله أننى هائم — فمتى أنول من الحجاز مرادى

ماذا تعرف عن القرآن الكريم
من رسالة عبد الفتاح الصحن بالاسكندرية يقول :

يسرنى أن أتقدم بهذه الاحصائية لسور وآيات وكلمات وأحرف القرآن علها تكون عونا لبعض السائلين أو الباحثين وهى :

١ — يبلغ عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة . منها ست وثمانون سورة مكية عدد آياتها ٤٤٦٨ اية . وثمان وعشرون سورة مدنية عدد آياتها ١٧٦٨ آية. فيكون مجموع الايات ٦٢٣٦ آية وعدد كلمات القرآن الكريم ٧٧٤٣٧ كلمة تتكون من ٣٢٣٦٧١ حرفا .

٢ — أول مانزل من السور المكية سورة [العلق] وآخر ما نزل منها سورة المطففين .

٣ — أول ما نزل من السور المدنية سورة البقرة وآخر مانزل منها سورة العصر .

من أسرار القرآن
فى رسالة للاديب الورع عبد الرحيم رجب كابلى مدير الممتلكات — مطار جدة الدولى

يقول : روى أن محمد بن على الشريف العلوى ، أصابه هم وغم . وذهب ماله وجاهه وأصابه خوف من السلطان ، فرأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فشكى اليه أمره فقال له صلى الله عليه وسلم « اقرأ هذه الايات الست وأجوبتها عند كل شده فان الله تعالى يجعل لك منها مخرجا . ويرد الله عليك مالك وجاهك ويؤمنك من السلطان ويكفيك أمر داريك ، قال — أى محمد بن على — فأنتبهت فقرأتها بعد صلواتى ، فاذا رسول السلطان يدعونى اليه ، فقال « لقد أرعبتنى فى منامى . وأظنك دعوت الله على ، والله ما يلحقك منى خوف ، ثم رد على ما اخذ منى وزادنى من ماله ، وبالجملة فقد رايت ببركتها كل خير ..

وهذه الايات هى :

١ — الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون [البقرة ١٥٦ ، ١٥٧] .

٢ — الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم [١٧٣ ، ١٧٤ آل عمران] .

٣ — وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين . [الانبياء ٨٧ ، ٨٨] .

٤ — وأيوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين . [الانبياء ٨٣ ، ٨٤] .

٥ — وافوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب [غافر ٤٤ ، ٤٥] .

٦ — والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين [آل عمران ١٣٥ ، ١٣٦] .

الاسم : عراب عبد القادر
البلد : الجزائر
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب
الهواية : جمع الطوابع والصور الطبيعية والمراسلة
العنوان: معهد التكنولوجيا التربوى ـ غيلزان ـ الجزائر

الاسم : نويرى أبو جماعه حسن فضل
البلد : المغرب الاقصى
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب
الهواية : جميع الميادين الفكرية ـ السباحة ـ تبادل الصور والسياحة
العنوان: موقع الدلالة رقم ٩٢ تيزنيت. المغرب الاقصى

الاسم : سعيد محمد منير صالح
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : المراسلة ـ تبادل الاراء والمناظر الطبيعية
العنوان: حدائق شبرا ـ ش جسر البحر ـ المساكن الشعبية عمارة ١ مدخل ٢ شقة ٥

الاسم : البوزيدى علال محمد عبد العزيز
البلد : المملكة المغربية
السن : ٣٠ عاما
المهنة : صحفى
الهواية : المراسلة ـ تبادل الاراء الاجتماعية ـ تبادل الكتب الادبية.
العنوان: ٥٢ رأس الشجرة مدينة سلا ـ المغرب

الاسم : بورحله أحمد
البلد : الجزائر
السن : ٢٠ عاما
المهنة : معلم
الهواية : قراءة الكتب الدينية
العنوان: عين أنويصى . عمالة مستغانم الجزائر

الاسم : أحمد الصاوى السيد على
البلد : جمهورية مصر العربية
السن : ٢٠ عاما
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع والمراسلة
العنوان: محافظة البحيرة مدينة حوش عيسى شارع صلاح سالم

القسم	الموضوع	الكاتب	الصفحة
	معركتنا .. وطريق النصر لها	فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع	١٢٣
	الجهاد والجندية فى تعاليم الاسلام	سماحة مبشر الطرازى الحسينى	١٢٥
	فضل الجهاد	الدكتور عبد الله شحاته	١٢٧
	وحدة الجبهة الداخلية	الدكتور على حسنى الخربوطلى	١٣٠
	بطولة وفداء	الاستاذ محمود السعيد الطنطاوى	١٣٢
فكر وفن	قصة الفداء	للشاعر على الجمبلاطى	١٣٦
	الفقر المناضل	الشيخ الصاوى شعلان	١٣٨
	مناسك الحج	فضيلة الشيخ محمد خليل الخطيب	١٤٠
	الى عرفات قد سعت الوفود	الشاعر المهدى محمود عبد الله	١٤٢
	تحت راية الاتحاد	الشاعر أحمد عثمان المراغى	١٤٣
	الصهيونية وأساليبها	الشيخ حسن صالح	١٤٤
	الحضارة الاسلامية فى ايران	الدكتورة سعاد ماهر	١٤٥
	اقباس من النور ولمحات من المعرفة	الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى	١٤٩
	دعاء	للشاعر صالح جودت	١٥١
	لا يضيع المعروف بين الله والناس (قصة)	الاستاذ محمد عباس محمد	١٥٢
	مكانة المرأة فى الشعر الجاهلى	الاستاذ جلال مظهر	١٥٥
	يا رسول الله	الشاعر عزيز أباظة	١٥٨
	قراءات وطرائف	تقديم فؤاد هيبة	١٦٠
	من وحى الحج	الشاعر محمد حليم حامد غالى	١٦٦
	الفجر فى غدنا	الشاعرة روحية القلينى	١٦٩
	التحرك النفسى والمادى فى المعركة	الاستاذ محمد دياب	١٧٠
باب العلم	الغذاء والماء فى القرآن الكريم	الدكتور جمال الدين حسين مهران	١٧٤
	لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم	الدكتور محمد حسين حلمى	١٧٧
المكتبة الاسلامية	الكعبة على مر العصور	عرض وتقديم : عبد المقصود حبيب	١٨٠
	حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عرض وتقديم : محمد فاوى عشر	١٨٢
أعلام الاسلام	عبد الله بن عمرو بن العاص	الاستاذ صلاح عزام	١٨٦
	ممشاد الدينورى	الاستاذ جودة محمد أبو يزيد المهدى	١٨٩
	الفارابى المعلم الثانى	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٩٤
الافتاء والتعارف	انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام	٢٠٠
	نظرة على المسلمين فى غرب افريقيا	الاستاذ ناصف سليم	٢٠٨
	القراء	اعداد فؤاد هيبة	٢١١
	التعارف		٢١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يقدم للعالم الإسلامي

المصحف المعلم

٧٥ أسطوانة لتعليم القراءة والنطق الصحيح لآيات القرآن الكريم

كل جزأين على ٥ أسطوانات

الثمن للجزأين ٢/٥٦٥ ج ملم

البيع نقداً وبالتقسيط لموظفي الحكومة والقطاع العام

المصحف المجوّد

« ١٢٠ اسطوانة »

لأول مرة يتم تسجيل القرآن الكريم مجوداً بأصوات كبار القراء

كل جزء من القرآن الكريم على أربعة اسطوانات طويلة المدى بتجويد القراء الأربعة سرعة $33\frac{1}{3}$ لفة

« مع كل اسطوانة غلاف فاخر »

سعر بيع الاسطوانة الواحدة ٨٠ قرشاً

البيع نقداً وبالتقسيط لموظفي الحكومة والقطاع العام

أسطوانات القرآن المرتّل

« رواية حفص عن عاصم »

	جنيه ملم
٤٤ اسطوانة مع كتيب بالآيات القرآنية وغلاف فاخر	٢٣/٧٩٦
٤٤ اسطوانة مع غلاف عادي ...	١٩/٣٢٢

رواية ورش عن نافع

	جنيه ملم
٦٨ اسطوانة	٣٥/١٥٠

سرعة $33\frac{1}{3}$ لفة في الدقيقة

أسطوانات تعليم الصلاة والأذان والوضوء

٧ اسطوانات داخل كتيب مشروحة بالكلمة والصورة

باللغات: العربية، الانجليزية، الفرنسية، الألمانية
واللغات الآسيوية: الأندونيسية، الأوردية
واللغات الأفريقية: السواحلية، الفولانية
ولغات أمريكا اللاتينية: الأسبانية، البرتغالية

سعر البيع للكتيب الواحد ٥٠ قرشاً

مخازن البيع

القاهرة:
مخازن القرآن المرتل:
٧٦ شارع الجمهورية: الدور الثالث

الاسكندرية:
فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٤٢ شارع سعد زغلول - الدور الرابع

مطابع الأهرام التجارية